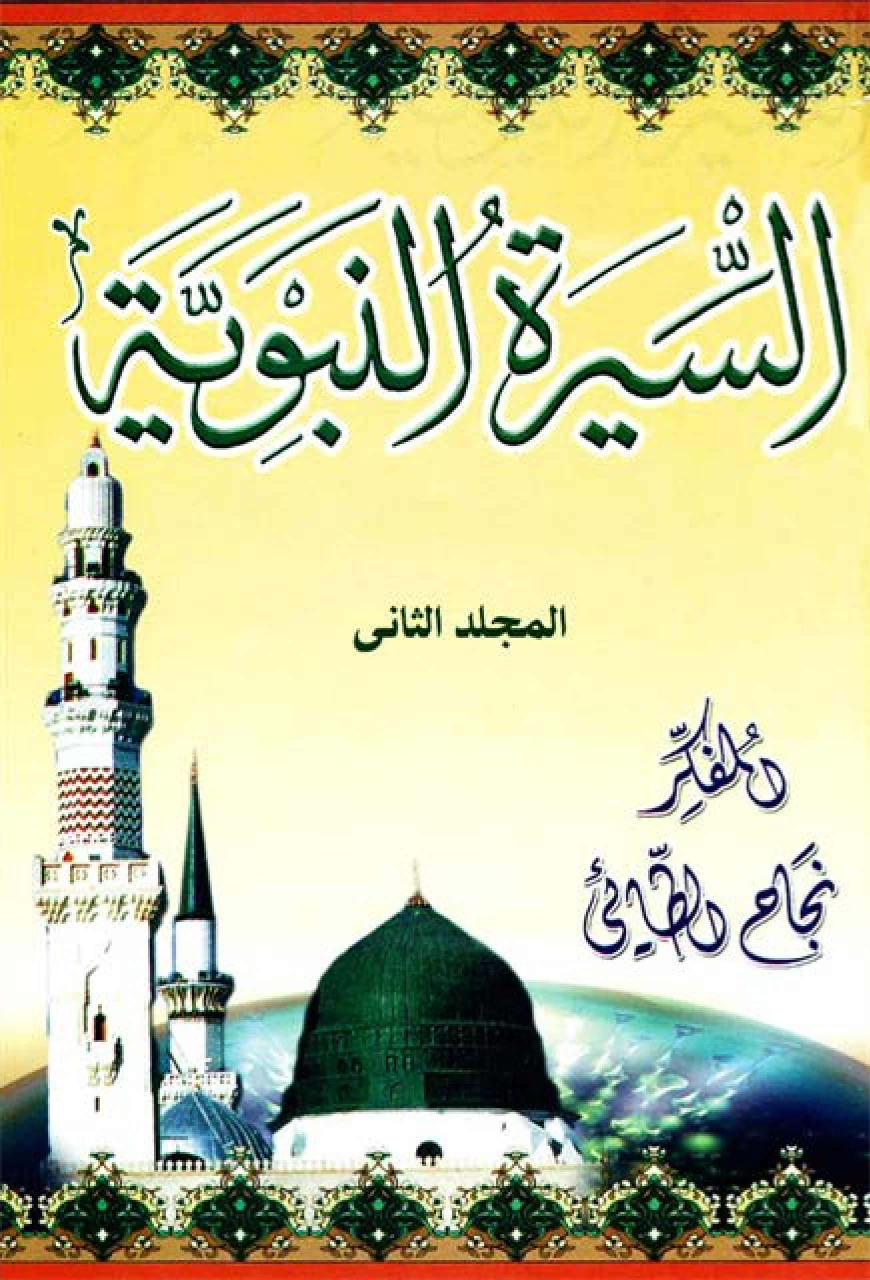


السيرة النبوية
المجلد الثاني
المفكر
نجاح الطائي


السيرة النبوية



الجزء الثاني

تأليف

نجاح الطائي

بسم الله الرّحمٰن الرَّحِيم

السيرة النبوية / ج ٢
المفكّر الإسلامي الدكتور نجاح الطائي
الطبعة ١/ ١٤٢٦/١ هـ ـ ق ، ١/١ ١٣٨٤ هـ ش
١ / ٢ / ٢٠٠٥ م ،الرابعة
الكمية: ١٠٠٠ عدد
دار الهدىٰ لإحياء التراث لندن ـ بيروت
بيروت، ـ ساحة الحمراء ،البناية المركزية، قم ـ مجمع قدس ١٧.
BEIRUT_LONDON
WWW.ALTAEI.COM

الفصل الرابع

صلح الحديبية



التوجه للحديبية

الحديبية قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع الناس رسول الله ﷺ تحتها، وبعض الحديبية في الحل وبعضها في الحرم، وقيل كلها في الحرم، وأهلها ألف وخمسمائة.[1]

وكان النبي ﷺ رأىٰ في المنام أنّه دخل البيت وحلق رأسه وأخذ المفتاح وسميت هذه السنة بسنة الاستئناس، وخلف علىٰ المدينة ابن أُم مكتوم. وأحرم ﷺ من ذي الحليفة[2] ،وأجمعت قريش علىٰ صدّه عن البيت الحرام.

ولاختلاط المسلمين مع كافري قريش لاول مرة وقربهم من مكة وكثرة المشركين وقلة المسلمين وضعف عدتهم فقد ظهر المنافقون من المهاجرين بأوضح صورة .

وفي صلح الحديبية جاء الرسول ﷺ مع سبعمائة رجل وسبعين بدنة كل بدنة عن عشرة نفر فيهم مئتا فارس إلىٰ منطقة الحديبية[3]. وذلك في شهر ذي القعدة في السنة السادسة للهجرة، وهدفه ﷺ العمرة فساق معه الهدي ، ولم يخرج بسلاح إلاّ سلاح المسافر السيوف في القرب[4]، ولضعف العدد والعدّة فقد رغبت قريش

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٦٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١ / ٥٠، التنبيه والاشراف ٢٢٠، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، مغازي الواقدي ١ / ٥٧٢، تاريخ الخميس ٢ / ١٦.

(٣) وهي بئر أو شجرة أو قرية على بعد تسعة اميال من مكّة اكثر ارضها في الحرم.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٦١٤، تاريخ الخميس ٢ / ١٦، السيرة الحلبية ٣ / ٨، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧١،

وجواسيسها الموجودين في الجيش الإسلامي في الحرب.

وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب[١].

وقال رسول الله ﷺ: كان علي لي كالعصا السحرية لموسىٰ ﷺ وقال ﷺ: يا علي لو قاتلك أهل الشرق والغرب لقتلتهم أجمعين[٢].

ولما خرج رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية نزل الجحفة فلم يجد بها ماءاً، فبعث سعد بن مالك (سعد بن أبي وقاص) بالرّوايا حتىٰ إذا كان غير بعيد رجع بالرّوايا فقال: يا رسول الله ﷺ ما استطيع أن أمضي لقد وقفت قدماي رُعباً من القوم.

فقال له النبي ﷺ: اجلس.

ثم بعث رجلاً آخر[٣] فخرج بالروايا حتىٰ إذا كان بالمكان الذي انتهىٰ اليه الأول رجع فقال له النبي ﷺ: لم رجعتَ؟

فقال: والذي بعثك بالحق ما استطعت أن أمضي رُعباً.

فدعا رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فأرسله بالروايا وخرج السقاة وهم لا يشكّون في رجوعه لما رأوا من رجوع مَن تقدمه. وجاءت الأحابيش وثقيف مع قريش. فخرج علي ﷺ بالروايا حتىٰ ورد الحرار فاستقىٰ ثم أقبل بها إلىٰ النبي ﷺ ولها زجل (صوت) فكبّر النبي ﷺ ودعا له بخير[٤].

= تاريخ خليفة ٣٦، وقال ابن اسحاق عددهم سبعمائة رجل بسبعين بدنة فكل بدنة عن عشرة نفر، وقيل عددهم ١٣٠٠ رجل، وقيل ١٤٠٠ رجل قاله الزهري وابن سعد، وقيل عددهم ١٥٠٠ رجل عن جابر الانصاري وقيل عددهم ١٦٠٠.

عيون الأثر ٢ / ١١٣، ١١٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٠، مغازي الواقدي ١ / ٥٧٤.

(١) الأرشاد، المفيد ١ / ١١٩.

(٢) تفسير القمي ٢ / ٢٦٨.

(٣) تعبير رجل موضوع خاصة لابي بكر او عمر.

(٤) الإصابة ١٩٩/٣، مناقب آل أبي طالب ٨٨/٢، البحار ٣٥٩/٢٠، مغازي الواقدي ٥٧٨/١، السيرة الحلبية ١٠/٣.

رغبة قريش في الحرب

فلمّا كان النبيﷺ بذي الحليفة قلّد الهدي، وأحرم هو وأصحابه منها، ليأمن الناس حربه. ولمّا وصل جيشه إلىٰ قرب جيش خالد بن الوليد أمر خيله بالوقوف في إزاء جيش خالد. وشاهد المسلمون غلظة وخشونة من قبل المشركين، فأبدوا لهم مثل ذلك، كما قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلظَةً﴾[1].

ولمّا خرج عكرمة بن أبي جهل في خيله، ناوشه المسلمون، ورموهم بالحجارة، حتّىٰ أدخلوهم مكّة... وعلىٰ اثر ذلك ازداد الرعب في صفوف المشركين، وانخلعت افئدتهم خوفاً من جيش المسلمين الرابض على أبواب مكّة.

وقال ﷺ: يا ويح قريش، نهكتهم الحرب، فماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين العرب، فإنْ هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم، دخلوا في الإسلام وافرين، وإن أبوا قاتلوني وبهم قوة؟ فما تظن قريش، فوالله الذي لا إله إلّا هو، لا أزال أجاهد على الذي بعثني به ربّي، حتّىٰ يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (وهي صفحة العنق كناية عن قتله).

وقال ﷺ: والذي نفس محمّد بيده، لا تدعوني اليوم قريش إلىٰ خطّة يسألوني فيها صلة رحم إلّا اعطيتهم إياها.

ويظهر من قول الرسول ﷺ، رغبته في الصلح مع قريش، للانفراد بسائر العرب في الجزيرة، فيسهل عليه نشر الإسلام بينهم.

وحاول الرسول ﷺ عدم الاصطدام بجيش الكفار فسلك ارضاً جرداء ليس فيها ماء.

---

(١) التوبة، ١٢٣.

وكانت قريش تعرف بمسير رسول الله ﷺ وجيشه إلىٰ مكة فأرسلوا له خالد بن الوليد في جيش فحاول إثارة جيش المسلمين فصدّوه دون قتال. وتقدم خالد لاستقبال جيش المسلمين في ذي طوس، فسلك رسول الله ﷺ غير الطريق التي هم بها وسلك ذات اليمنى علىٰ مهبط الحديبية فبركت به ناقته وقال ﷺ: حبسها حابس الفيل[١].

ممثلو قريش

وقال رسول الله ﷺ لبديل بن ورقاء الخزاعي لم نأت لقتال أحد ولكنا معتمرين فأخبر قريشاً بذلك.

ثم أرسلوا له مكرز بن حفص بن الاحنف من بني عامر بن لؤي.

فقال النبي ﷺ: هذا رجل غادر فلما انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ رفض أنْ يكلمه وقال هذا رجل فاجر، فرجع إلىٰ قريش وأخبرهم بذلك.

فبعثوا له الحليس بن علقمة الكناني وهو يوْمئذٍ سيد الاحابيش، فما ان رآه رسول الله ﷺ حتى قال: إنّ هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه، فلما رأىٰ الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس رجع إلىٰ قريش فقال: يا معشر قريش قد رأيت ما لا يحل صده الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله. لتخلن بين محمد وما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد.

فقالوا: كف عنا حتّىٰ نأخذ لأنفسنا ما نرضىٰ به.

ثم بعثوا له عروة بن مسعود الثقفي فلما رأىٰ المغيرة قال: أي غادر.

ثم بعث رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي إلىٰ مكة.

---

(١) تاريخ الخميس ٢/٣٩٠، السيرة الحلبية ٣/١٠ ـ ١٤، سيرة ابن حبان ١/٢٨١ ـ ٢٨٢، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٤.

وكانت خزاعة عيبة رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة وكان بديل بن ورقاء سيد خزاعة.

ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وقالوا: ائت محمداً وصالحه، ولا نكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنّا عامه هذا، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً. فأتى سهيل بن عمرو فلما رآه النبي ﷺ قال: قد أراد القوم الصلح فبعثوا هذا الرجل[١].

الايات الباهرة

وفي السنة السادسة للهجرة أجدب الناس فاستسقى رسول الله ﷺ في شهر رمضان فسقاه الله تعالى[٢].

وعطش المسلمون في الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة يتوضّأ فيها فأقبل الناس نحوه فقال ﷺ: ما لكم ما لكم.

قالوا: ليس عندنا ماء نشرب ولا نتوضّأ منه إلاّ ما في ركوتك.

فوضع رسول الله ﷺ يده في الركوة[٣] فجعل الماء يفور بين أصابعه أمثال العيون.

قال: فشربنا وتوضّأنا ولو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة[٤].

وهجم خمسون مشركاً على اطراف المسلمين ليصيبوا لهم من اصحابهم احداً فأخذهم المسلمون وعفا عنهم رسول الله ﷺ واطلق سراحهم[٥].

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٢٩٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٤، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٢، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٠٠، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٤.

(٢) التنبيه والاشراف ٢٢١، مروج الذهب ٢ / ٢٨٩.

(٣) اناء صغير يشرب فيه الماء.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١١٤.

(٥) عيون الأثر ٢ / ١١٨، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧.

وقضية الحرب على الماء قضية قديمة، فقد حاول الكافرون دائماً السيطرة على الماء ومنع المسلمين منه لقتلهم عطشاً[1]. فقد منع المشركون الماء عن عبدالمطلب بن هاشم وصحبه لقتلهم عطشاً في صحراء الجزيرة ولما نبع الماء تحت قدمية لم يمنعه عبد المطلب من قريش.

ومنع المشركون الماء عن المسلمين في بدر بعد سيطرتهم على آبارها، ولما سيطر رسول الله ﷺ على الماء لم يمنعهم منه[2]. وسيطر الكافرون على الماء في غزوة الحديبية لقتل النبي ﷺ والمسلمين عطشاً، فجاءهم علي عليه السلام بالماء في منطقة الجحفة وبارك لهم الله تعالى في عين الحديبية بدعاء رسول الله ﷺ[3].

ومنع طلحة بن عبدالله الماء عن عثمان بن عفان وصحبه وأهله أثناء الثورة على عثمان وردّ شفاعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في اعطاء الماء لهم[4].

ومنع معاوية ابن أبي سفيان الماء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام وجيشه في معركة صفين ولما سيطر الإمام علي عليه السلام على الماء سمح لمعاوية وجيشه بالشرب منه[5].

وسقى الإمام الحسين عليه السلام جيش يزيد بن معاوية الماء في صحراء كربلاء، ولما سيطروا هم على الماء منعوا الحسين عليه السلام واهله وصحبه منه فقتلوهم عطشاً[6].

سبب بيعة الرضوان

اعتقد زعماء قريش بأنّ الصلح مع رسول الله ﷺ في غير صالحهم. وهذا المبدأ قديم التزمت به قريش قبل وبعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة لأنّ الصلح يمكن

(١) راجع موضوع الماء كسلاح في الحروب.
(٢) البحار ٣٢/٤٤٧.
(٣) البحار ٤١/٦٨.
(٤) بحار الانوار ٣١ / ٢٨٧.
(٥) صفين ١٦٠ـ١٦٦.تاريخ أبي مخنف ١/١٥٩ـ١٦٢.
(٦) الاخبار الطوال ٢٤٨.تاريخ ابن عساكر في ترجمة الامام الحسين ٤٤٧.

المسلمين من نشر الإسلام بسهولة في مدن واراضي شبه جزيرة العرب. بل يساعدهم علىٰ نشر الدين خارج البلاد ايضاً.

ويعني الصلح الاعتراف برسالة النبي محمد ﷺ ودولته في المدنية ممّا يسهل علىٰ المسلمين اقامة العلاقات المحترمة مع سائر القوىٰ القبلية والمدنية في المنطقة.

والصلح مع رسول الله ﷺ سيمكن المسلمين من الانتصار علىٰ باقي القوىٰ المحالفة لقريش من الأحزاب مثل خيبر وغطفان وبني سليم وغيرها. وفعلاً حدث ذلك إذ فتح رسول الله ﷺ خيبر وحارب بني سليم. وأرسل جيشاً إلىٰ مؤته في الشام.

وفي مدة سنتين عظمت شوكة المسلمين وضعفت منزلة المشركين فأقبلت الناس علىٰ دخول الإسلام رغبة في الدين من البعض ورغبة في المغانم من البعض الآخر فدخل عمرو بن العاص وأبو موسىٰ الأشعري وأبو هريرة وخالد بن الوليد في الإسلام في تلك الفترة.

ودخلت قبيلة خزاعة في حلف مع المسلمين فتضاعفت جيوش رسول الله ﷺ وأدرك عمر بن الخطاب ما ادركته قريش ايضاً وشاركه في ذلك عثمان بن عفان وابو بكر والمغيرة. وذهب عثمان الى مكة للعمرة بدعوة من أبي سفيان في حين رفض الدعوة عبدالله بن أُبي زعيم المنافقين الذى قال له ابنه : كيف تطوف الكعبة ورسول الله ﷺ ممنوع من الطواف بها!

واعتقد القرشيون أنّ جيش المسلمين في الحديبية لقمة سائغة فهم في عددهم قليل بلا عدة حربية.

وأدرك رسول الله ﷺ نوايا قريش من رفضهم الصلح ومحاولة قتلهم سفيره خراش بن أميّة الخزاعي وهجمة جيشهم علىٰ المسلمين بقيادة عكرمة بن أبي جهل، والهجوم الغادر عليهم من قبل خمسين آخرين ومحاولة خالد قتل المسلمين في

الصلاة فنزلت آية:

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك﴾[1].

ولخطورة الوضع ردّ عليهم رسول الله ﷺ بالوسائل التالية:

اجراء بيعة الرضوان التي بايع فيها المسلمون علىٰ الموت وعدم الفرار لتخويف المشركين الداعين للحرب.

والبيعة وسيلة جماهيرية تبين مكانة الزعيم في صفوف الناس وتعوّد المسلمين علىٰ أتباع هذه الطريقة دائماً، وتزيد من المحبة بين القائد وشعبه لذلك يخاف هذه البيعة المستبدون الظالمون.

فأدرك زعماء مكة أنّ هذه الحرب ستكون كبدر لا كأحد وعندها تتحطم رؤوسهم كما تحطم رأس عتبة وشيبة والوليد وأبي جهل وأميّة بن خلف وعتبة بن أبي معيط في بدر .

فتلك البيعة علىٰ الموت أخافت المشركين وخلعت افئدتهم وسلبتهم نومهم.

وهددهم رسول الله ﷺ بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[2] الذي قتل زعماءهم وابطالهم في بدر واحد والخندق واي جولة اخرىٰ له ستمكنه من قتل رموزهم الآخرين مثل أبي سفيان وحكيم بن حزام وصفوان بن أميّة وخالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل.

وهذا التهديد النبوي لهم تبّط عزائمهم ونشر الخوف في اوصالهم كيف لا وعلي عليه السلام لايقف امامه احد فهو منصور بالعناية الإلهية وبلغت سمعته حداً اجازت لأبطال العرب كشف عوراتهم أمامه للهروب من سيفه، بينما كان العرب يهتمون بسمعتهم أكثر من أي شيء آخر.

---

(١) النساء ١٠٢، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ - ١٩٥، تاريخ الطبري ٢ / ١٧٥ - ١٨٥، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٣.

(٢) المستدرك للحاكم ٤/٢٩٨.

واطلق رسول الله ﷺ سراح الاسرىٰ القرشيين الخمسين المهاجمين للمسلمين تعبيراً عن حسن النية[١].

إنّ ذهاب عثمان بن عفان الى مكّة للعمرة بدعوة أبي سفيان كان من الأسباب الداعية لبيعة الرضوان لأنّه ذهب الى مكّة عناداً للنبي ﷺ وإرضاءً للحزب القرشي فاعتقد المشركون إنّ المسلمين مثل عثمان فأراد رسول الله ﷺ أن يبيّن هوية الموحّدين ببيعة الرضوان على الموت فخافت قريش وتراجعت.

كما كسب النبي ﷺ ودّ القرشيين في محادثاته ورسائله لقريش قائلاً:

لا تدعوني قريش اليوم إلىٰ خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات الله إلّا أعطيتهم إياها، وإن كان فيها تحمل المشقة[٢].

كسب النبي ﷺ زعماء القبائل الحليفة والقريبة من قريش مثل ثقيف وخزاعة والاحابيش ففي حديثه مع عروة بن مسعود الثقفي (سيد ثقيف) تكلم بكل لطف لكسبه إلىٰ جانبه ونجح في ذلك رغم اعمال أبي بكر والمغيرة إذ اهانه أبو بكر قائلاً له: امصص بظر اللات[٣] وضربه المغيرة بن شعبة علىٰ يده بالحديدة[٤].

فقال عروة لقريش: إنّي والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في اصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فروا رأيكم[٥].

لقد عمل عروة بن مسعود عملين رائدين لرسول الله ﷺ مرّة في اقناع قريش بالصلح من منطلق منزلته الاجتماعية العالية لكونه رئيس قبيلة ثقيف وزعيم

---

(١) عيون الأثر ٢ / ١٢٣ / ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٩ – ٢٨٣، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ – ٤٩٥، البداية والنهاية ٤ / ١٩٠ – ١٩٤.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٨٤.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ – ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ – ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

(٤) المصادر السابقة.

(٥) المصادر السابقة.

الطائف ومرّة في محاولته اقناع قومه في دخول الإسلام فنجح في الاولىٰ واستشهد في الثانية علىٰ يد قومه[1].

فقال رسول الله ﷺ: إنّ مثل عروة مثل صاحب آل ياسين[2] فحقد الكافرون وبعض المسلمين علىٰ عروة لمحبته رسول الله ﷺ.

وانا أعجب من جرأة ذلك العبد[3] الغادر (المغيرة) علىٰ الأشراف والزعماء إذ قتل اسياده من ثقيف غدراً وهم ثلاثة عشر شخصاً[4] وضرب عروة بن مسعود الثقفي بالحديدة علىٰ يده[5].

وضرب فاطمة بنت محمد ﷺ سيدة نساء العالمين[6].

وأول من دعا لترك مراسم جثمان النبي ﷺ والذهاب للسقيفة[7].

ولعن المغيرة أمير المؤمنين علياً ﷺ في مسجد الكوفة[8].

ولا ادري لماذا أحبّه عمر وولّاه البحرين ثم البصرة ثم الكوفة[9]؟ وهو يعلم أنّه فاسق.

وورث ذلك الحب معاوية فجعله والياً علىٰ الكوفة إلىٰ اللحظات الأخيرة من حياته وقد قال عمر: من استعمل فاجراً وهو يعلم أنّه فاجر فهو مثله[10].

---

(١) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، أسد الغابة ٣ / ٤٠٦، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإصابة ٢ / ٤٧٠، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٤.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٤٧٠، مغازي الواقدي ٣ / ٩٦١، الإستيعاب ٣ / ١١٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٩٦٥.

(٣) شرح النهج ٢ / ٣١ – ٣٤، تاريخ المدينة، ١ / ٥٠٢.

(٤) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٣ / ١٢٠، السيرة الحلبية ٣ / ١٥، شرح النهج ٤ / ٨.

(٥) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ – ١٢٧.

(٦) شرح النهج ٦ / ٣٠.

(٧) البدء والتاريخ ١٣٩، شرح النهج ٦ / ٤٣.

(٨) البحار ٣٠ / ٥٥٣.

(٩) عبقرية عمر، العقاد ٤٢.

(١٠) تاريخ عمر، ابن الجوزي ٥٦.

وأحب المغيرة أبا بكر وعمر فهو أول من بايع أبا بكر في السقيفة[١] وأول من سمّىٰ عمر بأمير المؤمنين[٢].

وأحب يزيد بن معاوية فهو أول من دعا لبيعته[٣].

وكانت قريش تحب المكر والغدر وكانت دار الندوة مقراً لانعقاد جلسات قريش في يوم السبت فسمي يوم مكر وخديعة[٤].

وفي يوم السبت قرّروا اغتيال رسول الله ﷺ.

وقال الإمام علي عليه السلام عن بيعة عثمان: **«خدعة وأيما خدعة»**[٥].

ولما أرسل عثمان المغيرة إلىٰ ثوار العراق ومصر لإرضائهم قالوا له: يا أعور وراءك يا فاجر وراءك يا فاسق وراءك[٦].

ولما سأل الحجاج رجلاً عن عبد الملك بن مروان قال: ما أقول في رجل أنت سيّئة من سيّئاته[٧] ومعرفة الأمراء بمعرفة أعوانهم أسهل طريقة منطقية عقلية.

وكان حليس بن علقمة سيد الاحابيش من قوم يتألهون، فقدم رسول الله ﷺ الهدي امامه في قلائده قد أكل اوباره من طول الحبس فتأثر تأثراً كبيراً فأصبح في جانب رسول الله ﷺ قائلاً:

يا معشر قريش والله ما علىٰ هذا حالفناكم ولا علىٰ هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاءه معظماً له؟ والذي نفس حليس بيده لتخلن عن محمد وبين ما جاء

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٣ الإصابة، ابن حجر ١ / ٣٢٥.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٢٦١.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢١٤ – ٢١٥، تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩ – ١٧٠.

(٤) سيرة ابن دحلان ١ / ٢٥٦.

(٥) تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢.

(٦) أنساب الاشراف ٥ / ١١١، ١١٢.

(٧) السيرة الحلبية ١ / ١٨٠.

له أو لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد[١] فخافت قريش وتنازلت عن تصميمها علىٰ الحرب وقالت له: مه كف عنّا نأخذ لأنفسنا ما نرضىٰ به[٢].

وتحدّث رسول الله ﷺ مع بديل بن ورقاء سيد خزاعة وصحبه عن سبب مجيئه وعن الإسلام فكسبهم إلىٰ جانبه.

فجاءوا قريشاً قائلين لهم: إنّه لم يأت يريد حرباً وإنّما جاء زائراً للبيت ومعظّماً لحرمته فاتهمتهم قريش وجبهتهم[٣] وأصبحت خزاعة في صف رسول الله ﷺ ولما وقّع ﷺ وثيقة الصلح اعلنت خزاعة عن حلفها مع المسلمين دون أي تأخير.

وتأثر سهيل وصحبه برسول الله ﷺ وبيعة الرضوان إذ رجع حويطب بن عبد العزّىٰ وسهيل بن عمرو ومكرز بن حفص إلىٰ قريش فأخبروهم نبأ اقدام أصحاب رسول الله ﷺ علىٰ البيعة، فدعىٰ أهل الرأي منهم إلىٰ مصالحة محمد ﷺ[٤]

وتجاوب رسول الله ﷺ مع سهيل بن عمرو أفضل تجاوب ممكن فمحا عبارة رسول الله ﷺ من وثيقة الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

ولما هرب أبو جندل بن سهيل بن عمرو ردّه رسول الله ﷺ إلىٰ المشركين عملاً بشروط الصلح رغم معارضة المسلمين ذلك.

بطلب من ذهب عثمان إلىٰ مكة ؟

وكانت قريش قد دعت بعض المسلمين للطواف في الكعبة وزيارة مكة عنادا للنبي فلبىٰ ذلك عبدالله بن أبي وعثمان بن عفان. فتدخل عبدالله بن عبدالله بن أبي

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ١٩٠، سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٠ - ٤٩٥، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٧، تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠، مغازي الذهبي ٣٧٠ - ٣٧٦، السيرة الحلبية ٣ / ١٠ - ١٥، سنن البخاري، كتاب المغازي، الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٣، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٠٤ - ٢٠٨، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٠ - ٢٨٧.

(٢) المصادر السابقة.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) مغازي الواقدي ١ / ٦٠٥.

فمنع أباه، قائلاً: لا تفضحنا بكل موطن أتطوف ولم يطف رسول الله ﷺ ؟

فَرُوِيَ زيفاً أنّ عثمان كان موفداً مع عشرة مسلمين إلىٰ مكة.

فقال الحلبي: لم أقف علىٰ اسمائهم![1] ولم يقف علىٰ اسمائهم سائر رجال الحديث والسيرة!

ولم يبايع رسول الله ﷺ بدلاً عنهم لزيف الموضوع!

ان عثمان لم يكن موفداً من قبل رسول الله ﷺ، بل ذهب بنفسه إلىٰ مكة بدعوة قرشية، في حين ردّ عبد الله بن أبي زعيم المنافقين دعوة قريش قائلاً:

لا أطوف حتىٰ يطوف رسول الله ﷺ[2].

وكان عبدالله بن عبدالله بن أُبي قد قال: يا رسول الله ﷺ أقتل أبي؟ فقال ﷺ: لا تقتل أباك[3].

إنّ العلاقة بين رسول الله ﷺ وعثمان قد ساءت بعد فرار عثمان عن معركتي بدر واحد ثم اخفائه جاسوس المشركين والممثل بجثة حمزة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وقتله رقية ربيبة رسول الله ﷺ[4].

من جانب آخر توثقت علاقة عثمان بقريش لأفعاله السابقة.

وتواترت أخبار غياب عثمان عن بيعة الرضوان في العصر الأسلامي الأول لذا قال الطبري لإخفاء الحقيقة : «إنّ الذي كان من أمر عثمان باطل»[5]. .

ويعني بذلك ذهاب عثمان إلىٰ مكة دون إذن رسول الله ﷺ وامتناعه عن بيعة الرضوان.

---

(١) السيرة الحلبية ٣ / ١٦.

(٢) سيرة ابن دحلان ١ / ٤٩٢.

(٣) تاريخ المدينة، ابن شبة ١ / ٣٦٥.

(٤) اقرأ هذا الموضوع في هذا الكتاب.

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٨٠.

وقال رجل لعبد الله بن عمر: انشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أنّ عثمان تخلف عن بيعة الرضوان؟[1]. وهذا الأمر يبين فرار عثمان إلىٰ مكة وانتشار هذا النبأ بين المسلمين ولكن الأمويين حاولوا طمس ذلك بالاكاذيب.

ومن الأكاذيب اشاعة مقتل عثمان ولا أدري من يقتله هناك أبو سفيان أُم معاوية أُم الحكم بن أبي العاص أُم الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهم قادة المشركين وجميعهم من بني أميّة؟ وكيف يقتلوه وقد لبّىٰ دعوتهم عنادا لرسول الله ﷺ والمسلمين!

لذا قال ابن عباس: اتقرن يا معاوية رجلاً غاب عن بدر ولم يشهد بيعة الرضوان وفر يوم التقىٰ الجمعان، ابن مخنث قريش الذي لم يسل سيفاً، ولم يدفع عن نفسه ضيماً إلىٰ قريع العرب وفارسها وسيف النبوة وحارسها اكثرها علماً واقدمها سلماً[2].

وعيّر عبدالله بن مسعود عثمان بن عفان قبل مقتله قائلاً:

لستُ كذلك، ولكن صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان[3].

مشيراً إلىٰ غيابه في بدر والرضوان.

وأقدم عبد الرحمن بن عوف الزهري علىٰ تعييره بذلك أمام الناس وانتشر الخبر في الآفاق وفي كتب المسلمين إذ قال لعثمان في المسجد النبوي أمام المسلمين: والله ما شهدت بدراً، ولا بايعت تحت الشجرة، وفررت يوم حنين[4].

وقال رسول الله ﷺ: ولا تفرنّ يوم الزحف فإنّه مَنْ فرَّ يوم الزحف فقد بـاء بغضب من الله ومأواه جنهم وبئس المصير[5].

---

(١) تفسير السيوطي ٢ / ٨٦، لسان العرب ١٣ / ٨٢، سنن البخاري ٤ / ٢٠٣، تفسير القرطبي ٤ / ٢٤٥، البداية والنهاية ٤ / ٣١، النهاية ١ / ١٩١.

(٢) أخبار الدولة العباسية ٤٩.

(٣) أنساب الاشراف ٥ / ٣٦، والغدير ٩ / ٣، المسترشد، ابن جرير الطبري ١٦٤، المستدرك ٣ / ١٠٥.

(٤) البحار ٣١ / ٢٨٨، تاريخ المدينة المنورة ٣ / ١٠٣١.

(٥) المستدرك الحاكم ٤ / ٤٤.

وقال المقداد بن عمرو في يوم الشورىٰ أمام الناس جميعاً عن عثمان : لا تبايعوا رجلاً لم يشهد بدراً، ولم يبايع بيعة الرضوان وانهزم يوم احد يوم التقىٰ الجمعان. ويقصد به عثمان.

فقال عثمان: أمَ والله لئن وليتها لأردنَّك إلىٰ ربّك الأول[1]

وفعلاً وفىٰ عثمان بقسمه وقتل المقداد في زمن حكمه !

وقال سالم بن عبد الله بن عمر: إنّ عثمان لم يشهد البيعتين كلتيهما بيعة الرضوان وبيعة الفتح[2].

وبذلك يكون الصحابة عبد الله بن مسعود والمقداد بن عمرو وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس قد عيّروا عثمان أمام المسلمين بفراره في بدر واحد وبيعة الرضوان وبيعة فتح مكة، وايدهم الصحابة في هذا الموضوع .

وقال عبد الله بن مسعود: كنا نتذاكر في أمر الدجال فقال رسول الله ﷺ: إنّ في البيت لمن هو أشد علىٰ أمتي من الدجال، وقد مضىٰ من كان في البيت يومئذٍ غيري وغير عثمان[3]!

ولا يعقل عاقل أن يكون فرار عثمان من معارك بدر واحد وخيبر وحنين وبيعة الرضوان وبيعة الفتح قد حدث صدفة.

لذلك أحبت قريش عثمان اكثر من عمر، فهو الذي اخفىٰ طاغيتي المشركين معاوية بن المغيرة بن أبي العاص وعبدالله بن أبي سرح[4]. رغم ما في ذلك من خطورة على حياته وسمعته.

وقد يسأل القارىء اللبيب عن سبب طمس الحقائق وتغيير الوقائع في التاريخ

---

(١) الامالي، المفيد ١١٤، مسند أحمد ٢/١٠١، الصراط المستقيم ٣/٣٤، كتاب الاربعين، القمي الشيرازي ٥٨٧.

(٢) الغدير ١٠ / ٧١، الرياض النضرة ٢ / ٩٤.

(٣) البحار ٣١ / ٢٨٢.

(٤) المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٨.

الإسلامي فنحيل جوابه هذه المرة إلىٰ أبي هريرة الذي يجيب قائلاً:

حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين فأمّا احدهما فبثثته وأمّا الآخر فلو بثثته قُطع هذا البلعوم[١]!

ولطمس الحقيقة فقد نشر الامويون الاكاذيب منها :

لقد وردت اشاعة قوية بمقتل عثمان بن عفان في مكة فصمم رسول الله ﷺ علىٰ حرب المشركين فاجرىٰ بيعة الرضوان والراوي جراح بن المنهال أبو العطوف الجزري وقد كذبه البخاري ومسلم وابن المديني والدارقطني والنسائي وابن حبان هذا اولا ،وكان شاربا للخمر ثانيا [٢].

وفي رواية كاذبة اخرىٰ أنّ رسول الله ﷺ ضرب بيسراه علىٰ يمينه بدل بيعة عثمان، وأنّ الكفار أخذوا عثمان وعشرة مسلمين رهناً وأخذ المسلمون سهيل بن عمرو رهنا[٣]، الجواب : لم يبايع النبي ﷺ للمسلمين العشرة المرافقين لعثمان ولم يذكراهل التاريخ أسماءهم ؟

بينما كانت علاقة عثمان ببني أمية متينة فهو من قبيلتهم اولا، وابن عم ابي سفيان ثانيا ،وثالثا دفاع عثمان عنهم واخلاصه لهم بوقوفه إلى جانب معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الممثل بجسد حمزة وجاسوس قريش في معركة احد باخفائه له في بيته[٤].

والاسباب التي دعت إلىٰ هذه الروايات الاموية الكاذبة هو ذهاب عثمان الى

---

(١) سنن البخاري ١ / ١٢٢ باب حفظ العلم ١١٨. والحلقوم مجرىٰ النفس خروجاً ودخولاً والمريء ممر الطعام والشراب وهو تحت الحلقوم، والبلعوم تحت الحلقوم. أراد أبو هريرة بالوعاء الأول ماحفظه من احاديث عامة واما الثاني فما حفظه من أخبار الفتن واشراط الساعة وما أخبر به الرسول من فساد الدين علىٰ يد الأمويين وافعال الظلمة بحق أهل البيت عليهم السلام فقال أبو هريرة: لو شئت ان أسميهم بأسمائهم.

(٢) لسان الميزان ٢ / ١٠٠.

(٣) البداية والنهاية ٤ / ٢٠٠ - ٢٠٣، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٧، عيون الأثر ٢ / ١٢٣ - ١٢٦.

(٤) السيرة الحلبية ٢ / ٢٦٠، أنساب الاشراف ١ / ٣٣٧.

مكة للعمرة .

وقد بين الصحابة كذب الامويين يوم عدوا ذهاب عثمان الى مكة وفراره من بيعة الرضوان مثلبة من مثالبه وايد عثمان عصيانه بسكوته على اقوال الصحابة فيه.

بيعة الرضوان

ولمّا كان الرسول ﷺ يحمل راية الصلح والسلام في يد، ويحمل السيف في اليد الاخرىٰ، تخويفاً وتهديداً لقريش نراه جمع أصحابه للبيعة تحت شجرة، فكانت بيعة الرضوان. فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته وعلىٰ أن لا يفرّوا، (وفيهم كهف المنافقين ابن سلول) لم يتخلف منهم إلّا رجل يدعى الجد بن قيس الانصاري وعثمان ابن عفان.[١]

وأقام رسول الله ﷺ والمسلمون في الحديبية بضعة عشر يوماً[٢] ومن شدّة حب المسلمين لبيعة الرضوان كانوا يصلون عند تلك الشجرة عند ما يمرون بها فأمر عمر بقطعها[٣] وبعد بيعة الرجال جرت بيعة النساء، وكانت بيعة النساء لرسول الله ﷺ تتمثل في أمره أمير المؤمنين علياً عليه السلام في طرح ثوب للنساء ثم مسحه ﷺ بيده، فكانت مبايعتهن للنبي ﷺ بمسح الثوب[٤].

ومثلما تعهّد الرسول ﷺ بالصلح مع قريش، فقد وافق علىٰ شروطهم للسلام لحكمة إلهيّة. ولأجل اعتقاد المسلمين بنبوة محمد ﷺ، وحكمته، وأفعاله المسدّدة

(١) راجع البداية والنهاية ٤ / ٣١، ٣٢، السيرة الحلبية ٢ / ٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ - ١٨٣.

(٢) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٣) عيون الأثر ٢ / ١٢٥.

(٤) الأرشاد، ١ / ١١٩.

من الله تعالىٰ فقد سكتوا، ورضوا بشروط الهدنة[١].

إعتراض علىٰ بنود صلح الحديبية

لقد فرح رسول الله ﷺ بقدوم سهيل بن عمرو ممثلاً لقريش لمعرفته برغبة سهيل في الصلح وفعلاً كان سهيل مخوّلاً في إمضاء عقد الصلح وعرف عمر بن الخطّاب بذلك أيضاً فغضب ورغب في اغتيال سهيل وستلاحظ في الموضوع القادم أنه اغرىٰ ابنه بقتله لماذا؟

الجواب: إنّ عمر احب قريشاً ولا يرغب بانتصار أحد عليها لذا رفض سفارة سهيل ورغب في سفارة رجل متشدد من قريش يقف أمام طموحات المسلمين في فتح مكّة عنوة.

واستمر عمر في كرهه لسهيل بن عمرو رغم موقفه الشريف في الحديبية وبعد مقتل رسول الله ﷺ إذ ارتد القرشيون وثبت سهيل ودعاهم للاسلام.

لذلك لم يعين عمر في زمن حكمه سهيلاً في أي منصب ولم يهتم به وأخرجه إلىٰ الشام جندياً عادياًفمات فيها في ظروف غامضة فقيل قتل وقيل مات بالطاعون [٢].

وكان الطرف الإسلامي يودُّ الصلح وكذلك بعض القرشيين وخزاعة والأحابيش وزعيم ثقيف. وهذه الجبهة هي التي أجبرت قريشا على الصلح.

وكان قادة قريش وجواسيسهم يودّون الحرب لاعتقادهم بأنّ الخاسر فيها هم المسلمون!

وبعد الصلح خالف عمر بن الخطاب تلك الشروط إذ جاء في تفسير عبد الرحمن السيوطي في تفسير سورة الفتح: فقال عمر بن الخطاب:

ما شككت منذ أسلمت إلاّ يومئذ، فأتيت النبي ﷺ فقلت: ألست نبي الله؟

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ /٥٥ والسيرة الحلبية ٢ /١٩.
(٢) اسد الغابة ٢ /٤٨٠.

قال: بلىٰ.

فقلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟

قال: بلىٰ.

قلت: فلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟

قال: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدّثنا: أنّا سنأتي البيت ونطوف به.

قال: بلىٰ، أفاخبرتك أنك تأتيه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ: إنّك آتيه ومطوف به[1].

أمّا عمر فقد غفل عن كل هذا، وأخذ يعامل الرسول ﷺ كرجل عادي، وهو غافل عن كونه رسول الله ﷺ إذ أخذته الحميّة في هذا المجال وغضب، فقال: يا أبا بكر: أليس هو رسول الله؟

قال: بلىٰ.

قال أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلىٰ.

قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلىٰ.

قال: فعلىٰ مَ نعطي الدنيّة في ديننا.

فقال له أبو بكر: أيّها الرجل إنّه رسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره استمسك بغرزه (اي استمسك بطاعته) حتّىٰ تموت فإنّي أشهد إنّه رسول الله[2].

وأخرج البخاري ـ في آخر كتاب الشروط من صحيحه ـ حديثاً جاء فيه، أنه قال: فقلت ألست نبي الله حقاً؟ قال: بلىٰ. قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل. قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟

(١) المغازي، الواقدي ١/٦٠٧.

(٢) السيرة الحلبية. ج ١٩/٢ السيرة النبوية، دحلان، المرفقة بسيرة الحلبي ١٦٥/٢ ـ ١٨٣.

قال ﷺ: إنّي رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري.

قلت: أوليس كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به.

قال ﷺ: بلىٰ أفأخبرتك أنّا نأتيه العام؟

قلت: لا.

قال ﷺ : فإنّك آتيه ومطوف به(١).

قال عمر: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقّاً؟

قال: بلىٰ.

قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟

قال: بلىٰ. قلت: فلم نعطي الدنيّة في ديننا إذاً؟

قال: أيّها الرجل إنّه لرسول الله، وليس يعصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنّه لعلى الحقّ.

فقلت: أليس كان يحدّثنا أنّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلىٰ. افأخبرك أنّك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنّك آتيه ومطوّف به.

قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً(٢) (ضد صلح الحديبية) فغضب رسول الله ﷺ إذ قال البخاري: إنّ رسول الله كان يسير في بعض أسفاره في العودة من الحديبية، وكان عمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسولُ الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه.

فقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرّات كل ذلك ولا يجيبك.

---

(١) فلما كان عام الفتح وأخذ المفتاح قال ﷺ : ـ كما في السيرة الحلبية ـ ادعوا لي عمر بن الخطاب فلمّا أتاه، قال: يا عمر هذا الذي قلت لكم، ولمّا كان في حجّة الوداع ووقف ﷺ بعرفة استدعى عمر ايضاً فقال له: هذا الذي قلت لكم، صحيح البخاري، آخر كتاب الشروط.

(٢) سيرة الحلبي في غزوة الحديبية، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/ ٢٠٠.

قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن..[١]

وكانت هذه الحادثة عند نزول سورة الفتح بعد عودة النبي ﷺ والمسلمين من الحديبية[٢].

وقد بلغ غضب النبي ﷺ علىٰ عمر وأعماله أنّه ﷺ لم يكلّم عمر، وترك اسئلته ثلاث مرّات.

وقال الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحاً مُّبِيناً﴾[٣] هو فتح الحديبية، لقد أصاب فيها مالم يُصب في غزوة[٤] كذلك قال الترمذي وابن مسعود والفراء والضحاك ومجاهد[٥].

والأعمال التي قام بها عمر لاحقاً ضدّ صلح الحديبية المتضمنة لبيعة الرضوان وتبين حقده على هذه المعاهدة! هي:

قطع شجرة الرضوان التي بايع المسلمون تحتها رسول الله ﷺ![٦] وهدّد كل من صلّىٰ عندها! فنلاحظ اتفاق وجهة نظر عثمان وعمر في قضية الحديبية فعثمان لم يبايع فيها، وعمر منع الناس من الصلاة تحت الشجرة ثمّ قطعها لمّا رأىٰ عدم الكفّ عن الصلاة تحتها. والسبب يكمن في عدم رغبة عمر في فتح مكة عنوةً ورغب الكافرون والمنافقون يومها في الحرب لقلّة عدد وعدّة المسلمين. و لأنّ الفتح يقلل من احترام قريش بين قبائل العرب. وهو منطق زعماء مكة.

ودعا عمر أبا جندل لقتل أبيه سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي ٢٠٢/٤، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، تفسير ابن كثير، سورة الفتح ٢٩٦/٤، ورواه الترمذي والنسائي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري ٣٣١/٤، سورة الفتح.

(٣) الفتح: ١.

(٤) تفسير القرطبي ٢٦٠/١٦.

(٥) المصدر السابق.

(٦) شرح نهج البلاغة ٥٩/١.

العامري[١]. وقال ما شككت إلّا يومئذٍ[٢]. وقال عمر في خلافته لابن عباس عن صلح الحديبية: ارتبت ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلّا يومئذٍ، ولو وجدت ذلك اليوم شيعةً تخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت[٣].

أي إنّ عمر لو وجد انصاراً لثار بهم على النبي محمد ﷺ وعلى الإسلام! لأنه ارتاب في ذلك اليوم وشكك في صحة رسالة النبي ﷺ! كما قال[٤].

فخاف عمر من ان يفضحه الله تعالىٰ فقال: خشيت أن ينزل فيّ قرآن[٥].

ولمّا جعل عمر يردُّ علىٰ رسول الله ﷺ الكلام قال له أبو عبيدة بن الجراح: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله ﷺ ما يقول، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

فقال الرسول ﷺ يومئذ: يا عمر إنّي رضيت وتأبىٰ؟![٦]

شروط الصلح

ولما اتفق رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو علىٰ وثيقة الصلح دعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم

فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم.

وقال رسول الله ﷺ: اكتب باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ وسهيل بن عمرو.

فقال سهيل: لو شهدت إنّك رسول الله ﷺ لم أقاتلك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. ولم يمحها علي ﷺ فمحاها رسول الله ﷺ بيده وقال لعلي: تدعى لمثلها فتجيب.

---

(١) السيرة الدحلانية ١/٤٨٨ـ٤٩٤.

(٢) تفسير السيوطي سورة الفتح.

(٣) مغازي الواقدي ١/٦٠٧، موضوع غزوة الحديبية.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٢٠، البداية والنهاية ٤ / ٢٠١ - ٢٠٣.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢٠٢.

(٦) النص والاجتهاد ١٧٤.

فكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو[١].

وكان الصلح علىٰ أن يرجع رسول الله ﷺ بأصحابه من الحديبية فاذا كان العام القابل، تخرج قريش من مكّة، فيدخلها رسول الله ﷺ باصحابه، فيقيم بها ثلاثاً، وليس معه من السلاح سوى السيوف في القرب والقوس.

وأن توضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين[٢]، يأمن فيها الناس، ويكفُّ فيها بعضهم عن بعض.

وأنّه من أحبَّ من العرب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

وأن يكون بين الفريقين عيبة مكفوفة (اي صدور منطوية علىٰ ما فيها لا تبدي عداوة) وإنّه لا إسلال ولا إغلال (اي لا سرقة ولا خيانة).

وأنه من أتىٰ محمداً من قريش ممّن هو علىٰ دين محمد بغير إذن وليّه ردَّ إليه، ومن أتىٰ قريشاً ممن مع محمد فارتدَّ عن الإسلام لا ترده قريش إليه، فقال المسلمون: سبحان الله كيف نردُّ للمشركين من جاءنا منهم مسلماً. وعظم عليهم هذا الشرط.

فقالوا يا رسول الله: اتكتب هذا علىٰ نفسك؟

قال: نعم إنّه من ذهب منّا مرتدّاً أبعده الله، ومن جاءنا مسلماً فرددناه إليهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً[٣].

وطالب سهيل بشرط صعب الا وهو إرجاع العبيد الفارين إلىٰ مالكيهم مثل بلال الحبشي وعمار بن ياسر قائلاً: يا محمد إنّ أرقاءنا لحقوا بك فارددهم علينا،

---

(١) الأرشاد ١ / ١٢٠ - ١٢٢، سيرة ابن حبان ١ / ٢٨١ - ٢٨٤.

(٢) قال اليعقوبي ثلاث سنين ١ / ٥٤، وقال موسىٰ بن عقبة سنتين، عيون الأثر ٢/١٢٨،وقالوا عشر سنين السيرة الحلبية ٣/١٢ - ٢٠.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٠٥، التنبيه والاشراف ٢٢١، عيون الأثر ٢ / ١٢٠، البداية والنهاية ٢٠١ - ٢٠٥.

فغضب رسول الله ﷺ حتىٰ تبين الغضب في وجهه ثم التفت إلىٰ أبي بكر وعمر فقال لهما: ما تقولان؟

قالا: صدق الرجل.

فتغير وجه رسول الله ﷺ والتفت إلىٰ الوفد وقال ﷺ:

لتنتهنّ أو ليبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه للايمان يضرب رقابكم علىٰ الدين.

فقال بعض من حضر: يارسول الله ﷺ أبو بكر ذلك الرجل؟

قال ﷺ: لا.

قيل: فعمر.

قال ﷺ: لا ولكنه خاصف النعل في الحجرة فتبادر الناس ينظرون من الرجل؟ فاذا هو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام[1].

ولو عاد بلال وعمار وصحبهم لقتلهم المشركون بمن قتلوا في بدر واحدا

وبينما رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو بن عبد ود العامري يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة، إذ جاء أبو جندل ـ واسمه العاص ـ بـن عـمرو بـن عـبد ود العامري الى المسلمين، يرسف في قيوده.

وكان أسلم بمكّة قبل ذلك، فنعه أبوه من الهجرة وحبسه موثوقاً، وحين سمع أن النبي ﷺ وأصحابه في الحديبيّة، احتال حتّىٰ خرج من السجن.

وتنكّب الطريق في الجبال حتّىٰ هبط على المسلمين ففرحوا به وتلقّوه، لكن أخذ أبوه بتلابيبه يضرب وجهه ضرباً شديداً (والمسلمون يبكون رحمة له) وهو يقول: يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه، أن ترده إليّ،

---

(١) اعلام الورىٰ ١٩١، الأرشاد ١ / ١٢٣، المستدرك، الحاكم ٤ / ٢٩٨، تاريخ بغداد ١ / ١٣٣، البحار ٢٠ / ٣٦٠، مصباح الانوار ١٢١، سنن الترمذي ج ٢، كنز العمال ٦ / ٤٠٧، خصائص النسائي ١١، فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢ / ٣٣٧.

فقال له النبي ﷺ: إنّا حتّى الان لم نفرغ من كتابة الكتاب. قال سهيل: إذاً لا أصالحك على شيء. فقال له النبي ﷺ: فأجره لي.

قال: ما أنا بمجيره لك.

قال: بلى فافعل.

قال: ما أنا بفاعل.

فقال مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى، وهما من وجوه قريش. قد أجرناه لك يا محمد، فاخذاه وأدخلاه فسطاطاً وكفّا أباه عنه.

ثم قال سهيل: يا محمد: قد تمّت القضية ووجبت بيني وبينك قبل ان يأتي ابني اليك.

قال: صدقت. وحينئذٍ قال ﷺ لابي جندل: اصبر واحتسب فقد تمّ الصلح قبل أن تأتي، ونحن لا نغدر وقد تلطّفنا بأبيك فأبى، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً[١].

فدخلت قبيلة خزاعة في عهد محمدرسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فأمن الناس لمدة سنتين ودخل في الدين في تينك السنتين ما دخل فيه قبل ذلك واكثر[٢].

وكان رسول الله ﷺ والمسلمون قد أحرموا من ذي الحليفة فقلّد ﷺ الهدي وأشعره وبعد إمضاء العقد قال رسول الله ﷺ: يا ايها الناس اجعلوها عمرة فانحروا واحلقوا فنحر رسول الله ﷺ هديه ثم حلق فقام الناس ينحرون ويحلقون[٣].

وكان عثمان بن عفان وأبو قتادة الانصاري ممن لم يحلقا عناداً لأمر رسول

---

(١) السيرة الدحلانية، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٠٥.

(٢) ابن الأثير ٢ / ٢٠٥.

(٣) عيون الأثر ١ / ١٢٢.

الله ﷺ[1].

وقد اعتمر رسول الله ﷺ من المدينة أربع مرات: عمرة من الحـديبية في ذي القعدة في السنة السادسة وعمرة في السنة السابعة في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة في ذي القعدة بعد تقسيم غنائم حنين في السنة الثامنة ، وعمرة مع حجته في السنة العاشرة.

والعجيب في رواية البخاري التي أورد فيها محاولة رسول الله ﷺ الهجوم على نساء واطفال قريش في الحديبية ونصيحة أبي بكر باجتناب ذلك[2] ولا ادري لماذا يكره البخاري رسول الله ﷺ إلى هذا الحد؟!

والحزب القرشي أراد دائماً اتهام النبي ﷺ بعدم الوفاء والغدر ففشل ودحر

ومن الحوادث المهمة تعجب الناس من بئر الحديبية التي كانت تقطر فأصبحت تجري بالماء فقال عبد الله بن أبي: ما رأيت مثلها.

وقال أبو سفيان متعجباً: ما رأينا كاليوم قط وهذا من سحر محمد[3]!

وقال عمر: ماشككت إلّا يومئذٍ واستنكر عمر قول النبي ﷺ بالمجيء للبيت والطواف به[4].

من حرض على قتل سفير قريش ؟

ولمّا تمّ الصلح وقال النبي ﷺ: نحـن لا نـغدر، وبـشّر أبـا جـندل بـالفرج له ولأصحابه، وثب عمر بن الخطاب إلى أبي جندل يغريه بـقتل أبـيه، ويـدني إليـه السيف.

---

(١) عيون الأثر ٢ / ١٢٢ سيرة ابن حبان ١ / ٢٨٣ - ٢٨٥، التنبيه والاشراف ٢٢١.

(٢) سنن البخاري، كتاب المغازي، البداية والنهاية ٤ / ١٩٨.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ١٢.

(٤) سنن البخاري، آخر كتاب الشروط، مغازي الواقدي ١ / ٦٠٧، غزوة الحديبية، مغازي الذهبي ٣٧١.

قال عمر ـ كما في السيرة الدحلانية وغيرها ـ رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، وجعل يقول له: إنّ الرجل يقتل أباه، والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم.

لكنّ أبا جندل لم يجبه إلىٰ قتل أبيه خشية الفتنة، وعملاً بما أمره به رسول الله ﷺ من الصبر والاحتساب.

وقال لعمر: مالك لا تقتله أنت؟

قال عمر: نهانا رسول الله عن قتله وقتل غيره.

فقال أبو جندل: ما أنت أحقُّ بطاعة رسول الله منّي[1].

فنلاحظ من ذلك أنّ حلم أبي جندل أكثر من حلم عمر، وأنّ عمر تصرّف تصرّفاً شخصياً وهو يعرف عاقبة الأمور. إذ لو اقدم أبو جندل علىٰ قتل أبيه لحدثت فتنة بين الفريقين تطول مدّتها، والنبي ﷺ يريد فتح مكّة بأسهل الطرق واقصرها مدّة.

واعتقد ابو جندل بان عمر أراد الفتنة لمنع فتح مكة عنوة إذ كيف تمرُّ حادثة مقتل سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري بسهولة. وكيف لا تفهمها قريش غدراً من النبي ﷺ وأصحابه.

وسهيل سفير قريش، والسفير لا يقتل، لذلك لم يقتل كسرى الفرس الكافر سفير النبيّ محمد ﷺ، بل قال: لو كان السفير يقتل لقتلته...؟! فهل يكون النبي ﷺ دون كسرىٰ في الوفاء بالعهود والأعراف والعياذ بالله!!

وقد رفض عمر بنود صلح الحديبية، وقال ما شككت إلّا يومئذ وعملت لذلك أعمالاً، فكان طلبه قتل سفير قريش نابعاً من رغبته في تحطيم معاهدة الحديبية؟

وبينما قال تعالى عن فتح الحديبية: ﴿**إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً**﴾[2] قال عمر عن

---

(١) السيرة الدحلانية المرفقة بسيرة الحلبي ٢/١٦٥-١٨٣، تاريخ ابن الاثير ٢/٢٠٥.

(٢) دلائل النبوّة، البيهقي ٤/١٥١.

فتح الحديبية: ما هذا بفتح [١].

ومن خلال ترغيبه ومساعدته علىٰ قتل سفير قريش، ورئيس وفدها، وأحد وجوهها البارزين، نتذكر ما صمَّم عليه عمر في مكَّة قبل إعلان إسلامه من نيَّته وعزمه علىٰ قتل النبي ﷺ، ونتذكر طلبه من أبي بكر الأقدام علىٰ قتل علي ﷺ بعد حادثة السقيفة، وطلبه من جماعته قتل سعد بن عبادة (رئيس الانصار) [٢].

إنّ سبب امتناع عمر عن قتل سفير قريش بنفسه، وطلبه من أبي جندل الأقدام علىٰ ذلك، يعود إلىٰ معرفة عمر بمقتل القاتل حتماً.

وأي معاهدة صلح تصوَّرها عمر، تبدأ بقتل أحد الموقّعين عليها، وفي داخل سقيفة المفاوضات وقبل جفاف حبر الوثيقة؟

وكما توقَّع النبي ﷺ فقد أصبح الصلح مفتاحاً لنشر الإسلام وتعاليمه في مكَّة، علىٰ اثر زيارة المسلمين لها وزيارة الكفار للمدينة... فعبر هذه الزيارات سقطت أغشية الحقد والكراهية، وبسقوطها سقط هبل واللات والعزىٰ، فاطَّلع الكفار علىٰ خلق النبي ﷺ الكريم، وعظم صفاته، وكمال شريعته، وانبهروا ببركة الاسلام، وأمنه، واحكامه الغراء، وما فتحه الله عليهم من مدن واراضي واسعة. وهذه الأسباب هي التي ساعدت علىٰ فتح مكَّة بعد سنتين من صلح الحديبية، ففتحها الرسول ﷺ مظفَّراً عزيزاً، بعد ان زارها للعمرة مع صحبه في السنة السابعة للهجرة؟!

ولا يعني هذا عدم قدرة الرسول ﷺ علىٰ فتح مكَّة في السنة السادسة للهجرة، بل أراد الله سبحانه أنّ يبيّن أنَّ الحرب ليست المفتاح الوحيد لنشر الإسلام وفتح الدول. وأراد تعالىٰ فتح مكّة للمسلمين عنوة ودون اراقة دماء.

---

(١) تفسير القرطبي ١٢/٢٦٠الدر المنثور ٦ / ٦٨،النص والاجتهاد.

(٢) الإمامة والسياسة ٢/٧ـ١٥.

وقد بيّن الله سبحانه قدرة المسلمين على فتح البلدان قائلاً:

﴿وَلَو قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾[١]

ولمّا رجعوا من وقعة الحديبيّة نزلت عليهم سوره الفتح:

﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[٢].

و﴿إنّ الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[٣].

إذ وعد الله تعالى رسوله بفتح مكّة وفعلاً تمّ ذلك وفتحت مكّة وتحطّمت أصنامها.

وكانت بيعتهم على الموت في سبيل الله على أنّ لهم الجنّة:

﴿سيقول المخلّفون إذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتّبعكم﴾[٤]

لذا لم يسمح رسول الله ﷺ للمتخلّفين عن غزوة الحديبيّة المجيء معه الى غزوة خيبر وقالوا عن فتح الحديبيّة : ما فتح الله فتحاً قبله كان أعظم منه، إذ انتشرت الدعوة الإسلامية في أراضي شبه جزيرة العرب بسهولة[٥].

حصول فرج للمستضعفين

وكان في المستضعفين المعذّبين في مكّة رجل من أبطال المسلمين يدعى أبا بصير (عتبة بن أسد بن جارية)، احتال حتّى خرج من السجن، ففرّ هارباً إلى رسول الله ﷺ، وهو في المدينة بعد رجوعه ﷺ من الحديبية، فكتبت قريش في

---

(١) الفتح، ٢٢.

(٢) الفتح: ١.

(٣) الفتح: ١٠.

٤) الفتح: ١٥.

(٥) سنن مسلم ٣/١٤١٢ ـ ١٤١٦، مغازي الذهبي ٣٩٤ ـ ٤٠٠.

ردَّه كتاباً بعثت به رجلاً من بني عامر، يقال له خنيس، ومعه مولىٰ يهديه الطريق، فقدما علىٰ رسول الله ﷺ بالكتاب فإذا فيه:

«قد عرفت ما شارطناك عليه من ردّ مَنْ قدم عليك من أبنائنا، فابعث إلينا أبا بصير» فقال النبي ﷺ: يا أبا بصير، إنَّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصح الغدر، فإنَّ الله تعالىٰ جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخـرجاً، فانطلق راشداً.

قال: يا رسول الله إنَّهم يفتنوني عن ديني.

قال ﷺ: يا أبا بصير إنطلق؛ فإنّ الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فودَّع الرجل رسول الله وانطلق معهما، حتَّىٰ إذا كانوا بذي الحـليفة جلس الى الجدار ومعه صاحباه.

فقال لاحدهما: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

قال: نعم.

قال أبو بصير: أرنيه فناوله إياه فاستله أبو بصير ثم علاه فإذا هو يتشحَّط بدمه، ثم همَّ بالثاني فهرب منه، حتَّىٰ أتىٰ رسولَ الله ﷺ.

فلمَّا رآه النبي ﷺ والحصىٰ يطير من تحت قدميه من شدَّة عدوه، وأبو بصير في أثره قال ﷺ: قد رأىٰ هذا ذعراً فلمَّا انتهى إلى النبي قال له ﷺ: ويحك مالك؟

قال: إنّ صاحبك قتل صاحبي، وأفلت منه ولم أكد، وأني لمقتول فأغثني يا محمد، فأمنه رسول الله، وإذا بأبي بصير يدخل متوشحاً سيفه يقول: بأبي أنت وأمّي يـا رسول الله وفيت ذمَّتك أسلمتني بيد القوم، وقد أمتنعت منهم بديني، أن أُفتن فيه أو يفتن بي.

فقال ﷺ له: إذهب حيث شئت. فقال: يا رسول الله ﷺ هذا سلب العامري الذي قتلته، رحله وسيفه فخمّسه.

فقال له رسول الله ﷺ: إذا خمّسته رأوني لم أوف لهم بالذي عاهدتهم عليه، ولكن شأنك بسلب صاحبك، وعند ذلك ذهبّ أبو بصير إلىٰ محلٍ من طريق تمرُّ به عيرات قريش، واجتمع اليه جمع من المسلمين المستضعفين، الذين كانوا قد احتبسوا بمكّة إذ بلغهم خبره.

وإنّ رسول الله ﷺ قال في حقّه «إنّه مسعر حرب لو كان معه رجال، فتسلّلوا حينئذ إليه، وانفلت أبو جندل بن سهل بن عمرو، وخرج من مكّة في سبعين فارساً أسلموا، فلحقوا بأبي بصير، وكرهوا أن يقدموا علىٰ رسول الله في تلك المدّة ـ مدة المهادنة ـ وانضم إليهم ناسٌ من غفار وجهينه وأسلم، وطوائف أُخر من العرب حتّىٰ بلغوا ثلاثمائة مقاتل فقطعوا مارّة قريش، لا يظفرون بأحدٍ منها إلّا قتلوه، ولا مرَّ بهم عير إلّا أخذوها، ومنعوا الدخول إلىٰ مكّة والخروج منها.

فاضطرّت قريش أن تكتب لرسول الله تسأله بالأرحام التي بينه وبينها، ألا آواهم، وأرسلت أبا سفيان بن حرب في ذلك، فأبلغه أبو سفيان: أنّا أسقطنا هذا الشرط من شروط الهدنة، فمن جاءك منهم فامسكه من غير حرج.

وحينئذ كتب رسول الله إلىٰ أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه، وأن يلحق من معهما من المسلمين بأهليهم، ولا يتعرضوا لأحدٍ مرَّ بهم من قريش، ولا لعيراتهم، فقدم كتاب رسول الله ﷺ عليهما وأبو بصير ﷺ يموت فمات والكتاب في يده، فدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً.

وقدم أبو جندل علىٰ رسول الله ﷺ مع ناس من أصحابه، ورجع باقيهم إلىٰ أهليهم، وأمنت قريش علىٰ عيراتهم.

وبعد سنة على صلح الحديبية جاء رسول الله والمسلمون الى مكّة للعمرة، فاخلتهاقريش ثلاثة أيّام[1].

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٥٥.

وحينئذٍ عرف الصحابة الذين عظم عليهم ردّ أبي جندل الى قريش مع أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما أحبوه، وعلموا أنّ الحكمة كانت في الحديبية، وأنّه لا ينطق عن الهوى[1].

ونفهم من ذلك حكمة النبي ﷺ في أفكاره وأقواله وأعماله، وإنّ الله سبحانه ناصر المسلمين، ومخالفة البعض للنبي ﷺ نابعة من قصر نظرهم، وضعف حكمتهم. ولكن بالرغم من تلك الانتصارات وفتح مكّة استمر البعض في معارضة رسول الله ﷺ!

غضب الحزب القرشي لمديح النبي ﷺ في الحديبية

غضبت عصبة قريش في الحديبية لقول النبي ﷺ في علي ؑ: هذا أمير البررة، قاتل الفجرة منصور من نصره، مخذول من خذله[2]. وأمره ﷺ في بيعة الرضوان الناس بالسلام على علي ؑ بإمرة المؤمنين[3].

وكان رسول الله ﷺ قد قال: النظر الى علي عبادة[4].

فعارض الحزب القرشي ذلك وحزنوا وغضبوا، فحاول عمر نقض معاهدة الحديبية بطلبه قتل سفير قريش سهيل بن عمرو بن عبد ود العامري.

وفرّ عثمان من بيعة الحديبية (الرضوان)[5]، فلم يبايع النبي ﷺ، مما حدا بعبد

---

(١) النص والإجتهاد لعبد الحسين شرف الدين الموسوي ١٩٤، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٠٤ - ٢٠٦، المغازي، الواقدي ١/٦٨.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٧/٣٥٦.

(٣) الأمالي المفيد: ٣٣١.

(٤) مستدرك الحاكم ٣/١٥٢.

(٥) السيرة الحلبية ٢/١٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ٢/١٦٥ - ١٨٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢٠٠، تفسير ابن كثير ١/٦٥٧.

الرحمن بن عوف إلىٰ فضحه في أيام حكمه[١].

وفي الطائف بعد معركة حنين لما أطال الرسول ﷺ مناجاة علي ﷺ رأى الكراهية في وجوه رجال، فقالوا: قد أطال مناجاته منذ اليوم[٢].

فقال النبي ﷺ: ما أنا بالذي انتجيته بل الله انتجاه[٣].

وأخطر شيء رفضه الحزب القرشي هو الخلافة لعلي ﷺ لذلك أرادوا قتل النبي ﷺ في حملة تبوك لقوله ﷺ علي مني مثل هارون من موسىٰ ﷺ[٤] وثاروا في حجّة الوداع لأنّه ذكر حديث الثقلين وخلافة علي وأولاده الخلفاء الأحد عشر من قريش[٥].

الدلائل والعبر

انتشرت رؤيا رسول الله ﷺ في زيارته والمسلمين بيت الله الحرام قبل صلح الحديبية في شبه جزيرة العرب، وكان المسلمون في شوق لزيارة البيت الحرام بعد صد عنه دام ست سنوات. فخرج المسلمون إلىٰ مكة واحرموا من الجحفة.

فحاول زعماء مكة منعه والمسلمين من ذلك وقرروا الدخول معه في حرب فخرج عكرمة بن أبي جهل في خمسمائة رجل. وخرج خالد بن الوليد في مئتي رجل. فانحرف عنهم رسول الله ﷺ والمسلمون وسلكوا ارضاً صعبة وجرداء. فخاف المشركون علىٰ مكة فرجعوا للدفاع عنها.

---

(١) السيرة الحلبية ٢/١٩، السيرة النبوية، دحلان المرفقة بسيرة الحلبي ٢/١٦٥ ـ ١٨٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢٠٠، تفسير ابن كثير ١/٦٥٧.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٧/٣٧٨، ٣٧٩.

(٣) راجع موضوع اغتيال النبي ﷺ في نهاية الكتاب.

(٤) راجع غزوة تبوك.

(٥) ستقرأه في موضوع حجة الوداع في هذا الكتاب.

واستمر الرسول ﷺ في تصميمه علىٰ الصلح، وقبل توقيع عقد السلام حاول عمر بن الخطّاب قتل سفير قريش بتقديمه سيفه إلىٰ أبي جندل فامتنع هذا بالعناية الإلهية.

فالاصرار النبوي علىٰ السلام ودعاؤه ﷺ في هذا السبيل هو الذي مكّنه من الحصول علىٰ النصر الإلهي فنزلت ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[1].

واثبت رسول الله ﷺ أنّ الحرب ليست الطريق الوحيد للوصول إلىٰ الاهداف بل قد يكون السلام أفضل واسهل.

فقال عمر لرسول الله ﷺ: اين الرؤيا؟ في محاولة منه لاحراج رسول الله ﷺ.

فقال تعالىٰ: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾[2]

وكان السلام في صالح الإسلام والمسلمين فانتشر التبليغ الأسلامي في كل مكان ودخل الناس في الدين الجديد.

وفي أيام السلم توجهت قريش إلىٰ التجارة للحصول علىٰ الأموال فتحركت قوافلها إلىٰ الشام ولكن المسلمين الفارين من مكة بقيادة أبي جندل وأبي بصير سرعان ما قتلوا رجالها وسلبوا امتعتها واستمر ذلك الوضع إلىٰ شهور عديدة.

في حين توجه المسلمون لنشر الإسلام بروح عالية وأخلاق سامية فنجحوا في ذلك نجاحاً باهراً. اي توجهت قريش نحو المال وتوجه الرسول ﷺ نحو الانسان.

وكان المسلمون الحاضرون في الحديبية سبعمائة رجل، وبعد سنتين علىٰ بيعة الحديبية اي في السنة الثامنة للهجرة جاء المسلمون بعشرة آلاف مقاتل لفتح مكة فلم تتمكن قريش من الوقوف في طريقهم.

ومن المظاهر الأخلاقية لرسول الله ﷺ أنّه لم يجرح احداً بكلمة نابية بينما أهان

---

(١) الفتح ١.

(٢) الفتح ٢٧.

أبو بكر عروة بن مسعود الثقفي قائلاً: امصص بظر اللات[١].

وعروة سيد ثقيف وقد أسلم فحسن اسلامه فقتله قومه فراح شهيداً.واحترم عروة رسول الله ﷺ فلم يرد علىٰ أبي بكر. وكان في مفاوضاته منصفاً للمسلمين.

فكان عروة على المنهج التربوى للنبي ﷺ وكان ابو بكر على المنهج التربوى لابى سفيان.

وبين رسول الله ﷺ اهمية البيعة الشعبية فأولاها عناية خاصة تبعاً للايات القرآنية التي رفعت منزلة بيعة الشجرة فانزل تعالىٰ فيها سورة الفتح.

وكثرة البيعات الإسلامية لرسول الله ﷺ تبيّن الاهمية الخاصة للشعب في الإسلام إذ عقد رسول الله ﷺ بيعتي العقبة الاولىٰ والثانية واجرىٰ بيعة الرضوان (الحديبية) وعقد بيعة فتح مكة ، وختم ذلك في حياته ببيعة الغدير حيث نصب علياً عليه السلام خليفة واماماً للمسلمين قائلاً:

من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره وأخذ ل من خذله[٢].

وكان رسول الله ﷺ يعرف اين يطلب السلام ومتىٰ ومع من وطلب ﷺ الصلح مع المشركين واليهود ليتمكن من نشر رسالته، ولم يغدر ابداً فكان مثالاً للوفاء والاخلاص.

وأدرك رسول الله ﷺ منزلة صلح الحديبية فبذل للصلح كلّ ما يستحق.

وايقن عمر بن الخطاب بنتائجه الحاصلة فبذل ما في وسعه لمنع الصلح ، فخاف

---

(١) سيرة ابن دحلان ٤٨٧/١، البداية والنهاية ٣١/٤ – ٣٥، عيون الأثر ١١٤/٢ – ١١٦، تاريخ الخميس ٢٠/٢ – ٢٥.

(٢) تاريخ الاسلام، الخطيب ٢٣٢، مسند أحمد ٤ / ٢٨١، الرياض النظرة، محب الدين الطبري ٢ / ١٦٩، الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي ٢٥، تفسير الفخر الرازي ٣ / ٦٣٦، الصواعق المحرقة ٢٦، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٢١.

نزول قرآن في حقه واستمر في كرهه لبيعة الرضوان إذ قال في حكمه:

لا أُتي منذ اليوم بأحد صلىٰ تحت الشجرة الاّ قتلته بالسيف كما يقتل المرتد ثم أمر بها فقطعت[١].

واختفت الحقائق عن المسلمين وجاءتهم الأكاذيب فقال الطبراني: الحديث الصحيح في الحديث الكاذب مثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود[٢].

وقال سلمان الفارسي: لو حدّثت الناس بكل ما أعلم لقالوا: رحم الله قاتل سلمان[٣].

ونلاحظ ايضاً ان اعمال عمر وأبي بكر وعثمان والمغيرة بن شعبة تصب في هدف واحد وأنّ تخطيطهم المشترك كان قديماً. وعمر من اجرأ الناس على النبي[٤].

ونفهم أيضاً أنّ عمر بن الخطاب اكثر الناس تشدداً من رجال الحزب القرشي ومن قراءة الموضوع نفهم انخفاض نسبة العداء القبلي في المنطقة لرسول الله ﷺ وهو ما يلحظ منه نجاح المنهجية النبوية في الدعوة إلىٰ الخير والعدالة الاجتماعية والسلام.

---

(١) شرح النهج ١ / ٥٩ - ٦٠.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٢٣٣.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٠ / ٤٥.

(٤) المنتظم، ابن الجوزي ٢ / ٢٧٣.

الفصل الخامس

معركة خيبر

حركة النبي ﷺ إلى خيبر

خيبر واحة في طريق الشام بينها وبين المدينة اثنان وثلاثون فرسخاً اي ستة وتسعون ميلاً[1]، ومشي ثلاثة أيام إلىٰ جهة الشام[2].وخيبر بلسان اليهود الحصن، وقيل سميت بإسم خيبر بن قانية[3] وفيها مزارع واربعون ألف نخلة .

وكان الله تعالىٰ قد وعد النبي ﷺ إياها وهو في الحديبية، في قوله تعالىٰ: ﴿ وأثابهم فتحاً قريباً ﴾[4]، ﴿ واخرىٰ لم تقدروا عليها ﴾[5] فارس والروم[6]. فبعد اتّفاق رسول الله ﷺ مع قريش على صلح الحديبية تفرغ لحرب يهود خيبر الذين جهزوا جيوش الأحزاب ضده واستمروا في حربه منذ وصوله المدينة.

ولقد عاد رسول الله ﷺ من الحديبية في شهر ذي الحجّة سنة ست فأقام فيها ذا الحجة والمحرم ثمّ ذهب إلى حرب يهود خيبر في محرم سنة سبع[7] وأخذ معه أُم سلمة

---

(١) التنبيه والاشراف ٢٢٢، السيرة الحلبية ٣ / ٣٠.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.

(٣) معجم البلدان ٢ / ٤٦٧.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١، الفتح: ١٨.

(٥) الفتح: ٢١.

(٦) عيون الأثر ٢ / ١٣٣، ١٤١.

(٧) مغازي الواقدي ٢/٦٣٤ تاريخ اليعقوبي ٢/٥٦، وقال ابن اسحاق خرج رسول الله ﷺ في محرم سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٢، تاريخ خليفة ٣٧، مغازي الذهبي ٤٠٣، عيون الأثر ٢ / ١٣٣، وقال مالك وابن حزم: إنّ معركة خيبر في سنة ست للهجرة وقال أبو حامد في سنة خمس للهجرة، السيرة الحلبية ٣ / ٣١.

واستخلف علىٰ المدينة سباع بن عرفطة[١].

ولمّا أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو جاء المخلَّفون رجاء الغنيمة وقد تخلّفوا عن الحديبية قائلين: نخرج معك إلى خيبر إنّها ريف الحجاز طعاماً وودكاً وأموالاً [٢] فقال الرسول ﷺ: لا تخرجوا معي إلاّ راغبين في الجهاد فأمّا الغنيمة فلا. فشقّ ذلك على يهود المدينة الموادعين للرسول ﷺ لأنّهم خافوا هلاك خيبر فلم يبق لأحد من اليهود حقّ على أحدٍ من المسلمين إلاّ لَزِمَه.

وأرسل عبد الله بن أُبي إلىٰ يهود خيبر أنْ خذوا حذركم وأدخلوا اموالكم حصونكم واخرجوا إلىٰ قتاله ولا تخافوا منه إنّ عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا قليل[٣].

وقطع النبي ﷺ المسافة بين المدينة وخيبر بثلاثة أيام ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر قال للناس: قِفوا فوقف الناس فرفع يديه إلىٰ السماء وقال: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن وربَّ الارضين السبع وما أقللن وربَّ الشياطين وما أضْلَلْنَ، اسألك خير هذه القرية وخير ما فيها، واعوذ بك من شرها وشر ما فيها[٤] ولم تكن خيبر مختصة بأهل الحديبية[٥] فقط بل الشرط في الغزوة أن يكون الهدف الجهاد في سبيل الله تعالىٰ وليس الغنائم.

وكان النبي ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِرْ عليهم حتىٰ يُصبح فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار[٦].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٦٣٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٠.
(٢) الودك دسم اللحم ودهنه، النهاية ٤/٢٠٢.
(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣، تاريخ الخميس ٢ / ٤٣.
(٤) الأرشاد، المفيد ١ / ١٢٤، سيرة ابن هشام ٣ / ٣٤٣، مجمع البيان ٩ / ١١٩، البحار ٢١ / ١٤.
(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٦٨٤.
(٦) الروض الأنف ٦ / ٥٠١، عيون الأثر ٢ / ١٣٤.

وكان يهود خيبر لا يظنّون أنّ رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم في حصونهم وسلاحهم وعددهم، فكانوا يخرجون كلّ يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفاً ثمّ يقولون: محمّد يغزونا؟ هيهات، هيهات.

وقال يهود المدينة للمسلمين: ما أمنع والله خيبر منكم! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، حصون شامخات في ذُرى الجبال، والماء فيها واتن[١]. وكانت خيبر أرضاً وخيمة شديدة الحر فجهد المسلمون جهداً شديداً[٢].

وخرج الرسول ﷺ في ألف وستمائة من المسلمين، وأعطى الراية لحاملها في حروبه كلّها علي بن أبي طالب ؑ[٣]. ومعه مائتا فارس، ونزل عليهم ليلاً وفي الصباح شاهدهم الرسول ﷺ، فقالوا: محمد والخميس اي الجيش .

فقال النبي ﷺ: الله أكبر إنّا إذا نزلنا بساحة قوم ﴿فساء صباح المنذرين﴾[٤].

وقال رسول الله ﷺ للمسلمين لايحل إتيان الحبالىٰ من السبايا، ولا يحل لا مرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبي حتىٰ يستبرئها، ولا يحل لامرىء ان يبيع مغنماً حتىٰ يقسم[٥].

قال اليهود: إنَّ بخيبر لألف دارع ما كانت أسدٌ وغطفان يمتنعون من العرب قاطبة إلّا بهم، فأنتم تطيقون خيبر؟

قال المسلمون لهم: وعد اللهُ تعالى نبيّه أن يُغنمه إيّاها.

---

(١) وتن الماء أي دائم ولم ينقطع، الصحاح ٢ / ٢٢١.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٤٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٣٤٢ ـ ٣٥٠، ذخائر العقبى ٧٥، تاريخ الخميس ١/٤٣٤، المنتظم، ٣/٢٩٣، الروض الأنف ٦/٤٩٩، عيون الأثر ٢ / ١٤٤.

(٤) سورة الصافات ١٧٧، عيون الأثر ٢ / ١٣٥.

(٥) الروض الأنف ٦ / ٥٠٤، عيون الأثر ٢ / ١٣٧.

استعداد اليهود للحرب

واختلف اليهود في طريقة محاربة المسلمين فقال الحارث أبو زينب اليهودي: نعسكر خارج الحصون ونحاربهم.

وقال آخرون: نحاربهم من داخل الحصون[1].

وكان يهود خيبر مرعوبين وجلين من المسلمين وقريش مسرورة بهذه الحرب لمعرفتها بقدرة وعظمة حصون خيبر وكثرة مقاتليها وقالوا: إن ظفر محمّد فهو ذُلّ الدهر.

ودعا كنانة بن أبي الحقيق غطفان لنصرهم ولهم نصف تمر خيبر سنة. فلمّا سمعت قبيلة غطفان بمجيء رسول الله ﷺ خيبر جمعوا له ثمّ خرجوا ليعاونوا اليهود عليه، حتّى إذا ساروا مرحلة سمعوا خَلفهم في أموالهم وأهليهم حسّاً، فظنّوا أنّ القوم قد خالفوا إليهم، فرجعوا على أعقابهم فأقاموا في أهليهم وأموالهم، وخلّوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[2].

والظاهر أنّ رسول الله ﷺ افتعل عملية عسكرية أخافت قبيلة غطفان وأرجعتهم من خيبر، تتمثّل في مسيره في طريق يصل إلى مساكن غطفان ونزل بالرجيع فارتفعت الأصوات والصياح في مساكنهم، فخافت هذه القبيلة وفضّلت أولادها ونساءها على تمر خيبر![3].

ولمّا وصل رسول الله ﷺ خيبر قال: الله أكبر خُربت خيبر وابتنى مسجداً هناك، وشعار المسلمين: يامنصور أَمِتْ[4].

وادخل اليهود نساءهم وذراريهم وأموالهم حصن الوطيح والسلالم، وادخلوا

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٦٣٦، البداية والنهاية ٤/٢٠٦، ٢٠٧، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٣/٣٤٤.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢١٦.

(٤) راجع مغازي الواقدي ٢/٦٥٠ ـ ٦٥٤، تاريخ الطبري ٢/٢٩٨، مغازي الذهبي ٤٠٦، تاريخ الخميس ٢ / ٣٤.

ذخائرهم حصن ناعم، ودخلت المقاتلة حصن نطاة وكان حصن القموص أمنع حصون خيبر وأشدها وهو الحصن الذي كان فيه ملكهم مرحب وحفر اليهود خندقا حول حصونهم مثل خندق المدينة والحصون في قمم الجبال ولكل حصن باب عظيم من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع .

وجاء راعي لرجل من اليهود إلىٰ رسول الله ﷺ ليعرفه علىٰ الإسلام فعرّفه عليه فأسلم فقال: إنّي كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم وهي أمانة عندي فكيف أصنع بها؟

قال اضرب في وجهها فإنها سترجع إلىٰ ربها، فضرب في وجهها بحفنة من الحصباء فخرجت مجتمعة كأنّ سائقاً يسوقها حتىٰ دخلت الحصن. ثم تقدم إلىٰ ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فأصابه حجر فقتله[1].

وقائع المعركة

وابتدأ رسول الله ﷺ حربه بحصن المقاتلة وكانوا في منطقة مرتفعة علىٰ جيش رسول الله ﷺ فالنبل يسرع اليهم[2] وحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة.

فقد أخرج علي بن أبي بكر الهيثمي عن ابن عباس أنّه قال: بعث رسول الله إلىٰ خيبر أحسبه قال: أبا بكر فرجع منهزماً ومن معه. فلمّا كان الغد بعث عمر فرجع منهزماً يجبّن أصحابه ويجبّنه أصحابه[3].

فقال النبي ﷺ: لاعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُه، يفتح الله علىٰ يديه، كرار ليس بفرار، فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلمّا

---

(١) عيون الأثر ٣ / ١٤٨.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ٩/١٢٤، تلخيص المستدرك ٣٧/٣، مستدرك الحاكم ٣٧/٣، صحيح البخاري ٤٦٥/٤ ح١١٥٥ ط. دار القلم، مغازي الذهبي ٣١٢.

أصبح أرسل إلىٰ علي بن أبي طالب ﷺ، وهو أرمد فقال ﷺ: ما أبصر سهلاً ولا جبلاً، فقال ﷺ: افتح عينيك، ففتحها، فتفل فيهما.

قال علي ﷺ: فما رمدت عيناي ولا صدعت حتى الساعة[1]. ثمّ دفع إليه اللواء، ودعا له ومن معه من أصحابه بالنصر، فكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب في عاديته، فانكشف المسلمون وثبت علي ﷺ، فاضطربا فقتله علي ﷺ، وخرج اخوه ياسر للمبارزة فقلته علي ﷺ ورجع أصحاب الحارث الى الحصن فدخلوه وأغلقو الباب عليهم وخرج مرحب وهو ملكهم؛ طويل القامة عظيم الهامة[2] والظاهر أنه أصبح ملكاً عليهم بعد مقتل حيي بن أخطب[3] وهو يقول:

قد علمت خيبرُ أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرَّبُ
أطعنُ أحياناً وحينا أضرِب

فقال عليّ ﷺ:

أنا الذي سمّتني أمّي حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندره
ليثٌ بغابات شديدٌ قسوره

فاختلفا ضربتين فبدره عليّ ﷺ فضربه بسيفه ذي‌الفقار، فقدّ الحجر والمغفر ورأسه، حتّىٰ وقع في الأضراس، وسمع أهل العسكر صوت ضربته وأخذ المدينة، وقد قَتَل علي ﷺ الأُخوة الثلاثة مرحباً والحارث وياسراً الّذَيْن طلبوا المبارزة على التوالي[4].

وكان للجو النفسي الذي وضعه اليهود حول قوة جيشهم في خيبر وما عرف به مرحب وأخواه من شجاعة : الأثر القوي في فرار أبي بكر وعمر...

---

(١) مغازي الذهبي ٤١٣.

(٢) امالي المفيد ٣، السيرة الحلبية ٣ / ٣٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٦-٧.

(٤) عيون الأثر ٢ / ١٤٠ مغازي الذهبي ٤١١ امالي الطوسي ٣، المنتظم ٣ / ٢٩٦، مغازي‌الواقدي ٢/٦٥٤، سيرة ابن هشام ٣/٣٤٩، تاريخ الطبري ٢/٣٠٠، السيرة الحلبية ٣/٣٧، ٣٨.

وذكر الذهبي رواية البكائي عن ابن اسحاق، وهي رواية جابر بن عبد الله الأنصاري: **أن علياً حمل باب خيبر، حتىٰ صعد المسلمون عليه، فافتتحوها، وأنه خرب بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلاً**[١]، **وقيل حمل الباب علىٰ ظهره حتىٰ صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن.**

وكان الباب من حجارة طوله أربع أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع فاقتلعه علي بن أبي طالب عليه السلام ورماه خلفه ودخل الحصن ودخله المسلمون[٢] وكان اليهود قد حفروا خندقاً حول الحصن فجعل علي عليه السلام الباب الذي رفعه قنطرة علىٰ الخندق واجتاز المسلمون عليه إلىٰ أبنية الحصن بعد ان قتل قائدهم الحارث بن أبي زينب.

وقال علي عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية[٣].

وقد وصف الأستاذ عبدالرحمن الشرقاوي في (كتابه محمّد رسول الحرية) معركة خيبر ومواقف علي فيها والإنتصارات الحاسمة التي حقّقها خلال ساعات قلائل بعد محاولات استمرت عدّة أيّام من قبل المسلمين لم تغن عنهم شيئاً.

ورأى محمّد صلى الله عليه وآله أن يحشّد كلّ قواه الضاربة لفتح هذا الحصن فاجتماع اليهود فيه يجعلهم أقدر على الفتك بالمسلمين.

وجمع محمّد صلى الله عليه وآله جيشه وأمرهم أن يقتحموا الحصن وسلّم أبا بكر راية الجيش، ولكنّ أبا بكر لم يستطع أن يصنع شيئاً ولا أن يقتحم الحصن، وفي اليوم التالي جعل القيادة لعمر ابن الخطاب، وحارب عمر يومه كلّه ولكنّه لم يستطع أن يقتحم الحصن

---

(١) تاريخ الذهبي، المغازي ص٤١٢، تاريخ ابن الوردي ١/ ١٢٠، الأرشاد ١ ١٢٦، دلائل النبوة، البيهقي ٤/ ٢١٢، مجمع البيان ٩/ ١٢١، مناقب ابن شهر آشوب ٢/ ٢٩٣، تاريخ الطبري ٣/ ١٣، تاريخ اليعقوبي ٢/ ٥٦، الروض الأنف ٦/ ٥٠٨، تاريخ الخميس ٢/ ٥١، سيرة ابن دحلان ٢/ ١١.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٦.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٥١.

وظلّ اليهود على مواقفهم المنيعة يسدّدون ضرباتهم دون أن يخرج منهم رجل واحد للقتال في السهل المكشوف[١].

وكانت هذه الحصون والأعداد العسكرية الهائلة يسندها المال والسلاح والشهرة القتالية والمكر اليهودي. وبسبب ذلك فقد فرّ جيش المسلمين في الحملتين الأولىٰ والثانية علىٰ خيبر، والقائدان المهزومان هما أبو بكر وعمر.

فلم تقتصر هزيمة عمر علىٰ فراره في أحد، وذعره من منازلة عمرو بن عبد ود العامري في الخندق، بل فرّ أمام اليهود في خيبر.

وكانت كتائب اليهود قد خرجت يتقدمهم ياسر فكشف الانصار حتىٰ انتهىٰ إلىٰ رسول الله ﷺ في موقفه فاشتد ذلك علىٰ رسول الله ﷺ وامسىٰ مهموماً[٢].

فدعا محمّد ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام وقال له خذ هذه الراية، فتح الله عليك وخلع علي عنه الدرع ليكون خفيف الحركة وطالب رجاله أن يتخفّفوا من الدروع التي تثقلهم ليكونوا خفافاً، وانصرف وفي ذهنه وصيّة محمّد: إنفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الإسلام فإن لم يطيعوا فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم.

وكان النبي ﷺ حين وصف علياً عليه السلام قائلاً كرار ليس بفرار[٣] يعرض بأبي بكر وعمر الذين فرّا من اليهود،

وكانا قد فرّا في حرب المشركين في احد! ثم فرّا في حرب حنين!

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: قاتلهم حتىٰ يشهدوا أن لا اله الّا الله وأنّ محمداً

---

(١) اقول من اخلاق رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام انهما لا يدعوان احداً للمبارزة ولكنهما لا يردان احداً يطلبها.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٣٤.

(٣) مغازي الذهبي ٤٠٧، سنن البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلىٰ الاسلام، وكتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٥ / ٧٦، ٧٧، سنن مسلم، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، طبقات ابن سعد ٢ / ١١٠، ١١١، سيرة ابن هشام ٤ / ٤٢، نهاية الأرب ١٧ / ٢٥٣.

رسول الله ﷺ فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها.

وتقدّم علي فدعاهم إلى الإسلام ولكنّهم سخروا منه فطالبهم أن يحاربوا المسلمين رجلاً لرجل ويبعثوا إليه شجعانهم ليبارزهم هو بنفسه الواحد تلو الآخر وخرج إليه الحارث أحد شجعانهم فصرعه علي عليه السلام، وخرج إليه رجل آخر فصرعه أيضاً.

وإذ ذاك تعالت من المسلمين صيحات السخرية بقوّة شجعانهم، وسأل علي عليه السلام شجعان خيبر أن يبعثوا إليه برجل يثبت في المعركة [1]، فخرج إليه زعيمهم مرحب وكان هو حقّاً سيّد فرسان خيبر، ولكنّه خرج إلى علي بطيئاً في كبرياء وثقة مطمئنة مهيباً ضخماً بيده حربة ذات ثلاثة رؤوس وكلّ جسده الفارع الشاهق في الزرد، والحديد يغطّي رأسه وساقيه وليس في كلّ بدنه ثغرة ينفذ منها سيف.

وتقدّم إليه علي بقامته المعتدلة بلا درع وفي يده السيف وحده وتوقّع المسلمون واليهود جميعاً أنّها نهاية علي عليه السلام، ولكنّ علياً إستطاع أن يحسن الإستفادة من تخفّفه من الدرع والزرد، وترك مرحباً يتقدّم بدرعه وزرده وحربته حتّى إذا أوشك سنّ الحربة أن يمسّ صدر علي عليه السلام تراجع علي فجأة ثمّ قفز في الهواء متفادياً حربة مرحب، ثمّ اقتحم وأهوى بكلّ قوّته على رأس مرحب بالسيف، فانفلق الحديد من على رأس مرحب وسقط سيف علي عليه السلام على الجمجمة فشقّها نصفين، وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.

واندفع علي إلى باب الحصن هو ورجاله يدكّونه بكلّ طاقاتهم حتّى اقتحموه، واليهود الذين أذهلهم موت مرحب يفرّون فزعين إلى حصن آخر.

وروى السيّد مرتضى الفيروزآبادي في كتابه فضائل الخمسة في المجلّد الثاني حديث الراية في خيبر بكامله عن صحيحي البخاري ومسلم، وعن أحمد بن حنبل

---

(١) اقول من اخلاق رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام انهما لا يدعوان احداً للمبارزة ولكنهما لا يردان احداً يطلبها.

والنسائي والإستيعاب وكنز العمال والرياض النضرة والترمذي وابن ماجه وغيرهم.

وفي معركة خيبر اختلفت الأحداث عن حرب بدر، إذ واجه المسلمون حصوناً منيعة، وكثرة محاربين ملحوظة،فقد ذكرت الروايات وجود عشرة آلاف مقاتل يهودي في خيبر. وذكر بريدة الأسلمي: أنَّ رسول الله ﷺ أعطى اللواء عمر بن الخطاب (فنهض معه من نهض من الناس)[١]. فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ يُجبّنه أصحابه ويُجبّنهم.

فقال رسول الله ﷺ: لأعطين اللواء غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله فلمّا كان الغد تصدر لها أبو بكر وعمر، فدعا علياً وهو أرمد، فتفل في عينه، وأعطاه اللواء[٢].

ثمَّ قال ﷺ: اللهم اكْفِهِ الحرَّ والبرد، فما وجد بعد ذلك حرّاً ولا برداً[٣].

وذكر البيهقي الرواية في قتل علي عليه السلام لمرحب قائلاً: فاختلفا ضربتين، فبدره علي بضربة فقدَّ الحجر والمغفر ورأسه، ووقع في الأضراس، وأخذ المدينة.

وبه جزم مسلم وابن الأثير وسائر رجال السيرة[٤].

وحصن ناعم هو أول حصن فتح من حصون النطاة علىٰ يد علي كرَّم الله وجهه، ثم فتح علي كرَّم الله وجهه حصن القموص، وكان منيعاً حاصره المسلمون عشرين ليلة، ومنه سبيت صفية.

وفي رواية حذف الناشر اسمي المنهزمين من معركة خيبر أبي بكر وعمر، ووضع

---

(١) بين القوسين رواية النسائي للحديث أمّا في الأصل فقد ورد ونهض معه شيئ من الناس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٢٨/١٠.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤١٢/٢.

(٤) دلائل البيهقي ٢١٠/٤ـ٢١٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٣/٤، ورواه مسلم عن أسحاق بن إبراهيم، كتاب الجهاد باب غزوة ذي قرد ١٤٣٩، السيرة الحلبية ٣ / ٣٨.

بدلها فلاناً ورجلاً إذ جاء: أن رسول الله ﷺ أخذ الراية، فهزّها، ثم قال: من يأخذها بحقّها؟

فجاء فلان فقال: أنا، فقال امض، ثم جاء رجل آخر، فقال: امض ثم قال النبي ﷺ: والذي كرّم وجه محمد لاعطينّها رجلاً لا يفر، فقال: هاك يا علي، فانطلق حتىٰ فتح الله عليه خيبر وفدك وجاء بعجوتها وقديدها[١].

فالناشر لم يرض بذكر اسمي أبي بكر وعمر كمنهزمين في معركة خيبر فقال جاء فلان وجاء رجل ليثبت قدرته علىٰ تغيير الحقائق والروايات مثلما يحب ويهوىٰ!

ولم يحاول الرواة والنسّاخ والناشرون حذف أسماء الفارين من قيادات الحزب القرشي فقط، بل حاولوا سلب مناقب علي بن أبي طالب ؑ لصالح هؤلاء! خيانة لله ورسوله لتنطبق عليهم صفة المنافقين.

قال ابن عرفة: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة، إفتعلت في أيام بني أميّة، تقرُّباً إليهم، بما يظنُّون أنَّهم يرغمون به أُنوف بني هاشم[٢].

ومن هذا التحريف: روى الزهري الأموي[٣] أنَّ الذي قتل مرحباً هو محمد بن مَسلمة حسداً لعلي ؑ. وسبب تفضيل محمد بن مسلمة أنّه يهودي الأصل ومن المتشددين في محاربة أهل البيت ؑ والأنصار فقد اشترك في الهجوم علىٰ بيت فاطمة ؑ[٤]، وقتل سعد ابن عبادة زعيم الانصار[٥].

لذلك احبه الامويون كثيراً وكيف لا يحبونه وهو يشترك معهم في كره أهل

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/٢١٢، مسند أحمد بن حنبل.

(٢) فجر الإسلام، أحمد أمين ص٢١٣.

(٣) قضىٰ هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار، تاريخ أبي زرعة الدمشقي ص١٨٧. وقالت رقية اخت الزهري لشخص لا تروي عن الزهري فانه أخذ جوائز بني أمية وكتم فضائل آل محمد. وشكك الإمام علي السجاد في نسبه لابيه.

٤) شرح النهج ٦ / ٤٨، السقيفة وفدك ٥١، البداية والنهاية ٤ / ٤٩٦.

(٥) أنساب الاشراف ١ / ٥٨٩، العقد الفريد ٤ / ٢٤٧.

البيت عليهم السلام والانصار فلم يبايع لأمير المؤمنين عليه السلام في خلافته[١].

والمدهش أنّ محمد بن مسلمة اخو مرحب فأراد الأمويون طمس ذلك واخفائه فجعلوه قاتله. إذ قال علي ابن أبي طالب عليه السلام في سبب عدم مبايعة محمد بن مسلمة له: وذنبي إلىٰ محمد بن مسلمة اني قتلت أخاه يوم خيبر مرحب اليهودي[٢].

وبقيت في قلوب المشركين حسرة عدم انتصار اليهود علىٰ المسلمين فحاولوا تمجيد اليهود ودعمهم مثل كعب الأحبار ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن سلام وزيد بن ثابت ﴿ **ويمكرون ويمكر اله والله خير الماكرين**﴾.

واعطىٰ الأمويون دوراً لكعب بن مالك لأنّه تخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة تبوك وناصر عثمان ولم يبايع علياً عليه السلام في خلافته[٣].

وهكذا روى ابن كثير الأموي: أنّ محمداً قطع رجلي مرحب فقال له اجهز عليَّ، فقال: ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فرّ به علي وقطع رأسه، فاختصما في سلبه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعطىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله محمد بن مسلمة سيفه ورمحه ومغفره وبيضته[٤].

فلم يكتف الأمويون وانصارهم بسلب منقبة من مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، بل حوّلوها إلىٰ مذمّة له بتصويره رجلاً يطالب بسلب قتيل غيره! فيحكم النبي صلى الله عليه وآله لغير صالحه!

والحق أنّ علياً عليه السلام قتل مرحب اليهودي وكانت عادة علي عليه السلام أن لا يسلب قتيله[٥] مثلما فعل مع عمرو بن عبد ود العامري وحملة لواء قريش في بدر واحد

(١) الامامة والسياسة ١ / ٧٣.

(٢) الامامة والسياسة ٧٣/١.

(٣) الروض الأنف ٦ / ١٣٨.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٢١٥/٤.

(٥) تاريخ الخميس ٤٨٨/١.

وتُحدّثنا السيرة، بأنَّ رسول الله ﷺ (عميد أهل البيت ﷺ) رفض تَسَلُّمَ اثني عشر ألف درهم ثمناً لجثة نوفل بن عبد الله المخزومي، الذي قتله علي بن أبي طالب ﷺ في معركة الخندق، قائلاً: لا خير في جسده ولا في ثمنه[1].

فلما قتل علي بن أبي طالب ﷺ عمرو بن عبد ود العامري في معركة الخندق قال له عمر ابن الخطاب: هلاَّ استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟

قال ﷺ: ضربته فاتقاني بسوءته، فاستحييت أن أسلبه[2].

وجاء أنّ النبي ﷺ رفض أيضاً تسلُّم اثني عشر ألف درهم ثمناً لجثة عمرو بن عبد ود العامري المقتول بيد علي ﷺ .

لقد قتل علي بن أبي طالب ﷺ أبطال وفرسان الأعداء في بدر واحد والخندق وخيبر وحنين ولكن المنافقين من أعداء أهل البيت حاولوا تحريف تلك الأخبار، واعطاء تلك المناقب لرجال آخرين حسداً منهم لولي المسلمين وسيد العرب ووصي المصطفى ﷺ وكان من طبيعة علي ﷺ أن لا يسلب قتيله[3]. ولا يقتل جريحاً ولا يلحق فارّاً.

قال عمر: لقد أعطي علي ﷺ بن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحبُّ إليّ من أن أُعطى حمر النعم تزوُّجَهُ بفاطمة ﷺ وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحل له ما يحل له والراية يوم خيبر[4].

وقال الحلبي: كانت حصون اليهود: النطاة والشق والصعب والقموص والوطيح والسلالم، والحصون الأربعة الأولى فتحت عنوة والخامس والسادس فتحا صلحاً.

---

(١) مسند أحمد ١/٢٤٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٤٠، البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢، ١٢٣.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٣٢، باب ما أصاب النبي ﷺ والمسلمين من محاصرة المشركين إياهم من البلاء، السيرة النبوية ابن كثير ٣/٢٠٥، ٢٠٦.

(٣) تاريخ الخميس، الديار بكري ١/٤٨٨، دلائل النبوة، البيهقي ٣/٤٣٢.

(٤) مستدرك الحاكم ٣/ ١٣٥.

ولقد تزوج النبي ﷺ بصفية في الصهباء المكان الذي ردت فيه الشمس لعلي ﷺ بعدما غربت[١]. فحدثت لعلي ﷺ في خيبر كرامتان :

الاولى قتل ملك اليهود وابطالهم وسحق جيشهم خارج الحصون ثم رفع بابهم العظيمة وجعلها جسرا فوق خندقهم لدخول حصنهم وفتحه وفتح الحصون الاخرى .

والثانية ردت الشمس اليه بعدما غربت[٢].

نتيجة المعركة

وبعد فراغ المسلمين من خيبر قدم جعفر بن أبي طالب وصحبه من الحبشة فقال النبي ﷺ: والله ما أدري بأي الأمرين أنا أشد فرحاً بفتح خيبر أو قدوم جعفر ثم قام اليه فقبّل ما بين عينيه[٣]، وكان معه ستة عشر رجلاً[٤]والظاهر بأن جعفرا قد بقي هذه المدة الطويلة في الحبشة لنشر الاسلام في افريقيا بعد ان عاد معظم المهاجرين الى المدينة اثر وصول النبي ﷺ اليها .

لقد فتح رسول الله ﷺ بعض الحصون عنوة، وبعضها جنح أهلها إلىٰ الصلح اي الوطيح والسلالم فصالح رسول الله ﷺ اليهود علىٰ أن تحقن دماؤهم ولهم ما حملت ركابهم وللنبي ﷺ الصفراء والبيضاء والسلاح ويخرجهم وشرطوا أن لا يكتموه شيئاً فإن فعلوا لا ذمة لهم ولا عهد. فلما وجد المال الذي غيبوه في مسك الجمل[٥] غلبهم علىٰ الأرض والنخل. وقسّم رسول الله ﷺ خيبر علىٰ ألف وثمانمائة سهم

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣/٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤.
(٢) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٣/٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤.
(٣) المنتظم ٣ / ٢٩٤.
(٤) عيون الأثر ٢ / ١٤٥.
(٥) اي جلداً وضع فيه الحلي.

وكان الرجال بها ألف واربعمائة والفرسان مائتي فارس، فقسم للفارس ثلاثة اسهم سهمين لفرسه وسهماً له وللراجل سهماً. وقسم رسول الله ﷺ خيبر علىٰ من شهد الحديبية فاعطىٰ جابربن عبد الله الانصاري رغم غيابه عن خيبر[1] وأعطىٰ النسوة اللاتي رافقنه لمداواة الجرحىٰ من الفيء.

وأخذ النبي ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب في سهمه وأعتقها وتزوّجها[2].

وجعل رسول الله ﷺ وليمة صفية التمر والأقط والسمن[3]. وكانت قد روت لزوجها ابن أبي الحقيق أنّها رأت الشمس سقطت علىٰ صدرها فضربها علىٰ وجهها قائلاً: تتمني ملك العرب وأعرس بها رسول الله ﷺ بعد أن طهرت من الحيض [4].

وحصل المسلمون علىٰ كنز حيي بن اخطب وقتلوا ابن أبي الحقيق الذي غيّبه فدله الله تعالىٰ عليه[5] وكان كنانة بن الربيع قد غيّب كنز بني النضير في خربة فقال له رسول الله ﷺ: أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك؟

قال: نعم

فلما وجد المسلمون الكنز قتلوه[6].

ثم دفع لهم الأرض يعملون فيها علىٰ الشطر قائلاً: أُقركم ما أقركم الله[7].

ولم يطلب رسول الله ﷺ اخراج اليهود إلىٰ الشام لذلك لم يخرجهم في أيام حكمه الممتدة اربع سنوات بعد فتح خيبر.

ولم يخرجهم أبو بكر عن خيبر بل سار علىٰ النهج النبوي ولم يخرجهم عمر في

---

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢٤، السيرة الحلبية ٣ / ٣١.

(٢) وقيل بقيت في ملكه.

(٣) المنتظم ٣ / ٢٩٧.

(٤) السيرة الحلبية ٣ / ٤٤، تاريخ الطبري ٢ / ٣٠٢.

(٥) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٦) الروض الأنف ٦ / ٥١٠، تاريخ الخميس ٢ / ٤٧.

(٧) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٢٩٤. جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٣، التنبيه والاشراف ٢٢٢.

السنوات الاولىٰ لحكمه والممتدة اربع سنوات، وبعد إسلام كعب الأحبار طلب من عمر أعادة اليهود إلىٰ فلسطين التي اخرجوا منها، فوافق عمر.

ولأن القضية خطيرة ولا يوافق عليها المسلمون، فقد صنعوا حديثاً علىٰ لسان رسول الله ﷺ مفاده توصيته باخراج اليهود إلىٰ الشام وذكر ذلك الحديث الزهري الأموي الميول والهوىٰ[١].

وقُتل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً، وقُتِل من المسلمين ستة عشر شخصاً[٢] وقيل اربعة وعشرون رجلاً[٣].

ورووا كذباً أنّ رسول الله ﷺ حرّم المتعة وحرّم أكل لحوم الحمر الأهـلية في خيبر[٤].

واستغل الحجاج بن علاط السلمي الذي أسلم جديداً وشارك في خـيبر هـذه الحادثة فاستأذن رسول الله ﷺ في الذهاب لمكة لجمع ماله من زوجته المـشركة ومن الناس. ولأن المشركين يحبون انتصار اليهود عـلىٰ المسـلمين فـقد قـال لهـم الحجاج:

هزم محمد هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط وأُسر محمدٌ وقالوا: لانقتله حتىٰ نبعث به إلىٰ مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم.

فجمع المشركون له ماله من شدّة فرحهم بذلك الخبر وواسىٰ أبو سفيان العباس بالمصيبة التي وقعت علىٰ بني هاشم.

ثم انفرد الحجاج بالعباس بن عبد المطلب فقال له: لقد تركت ابن اخيك عروساً

---

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢٨، تاريخ الخميس ٢ / ٥٦.

(٢) المنتظم ٣ / ٢٩٤.

(٣) مغازي الذهبي ٤٣٠، الروض الأنف ٦ / ٥١٩.

(٤) سنن البخاري ٢ / ٦٠٤، ٦٠٦، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٠٤.

علىٰ بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ولقد افتتح خيبر، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك، فأخبر العباس الناس في مكة بذلك فحزن الكافرون وفرح المسلمون[١].

وبعد انتصار المسلمين على الجبهة القرشية بالصلح وعلى الجبهة اليهودية بالحرب وتوسعت الدولة الاسلامية رغب المتزلفون الى المصالح الدنيوية في اغتنام الفرصة فدخلوا في الاسلام زيفا مثل عمرو بن العاص وأبي موسى الاشعرى وأبي هريرة وخالد بن الوليد.

رد الشمس بين الحقيقة والخيال

ردّت الشمس للامام عليعليه السلام في موطنين احدهما في حياة النبيصلى الله عليه وآله في غزوة خيبر والثاني بعد رجوعه من معركة النهروان[٢]. وحديث رد الشمس يكاد يكون متواتراً، وألّف فيه الكثير من العلماء كتباً خاصة وعلىٰ رأس هؤلاء السيوطي.

وقال الديار بكري: وفي هذه السنة طلعت الشمس بعد ما غربت لعليعليه السلام علىٰ ما أورده الطحاوي في مشكلات الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين:

أنّ النبيصلى الله عليه وآله كان يوحىٰ اليه ورأسه في حجر عليعليه السلام ولم يصلِّ العصر حتىٰ غربت الشمس فقال له رسول اللهصلى الله عليه وآله: أصليت يا علي؟

قال: لا

فقال رسول اللهصلى الله عليه وآله: اللهم إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس.

قالت اسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت ووقعت علىٰ الجبل وذلك في الصهباء في خيبر[٣].

---

(١) الروض الأنف ٦ / ٥٢١، تاريخ الخميس ٢ / ٥٤.

(٢) الذريعة ٣ / ١٧٣، مصنف أبي بكر الوراق.

(٣) تاريخ الخميس ٢/٥٨،مشكل الاثار ٢/١١.

وفي المنتقىٰ قال أحمدبن صالح: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لأنّه من علامات النبوة[١].

وبحث هذا الموضوع العلامة الأميني في كتابه الغدير بشكل رائع [٢].

والمؤيدون لصحة الحديث من علماء السنة: أبو بكر الوراق[٣] والحافظ الخطيب البغدادي المترجم ذكره في تلخيص المتشابه[٤]. والحافظ أبـو زكـريا الاصـبهاني الشهير بابن مندة في كتابه المعرفة والحافظ القاضي عياض في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١ / ٥٤٨. واخطب خوارزم في كتابه المناقب[٥]، والحافظ أبو الفتح النطنزي في كتابه الخصائص العلوية والحافظ أبو القـاسم الطـبراني في مـعجمه[٦] والحاكم ابن شاهين في مسنده الكبير والحاكم النيسابوري والحافظ ابن مـردويه الاصبهاني وأبو اسحاق[٧] البغدادي الشهير بالماوردي في كـتابه اعـلام النـبوة[٨] والحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه الدلائل[٩]. والحـافظ محـمد الطـحاوي في كـتابه مشكل الآثار قائلاً: هذان الحديثان ثابتان ورواتها ثقات[١٠].

وذكرالحديث وصححه العلامة سبط بن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص[١١].

وصححه الحافظ أحمد زيني دحلان في كتابه السيرة النبوية[١٢].

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٥٨، الكافي ٤ / ٥٦٢، من لايحضره الفقيه ١ / ٣-٢.

(٢) كتاب الغدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢ / ٣٥٣.

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ١ / ٥٤٨.

(٥) المناقب ٣٠٦ ح ٣٠١.

(٦) المعجم الكبير ٢٤ / ١٤٥ ح ٣٨٢.

(٧) الثعلبي في تفسيره عرائس المجالس: ٢٤٩، والفقيه.

(٨) اعلام النبوة ١٣٢.

(٩) ذكر في كتاب فيض القدير للمناوي.

(١٠) مشكل الآثار ٢ / ١١.

(١١) تذكرة الخواص ٥٣.

(١٢) السيرة النبوية ١ / ٢٠١.

وأورد الحديث الحافظ الكنجي الشافعي في كتابه كفاية الطالب[١].

وصحح الحديث شيخ الإسلام الحموني في كتابه فرائد السمطين[٢] والحافظ أبو زرعة العراقي في كتاب الطبراني الكبير[٣].

وصحح الحديث الإمام السبتي في كتابه شفاء الصدور والحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري[٤] والإمام العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري[٥].

والحافظ السيوطي رواه في جمع الجوامع كما في ترتيبه[٦] عن علي عليه السلام في عد معجزات النبي صلى الله عليه وآله وقال في الخصائص الكبرى[٧] أُتي يوشع حبس الشمس حين قاتل الجبارين وقد حبست لنبينا صلى الله عليه وآله في الإسراء، وأعجب من ذلك رد الشمس حين فات عصر علي عليه السلام ورواه السيوطي في اللآليء المصنوعة[٨] عن امير المؤمنين وأبي هريرة وجابر الانصاري واسماء بنت عميس من طريق ابن مندة والطحاوي والطبراني وابن أبي شيبة والخطيب والعقيلي والدولابي وابن شاهين وابن عقدة.

وايد صحة الحديث الحافظ السمهودي في وفاء الوفا فقال: كان ذلك بالصهباء في خيبر[٩].

وايد صحة الحديث الحافظ القسطلاني في المواهب اللدنية[١٠].

---

(١) كفاية الطالب ٣٨١، ٣٨٨.

(٢) فرائد السمطين ١ / ١٨٣ ح ١٤٦.

(٣) معجم الطبراني الكبير ٢٤ / ١٤٥.

(٤) فتح الباري ٦ / ٢٢٢.

(٥) عمدة القاري ١٥ / ٤٣.

(٦) كنز العمال ١٢ / ٣٤٨ ح ٥٣ ٣٥٣.

(٧) الخصائص الكبرى ٢ / ٣١٠.

(٨) اللآليء المصنوعة ١ / ٣٣٦ - ٣٤١.

(٩) وفاء الوفاء ٣ / ٨٢٢.

(١٠) المواهب اللدنية ٢ / ٥٢٨.

والحافظ ابن حجر الهيثمي إذ عده في الصواعق المحرقة كرامة باهرة لأمير المؤمنين ﷺ[١]. والحلبي الشافعي في السيرة الحلبية[٢].

وجاء في الأحاديث الصحيحة أنّ الشمس لم ترجع إلّا ليوشع بن نون وعلي.وعلي ﷺ أفضل من يوشع اذ ورد أنّه لم ترد الشمس لأحد من خلق الله تعالىٰ إلّا ليوشع بن نون وصي موسىٰ ﷺ ولأمير المؤمنين ﷺ وكان آخر قتالهم له يوم الجمعة إلىٰ أن غربت الشمس وقد ظهر علىٰ المنافقين أصحاب يوشع ﷺ، وقال قاتلوهم فقد غلبتموهم بإذن الله.

فقالوا: لا نقاتل وقد دخل السبت.

فانفرد يوشع ﷺ فتلا اسفاراً من صحف إبراهيم ﷺ ومن التوراة، وسأل الله عز وجل بِرَدِّ الشمس عليهم حتىٰ لا يحتج المارقون، فقال يوشع ﷺ: قاتلوا.

قالوا: لا نقاتل لأنّ السبت قد دخل، قال: هذا لا من السبت ولا من الجمعة، وإنّي سألت الله عزّ وجل ردّ الشمس لتظهروا علىٰ أعدائكم ولا يظهروا عليكم.فقاتلوهم فغلبوهم وملكوهم وغربت الشمس.

وكانت صفراء ابنة شعيب النبي ﷺ زوجة موسىٰ بن عمران ﷺ تقاتل يوشع بن نون ﷺ مع المارقين من بني إسرائيل علىٰ زرافة كما قاتلت عائشة ابنة أبي بكر زوجة رسول الله ﷺ وصيّه أمير المؤمنين ﷺ مع المارقين من أمته علىٰ جمل[٣].

وقد ردت ليوشع مرّة وقد ردت لأمير المؤمنين ﷺ ثلاث مرات وسلمت عليه بالبقيع[٤].

---

(١) الصواعق المحرقة ١٢٨.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ٣٨٦.

(٣) كمال الدين، الصدوق ٢٧، الهداية الكبرى، الخصيبي ١٢٣.

(٤) الهداية الكبرى ١٢٣.

وبعد ان انتهىٰ عليﷺ من قتل الخوارج وقطع أرض بابل[١]. حضرت صلاة العصر فنزل أمير المؤمنينﷺ ونزل الناس، قال عليﷺ: أيها الناس إن هذه الأرض ملعونة قد عذبت في الدهر ثلاث مرات وهي إحدىٰ المؤتفكات[٢] وأول أرض عبد فيها وثن، وإنه لا يحل لنبي ولا لوصي نبي أن يصلي فيها، فمن أراد منكم أن يصلي فليصل، فمال الناس عن جنبي الطريق يصلون.

وركب هوﷺ بغلة رسول اللهﷺ ومضىٰ، قال جويرية فقلت: والله لاتّبعن أمير المؤمنينﷺ ولأقلدنه صلاتي اليوم، فمضيت خلفه فوالله ما جزنا جسر سوراء[٣] حتىٰ غابت الشمس فشككت، فالتفت إلي عليﷺ وقال: يا جويرية أشككت؟

فقلت: نعم يا أمير المؤمنين .

فنزلﷺ ناحية فتوضأ ثم نطق بكلام لا أحسنه كأنه بالعبراني، ثم نادىٰ الصلاة فنظرت والله إلىٰ الشمس قد خرجت من جبلين لها صرير[٤] فصلىٰ العصر وصليت معه، فلما فرغنا من صلاتنا عاد الليل كما كان فالتفت إليﷺ وقال: يا جويرية بن مسهر الله عز وجل يقول: ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ واني سألت الله عز وجل باسمه العظيم فردّ عليَّ الشمس .

فقال جويرية لما رأىٰ ذلك: أنت وصي نبي ورب الكعبة[٥].

وجاء أيضاً أنّ الشمس كانت قد ردَّت لعلي بن أبي طالبﷺ في وقعة بني النضير حيث صلىٰ رسول اللهﷺ ست ليال بأيامها في مسجد هناك يعرف بمسجد الفضيخ[٦].

---

(١) اسم موضع بالعراق قرب الحلة المزيدية اليوم وبالقرب منه مسجد الشمس.

(٢) مدائن قوم لوط أهلكها الله تعالىٰ بالخسف.

(٣) سورىٰ وسوراء بلدة بارض بابل وبها نهر يقال له نهر سوراء وفي القاموس سورىٰ موضع بالعراق من بلد السريانيين وموضع من اعمال بغداد.

(٤) صرير: صوت .

(٥) من لا يحضره الفقيه ١ / ٢٠٤، وسائل الشيعة، الحر العاملي ٣ / ٤٦٩.

(٦) من لا يحضره الفقيه ٢٠٣/١، أي أنّها ردّت لعليﷺ ثلاث مرّت.

وهذا نبي الله سليمان بن داود ﷺ أمر بأن تعرض عليه خيله حتىٰ اعـجب بهـا وفتنته إلىٰ ان غربت الشمس، وفاتته صلاة العصر، فذكر انه لم يصل صلاة العصر فأمر برد خيله واعتاقها كفارة لما فوتته صلاة العصر ولم ترد الشمس له، كما ردت لامير المؤمنين ﷺ والفضل لرسول الله ﷺ ولأمير المؤمنين لأنه أفضل الوصـيين والأئمة الراشدين. وقد قص الله خبر سليمان ﷺ فقال تعالىٰ:

﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني احببت حب الخير عن ذكـر ربـي حـتىٰ تـوارت بـالحجاب ردوهـا عـلي فـطفق مسـحاً بـالسوق والاعناق﴾[١].

والمخالفون للحديث هم ابن كثير، ابن تيمية وابن الجوزي وابن حزم[٢]

وقد رد سبط ابن الجوزي قول جدّه في تضعيف الحديث لمكانة ابن عقدة لانه رافضي فقال: وابن عقدة مشهور بالعدالة[٣].

محاولة يهود خيبر قتل النبي ﷺ

الصحابة: لم يأكل النبيُّ طعامَ خيبر المسموم

غالبا ما يحاول القاتل القاء تهمة القتل على غيره لينقذ نفسه من التهمة مثلما فعل قتلة النبي ﷺ بالقاء التهمة على زينب اليهودية .

ولم يتصف النبي ﷺ بالغدر وكذلك كان عبد المطلب من أتباع العدل فقد اجبر حرب بن أميّة علىٰ دفع دية يهودي قَتَله[٤].

في حين استمر اليهود في محاولاتهم لقتل الرسول ﷺ ففشلوا وحاول رجـال

---

(١) سورة ص ٣١-٣٣، الهداية الكبرىٰ ١٢٣.

(٢) كتاب الغدير ٣ / ١٢٧، ١٨٤.

(٣) تذكرة الخواص ٥٤.

(٤) أنساب الاشراف ١ / ٨٣.

الحزب القرشي كراراً قتل رسول الله ﷺ ففشلوا اولا ونجحوا اخيرا ، وحاول القتلة اختلاق روايات في مقتل رسول الله ﷺ بسم خيبر، في حين لم يأكل النبي ﷺ الطعام المذكور.

وإليك الروايات الصحيحة الدالّة على عدم أكل رسول الله ﷺ طعام خيبر المسموم عن جابر بن عبدالله الأنصاري وعبد الله بن مسعود :

١ ـ «وفي السنة السابعة وبعد معركة خيبر أهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم[1] للنبي ﷺ شاةً مصليّةً وكانت قد سألت أي عضو من الشاة أحب إلىٰ رسول الله ﷺ فقيل لها الذراع فاكثرت فيها السم، وسمّت سائر الشاة ثم جاءت بها.

فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة فلم يُسِغْها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ فأما بشر فأساغها، **وأما رسول الله ﷺ فلم يأكل وقال: إنّ هذا العظم ليخبرني أنه مسموم**»[2].

ثم دعا بها فاعترفت... فمات بشر بن البراء من أكلته التي أكل في ذلك الزمن. أي أنّ بشراً أكل السم. ولم يأكل رسول الله ﷺ من ذلك السم شيئاً.

ومقتل بشر بالسم من كذب السلطة الحاكمة التي قتلت رسول الله ﷺ إذ كيف يقدم مسلم على الأكل قبل زعيمه رسول الله ﷺ؟! فهذا مستحيل في العرف الأسلامي والقبلي.

---

(١) وكانت زينب بنت الحارث (أخي مرحب) قد عمدت إلىٰ سم لا يُطني، وقد شاورت يهود في سموم، فأجمعوا لها علىٰ هذا السم بعينه فسمَّت الشاة * الطبقات ٢/ ٢٠١، ٢٠٢. والمتخصص بالسموم كان لبيد بن الأعصم اليهودي، فهو اعلمهم بالسحر وبالسموم * الطبقات ٢/١٩٧. وكانت الجمادات تسلم علىٰ النبي ﷺ ومنها الشجر. أنساب الاشراف ١ / ١١٥.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٣٠٣، طبعة الأعلمي ـ بيروت.

٢ ـ وقال البيهقي عن أبي هريرة: «**لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاةٌ فيها سمٌ**.

فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا من كان ها هنا من اليهود، فجمعوا له.

فقال لهم رسول الله ﷺ: إني سائلكم عن شيء هل أنتم صادقيّ عنه؟ قالوا: نعم. يا أبا القاسم.

فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم؟

قالوا: أبونا فلانٌ، قال: كذبتم بل أبوكم فلانٌ.قالوا: صدقت وبَررتَ.

قال النبي ﷺ لهم: هل انتم صادقيّ عن شيء ان سألتكم عنه قالوا: نعم يا أبا القاسم وان كذَبْناك عرفت كذبنا كما عرفته في آبائِنا.

فقال رسول الله ﷺ: من أهل النار؟

فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونّنا فيها.

فقال لهم رسول الله ﷺ اخسأوا فيها أبداً.

ثم قال النبي ﷺ: هل أنتم صادقيّ عن شيء ان سألتكم عنه؟

قالوا: نعم.

قال: أجعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟

قالوا: نعم.

قال: فما حملكم علىٰ ذلك؟

قالوا: أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك، وان كنت نبياً لم يضُرَّك»[1].

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢٢١/٢، مغازي الذهبي ٤٣٦، طبقات ابن سعد ١١٥/٢ سيرة الحافظ أبي حاتم ٣٠٥/١، تاريخ ابن دحلان ١٧/٢، سيرة ابن هشام ٣٥٢/٣، فتح الباري (٧: ٤٩٧) مختصراً «لما فتحت خيبر اهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سُمٌّ» كما أخرجه البخاري مطولاً في: ٥٨ ـ كتاب الجزية (٧) باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفىٰ عنهم، فتح الباري (٦: ٢٧٢)، من حديث أبي هريرة، تاريخ ابن كثير ٢٠٩/٤.

٣ ـ وأخبرنا أبو عبد الله الحافظ، قال: حدّثنا أبو العباس: محمد بن يعقوب، قال: حدّثنا العباس بن محمد، قال: حدّثنا سعيد بن سليان، قال: حدّثنا عباد ابن العوام، عن سفيان يعني ابن حسين، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أنّ امرأة من اليهود أهدت إلىٰ رسول الله ﷺ شاةً مسمومة.

فقال النبي ﷺ لأصحابه: **أمْسِكُوا فإنّها مسمومة، فقال** ﷺ: ما حملكِ علىٰ ما صنعتِ؟ قالت: أردت ان أعلم ان كنت نبياً فسيطلعك الله عليه، وإن كنت كاذباً أريح الناس منك.

قال: **فما عرض لَهَا رسول الله** ﷺ[1].

٤ ـ وحدّثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليان ـ رحمه الله، قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين الهَمَداني، قال: حدّثنا محمد بن رِزام المروزي، قال: حدّثنا خلف بن عبد العزيز، قال: أخبرني أبي عبد العزيز بن عثمان، عن جدي: عثمان بن أبي جبلة، قال: كما أخبرني عبد الملك بن أبي نضرة، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، أن يهودية أهْدَت إلىٰ رسول الله ﷺ إمَّا شاةً مسمومةً، وإمَّا بَرَقاً مسموطاً مَسْمُوماً. فلما قرَّبته إليه وبسط القوم أيديهم، قال النبي ﷺ :

ـ قال البدر العيني: قوله «اهديت للنبي ﷺ شاة» وكان الذي اتىٰ بها امرأة يهودية صرح بذلك في صحيح مسلم وقال النووي في شرح مسلم وهذه المرأة اليهودية الفاعلة للسم. اسمها زينب بنت الحارث اخت مرحب اليهودي قلت كذا رواه الواقدي عن الزهري، وانه ﷺ قال لها ما حملك علىٰ هذا؟

قالت. قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي، قال محمد: فسألت إبراهيم بن جعفر عن هذا فقال أبوها الحارث وعمها بشار وكان أجبن الناس وهو الذي انزل من الرف وأخوها زبير وزوجها سلام بن مشكم.

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا فوقع في مسلم أنهم قالوا ألا نقتلها؟ قال ﷺ لا ومثله عن أبي هريرة وجابر، والنبي ﷺ لم يقتلها لأنها لم تقتل أحداً وبهذا قال أبو هريرة وجابر بن عبد الله الانصاري والزهري والسهيلي.

(١) نقله ابن كثير في تاريخه ٤/٢٠٩.

أمسكوا، فإنَّ عُضْواً من أعضائها يخبرني أنّها مسمومة فدعا صاحبتها[١].

فقال النبي ﷺ: أسممت هذا؟

قالت: نعم.

قال النبي ﷺ: ما حملك عليه؟

قالت: أحببت إنْ كنت كاذباً أن أريح الناس منك، وإن كنت رسولاً أنك سَتُطْلَعُ عليه، فلم يعاقبها[٢].

٥ ـ وجاء عن عبد الله بن مسعود قوله: لقد كنّا نسمع تسبيح الطعام ـ يعني بين يدي رسول الله ﷺ ـ **وكلّمه ذراع الشاة المسمومة، واعلمه بما فيه من السم**[٣].

إذن كان رسول الله ﷺ يعلم بالطعام المسموم من قبل الله سبحانه وتعالىٰ مثلما كلمه الذراع المسموم، فلم يأكل منه، ولم يمضغه، وهذا من دلائل النبوة. وأخبار الله سبحانه لنبيه ﷺ يستوجب عدم أكله من ذلك الطعام.

هذه الروايات تثبت أنّ الرسول ﷺ لم يأكل من ذلك الطعام المسموم، وكان الحادث في سنة ٧ هجرية، والرسول ﷺ قُتِل في سنة ١١ هجرية، إذن لم يمت الرسول ﷺ بفعل سم خيبر قطعاً. وحاولت القوىٰ التي قتلت رسول الله ﷺ اتهام زينب اليهودية بذلك للفرار من القصاص الذي سيحل بهم، وقد اثبتت الروايات الصحيحة عدم اقدام رسول الله ﷺ وصحبه المسلمين علىٰ الأكل من تلك الشاة، ونطق الشاة المشوية كان من علامات النبوة فذكره العلماء في كتب دلائل النبوة.

وبشر بن البراء بن معرور قتل في معركة خيبر في الحرب، وما لفّقوه عليه من أكله الطعام قبل رسول الله ﷺ من زيف قتلة رسول الله ﷺ، مثلما زيّفوا

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم ١٤ / ١٧٩.

(٢) نقله الصالحي في السيرة الشامية (٥: ٢٠٨).

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٦/٢١٧، ٢٢٢.

احداث السقيفة بان سعد بن عبادة الانصاري أراد اغتصاب السلطة في السقيفة وهو بريء من هذه التهمة[١].

إذ جاء في رواية مختلقة إنّ رسول الله ﷺ دفع إبن أبي الحقيق إلى ولاة بشر بن البراء فقُتل به[٢]، بينما جاء في رواية : إنّ بشر بن البراء مات بعد ذلك بسنة[٣].وفي رواية مات في زمن خلافة عمر[٤].

وفهم علماء السوء المطلب فالحوا في الافتراء لأثبات مقتل رسول الله ﷺ من جراء ذلك السم لتبرئة القتلة من التهمة وابطال الكرامة الإلهية التي وهبها الله تعالىٰ لرسوله والمتمثلة في نطق الشاة المشوية!.

ولقد جاءت عدّة روايات محرّفة في مسمومية رسول الله ﷺ منها:

احبُّ العِراق إلىٰ رسول الله ﷺ الذراع، ذراع الشاة، وقد كان سم فيها وكان يُروىٰ أنّ اليهود سموه[٥]، وأضاف المحرّفون للرواية الصحيحة عبارة: فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة فلم يسغها[٦].

والصحيح كما اثبتناه في الروايات ان النبي ﷺ والمسلمين لم يأكلوا من تلك الشاة المسمومة.

والذين قتلوا رسول الله ﷺ هم الذين أشاعوا مقتله بسم خيبر واشاعوا مقتل بشر بن البراء بن معرور بالسم، وكانت عائشة علىٰ رأس القائلين بذلك![٧].

---

(١) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٦٧٣.

(٣) مغازي الواقدي ٢/٦٧٨، الشفاء القاضي عياض ١/١٠٧.

(٤) كتاب من له رواية في مسند أحمد، محمد بن علي بن حمزة

(٥) أخرجه أبو داود ص٣٧٨٦، في الاطعمة باب في أكل اللحم، شمائل الترمذي ص١٦٣، باب ما جاء في صفة إدام رسول الله ﷺ، المصنف لابن أبي شيبة ص١٣ رقم ١٥٣٨٢، وطبقات خليفة ص٩٦، وتاريخه ص٧١، ١٩٨، ٢٣٩، ٢٧١، ومسند أحمد ٣/٢، والمحبر ص٢٩١، ٤٢٩.

(٦) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢١.

(٧) راجع كتاب المستدرك، للحاكم ٣ / ٦٠.

لقد انقسمت الروايات الى قسمين القسم الأكثر قال بأنّ الشاة أخبرت رسول الله قبل أكله منها فلم يأكل ﷺ.

والقسم الثاني المحرّف قال: إنّ رسول الله ﷺ لاك منها مضغة فلم يسغها فلفظها.

والادلة التالية تثبت عدم مقتل النبي ﷺ بسم خيبر

١ ـ لم يأكل رسول الله ﷺ من الشاة المسمومة.والعقل يحتّم أن يكون نطق الشاة قبل الإقدام على المضغ لا بعده.

ولأنّ رواية نطق الشاة من الروايات المتواترة لم يتمكّن الأمويون وأتباعهم من حذفها.

٢ ـ ولأن الطعام المسموم لزينب اليهودية لم يقتل أحداً فقد عفا عنها رسول الله ﷺ كما في الروايات الصحيحة[١].ولو تسبب ذلك السم في قتل بشر لقتلها خاتم الأنبياء به.

٣ ـ ولا علاقة لموت النبي ﷺ في سنة ١١ هجرية بسم خيبر في سنة ٧ هجرية، إذ الفارق الزمني كان طويلاً، هذا أولاً وثانياً أنّ النبي ﷺ لم يأكل الطعام المسمومَ لأن الذراع المسمومة أخبرته بذلك.

بينما حاول اعلام السلطة القاء المسؤولية في شهادة الرسول ﷺ على أكلة خيبر. إذ رووا عن النبي ﷺ حديثاً كاذباً هو: ما زالت أكلة خيبر تعاودني كل عام[٢].

ومن طبيعة السموم قتلها للضحايا في أيام معدودة ولا تعطي فرصة أكثر من ذلك، وهذا مأخوذ من تجارب السموم في التاريخ، والعلم الحديث يؤيد ذلك.

فنفهم أنّ الرواية الصحيحة لعبد الله بن مسعود تقول إنّه ﷺ لم يأكل طعام خيبر المسموم، وأيد البخاري الرواية الصحيحة في عدم أكل النبي ﷺ من طعام خيبر[٣].

---

(١) فتح الباري ٧ / ٤٩٧،تاريخ ابن كثير ٤ / ٢٠٩.

(٢) كنز العمال ١١/٣٢١٨٩.

(٣) صحيح البخاري ٤/٦٦ دار الفكر ـ بيروت.

وفي ايامنا كثيراً ما تقتل الحكومات أعداءها وتضع التهمة على الأبرياء فتقتلهم!.

إذن من قتل النبي ﷺ في السنة الحادية عشرة؟!

سيأتي الجواب في فصل قادم.

٤ ـ ولم يسمح الله تعالى بقتل النبي ﷺ قبل اكماله القرآن الكريم ورسالة الاسلام ولما اكمل رسالته وابلغ الناس بولاية علي ﷺ نزل قوله تعالى :

اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا.

وعندها سمح الله تعالى لاعداء النبي ﷺ بقتله فقتلوه .

فدك

كان رجال فدك اليهود قد شاركوا مع رجال خيبر في حرب الأحزاب فحاصروا المدينة واخافوا اهلها ورموها بالنبل .

ولما دنا رسول الله ﷺ من خيبر بعث محيصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزوهم كما غزا أهل خيبر ويحل بساحتهم فجاءهم محيصة وأقام عندهم يومين فقالوا: بالنطاة عامر وياسر وأسير والحارث وسيد اليهود مرحب ما نرى محمداً يقرب حراهم[1]، إن بها عشرة آلاف مقاتل.

قال محيصة: فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعاً فقالوا نحن نرسل معك رجالاً يأخذون لنا الصلح، ويظنون أنّ اليهود تمتنع:

فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم خبر قتل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم. ففتّ ذلك أعضادهم وقالوا لمحيصة: أُكتم عنّا ما قلنا لك ولك هذا الحلي وكان كثيراً

فقال محيصة: بل أخبر رسول الله بالذي سمعت منكم. فأخبر النبي ﷺ عما قالوا

(١) جناب الرجل يقال إذهب فلا أراك بحرى، النهاية ١ / ٣٢٢.

وقدم معه رجل من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع في نفر من اليهود، صالحوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ولرسول الله ﷺ نصف الأرض وبقوا يعملون في النصف الثاني من الأرض على نصف الحاصل(١).

والرواية الأصح: لمّا سمع يهود فدك بهزيمة يهود خيبر أمام المسلمين بعثوا إلى النبي ﷺ من يفاوضه على تنازلهم عن الأرض وما يملكون مقابل حقنه ﷺ دمائهم، واتّفقوا معه على بقائهم في الأرض يعملون فيها بنصف الناتج(٢).

فأصبحت خيبر المفتوحة عنوة للمسلمين، وأضحت فدكاً للرسول ﷺ لأنّها أُخذت دون حرب. فأعطاها الرسول ﷺ ابنته فاطمة ؑ(٣).

وقال علي ؑ في خلافته: بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلّته السماء فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين ونعم الحكَم الله تعالى(٤).

ولما جاء أبو بكر إلى السلطة انتزع فدك من فاطمة ؑ بحديث انكره صحابة رسول الله ﷺ ومفاده قوله: نحن معاشر الأنبياء لا نورث(٥).

والقرآن يكذّب هذا الحديث بقوله تعالى **﴿وورث سليمان داود﴾**(٦).

ورغم ذلك الحديث الكاذب فقد كتب أبو بكر كتاباً في إرجاع فدك لفاطمة ؑ فرفض عمر ومزّق ذلك الكتاب.

واعطى عثمان فدكاً لمروان بن الحكم(٧).

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٧٠٦.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢ / ٨٢.

(٣) فضائل الخمسة في الصحاح الستّة ٣/١٣٦، شرح النهج، المعتزلي ٤/٣٧.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٤/٣٧.

(٥) سنن البيهقي ٦ / ٣٠١.

(٦) النمل: ١٦.

(٧) سنن البيهقي ٦/٣٠١، الغدير ٧/١٩٥.

واعطاها مروان لابنه عبدالعزيز ووهبها عبد العزيز لابنه عمر ولما وصل عمر بن عبد العزيز إلىٰ الخلافة ردها إلىٰ أهلها الشرعيين فسلمها للامام علي بن الحسين ﷺ الذي وزع ناتجها علىٰ ذرية فاطمة ﷺ.

ثم اغتصبها يزيد بن عبد الملك وبقيت بيد الدولة إلىٰ ان ردّها أبو العباس السفاح.

ثم اغتصبها المنصور بعد ثورة عبد الله بن الحسن، ثم ارجعها المهدي العباسي لأهل البيت وأخذها منهم موسىٰ بن المهدي العباسي ثم أعادها المأمون ثم اغتصبها المتوكل[١].

غزوة وادي القرىٰ

وتقع وادي القرىٰ خارج الحجاز وهي الحدود الشمالية لجزيرة العرب.

وخيّر رسول الله ﷺ يهود وادي القرى بين الإسلام أو الجزية فإن أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم، لكنّهم رفضوا الإسلام وأصرّوا على الحرب. فحاصرهم اربعة أيام.

وحاربهم رسول الله ﷺ وانتصر عليهم ولمّا هزموا أعلنوا الإستسلام فأخذ المسلمون أموالهم وأرضهم، وأبقاهم النبي ﷺ في أرضهم يعملون فيها بنصف حاصلها؛ مثلما فعل مع أهل خيبر.

فكانت سيرة النبي ﷺ مع اليهود تتمثّل في قبوله بجزيتهم وبإبقائهم في مناطقهم يعملون فيها مقابل نصف ثمرها.وفي الحصار قُتِل مولىٰ رسول الله ﷺ مدغم.

ولم يستسلم هؤلاء اليهود الاّ بعد قتلىٰ كثيرين اعطوهم في ساحة الحرب قد

---

(١) السقيفة، أبو بكر الجوهري ١٠٤، شرح النهج ٦ / ٢١٠، فتوح البلدان ٣٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، السيرةالحلبية ٢ / ٣٦٢.

قتلوا في مبارزات فردية مع المسلمين[1].

وسبب ابقاء رسول الله ﷺ هؤلاء في أرضهم يعملون بها هو اعتراف الإسلام بدينهم السماوي. والنبي ﷺ لا يريد أعادة اليهود إلىٰ الشام ثانية ليؤسسوا دولة إسرائيل مرّة اخرىٰ. كما ان احترامه لبني البشرية وأصحاب الديانات الاخرىٰ فرض عليه ابقاءهم في اراضيهم يعملون فيها.

ولما قتل اليهود مسلماً بعد فتح خيبر لم يكن عند المسلمين دليل فوداه رسول الله ﷺ ولم يخرج اليهود من خيبر[2] وكان كعب الأحبار يرغب في إعادة تأسيس دولة إسرائيل في فلسطين.

ولمّا جاء عمر بن الخطاب إلى الرئاسة خالف سيرة النبي ﷺ في يهود الحجاز وأخذ بطلب كعب الأحبار المتمثّل في إرسالهم إلى الشام موطنهم الأصلي حيث أمارة معاوية بن أبي سفيان، فاعطاهم معاوية الأراضي هناك فقوي أمرهم واشتدّ مكرهم[3].

وفي وادي القرىٰ كان الأعراب قد غدروا بسلمان الفارسي المسافر معهم في بداية الهجرة النبوية الى المدينة فباعوه فيها إلىٰ يهودي ثم باعها ذلك اليهودي إلىٰ يهودي آخر من بني قريظة فقدم به المدينة. ثم أسلم وعاش مائتين وخمسين سنة[4].

ولمّا عرض النبي ﷺ الإسلام أو الجزية على يهود تيماء قبلوا بالأمر الثاني فلم يقع هناك قتال[5]. وتيماء علىٰ بعد ثمانية مراحل من الشام ووادي القرىٰ بينها وبين المدينة.

---

(١) مغازي الذهبي ٤٤٢.تاريخ الطبري ٣ / ١٦، نهاية الارب ١٧ / ٢٦٨، عيون الأثر ٢ / ١٤٤، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢٢، سنن البخاري ٧ / ٢٣٥، المستدرك، الحاكم ٣ / ٤٠.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٧١٥.

(٣) راجع نظريات الخليفتين ٢/٣٨٧ للمؤلف.

(٤) تحفة الأحوذي في شرح الترمذي ١ / ٢٠٢، المعجم الكبير، الطبراني ٦ / ٢٢٤، دلائل النبوة، الاصبهاني ٤٢

(٥) مغازي الواقدي ٢/٧١٠، ٧١١.

الدلائل والعبر

بعد مراجعة موضوع غزوة خيبر الذي كتبناه نلاحظ نتائج وحكماً ودلالات مؤثرة منها:

إنّ رسول الله ﷺ كان يحارب الاطراف كل واحده علىٰ حدة وينتقم من الغدرة الذين حاربوه في معركة الخندق الذين هددوا أمن المدينة المنورة باستمرار.

ونجد السرعة الفائقة في الوصول إلىٰ خيبر فلم يستقر المسلمون في المدينة بعد عودتهم من الحديبية الاّ شهراً واحداً حتى تجهزوا لحرب خيبر.

فرسول الله ﷺ ليس من أهل الرخاء والترف بل هو من أهل الجد والاجتهاد والجهاد.

فقد حاول النبي ﷺ الإستفادة من صلحه مع قريش إلىٰ اقصىٰ حد وهو عارف بغدر قريش وجبروتها، واقصائه يهود خيبر من قائمة الأعداء يضعف قريش ويزيد في قوة المسلمين ففي خيبر المال والسلاح والرجال ووقوع المسلمين بين مكة وخيبر يضعف: أمنهم واستقرارهم.

فنجحت خطة الرسول الاعظم ﷺ إذ حاصر خيبر عشرين يوماً فلم تتدخل قريش في المعركة.

واستقرار الجيش الأسلامي بين قبيلة غطفان وخيبر منع غطفان من تقديم العون لليهود.

ومن الأمور المهمة الاخرىٰ في خيبر ارسال النبي ﷺ لثلاثة قيادات للمعركة متمثلة في أبي بكر وعمر وعلي ﷺ.

والشخصيتان الاولىٰ والثانية تمثلان مشروع القيادة الخائفة والضعيفة الموصوفة في الكتب: بالجبن، فالواحد منهم مع جيشه يجبنهم ويجبنونه[1].

---

(١) مجمع الزوائد، ابن حجر ٩ / ١٢٤، تلخيص المستدرك ٣ / ٣٧٦، المستدرك، الحاكم ٣ / ٣٧، سنن البخاري ٤ / ٤٦٥ ح ١١٥٥، مغازي الذهبي ٤١٢.

وكانت معركة خيبر أكبر فضيحة لمشروع القيادة الفاشلة فانتشرت الاخبار في صفوف المسلمين واليهود والمناطق المجاورة بهزيمة المسلمين في يومين متوالين بزعامة أبي بكر وعمر.

فضعفت معنويات المسلمين وقويت معنويات اليهود وكادت الحرب تنتهي بهزيمة الموحدين.

وترقَّب اليهود مجيء قائد جبان ثالث إلىٰ ارض المعركة ليهزموه وعلت معنويات الجيش الخيبري إلىٰ درجة خروجهم من حصنهم وإلحاقهم الهزيمة بالأنصار. وبلغوا خيمة النبي ﷺ .

وعندها نادىٰ خاتم الأنبياء: لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله علىٰ يديه كرار ليس بفرار فلما أصبح أرسل علي بن أبي طالب عليه السلام فخرج أمير المؤمنين علي عليه السلام بروحيته العالية وتوكله علىٰ القدرة الأحدية فقتل بطل اليهود وقائدها الحارث أخا مرحب ثم قتل القائد الثاني ياسراً.

فاضطر ملك اليهود وبطلهم الأكبر مرحب اليهودي للنزول إلىٰ ارض المعركة متمنيا الحاق الهزيمة بالمسلمين كما الحقوها بالقائدين السابقين أبي بكر وعمر.

وما ان جال مرحب في ميدان الحرب حتىٰ طلع اليه بطل المسلمين وقائد الغر الميامين يوم القيامة علي بن أبي طالب عليه السلام فضربه ضربة قاصمة حطم فيها خوذته الحديدية والحجر وجمجمته فاستقر ذو الفقار في أسنانه[1]!

فكبر المسلمون وانهزم اليهود إلىٰ حصونهم خائفين ومصرين علىٰ عدم الخروج لحرب المسلمين.

وعندها هجم عليهم الإمام علي عليه السلام واقتلع باب حصنهم المنيع وقتلهم في اوكارهم ومأمنهم فاستسلموا خائفين مرعوبين مدحورين فتحقق النصر للمسلمين.

---

(١) سنن مسلم ٣ / ١٤٤١.

فبينت هذه المعركة فائدة القيادة الشجاعة وأهميتها، في القتال تلك القيادة المعتمدة على الله تعالىٰ كما قال عليّ عليه السلام: بعد قلعه باب خيبر:ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ولكن بقوة الهية[1].

فعرف المسلمون أنّ القيادة الذائبة في الله تعالىٰ هي المنتصرة والقيادة الأخرىٰ هي الفاشلة والخائبة.

فارتفع نجم عليّ عليه السلام وانخفضت منزلة أبي بكر وعمر في نظر المسلمين إلىٰ درجة ملحوظة خاصة وانهما تعرضا لانتكاستين مرّتين في فترة زمنية متقاربة مرّة في الحدبيبة ومرّة في خيبر.

وكانت نتيجة المعارك عدم اقدام أبي بكر وعمر وعثمان علىٰ قتل اي مشرك قرشي ويهودي، وهذا الأمر كان من دواعي حقد قريش واليهود علىٰ محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وحبّهم لأبي بكر وعمر.

وبالاضافة إلىٰ حديث المنزلة الإلهية الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام فقد تحققت معجزة لعلي عليه السلام بهرت العقول تمثلت في رد الشمس كرامة من الله تعالىٰ لوصي المصطفىٰ.

فقد وقفت الشمس ليوشع عليه السلام وصي موسىٰ عليه السلام وارتدت لوصي محمد صلى الله عليه وآله علي عليه السلام. فكانت قضية رد الشمس أعظم معجزة نبوية تحققت باسم علي عليه السلام لم يذكر لها التاريخ من نظير. فتأثر العلماء الأكابر بها وألف السيوطي كتاباً خاصاً في هذا المجال.

وبيّنت معركة خيبر هزيمة الغدر وانتصار الحق ولكن بشروط:

ألا وهي حب المسلم لله ورسوله وحب الله ورسوله له.

والاندفاع في سبيل الله تعالىٰ دون خوف من الموت وجعل الإسلام فوق القومية والقبلية وغيرها.

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٥١.

ومن القضايا الاخلاقية استمرار رسول الله ﷺ في الاعتراف بهم كأصحاب .ين سماوي رغم ما فعله اليهود من موبقات إذ ابقاهم في اراضيهم يزرعون علىٰ النصف بناءاً علىٰ طلبهم. أي أخذ النبي ﷺ أموالهم وأرضهم ولم يأخذ نساءهم وأطفالهم.

وما أوجدوه لاحقاً من وصية رسول الله ﷺ باخراج اليهود إلىٰ الشام ما هو الآ رواية زائفة اوجدها زعيم اليهود كعب الأحبار[١].

واظهرت معركة خيبر فرح قريش بانتصار اليهود المزعوم وهزيمة المسلمين!، وتكررت هذه الواقعة في معركة حنين، رغم اسلام قريش الظاهري فإنهم كانوا يتمنّون انتصار هوازن علىٰ المسلمين إذ قال أبو سفيان:لا تنتهي هزيمتهم دون البحر[٢].

(١) راجع كتاب، نظريات الخليفتين، للمؤلف ج٢ باب اليهود.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٧.

الباب الثالث:

مرحلة الانتشار

الفصل الاول

احداث ما قبل فتح مكة

معاهدة النبي ﷺ للنصارىٰ

وفد نصارى نجران

جاء نصارى نجران إلى المدينة لمحاجة رسول الله ﷺ بمعتقداتهم من بنوة نبيهم عيسى عليه السلام لله (والعياذ بالله تعالى)، فردّهم رسول الله ﷺ في كتابه بهاتين الآيتين:

﴿إنَّ مَثَلَ عِيسىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثم قَالَ له كُن فيكونُ، الحقُّ من ربِّكَ فَلاَ تَكُن من الممتَرِينَ، فَمَن حاجَّكَ فيه مِن بَعدِ ما جاءَكَ مِن العِلمِ فَقُل تَعَالَوا نَدعُ أبناءَنَا وأبناءَكم وَنِساءَنا وَنِساءَكُم وأَنفُسَنَا وأنفُسَكُم ثم نَبتَهِل فَنَجعل لَّعنَتَ اللهِ على الكاذبينَ﴾[1]

ووفد نصارى نجران ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من اشرافهم يؤول أمرهم إليهم والعاقب عبدالمسيح رئيسهم والسيد الأيهم عالمهم وأبو حارثة أسقفهم.

فقالوا: إنّ عيسى ابن الله وثالث ثلاثة، وإلاّ فمن أبوه يا محمد؟

فنزلت سورة آل عمران وأمر الله سبحانه نبيه بملاعنتهم[2].وبعد يوم من المدارسة والمناقشة مع رسول الله ﷺ رضوا بالمباهلة مع رسول الله ﷺ.

---

(١) آل عمران ٥٩ ـ ٦١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٧٩، ٥٨١.

قال اليعقوبي: «فلما أصبحوا قال أبو حارثة: انظروا من جاء معه، وغدا رسول الله آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وعلي بن أبي طالب بين يديه وغدا العاقب والسيد بابنين لهما عليهما الدر والحلي وقد حفُّوا بأبي حارثة.

فقال أبو حارثة: مَنْ هؤلاء معه.؟

قالوا: هذا ابن عمه وهذه ابنته، وهذان ابناها.

فجثا رسول الله ﷺ على ركبتيه ثم ركع.

فقال أبو حارثة: جثا والله كما يجثو النبيون للمباهلة.

فقال له السيد: أُدنُ يا أبا حارثة للمباهلة.

فقال أبو حارثة: إني أرى رجلاً حرياً على المباهلة وأني أخاف أن يكون صادقاً، فإن كان صادقاً لم يَحُل الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الطعام.

وقال أبو حارثة: يا معشر النصارى إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا اللهَ أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا.والمباهلة حدثت في ٢٤ ذي الحجة .

فقال أبو حارثة: يا أبا القاسم لا نباهلك ولكنَّا نعطيك الجزية.

فصالحهم رسول الله ﷺ على ألفي حُلّة من حلل الاواقي، قيمة كل حلة اربعون درهماً، وثلاثٍ وثلاثين درعاً عادية وثلاثٍ وثلاثين بعيراً وأربع وثلاثين فرساً غازية.

وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من النبي محمد ﷺ لنجران وحاشيتها إذ كان له عليهم حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق كان أفضل ذلك كله لهم غير ألفي حُلّة من حُلل الاواقي قيمة كل حلة أربعون درهماً، فما زاد أو نقص فعلى هذا الحساب ألف في صفر وألف في رجب، وعليهم ثلاثون ديناراً مثواه رسلي شهراً فما فوق.

وعليهم في كل حرب كانت باليمن دروع عارية مضمونه لهم بـذلك جـوار الله وذمة محمد، فمن أكل الربا منهم بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة.

فقال العاقب: يا رسول الله إنَّا نخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا.

فكتب النبي ﷺ: ولا يؤخذ أحد بجناية غيره.

شهد على ذلك عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، وكتب علي بن أبي طالب.

فلما قدموا نجران أسلم الأيهم وأقبل مسلماً[١].

قال الفخر الرازي: هذه الآية ﴿**ندعُ ابناءَنا و ابناءَكم و نساءَنا و نساءكم و انفُسَنا و انفُسَكم**﴾ دالة على أنَّ الحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ، ويؤكد هذا قوله تعالى: ﴿**ومن ذُرّيّتِهِ داوُدَ وسليمانَ... وَزَكريا وَيَحيى وعيسى**﴾[٢].

ومعلوم أن عيسى ﷺ إنّما ينتسب إلى إبراهيم ﷺ بالأم لا بالأب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابنا، والحسن والحسين ﷺ ينتسبان إلى النبي ﷺ من الأم[٣].

قال الشعبي: أراد الحجاج قتل فقيه خراسان يحيى بن يعمر لزعمه أنَّ الحسـن والحسين ﷺ من ذرية رسول الله ﷺ قائلاً:

لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله أو لأقطعنك عضواً عضواً.

فقال: آتيك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج ؛ فقال الآية السابقة.

فقال الحجاج: كأنّي لم اقرأ هذه الآية من كتاب الله[٤].

ورغم هذا القول القرآني الفصل والكلام السماوي المحكم في فضل أهل البيت ﷺ لم يذكر البعض أهل البيت في شرحهم على حادثة المباهلة حسداً لهم وذكروا بدلاً عنهم زيفاً لا أصل له يتمثل في ارساله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح مـع النـصارى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٨٢، ٨٣.

(٢) الانعام ٨٤.

(٣) الأنعام ٨٤، ٨٥، تفسير الزمخشري ١/٤٣٤، تفسير الفخر الرازي ٨/٨٠ ـ ٨١، الدر المنثور ٣/٣١١، تفسير الخازن ١/٢٤٣، دلائل النبوة، أبو نعيم ٢٩٨، ٢٩٩، نور الابصار، الشبلنجي ١١١.

(٤) المصدر السابق.

ووصفه ﷺ له القوي الأمين[١]. والصحيح ان الأمين من صفات رسول الله ﷺ!

والنصارى لم يسلموا، فلماذا يرسل معهم ﷺ شخصاً يفقههم في الدين!، وقد اتفقوا مع النبي ﷺ على اعطاء الجزية واشتراط ابقائه ﷺ لهم على النصرانية[٢].

لقد أراد الأمويون إبعاد الأنظار عن أهل البيت عليهم السلام في قضية المباهلة وحرفها إلى ابن الجراح حفار قبور المهاجرين الذي امتنع عن حفر قبر رسول الله ﷺ بعد موته ﷺ![٣]. فهل هو أمين؟

وأهل البيت عليهم السلام ذرية الرسول ﷺ وإبراهيم عليه السلام، و قال الله تعالى في ذرية إبراهيم:

﴿وجعلنا في ذريته النبوة و الكتاب﴾[٤]

وقال تعالى: **﴿ولقد ارسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾**[٥]

ونقض زعماء نجران لاحقاً اتفاقهم مع النبي ﷺ فكاتبوا الأسود العنسي وسلموه خالد بن سعيد بن العاص (والي النبي ﷺ على اليمن) وعمرو بن حزم[٦].

غزوة ذات السلاسل

لقد تجمعت عدة قبائل من شمال جزيرة العرب للهجوم على المدينة المنورة لقتل رسول الله والمسلمين. ويقال لواديهم الوادي اليابس او وادي الرمل وبينه وبين المدينة عشرة ايام وفيها قبيلة قضاعة. وقال خليفة في تاريخه عن أرضهم هي عين

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٥٧٩، ٥٨١.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٥٧٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢.

(٤) العنكبوت ٢٧.

(٥) الحديد ٢٦.

(٦) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٣٣.

بأرض جذام[١].

واستخدم الروم بني قضاعة على بادية العرب وكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز[٢]. وفي تلك المنطقة ناس من بني عذرة وبلي وقبائل من اليمن[٣].

وكانت تلك الحادثة في السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر وسميت المعركة بذات السلاسل لان الامام عليا ﷺ جاء بالاسرى مربّطين بالحبال والسلاسل.واستخلف النبي ﷺ على المدينة سعد بن عبادة[٤].

فعن الامام أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**والعاديات ضبحاً فالموريات قدحاً**﴾، قال هذه السورة نزلت في أهل وادي اليابس.

قلت له وما كان حالهم وقصتهم؟

قال ان اهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر الف فارس وراجل وتعاقدوا وتعاهدوا وتواثقوا على ان لا يتخلف رجل عن رجل ولا يخذل احد أحداً ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلهم على حلف واحد او يقتلوا محمداً ﷺ وعلي بن ابي طالب ﷺ،

فنزل جبرئيل ﷺ على محمد ﷺ وأخبره بقصتهم وما تعاقدوا عليه وتواثقوا، وأمره ان يبعث ابا بكر اليهم في اربعة آلاف فارس من المهاجرين والأنصار:

فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشر المهاجرين والانصار إن جبرئيل أخبرني أن أهل وادي اليابس أتنا عشر الف فارس وراجل قد استعدوا وتعاقدوا وتعاهدوا ان لا يغدر رجل بصاحبه ولا يفر عنه ولا يخذله حتى يقتلوني وأخي علي بن أبي طالب وأمرني أنْ أسيّر إليهم ابابكر في أربعة آلاف

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٣١، تاريخ خليفة ٥١، البحار ٢١ / ٧٥.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر كحالة ٣ / ٩٥٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٥.

(٤) السقيفة، ابو بكر الجوهري ٤٨.

فارس فخذوا في أمركم واستعدوا لعدوكم وانهضوا إليهم علىٰ اسم الله وبركته في يوم الاثنين إن شاء الله تعالى».

فأخذ المسلمون عدتهم وتهيئوا وأرسل رسول الله ﷺ أبا بكر بأمره وكان فيما أمره به أنه إذا رآهم أنْ يعرض عليهم الإسلام فإن تابعوه وإلّا واقعهم فيقتل مقاتليهم ويسبي ذراريهم ويستبيح أموالهم ويخرب ضياعهم وديارهم، فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والانصار في أحسن عدة وأحسن هيئة يسير بهم سيراً رفيقاً حتىٰ أنتهوا إلى وادي اليابس، فلما بلغ القوم نزول أبي بكر وأصحابه قريباً منهم، خرج اليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدججين بالسلاح، فلما صادفوهم قالوا لهم:

من أنتم ومن أين أقبلتم والى أين تريدون؟ ليخرج الينا صاحبكم حتىٰ نكلمه. فخرج اليهم ابو بكر في نفر من أصحابه المسلمين فقال لهم: أنا أبو بكر صاحب رسول الله.

قالوا ما أقدمك علينا؟

قال أمرني رسول الله ﷺ أن أعرض عليكم الأسلام فإن تدخلوا فيما فيه المسلمون لكم مالهم وعليكم ما عليهم وإلا فالحرب بيننا وبينكم.

قالوا له: واللات والعزى لولا رحم بيننا وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم فارجع أنت ومن معك وأربحوا العافية فإنّا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب ﷺ.

فقال أبو بكر لاصحابه: يا قوم! القوم اكثر منكم أضعافاً وأعد منكم وقد ناءت داركم عن اخوانكم من المسلمين فارجعوا نعلِم رسول الله ﷺ بحال القوم.

فقالوا له جميعاً خالفت يا أبا بكر قول رسول الله ﷺ وما أمرك به فاتّق الله وواقع القوم ولا تخالف رسول الله ﷺ.

فقال إني أعلم مالا تعلمون الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانصرف وانصرفوا اجمعون، فأخبر رسول الله بمقالة القوم وما رد عليهم ابو بكر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا ابا بكر خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به وكنت لي والله عاصياً فيما أمرتك به فقام النبيﷺ وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشر المسلمين أمرت ابا بكر أنْ يسير الىٰ أهل وادي اليابس وأنْ يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم الىٰ الله فان أجابوه وإلا واقعهم، وإنه سار اليهم فخرج منهم مائتا رجل فلمّا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ صدره ودخله الرعب منهم وترك قولي ولم يطع أمري، وإن جبرئيل أمرني عن الله أنْ ابعث اليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس فسر يا عمر علىٰ اسم الله ولا تعمل كما عمل أخوك فانه قد عصى الله وعصاني وأمره بما أمر به الاول.

فخرج وخرج معه المهاجرون والانصار الذين كانوا مع الاول يقتصد بهم في سيرهم حتىٰ شارف القوم وكان قريباً منهم بحيث يراهم ويرونه وخرج اليهم مائتا رجل فقالوا له ولأصحابه مثل مقالتهم للاول فانصرف الناس معه وكاد أنْ يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم ورجع هاربا منهم.

فنزل جبرئيلؑ فأخبر محمداًﷺ بما صنع هذا وإنه قد انصرف وانصرف المسلمون معه.

فصعد النبيﷺ المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وأخبر بما صنع هذا وما كان منه وإنه قد أنصرف وأنصرف المسلمون معه مخالفاً لأمري عاصياً لقولي، فقدم عليه فأخبره مثل ما أخبره به صاحبه .

فقال له يا عمر عصيت الله في عرشه وعصيتني وخالفت قولي وعملت برأيك ألا قبح الله رأيك[1].

---

(١) تفسير القمي ٢ / ٣٤٣، تفسير فرات الكوفي ٥٩٢، بحار الانوار ٢١ / ٧٦، الاستغاثة، ابو القاسم الكوفي ٢/ ٢٨.

وقال معظم المؤرخين: وفي السنة الثامنة للهجرة في شهر صفر كان قد أسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة[1]. والصحيح أسلم عثمان بن طلحة في فتح مكّة.

وقد خلط العلماء بين عثمان بن أبي طلحة الذي قتله الإمام علي‰ في معركة بدر وابن أخيه عثمان بن طلحة حاجب الكعبة عند فتح مكة[2].

ولمّا سيطر المسلمون على خيبر وأصبحت دولتهم غنية وكبيرة رغب الإنتهازيون في دخول الإسلام.اذ قال عمرو: لمّا انصرفنا مع الأحزاب (الخندق) قلت لأصحابي: إنّي أرى أمر محمّد يعلو علوّاً منكراً[3].وبسبب ذلك العلو والإنتصار الإلهي على يهود قريظة وخيبر وتشكيل دولة إسلامية قوّية، وتراجع قريش المتوالي فقد قرّر البعض دخول الإسلام، فكان دخولهم طمعاً في المغانم[4].

وفي هذه السنة أرسل النبي ﷺ عمرو بن العاص قائداً ورئيساً لأبي بكر وعمر وابن عوف في حملة ذات السلاسل[5] بعد فشلهما في الحملتين السابقتين.

إذ أرسل النبي ﷺ جيشاً مدداً لجيش عمرو بن العاص بقيادة ابن الجراح فيه أبو بكر وعمر.وعندها رفض هؤلاء الثلاثة الإنضواء تحت قيادة ابن العاص الداخل في الإسلام جديداً، لكن ابن العاص حكمهم بأنّهم مدد له ليس إلّا فرضخوا لقوله.

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٣٠، وذكر إسلام عثمان بن طلحة معهم لكنّه من أكاذيب الحزب القرشي لأنّه كان في فتح مكّة كافراً. البحار ٢١/ ١١٦، تاريخ الخميس ٢/ ٨٧

(٢) المستدرك ٣/ ٤٢٨، تفسير القمي ١/ ١١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) وكان عمرو بن العاص دميماً قصيراً شبيهاً بأبي سفيان، شرح النهج، المعتزلي ٦/ ٢٨٣ محارباً عنيداً لله ورسوله لاهثاً خلف الدنيا إلى يوم مصرعه بيد معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٣هجرية، أثناء صراعهما على السلطة.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢/ ٢٣٢.

ومنزلتهم في هذه الحملة تبيّن منزلتهم الإجتماعية، والسياسية في ذلك الوقت والصراع على السلطة بين هؤلاء الأربعة وغيرهم من قريش كان واضحاً منذ ذلك الوقت لذا أوصى النبي ﷺ عمرو بن العاص وأبن الجراح الاّ يختلفا.

لكنّهم إختلفوا مرّة بين ابن العاص وابن الجراح ومرّة بين ابن العاص وعمر بن الخطاب.إذ أشعل عمرُ بن الخطاب النارَ ليلاً فانتهره آبن العاص [١] وردّ عليه عمر تعبيراً عن رفض قيادته، وأسرع أبو بكر إلى تهدئة الحال بينهما[٢].

وقد قُتِل هؤلاء الأربعة بيد بعضهم البعض لاحقاً أثناء صراع الحزب القرشي على السلطة[٣].

وفي تلك الحملة كان عمرو بن العاص اماماً للصلاة يصلي خلفه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والآخرون، وكان يصلي بهم جنباً[٤].

وبعد وصول عمرو بن العاص بالمسلمين إلىٰ ارض المعركة انهزم من الأعداء وفرَّ فراراً منكراً[٥].

ومن دلائل النبوة للرسول ان عمرو بن العاص افتخر بلوائه المذكور في معركة صفين قائلاً: هذا لواء عقده رسول الله ﷺ.

فقال علي ؑ عندما عقد رسول الله ﷺ لواءه لابن العاص قال له: لا تفر من كافر. ولا تقاتل به مسلماً. فقد فرَّ به من الكافرين في حياة رسول الله ﷺ (ذات السلاسل)، وقد قاتل به المسلمين اليوم[٦].

---

(١) متهما اياه بتنبيه الاعداء.

(٢) أخرجه الذهبي في التلخيص.

(٣) راجع كتاب إغتيال الخليفة أبي بكر والسيّدة عائشة للمؤلّف.

(٤) التنبيه والاشراف ٢٢١، عيون الأثر ٢ / ١٧٤، دلائل النبوة، البيهقي ٤ / ٤٠٢، البداية والنهاية ٤ / ٣١٣.

(٥) بحار الانوار ٢١ / ٧٦، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٦) الاخبار الطوال، أبو حنيفة الدينوري ١٧٤.

فقال رسول الله ﷺ: ان جبرئيل عليه السلام قد أمرني ان أبعث علي بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين واخبرني ان الله يفتح عليه وعلى أصحابه.

فدعا علياً وأوصاه بما أوصى به الأول والثاني وأصحابه الأربعة آلاف فارس وأخبره ان الله سيفتح عليه وعلى اصحابه[١]. وتعصب علي عليه السلام بعصابة وكانت لعلي عليه السلام عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي ﷺ في وجه شديد[٢].

فخرج علي عليه السلام ومعه المهاجرون والانصار فسار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر وذلك انه اعنف بهم في السير حتى خافوا ان ينقطعوا من التعب وتحفى[٣] دوابهم فقال لهم: لا تخافوا ان رسول الله ﷺ قد أمرني بأمر وأخبرني ان الله سيفتح عليّ وعليكم فابشروا فانكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسهم وقلوبهم وساروا على ذلك السير والتعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونهم ويراهم أمر أصحابه ان ينزلوا.

وسمع أهل وادي اليابس بقدوم علي بن أبي طالب وأصحابه فخرجوا اليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه فقالوا له من اين انتم ومن اين أقبلتم واين تريدون؟

قال: أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وأخوه ورسوله اليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله الّا الله وان محمداً رسول الله ولكم إن آمنتم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له إياك أردنا وانت طلبتنا قد سمعنا مقالتك وما عرضت علينا، هذا مالا يوافقنا فخذ حذرك واستعد للحرب العوان[٤] واعلم إنا قاتلوك وقاتلوا اصحابك

---

(١) الإستغاثة ٢ / ٢٨، تفسير القمي ٢ / ٤٣٥.

(٢) بحار الانوار ٢١ / ٨١.

(٣) حفي الفرس انقشر حافره.

(٤) الحرب العوان: الحرب التي قوتل فيها مرة بعد اخرى.

والموعد فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينكم.

فقال لهم: عليه السلام: ويلكم! تهددوني بكثرتكم وجمعكم! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلىٰ مراكزهم وانصرف علي عليه السلام إلىٰ مركزه فلما جنه الليل أمر أصحابه ان يحسنوا إلىٰ داوبهم ويقضموا ويسرجوا[1] فلما انشق عمود الصبح جاء بالناس بغلس[2] ثم أغار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتىٰ وطأتهم الخيل فما أدرك آخر أصحابه حتىٰ قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالاسارىٰ والأموال معه وجاء جبرئيل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما فتح الله لعلي عليه السلام وجماعة المسلمين فصعدرسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه وأخبر الناس بما فتح الله عليه للمسلمين وأعلمهم انه لم يصب منهم إلّا رجلين ونزل.

فخرج يستقبل علياً عليه السلام في جميع أهل المدينة من المسلمين حتىٰ لقيه علىٰ ثلاثة اميال من المدينة.

فلما رآه علي عليه السلام مقبلاً نزل عن دابته ونزل النبي صلى الله عليه وآله حتىٰ التزمه وقبّل مابين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلىٰ علي عليه السلام حين نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأقبل بالغنيمة والاسارىٰ[3].

فأقام المسلمون له صفين وقال له الرسول صلى الله عليه وآله: يا علي لولا أني اشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارىٰ في عيسىٰ بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ منهم الّا أخذوا التراب من تحت قدميك[4].

---

(١) القضم: الاكل بأطراف الاسنان شيئاً يابساً، والمعنىٰ ان يقضموا ليلهم في رعاية الدواب وأكل الطعام اليابس ليكون له صوت عند الاكل لكي لا يهجم عليهم العدو غيلة. ويسرجوا اي يسرجوا السراج.

(٢) الغلس بالتحريك: ظلمة آخر الليل.

(٣) تفسير القمي ٢ / ٤٣٧، تفسير البرهان ٤/٤٩٨، تأويل الآيات، الحسيني ٢/٨٤٤، بحار الانوار ٢١/٦٨ - ٧٤، شجرة طوبىٰ، عباس القمي ٢ / ٢٩٥.

(٤) بحار الانوار ٢١ / ٨٢

والظاهر ان النبي ﷺ خرج في الحملة وتمركز في منطقة ثم أرسل أبابكر وعمر وعمرو ابن العاص علىٰ التوالي ثم أرسل علياً ﷺ وعاد هو إلىٰ المدينة لمعرفته بفتح المنطقة علىٰ يديه.

فلما نظر رسول الله ﷺ إلىٰ الاسرىٰ موثقين بالحبال والسلاسل التفت إلىٰ علي ﷺ قائلاً: يا أبا الحسن اقطع الحبال والسلاسل فاني لا استطيع ان أراهم موثقين وان كانوا مشركين[١].

وقتل علي ﷺ منهم مائة وعشرين رجلاً وكان رئيس الأعداء الحارث بن بشر وسبى منهم مائة وعشرين ناهداً[٢].

وقد سعىٰ رجال الحزب القرشي إلىٰ حذف الشطر الأول والاخير من رواية الغزوة والابقاء علىٰ حملة ابن العاص!

بحيث اعطوا منقبة الفتح لابن العاص المهزوم في المعركة رغم ان الآية القرآنية فضحته في قوله تعالى **﴿ان الانسان لربه لكنود﴾**[٣].

فالكنود هو المحسود وهو عمرو بن العاص[٤].

غزوة مؤتة

وهي أول غزوة اسلامية للشام جاءت بعد مقتل سفير النبي ﷺ الحارث بن عمير الازدي إلىٰ ملك بصرىٰ جبيل بن عمرو الغساني بيد جبيل. وكان جيش مؤتة ثلاثة آلاف مسلم، والروم في مائة ألف رجل.

قال اليعقوبي: ووجّه جعفر بن أبي طالب أي أميراً وزيد بن حارثة وعبدالله بن

---

(١) شجرة طوبىٰ ٢ / ٢٩٧.

(٢) تفسير فرات ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) العاديات ٦.

(٤) بحار الانوار ٢١ / ٧٧.

رواحة في جيش إلى الشام لقتال الروم سنة ٨ هجرية [١] وروى بعضهم أنّه قال: أمير الجيش زيد بن حارثة، فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل جعفر بن أبي طالب فعبدالله بن رواحة، فإن قتل عبدالله بن رواحة فليرتضي المسلمون من أحبّوا. والصحيح كان جعفر المقدّم ثمّ زيد بن حارثة ثمّ عبدالله بن رواحة.

وصار جعفر إلى موضع يقال له مؤتة في فلسطين علىٰ مرحلتين من بيت المقدس. وقيل بانه وادي من الشام من البلقاء من أرض دمشق.

فأخذ الراية جعفر فحارب فقطعت يده اليمنى فقاتل باليسرى فقطعت يده اليسرى ثمّ ضرب وسطه، ثم أخذ زيد الراية فقاتل حتّى قُتل، ثمّ أخذها عبدالله بن رواحة فقتل.

فرفع لرسول الله كلّ خفض، وخفض له كلّ رفع حتّى رأى مصارعهم؛ ونعاهم رسول الله فقال: أنبت الله لجعفر جناحين من زبرجد يطير بهما في الجنّة حيث يشاء. ولقب بذي الجناحين لقطع يديه في معركة مؤتة[٢].

وانكر بعضهم حديث طيران جعفر مع الملائكة في الجنة وقال: الروح عرض لايجوز ان يتنعم.

وهذا لا يصح لان الروح جسم رقيق هوائي مأخوذ من الريح، ويدل علىٰ ذلك أنه يخرج من البدن ويرد اليه وهي الحساسة الفعالة دون البدن[٣].

وجعفر ابن احدى واربعين سنة فهو أسن من امير المؤمنين علي‌ عليه السلام بعشر سنين[٤] وكان غاية في الجود.

فقال شاعر من المسلمين رجع من معركة مؤته سالماً:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٥.

(٢) الجوهرة، التاهبستاني ٢٠.

(٣) تفسير الطبرسي ٢ / ٤٤٢.

(٤) الدرجات الرفيعة ٧٥.

كفىٰ حزناً أني رجعت وجـعفر وزيد وعبدالله في رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسـبيلهم وخلفت للبلوىٰ مع المتغبر[١].

وقال ﷺ: على جعفر فلتبك البواكي؛ وتأمّر خالد بن الوليد على الجيش[٢].

قالت أسماء بنت عميس الخثعمية، وكانت امرأة جعفر وأمّ ولده جميعاً: دخل عليّ رسول الله، ويدي في عجين، فقال: ياأسماء أين ولدك؟

فأتيته بعبدالله ومحمّد وعون، فأجلسهم جميعاً في حجره وضمّهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه.

فقلت: بأبي وأمّي أنت يارسول الله! لِمَ تفعل بولدي كما تفعل بالأيتام؟ لعلّه بلغك عن جعفر شيء؟

فغلبته العبرة وقال ﷺ: رحم الله جعفراً!

فصحت: وا ويلاه وا سيّداه! فقال: لا تدعي بويل ولا حرب، وكلّ ما قلت فأنتِ صادقة. فصحت: واجعفراه! وسمعت صوتي فاطمة بنت رسول الله، فجاءت وصاحت: وابن عمّاه! فخرج رسول الله يجرّ رداءه ما يملك عبرته، وهو يقول على جعفر فلتبكِ البواكي.

ثمّ قال يافاطمة اصنعي لعيال جعفر طعاماً فانّهم في شغل، فصنعت لهم طعاماً ثلاثة أيّام، فصارت سنّة في بني هاشم[٣].

وقال موسىٰ بن عقبة في مغازيه: ثم اصطلح المسلمون علىٰ خالد بن الوليد فهزم الله العدو واظهر المسلمين فقال العماد بن كثير: ويمكن الجمع بان خالداً حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيأة العسكر فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة

(١) سيرة ابن هشام ٣ / ٨٣٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٥ / ٦٦، مغازي الواقدي ٢ / ٧٥٥، الدرجات الرفيعة ٧٥، ينابيع المودة ٣ / ١٥٠، مغازي الذهبي ٤٧٩، نهاية الإرب ١٧ / ٢٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣١٨ ـ ٣٢٢، تاريخ اليعقوبي ٢/٦٥، ٦٦، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٣٤ ـ ٢٣٨، مغازي الواقدي ٢/٧٥٥ ـ ٧٦٩.

ليتوهم العدو أن مدداً قد جاء المسلمين فحمل عليهم خالد فولوا فلم يتبعهم ورأىٰ الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرىٰ[١] ولما دنوا من المدينة تلقاهم رسول الله ﷺ ولقيهم الصبيان يسرعون فقال ﷺ: خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر، فأتي بعبدالله فاخذه فحمله بين يديه. وجعل الناس يصيحون بالجيش: يا فُرّار فررتم في سبيل الله.. فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالىٰ وكان الفارق العددي بين الجيشين كثيراً جداً[٢].

أراد رسول الله ﷺ بعد إنتصاراته المتكرّرة أمام عرب الجاهلية واليهود فتح جبهة جديدة للمسلمين ألا وهي جبهة الروم، قبل أن تفتح الروم نفسها هذه الجبهة فيكون أقوى لمعنويات المسلمين.

وثانياً بيان الحكم الشرعي في امكانية محاربة أهل الكتاب واجبارهم علىٰ دخول الإسلام أو دفع الجزية. اما الكفار فقد بيَّن رسول الله ﷺ امكانية حربهم واجبارهم علىٰ دخول الإسلام وعدم القبول بالجزية.

وكانت العرب تخاف خوفاً شديداً من دولة الروم لقدرتها العظيمة في العدّة والعدد وقدرتها الإقتصادية الهائلة.

وعرب الحجاز كانوا أضعف من عرب الشام التابعين للروم بينما أقدم رسول الله ﷺ على غزو الروم وتابعيهم من العرب!

وهذا لم يكن ليأتي في ذهن هؤلاء فبثّ الرعب في قلوبهم وقلوب القرشيين وزلزل الأرض تحت أقدامهم. وكان نتيجة ذلك نجاح رسول الله ﷺ في فتح مكّة بعد شهرين من هذه الحادثة دون حرب ولا دماء!

وَثبّتَ النبيُّ ﷺ بعمله هذا نظرية الفتوحات الخارجية وأعقبها بحملة تبوك التي

---

(١) فتح الباري ٧ / ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ / ٣٧٥، طبقات ابن سعد ٣ / ١٧٥.

قادها بنفسه إلى الشام.

ثمّ أمر بحملة أُسامة بن زيد إلى الشام ايضاً إلىٰ الأرض التي قُتِل فيها أبوه وجعفر بن أبي طالب للانتقام من الروم ومن عرب الشام فقُتِلَ النبي ﷺ قبل تحرك قواته من المدينة.

لقد سيطر رسول الله ﷺ في حدود عشر سنوات علىٰ جزيرة العرب ثم ذهب إلىٰ الشام غازياً مما يبين القدرة الفذة له ﷺ في ادارة البلاد! عسكـرياً واداريـا واقتصادياً واجتماعياً.

الدلائل والعبر

اود ان احرر هذه الاسطر في هذا الموضوع:

غزوة مؤتة فيها دلالات وعبر كثيرة منها توكل النبي ﷺ علىٰ الله تعالىٰ وعدم خوفه من القوىٰ العظمىٰ.

والروم في ذلك الوقت احدىٰ القوتين العظميين في العالم والقوة الثانية هي دولة الفرس.

وقد انبهرت عقول قريش من غزو رسول الله ﷺ للروم لانه فوق تصوراتهم واعتقاداتهم. ولولا النظرية النبوية في غزو بلاد الروم وفتحها لتأخر المسلمون كثيراً عن هذا المقصد.

ومنذ ذلك اليوم ونحن نعتقد بامكانية غزو بلاد القوى العظمىٰ بالتوكل علىٰ الله تعالىٰ اولاً والاستناد إلىٰ دولة اسلامية قوية ثانياً.

والقضية الثانية في هذا الموضوع هي ارسال النبي محمد ﷺ لابن عمّه جعفر بن أبي طالب رغم المخاطر الجسيمة لتلك الحملة والفارق الكبير في العدد والعدّة بـين المسلمين والروم. ورغم معرفة النبي ﷺ بمقتله إذ قال ان قُتل جعفر فزيد وان قتل

زيد فعبدالله بن رواحة امير الجيش.

وهذا نابع من الأعتقاد النبوي والأسلامي الصارم بالآخرة، واعتبار الدنيا مرحلة موصلة لها.

فمثلما كانت دماء أبي عبيدة بن الحارث أول دماء هاشمية روت ارض القتال في بدر كانت دماء حمزة من الدماء التي روت ارض احد.

وفي معركة مؤتة سالت دماء أول هاشمي في تلك البلاد الفلسطينية القريبة من القدس.

وتوالت حركة الشهادة الهاشمية في سوح القتال العالمية لتثبت الأعتقاد الهاشمي الأكيد بالمبادىء الإسلامية وعدم اقتصار ذلك علىٰ الكلام وهذا هو سر الانتصار.

وقد فشلت حركات كثيرة في التاريخ لتوكلها علىٰ الخطب الرنانة وامتناعها عن الجهاد والشهادة.

فكان بامكان رسول الله ﷺ ارسال شخص آخر بدل جعفر إلىٰ ارض مؤتة وليس في ذلك حرج، لكنه أراد ان يثبت بعرق جبين جعفر ودمائه ان الآخرة حق وهي ارض الخلود.

كما ان حملة مؤتة إلىٰ فلسطين لم تكن من باب الصدفة بل هي حركة نبوية لبيان أهمية القدس في قاموس المسلمين. فرغب النبي ﷺ في فتحها وقدّمها علىٰ باقي بلدان الدنيا، وسيفتحها النبي عيسىٰ عليه السلام في دولة الإمام المهدي عليه السلام.

فقد حاول النبي ﷺ تحرير القدس قبل اليمن وعمان لاهميتها الخاصة عند الموحدين باعتبارها قبلة المسلمين الاولىٰ.

ونبينا اسوة وقدوة في افعاله واقواله فالأجدر بنا ان نحذوا حذوه.

ولقد كان جعفر بن أبي طالب من المسلمين القدماء من بني هاشم الذين اسلموا قبل الصحابة، وهو أمير المسلمين في الحبشة، وامير المسلمين في مؤتة ولأنّه اخو علي عليه السلام فقد حسدوا امارته!

الفصل الثاني

فتح مكة عنوة

عقد رسول الله ﷺ صلح الحديبية مع قريش في سنة ستّ للهجرة على أن يزور البيت الحرام العام المقبل فأخلىٰ له أهالي مكة المدينة، وازاحوا الأصنام عن الصفا والمروة..

وفي السنة الثانية زار النبي ﷺ والمسلمون مكّة وبقوا هناك ثلاثة أيّام، وساق معه سبعين بدنةً، واجروا مراسم العمرة. وتزوّج في مكّة بميمونة بنت الحارث الهلالية[1].

فتمّت عمرة رسول الله ﷺ المفردة بسلام وأمان طبقاً لعهد الحديبية فهو أهل الوفاء.وفي جمادى الأولى من سنة ثمان حدثت معركة مؤتة مع الروم التي خسر فيها المسلمون وقُتِل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن أبي رواحة.

فشجّع هذا الأمر المشركين على الغدر بمعاهدة صلح الحديبية، وفعلاً اعتدت قريش وقبيلة كنانة على قبيلة خزاعة المتحالفة مع رسول الله ﷺ بعد شهر ونصف من حادثة مؤتة![2]

العداء بين خزاعة وبني بكر

كانت خزاعة في الجاهلية قد أصابوا رجلاً من بني بكر أخذوا ماله؛ فمر رجلٌ من خزاعة علىٰ بني الدِّيل بعد ذلك فقتلوه، فوقعت الحرب بينهم، فمر بنو الأسود بن رزْن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٤، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٢٧، وهي خالة خالد بن الوليد.

(٢) مغازي الذهبي ٥٢٨، مغازي الواقدي ٢/٧٨٨.

- ذُئيب، وسلمىٰ، وكلثوم - علىٰ خزاعة فقتلوهم بعرَفَة عند أنصاب الحَرَم. وكان قوم الأسود يُوَدّون في الجاهلية دِيَتين بفضلهم في بني بكر، فتجاوزوا وكفّ بعضهم ن بعض من أجل الإسلام وهم علىٰ ما هم عليه من العداوة في أنفسهم. فلمّا كان صُلْح الحُديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعَهْده، وكانت خُزاعة حلفاء لعبد المطّلب، وكان رسول الله ﷺ عارفاً بذلك، ولقد جاءته يومئذٍ خُزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أُبي بن كعب وهو «باسمك اللّهمّ، هذا حِلف عبد المطلب بن هاشم لخُزاعة، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي، غائبهم مُقرٌّ بما قضىٰ عليه شاهدهم. إنّ بيننا وبينكم عهود الله وعقوده، مالا ينسَىٰ أبداً، ولا يأتي لداً[1]، اليد واحدةٌ والنصر واحدٌ، ما أشرف ثبير، وثبت حِراء، وما بلّ بحرٌ صوفة[2]، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلّا تجدّدا أبداً أبداً، الدهر سَرمداً».

فقال ﷺ ما أعرفني بحِلفكم وأنتم علىٰ ما أسلمتم عليه من الحِلف! فكلّ حِلف كان في الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلّا شدّة، ولا حلِف في الإسلام.

وآخر ما كان بين خُزاعة وبين كِنانة أنّ أنس بن زُنَيم الدّيلي هجا رسول الله ﷺ، فسمعه غُلامٌ من خُزاعة فوقع به فشَجّهُ، فخرج إلىٰ قومه فأراهم شَجّتهُ فثار الشّرُّ مع ما كان بينهم، وما تطلب بنو بكر من خُزاعة من دمائها. فلمّا دخل شعبان علىٰ رأس اثنين وعشرين شهراً من صُلح الحديبية تكلّمت بنو نُفاثة من بني بكر أشراف قُريش - واعتزلت بنو مدْلج فلم ينقضوا العهْد - أن يُعينوا بالرجال والسلاح علىٰ عدوهم من خُزاعة؛ وذكّروهم القتلىٰ الذين أصابت خُزاعة لهم، وضربوهم بأرحامهم، وأخبروهم بدخولهم معهم في عقدهم وعَهدهم، وذهاب خُزاعة إلىٰ محمدٍ في عَقده وعَهده. فوجدوا القوم إلىٰ ذلك سراعاً.

---

(١) اللد: الخصومة الشديدة. النهاية، ج ٤، ص ٥٨.

(٢) شرح علىٰ المواهب اللدنية، ج ٢، ص ٣٤٥. وثبير وحراء جبلان بمكة. معجم البلدان ج ٢، ص ٧؛ ٢٣٩.

وجعلت بنو نُفاثة وبكرٍ يقولون: إنّما نحن! فأعانوهم بالسلاح والكُراع والرجال ودسوا ذلك سرّاً لئلاّ تحذَر خُزاعة، فهم آمنون غارون بحال الموادعة وما حجز الإسلام بينهم. ثم اتّعدت قُريش الوَتير موضعاً بمن معها، فوافوا للميعاد، فيهم رجالٌ من قُريش من كبارهم متنكرون متنقبون: صفوان بن أُمية، ومِكْرَز بن حَفص بن الأخيف، وحُويطب بن عبد العُزّىٰ وأجلبوا معهم أرقّائهم، ورأس بني بكر نوفل بن معاوية الدّيلي؛ فبيتوا خزاعة ليلاً وهم غارّون آمنون من عدوّهم، ولو كانوا يخافون هذا لكانوا علىٰ حذَرٍ وعُدّةٍ، فلم يزالوا يقتلونهم حتىٰ انتهوا بهم إلىٰ أنصاب الحرم.

فقالوا: يا نوفل، إلهك، إلهك! قد دخلت الحرم! قال: لا إله لي اليوم، يا بني بكر! قد كنتم تسرقون الحاج، أفلا تُدركون ثأركم من عدوّكم؟ لا يريد أحدكم يأتي امرأته من خُزاعة، وانتهوا بهم في عماية الصبح ودخلت رؤساء قُريش في منازلهم وهم يظنّون ألاّ يُعرفوا، وألاّ يبلغ هذا محمّداً ﷺ.

فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وحضرت خُزاعة في دار رافع وبُدَيل، وأصبحت خُزاعة مُقتَّلين علىٰ باب بُديل ورافع مولىٰ لخُزاعة. وتنحّت قُريش ونَدِموا علىٰ ما صنعوا، وعرفوا أنّ هذا الذي صنعوا نقْضٌ للمُدّة والعَهدِ الذي بينهم وبين رسول الله ﷺ.

وجاء الحارث بن هشام وابن أبي ربيعة إلىٰ صفوان بن أمية، وإلىٰ سُهيل بن عمرو، وعِكْرِمة بن أبي جهل، فلاموهم فيما صنعوا من عونهم بني بكر، وأنّ بينكم وبين محمّد مُدّة، وهذا نَقضٌ لها. وانصرف القوم ودسّوا إلىٰ نوفل بن معاوية، وكان الذي ولي كلامه سهيل ابن عمرو، فقال: قد رأيت الذي صنعنا بك وأصحابك وما قتلت من القوم، وأنت قد حضرتهم تُريد قَتلَ من بقي منهم، وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم لنا. قال: نعم فتركهم فخرجوا. فقال ابن قيس الرّقيات يذكر سُهيل

بن عمرو:

خالط أخواله خزاعة لمّا كثرتهم بمكّة الأحياءُ

وقال في ذلك ابن لُغط الدّيلي:

ألا هَل أتى قصوى العشيرة أنّنا رددْنا بني كَعبٍ بأفوق ناصلِ

فجاء بديل بن ورقاء في ركب خزاعة الى رسول الله ﷺ شاكياً فعرف النبي ﷺ بغدر قريش وبني بكر بقيادة نوفل بن معاوية النفاثي.

فقال النبي ﷺ لا نصرت إن لم انصر بني كعب مما أنصر به نفسي[1].

قال اليعقوبي: «وكانت خزاعة في عقد رسول الله وكنانة في عقد قريش، فأعانت قريش كنانة فأرسلوا مواليهم فوثبوا على خزاعة فقتلوا فيهم. فجاءت خزاعة إلى رسول الله فشكوا إليه ذلك فأحلّ الله لنبيّه قطع المدّة التي بينه وبينهم، وعزم على غزو مكّة وقال: اللهمّ أعمِ الأخبار عنهم، يعني قريشاً[2].

والقرشيون الذين شاركوا في الهجمة على خزاعة هم:

سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أميّة وآخرون فارسل لهم رسول الله ﷺ ضمرة يخيرهم بين ثلاث خصال:

الاولى: ان يدوا خزاعة.

والثانية ان يبرأوا من حلف نفاثة وهي الجماعة التي غدرت من بني بكر.

والثالثة الحرب.

فاختلف القرشيون فيما بينهم ودعا أبو سفيان إلى جحد الأمر بانكار مشاركة قريش في غزو خزاعة[3].وكان صفوان بن أميّة وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو قد دعوا إلى قتال رسول الله ﷺ.

---

(١) مغازي الذهبي ٥٢٨ وبنو كعب هم خزاعة.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٨.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

ومن دلائل النبوة قول النبي ﷺ: كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول: جدد العهد وزد في الهدنة.وفعلا جاء أبو سفيان إلىٰ المدينة طالباً تحكيم العهد وزيادة المدة فرده رسول الله ﷺ والمسلمون.

وتأخر ابو سفيان في المدينة فاتهموه لطول غيابه بدخوله الإسلام.

ولما عاد الى مكة اخبر زوجته هند بذلك فضربت برجليها في صدره قائلة: قُبّحت من رسول قوم[1]

ولما أصبح حلق رأسه عند الصنمين إساف ونائلة وذبح لهما وجعل يمسح بالدم رؤوسهما قائلاً: لا أُفارق عبادتكما حتىٰ أموت علىٰ ما مات عليه أبي أبرأ لقريش مما اتهموني[2].

خيانة حاطب

فكتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش بخبر رسول الله وما اعتزم عليه.

فنزل جبرئيل فأخبره بما فعل حاطب؛ فوجّه بعلي بن أبي طالب ﷺ والمقداد بن عمرو وقال: خُذا الكتاب منها، فلحقاها وكانت تنكّبت الطريق، فوجد الكتاب في شعرها، وقيل في فرجها. فأتيا به إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ حاطباً فقال له: ما حملك علىٰ هذا؟

فقال: يا رسول الله ﷺ إنّي لمؤمن بالله ورسوله ما غيّرت ولا بدّلت ولكني كنت امرءاً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وكان لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم[3].

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٧٨٨.

(٣) مغازي الواقدي، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤، مغازي الذهبي ٥٢٧، ٢ / ٧٩٨.

فلم يقتل النبي ﷺ حاطب بن أبي بلتعة رغم خيانته للاسلام، وكذلك لم يقتل عثمان بن عفان الخائن في قضية معاوية بن المغيرة بن أبي العاص الأموي حيث اخفاه في بيته رغم تمثيله بجسد حمزة وقدومه المدينة للتجسس على المسلمين[١].

واجاب النبي ﷺ عن سبب ذلك في واقعة تبوك حيث امتنع عن قتل المتآمرين على اغتياله قائلاً: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إنّ محمداً قتل أصحابه[٢].

خروج النبي ﷺ إلى مكّة

وخرج رسول الله يوم الجمعة حين صلّى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ٨ هـ[٣]؛ واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبدالمنذر.

واراد الرسول ان تكون الغزوة سرية فأسرّ ﷺ إلى كلّ رئيس منهم بما أراد وأمره أن يلقاه بموضع سمّاه له، وأن يكتم ما قال له. فأسرّ إلى خزاعي أن يلقاه بمُزَينة بالروحاء وإلى عبدالله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسُّقيا وإلى قدامة بن ثمامة أن يلقاه ببني سليم بقُديد وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد.

ولقيته القبائل في المواضع التي سمّاها لهم، وأمر الناس فأفطروا، وسمّى الذين لم يفطروا العُصاة. ودعا بماء فشربه، وتلقّاه العبّاس بن عبدالمطلّب في بعض الطريق. وكان المسلمون عشرة آلاف رجل[٤].

وكانت الخيل يوم الفتح أربعمائة فرس. ونزلت عليه سورة: **﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾**، فقال النبي ﷺ: نُعيت إليّ نفسي وأقام في مكة تسعة عشر يوماً. وطاف

---

(١) اسد الغابة ٥/٥٦٢، عيون الأثر ٢/٦.

(٢) السيرة الحلبية ٣ / ١٤٣، سنن مسلم في كتاب صفات المنافقين واحكامهم.

(٣) وقيل لعشر مضين من رمضان.

(٤) وقيل في اثنتي عشر الفاً.

بالكعبة وصلى خلف مقام إبراهيم ﷺ وأمر ﷺ بالمتعة ثم لم تحرم مطلقاً[١].

فلمّا صار بمرّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب يتجسّس الأخبار ومعه حكيم بن حزام، وهو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟

فقال حكيم : خزاعة أحمشتها الحرب.

فقال ابو سفيان : خزاعة أقلّ وأذلّ. وسمع صوته العبّاس فناداه: ياأبا حنظلة! فأجابه، وكان رسول الله ﷺ قد أمر بقتل أبي سفيان مع العشرة الذين أفتىٰ بقتلهم ومنهم زوجته هند بنت عتبة ولكن حذف الأمويون واتباعهم اسمه.

لذا انذره عمر قائلاً:لا تَدْن من رسول الله ﷺ حتىٰ تموت![٢]. ولو لا نصيحة عمر لقتل ابوسفيان .

وعندما أدرك أبو سفيان الخطر المحدق به استغاث بالعباس قائلاً:إنّي مقتول فنعه العباس من الناس المصرّين علىٰ قتله[٣].

فأبو سفيان مدين لعمر وللعباس في استمرار حياته، فدامت العلاقة جيدة بين أبي سفيان وعمر في أيام حكمه. ودعم معاوية وعثمان عمر في قضية السقيفة، وردّ عمر لبني أميّة الفضل فعيّن عثمان وزيراً ووصياً له وجعل معاوية والياً علىٰ الشام.

واستمر عمر في منهجه محباً لابي سفيان مسمّياً اياه بسيد قريش وبقي أبو سفيان معروفاً بالغدر فبعد اسلام أبي سفيان قال العباس للرسول ﷺ: إنّي لا آمن أبا سفيان ان يرجع عن اسلامه[٤].

قال ابو سفيان : ياأبا الفضل ما هذا الجمع؟

قال: هذا رسول الله. فأردفه العباس على بغلته ليلاً وجاء به.

---

(١) راجع تاريخ اليعقوبي ٢/٥٨ ـ ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٣٩ ـ ٢٥٤، تاريخ الطبري ٢/٣٢٧ ـ ٣٤٣، الطبقات، ابن سعد ١٣٤ ـ ١٤٤، عيون الأثر، ٢/١٨١ ـ ٢٠٥، البداية والنهاية ٤/٣٣٤ ـ ٣٥٤، ٣٦٢.

(٢) مغازي الذهبي ٥٣٠.

(٣) مغازي الذهبي ٥٣٠.

(٤) دلائل النبوة ٥ / ٤١.

وقال العباس: يارسول الله، هذا أبو سفيان قد جاء ليسلم طائعاً. ويطلب الأمان لقريش فقال له رسول الله: قُل أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّي محمّد رسول الله، فقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وجعل يمتنع من أن يقول: وانّك رسول الله، قائلاً: والله يا محمد إنّ في النفس من هذا لشيئاً يسيراً بعد فارجتها[1]. وبعد الضغط قالها نفاقاً.

ثمّ سأل العبّاس رسول الله أن يجعل له شرفاً وقال إنّه يحبّ الشرف.

فقال رسول الله: من دخل دارك ياأبا سفيان فهو آمن.

وأوقفه العبّاس حتّى رأى جند الله، فقال أبو سفيان: يا محمد جئت بأوباش الناس من يُعرف ومن لا يُعرف إلىٰ عشيرتك وأصلك فقال رسول الله ﷺ: انتم اظلم وافجر غدرتم بعهد الحديبية وظاهرتم علىٰ بني كعب بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه[2].

فقال ابو سفيان : يا أبا الفضل لقد أُوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً.

فقال العباس : إنّه ليس بملك إنّما هي النبوّة.

ومضى أبو سفيان مسرعاً حتّى دخل مكّة فأخبرهم الخبر، وقال:هو إصطلام إن لم تسلموا، وقد قال من دخل داري فهو آمن. فوثبوا عليه وقالوا: وما تسع دارك؟ فقال : ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. وفتح الله على نبيّه وكفاه القتال.

دخول مكّة

ولمّا دخل رسول الله ﷺ مكّة كانت عليه عمامة سوداء، فوقف على باب الكعبة وقال: لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ألا كلّ دم أو مأثرة أو مال يُدّعى فهو تحت قدمي هاتين إلّا سدانة البيت وسقاية الحاج.

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٥.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨١٦، السيرة الدحلانية ٢ / ٥٩، مغازي الذهبي ٥٢٩ طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٥.

وفي فتح مكة ذلَّ كفار قريش وسقط ما في أيديهم، وضعفت معنوياتهم وهزم مكرهم فوقفوا سماطين ينظرون إلى دخول رسول الله ﷺ وجيشه إلى مدينتهم.

وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلاثمائة فرس، وكانت الانصار اربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس، وكانت مزينة الفاً ومعها مائة فرس وكانت أسلم اربعمائة ومعها ثلاثون فرساً وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرساً[1].

وقال النبي ﷺ لصحبه: اهجوا قريشاً فإنّه أشدُّ عليها من رشق النبل[2].

فتقدم رجل براية كبيرة بين يدي النبي ﷺ وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيلهِ فاليوم نضربكم على تنزيلهِ

ضرباً يزيل الهام عن مقيلهِ ويذهلُ الخليل عن خليلهِ

يا رب إني مؤمن بقيله

فقال عمر بن الخطاب: أفي حرم الله وبين يدي رسول الله، تقول الشعر؟

فقال له رسول الله ﷺ: مهْ يا عمر فوالذي نفسي بيده لكلامه هذا اشد عليهم من وقع النبل[3].

وكان سعد بن عبادة على الحرس وراية الانصار كانت بيده عند دخوله مكّة وهو يقول: «يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اي يوم الحرب اليوم تستحل الكعبة اي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق باستار الكعبة وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب وقيل سمعها رجلان وهما عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ﷺ ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش»[4].

---

(١) السيرة الحلبية، سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٤.

(٢) مغازي الذهبي ٥٤٣، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٥٠.

(٣) سنن البيهقي ٢٢٨/١، سنن الترمذي ٢١٧/٤، سير اعلام النبلاء ٢٣٥/١.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٦٢.

وشكاية هؤلاء على سعد في مكة وسيرة علاقتهم به في المدينة قبل وبعد حياة النبي ﷺ تبين سوء العلاقة بين سعد وبينهم انتهت بقتله بأمرهم فقتله محمد بن مسلمة (اليهودي الاصل)[١].

وقد طالب أبو سفيان وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف بعزل سعد بن عبادة عن قيادة لواء الأنصار. فكانت تلك أول قضية معلنة يتحد فيها هؤلاء ضد زعيم الانصار.

في حين قال أبو بكر للصحابة المؤذين أبا سفيان: اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها[٢] والقضية الظاهرة الثانية هي واقعة السقيفة إذ اشترك معاوية معهم فيها[٣].

اي ان عمر خالف الأمر النبوي بهجو قريش، وقبلها أنقذ أبا سفيان من الموت.

وبقي أبو بكر وعمر محبين لقريش فبعد فتح مكة اتاه ناس من قريش فقالوا: يا محمد إنا حلفاؤك وقومك، وإنه لحق بك ارقاؤنا ليس لهم رغبة في الاسلام، وإنما فروا من العمل فارددهم علينا!

فشاور ﷺ أبا بكر في أمرهم فقال: صدقوا يا رسول الله!

فقال لعمر: ما ترى؟ فقال مثل قول أبي بكر.

فقال رسول الله ﷺ يا معشر قريش ليبعثن الله تعالى عليكم رجلاً منكم امتحن الله قلبه للايمان فيضرب رقابكم على الدين.

فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟

قال: لا.

قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟

---

(١) كنز العمال ٣ / ٢٣٢٣، أنساب الاشراف ١ / ٥٨٩.

(٢) تاريخ ابن عساكر ١١ / ٨٤.

(٣) راجع كتاب السقيفة للمؤلف ١٩٦.

قال: لا، ولكنه خاصف النعل في المسجد، وقد كان ألقىٰ نعله إلى علي يخصفها[١].

فبقي رسول الله ﷺ وعلي ؑ في وجه قريش ومطامعها، رافضين عودة المسلمين عبيداً لقريش، وكيف يكون ذلك وقريش انفسهم عبيد لمحمد ﷺ حررهم بعد فتح مكة قائلاً:إذهبوا فانتم الطلقاء.

المهدور والدم

ودخل مكّة ودخل أصحابه من أربعة مواضع وراية المسلمين مع علي بن أبي طالب ؑ، وأحلّها الله له ساعة من نهار ثمّ قام رسول الله فخطب فحرّمها.

وأمر الرسول ﷺ بقتل بعض الكافرين وهم :

ابو سفيان بن حرب .

وعبدالله بن عبدالعزّى بن خطل من بني تيم الأدرم بن غالب، وكان رسول الله وجّهه مع رجل من الأنصار فشدّ على الأنصاري فقتله وقال: لا طاعة لك ولا لمحمّد!

وعبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري من بني عامر بن لؤي ، وكان يكتب لرسول الله فصار إلى مكّة مرتدا فقال: أنا أقول كما يقول محمّد! والله ما محمّد نبي وقد كان يقول لي: اكتب عزيز حكيم، فأكتب لطيف خبير، ولو كان نبيّاً لعلم. فآواه عثمان وكان أخاه من الرضاع! وأتى به إلى رسول الله، فجعل يكلّمه فيه ورسول الله ساكت ثمّ قال لأصحابه: هلّا قتلتموا هذا الفاسق! فقالوا: انتظرنا أن تومئ.

فقال الرسول ﷺ: إنّ الأنبياء لا تقتل بالايماء[٢]. وقال الرسول ﷺ عن عبدالله بن أبي سرح: إنّه كلب[٣].

---

(١) المستدرك، الحاكم ٢/١٣٨. الظاهر بان مجاميع قرشية قد طلبت ذلك من النبي ﷺ في غزوة الحديبية وفي فتح مكّة.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣/٣١٢، مغازي الواقدي ٢/٨٥٦، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٤٤.

(٣) أنساب الاشراف ١ / ٤٥٤.

وقيس بن صُبابة أحد بني ليث بن كنانة، وكان أخوه قُتل فأخذ الدية من قاتله ثمّ شدّ عليه فقتله. وقُتِل قيس بن صبابة.

والحويرث بن نُقيذ بن وهب بن عبد قصي، كان ممّن يؤذي رسول الله بمكّة ويتناوله بالقول القبيح فقتل علي عليه السلام الحويرث بن نقيذ.

وجاء انّ النبي ﷺ أمر بقتل عكرمة بن أبي جهل وكان يشبه أباه في إيذاء رسول الله ﷺ والحارث بن هشام هو اخو أبي جهل لابويه[1].

وصفوان بن أُميّة بن خلف.

وعبدالله بن خطل.

وكعب بن زهير.

وزهير بن أبي أميّة.

وعبدالله بن الزبعري السهمي.

والحارث بن هشام.

وعبدالله بن أبي ربيعة الذي عينه عمر لاحقاً أميراً على اليمن.

وأجارت أمّ هانيء بنت أبي طالب حموين لها: الحارث بن هشام وعبدالله بن أبي ربيعة، فأراد علي قتلهما[2].

فقال رسول الله: ياعلي قد أجرنا من أجارت أُمّ هانيء.

ووحشي بن حرب قاتل حمزة[3].

والنسوة: سارة مولاة بني عبدالمطلب، وكانت تذكر رسول الله بالقبيح.

وهند بنت عتبة[4].

---

(١) والملاحظ للوليد بن المغيرة واولاده يجد حقداً عظيماً على الإسلام والمسلمين.

(٢) مغازي الواقدي عليه السلام ٢ / ٨٢٢.

(٣) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ٣١٢، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٦.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ٣١٢، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٦.

وقريبة وفرتنا جاريتا ابن خطل، كانتا تغنيّان في هجاء رسول الله[١].

وقُتِلت الجاريتان واحدة في فتح مكّة وواحدة في زمن رئاسة عمر وقُتِلت سارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبدالمطّلب .

والذين أمر بقتلهم رسول الله ﷺ ولم يُقتلوا وأسلموا كانت تراجم حياتهم مليئة بأفعال الجاهلية، ولم تطهر قلوبهم بطهارة الإسلام. وهذا من المعجزات الالهية.

ولكن لماذا عيّن عمر عبدالله بن أبي ربيعة والياً على اليمن وعيّن عثمان عبدالله بن أبي سرح والياً على افريقيا؟!

ثم آمنهم الرسول ﷺ جميعاً إلّا خمسة نفر أمر بقتلهم ولو كانوا متعلّقين بأستار الكعبة وأربع نسوة . وأسلمت قريش طوعاً وكرهاً .

وقتل من المسلمين ثلاثة[٢]. وقُتِل من المشركين في فتح مكة أربعة وعشرون رجلاً. ثم قتل خالد سبعين شخصا تمردا على امر النبي، ولم يغنم المسلمون شيئاً[٣].

وقال ﷺ: كفوا السلاح إلّا خزاعة من بني بكر، فاذن لهم حتى صلى العصر ثم قال: كفو السلاح[٤].

ومن دلائل النبوة كان الرسول ﷺ قد قال لعثمان بن طلحة في الجاهلية سترى المفتاح بيدي يوماً أضعه حيث شئت! ولما فتح مكة أرسل ﷺ عليّاً وليد الكعبة للمجيء بالمفتاح من عثمان بن طلحة، فأبى دفعه اليه قائلاً: لوعلمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه منه فلوى علي ﷺ يده وأخذ المفتاح منه قهراً وفتح الباب وكان بنو طلحة يزعمون انه لا يفتح الباب أحدٌ غيرهم[٥].

(١) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ٣١٢، مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٦.

(٢) تاريخ ابن الوردي ١ / ١٢٤، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٦، اعلام الورى، الطبرسي ١ / ٢٢٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٣ / ١٤٣.

(٤) البداية والنهاية ٤ / ٣٥٠.

(٥) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

ومن معجزاته ﷺ ايضاً كان يرىٰ في الظلمة كما يرىٰ في الضوء[١] وكان يرىٰ خلف ظهره كما يرى أمامه[٢].

ثمّ دخل النبي ﷺ البيت فصلّى فيه ركعتين ثمّ خرج فأخذ بعضادتي الباب، فقال: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده؛ فله الحمد وله الملك لا شريك له؛ ثمّ قال ﷺ: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟

قال سهيل: نظنّ خيراً ونقول خيراً، أخٌ كريم وابن عمّ كريم وقد ظفرت.

قال النبي ﷺ: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم؛ ثمّ قال النبي ﷺ: ألا كلّ دم ومال ومأثرة في الجاهلية فإنّه موضوع تحت قدمي هاتين إلّا سدانة الكعبة وسقاية الحاجّ فإنّهما مردودتان إلى أهليهما، ألا وإنّ مكّة محرّمة بحرمة الله لم تحلّ لاحد من قبلي ولا تحلّ لأحد من بعدي وإنّما حلّت لي ساعة ثمّ أُغلقت، فهي محرّمة إلى يوم القيامة لا يُختلى خلاها ولا يُعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحلّ لُقطتها إلّا لمنشد، ألا إنّ في القتل شبه العمد الدية مغلّظة والولد للفراش وللعاهر الحجر، ثمّ قال: ألا لبئس جيران كنتم فاذهبوا فأنتم الطلقاء. لأنّه ﷺ فتح مكة عنوة[٣].

ودخل النبي ﷺ مكّة بغير إحرام وهي المرة الوحيدة التي دخل بها مكة دون احرام وقال ﷺ: إنّ الله تعالىٰ قد أحلها لرسوله ولم يحلها لاحدٍ من بعدي ولا يحلل من غنائمها شيء وأمر بلالاً أن يصعد على الكعبة فأذّن فعظم ذلك على قريش؛ وقال

---

(١) الوفا باحوال المصطفىٰ ٣٤٨، الكامل، ابن عدي ٤ / ٥٣٤، تاريخ الإسلام ٤ / ٢٧٢، فيض القدير، المناوي ٥ / ٢١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٦ / ٧٥.

(٢) الوفا باحوال المصطفىٰ ٣٤٩، سنن البخاري ١ / ١٨٤، سنن النسائي ٢ / ٩٢، حلية الاولياء ٦ / ٣٠٩، مسند أحمد ٣ / ١٠٣.

(٣) عيون الأثر ١٨٩/٢، تاريخ الطبري ٢٣٧/٢، سيرة ابن هشام ٣١/٤، دلائل النبوة البيهقي ٧٠/٥ - ٨٠، طبقات ابن سعد ١٣٠/٢ - ١٤٠، من لا يحضره الفقيه ٢٤٠/٢ - ٢٤٦، وسائل الشيعة ٦٩/٩، سيرة ابن دحلان ٦٦/٢.

عكرمة بن أبي جهل وخالد بن أسيد: إنّ ابن رباح ينهق على الكعبة، وتكلّم قوم معهما.

فأرسل إليهما رسول الله، فقالوا: قد قلنا، فنستغفر الله.

فقال: ما أدري ما أقول لكم ولكن تحضر الصلاة فمن صلّى فسبيله ذلك وإلاّ قدّمته فضربت عنقه.

وأمر بكلّ ما في الكعبة من صور فمحيت وغسلت بالماء. ودعا بعثمان بن طلحة فقال: رأيت في الكعبة قرني الكبش فخمّرهما فإنّه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء، فصيّروهما في بعض الجُدُر[1].

وروى بعضهم أنّ رسول الله قسّم ما كان في الكعبة من المال بين المسلمين. وقال آخرون: أقرّه في مكانه وهو الصحيح فقهيّاً.

تحطيم الأصنام

وكانت الأصنام ود لكلب وسواع لهذيل ويغوث لغطفان ونسر لذي الكلاع واللات لثقيف واساف ونائلة وهبل لاهل مكة.

وكان رسول الله ﷺ يحطم الأصنام بعصا في يده ومنها إساف ونائلة، وهما رجل وامرأة قد زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالىٰ حجرين. فاتخذتهما قريش يعبدونهما. وكانوا يذبحون عندهما، ويحلقون رؤوسهم إذا نسكوا، فخرج من أحدهما امرأة شمطاء سوداء تخمش وجهها عريانة ناشرة الشعر تدعو بالويل.

فقال رسول الله ﷺ: تلك نائلة يئست أن تعبد في بلادكم أبداً[2].

ونادى منادي رسول الله: من كان في بيته صنم فليكسره، فكسروا الأصنام.

واعظم الأصنام التي حطمها النبي هو هبل الذي كان بجانب مقام إبراهيم ﷺ

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٨٢.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٤١.

والأصنام ثلاثمائة وستون بعدد أيام السنة كلها مثبتة بالرصاص والحديد.

وصعد علي عليه السلام على كتف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكسر أصنام الكعبة[1] لانه لا يمكن لاحد حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم: لو ان ربيعة ومضر جهدوا علىٰ ان يحملوا منّي بضعة وانا حي ما قدروا[2].

ولما صعد علي عليه السلام فوق الكعبة رمىٰ بصنم خزاعة الذي كان من صفر فكسره فجعل أهل مكّة يتعجبون[3] لثقله.

وقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما القىٰ علي عليه السلام بنفسه من فوق الكعبة إلىٰ الأرض دون اصابة: كيف يصيبك ألم وقد رفعك محمد وانزلك جبرئيل[4].

وقال الديار بكري ان احد الشعراء اشار إلىٰ قصة صعود علي عليه السلام علىٰ كتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحطيم الأصنام وللصعود فوق ظهرها:

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يخمد ناراً مؤصدة
قلت لا أقدم في مدح امرىء	ضل ذو اللب إلىٰ أن عبده
والنبي المصطفىٰ قال لنا	ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده	فاحس القلب أن قد برده
وعلي واضع أقدامه	في محل وضع الله يده[5].

وارسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد إلىٰ نخلة وفيها العُزّىٰ فلما نظرت اليه السدنة وهم حجابها أمعنوا في الجبل وهم يقولون: يا عُزّىٰ خبّليه يا عُزّى عوّريه وإلّا فموتي برغم.

---

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٨٧ تاريخ الخميس ٢ / ٨٦ المستدرك، الحاكم، ٣ / ٦.

(٢) الصراط المستقيم ١ / ١٧٩.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٨٦.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧، كشف اليقين، الحلي ٤٤٩.

(٥) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

فأتاهما خالد فإذا امرأة عُريانة ناشرة شعرها تحثوا التراب على رأسها فعممها بالسيف حتىٰ قتلها[١].

وأرسل النبي ﷺ سعد بن زيد الاشهلي إلىٰ مناة في عشرين فارساً، فخرجت امرأة سوداء عُريانة ثائرة الرأس تدعو بالويل.

فقال لها السادن: مناة دونك بعض غضباتك وسعد يضربها فقتلها[٢]وأقبل إلىٰ الصنم فهدمه..

وأراد فضالة بن عمير الليثي قتل رسول الله ﷺ داخل الكعبة، فأخبره النبي ﷺ بقصده وضحك منه[٣].

ولما قيل لرسول الله ﷺ في مكة: ألا ترجع إلىٰ دارك؟ قال ﷺ: وهل ترك عقيل لنا داراً[٤].

هل بايع الرجال والنساء النبي ﷺ في فتح مكة؟

لقد اهتمّ رسول الله ﷺ إهتماماً أكيداً بالبيعة فمع الأنصار أجرى بيعتين: بيعة العقبة الأُولى وبيعة العقبة الثانية، وفي الحديبية أجرى بيعة الرضوان للمهاجرين والانصار وغيرهم وبعد فتح مكّة عقد البيعة العامّة مع المسلمين من المهاجرين والأنصار والطلقاء وغفار وأسد وتميم ومزينة وقيس[٥].

إذ جلس رسول الله ﷺ، للبيعة على الصفا، واجتمع الناس لبيعة رسول

(١) مغازي الذهبي ٥٥٥.

(٢) مغازي الذهبي ٥٦٣، مغازي الواقدي ٢ / ٨٧٠، طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٦، تاريخ الطبري ٣ / ٦٦، عيون التواريخ ١ / ٣٢١، عيون الأثر ٢ / ١٨٥. قال الكلبي: إنّ مناة أقدم الأصنام كلها وكانت على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقديد بين المدينة ومكة، كتاب الأصنام ١٣.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٨٧.

(٤) علل الشرائع، الصدوق ١ / ١٥٥.

(٥) البداية والنهاية ٤ / ٣٥٤.

الله ﷺ على الإسلام، فكان يبايعهم على الايمان بالله والشهادة والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا، فكانت هذه بيعة الرجال.

ثمّ عقد رسول الله ﷺ بيعة النساء في مكّة، للدلالة على أهميّة المرأة في الإسلام وسمو مكانتها الإجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ، وهذه بادرة جديدة وخطيرة لم تعرفها شعوب العالم في ذلك الوقت.

فإنّه لمّا فرغ من الرجال بايع النساء، فأتاه منهنّ نساء من قريش، منهنّ أُمّ هانىء بنت أبي طالب، وأمّ حبيب بنت العاص بن أُميّة، وكانت عند عمرو بن عبد ودّ العامري، وأروى بنت أبي العيص عمّة عتّاب بن أسيد، وأُختها عاتكة بنت أبي العيص، وكانت عند المطلّب بن أبي وداعة السهمي، وأُمّه بنت عفّان بن أبي العاص أُخت عثمان، وكانت عند سعد حليف بني مخزوم، وهند بنت عتبة، وكانت عند أبي سفيان، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبدالعزّى، وأُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام، وكانت عند عكرمة بن أبي جهل، وفاختة بنت الوليد بن المغيرة أُخت خالد، وكانت عند صفوان بن أُميّة بن خلف، وريطة بنت الحجّاج، وكانت عند عمرو بن العاص وغيرهنّ.وكانت هند متنكّرة لصنيعها بحمزة وأكلها من كبده! فهي تخاف أن تؤخذ به.

وقال النبي ﷺ لهنّ: تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً. قالت هند: إنّك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال فسنؤتيكه.

قال النبي ﷺ: ولا تسرقن. قالت: والله إن كنت لأُصبت من مال أبي سفيان الهنة والهنة. فقال أبو سفيان، وكان حاضراً: أمّا ما مضى فأنتِ منه في حلّ.

فقال رسول الله ﷺ: أهند؟

قالت: أنا هند فاعف عمّا سلف عفا الله عنك.فعفا النبي ﷺ عنها .

قال النبي ﷺ: ولا تزنين[١].

قالت: وهل تزني الحرّة؟ فضحك عمر.

وقال النبي ﷺ: ولا تقتلن أولادكن.

قالت: ربّيناهم صغاراً وقتلتهم يوم بدر كباراً فأنتَ وهم أعلم.

قال النبي ﷺ: ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن.

قالت: والله إنّ إتيان البهتان لقبيح ولبعض التجاوز أمثل.

قال: ولا تعصينني في معروف. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك.

وكان رسول الله ﷺ، لا يمسّ النساء ولا يصافح امرأة ولا تمسّه امرأة إلّا امرأة أحلّها الله له أو ذات محرم منه[٢].

وجاء في قوله تعالىٰ **﴿ولا يعصينك في معروف﴾**[٣].

ان أُم حكيم بنت الحارث بن عبد المطلب، قالت لرسول الله ما هذا المعروف الذي أمرنا الله به أن لا نعصيك فيه؟ فقال: ألّا تخمشن وجهاً، ولا تلطمن خداً، ولا تنتفن شعراً، ولا تمزقن جيباً، ولا تسودن ثوباً، ولا تدعون بالويل والثبور، ولا تقعدن مع الرجال في الخلاء[٤].

وبعد بيعة الرجال والنساء لرسول الله ﷺ في مكّة أصبح المسلمون جميعاً قد بايعوا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة وتطبيق أحكام الإسلام والجهاد في سبيل الله تعالى، والدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ.

وفي كيفية البيعة جاء بان النبي ﷺ ادخل يده في ماء ثم رفعه اليهن فأدخلن

---

(١) وكانت معروفة بالزنا في مكة.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٨٦٠ ـ ٨٧٤، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٥٢.

(٣) الممتحنة ١٢.

(٤) البحار ٧٩ / ٧٧، مستدرك الوسائل ٢ / ٤٤٩ دعائم الإسلام ٢ / ٢٤٣٣.

أيديهن فيه والاصح انه مسح بيده علىٰ ثوب ثم مسحن أيديهن علىٰ ذلك الثوب.

ومن الأمور الاجتماعية الاخلاقية للنبي ﷺ ان رجلاً أخذ ته الرعدة أثناء كلامه معه فقال النبي ﷺ: هوّن فانما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[1].

وزوّج النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب من المقداد بن عمرو ليتواضع النكاح وليتأسوا برسول الله[2].

وجاءته في مكة امرأة من بني سعد بن بكر بنحي مملوء سمناً وجراب أقط[3] فدخلت عليه وهو في الأبطح، فانتسبت له فعرفها رسول الله ﷺ ودعاها إلىٰ الإسلام فأسلمت وصدّقت.

ثم أمر رسول الله ﷺ بقبول هديتها، وجعل يسائلها عن حليمة فأخبرته انها توفّيت في الزمان فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم سألها من بقي منهم؟

فقالت: أخواك وأختاك وهم والله محتاجون إلىٰ برّك وصلتك ولقد كان لهم موئل[4].

فأمر لها رسول الله ﷺ بكسوة واعطاها جملاً ظعينة وأعطاها مائتي درهم[5].

مسيرة قريش قبل وبعد فتح مكة

كانت قبائل قريش في زمن النبي ﷺ هي:

بنو هاشم بن عبد مناف، بنو أمية بن عبد شمس، وبنو نوفل بن عبدمناف، بنو عبدالدار ابن قصي، بنو مخزوم بن يقظة بن مرة، بنو زهرة بن كلاب، بنو أسد بن عبدالعزى، بنو الحارث بن فهر بن مالك، بنو عامر بن لؤي، بنو سهم بن عمر، وبنو

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٦٩.والقديد هو اللحم المجفف في الشمس.

(٢) دعائم الإسلام ٢ / ١٩٩.

(٣) النحي: الزق الذي يجعل فيه السمن خاصة والأقط لبن مجفف.

(٤) موئل اى منهل.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٨٦٩.

جمح بن عمرو، بنو أنمار ابن بغيض، بنو تيم بن مرّة بن كعب، بنو عدي بن كعب.

لقد وقفت قريش في اغلبها ضد رسول الله ﷺ محاربة ومؤذية له ولاهل بيته وللأنصار. لذا دعا رسول الله ﷺ على قريش ولم يدعو لهم حتى قال أبو سفيان: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهزا يعني الوبر والدم، فأنزل الله عزّ وجلّ:

﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾[1]

وجاء: لما دعا ﷺ على قريش حين استعصت ان يسلط الله عليها سبعاً كسبع يوسف فأصابتهم سنة حصدت كل شيء، حتى أكلوا العظام والكلاب والعلهز[2].

وقد اجتمع اشراف قبائل قريش في مكة في دار الندوة وهي دار الحكومة في يوم السبت ويسمونه يوم مكر وخديعة قبل الهجرة للبحث في طرق الخلاص من الإسلام وهم:

من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب. ومن بني نوفل بن عبد مناف: طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحارث بن عامر بن نوفل ومن بني عبدالدار بن قصي: النضر بن الحارث بن كلدة.

ومن بني أسد بن عبدالعزى: أبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، وحكيم بن حزام.

ومن بني مخزوم: أبو جهل ابن هشام.

ومن بني سهم: نبيه ومنبه ابنا الحجاج.

ومن بني جمح: أمية بن خلف.

فقال بعضهم لبعض: إنّ هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم، فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا، فاجمعوا فيه رأياً. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: إحبسوه في الحديد وغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به[3].

---

(١) المؤمنون ٧٦ المستدرك الحاكم ٢/٣٩٤ وقال هذا الحديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٦/١٠١، والعلهز دم يابس يدق مع اوبار الابل في المجاعات.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٣١.

ثم قرروا بينهم اغتيال رسول الله ﷺ فلم يفلحوا وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

وكان حكيم بن حزام من أمة الكفر وقد احبته قريش لامور عديدة فعلها في الجاهلية والاسلام:

فهو الذي شارك في دار الندوة لقتل رسول الله ﷺ[١].

وهو من المحاربين لله ورسوله في مكة طيلة مدة بقاء النبي ﷺ في مكة.

وكان من المنفقين على جيش الكفار في معركة بدر[٢].

واستمر في محاربته للاسلام علناً وسراً، ولما فتحت مكة اعلن اسلامه واخفى عدوانه، وفرَّ في معركة حنين بالمسلمين ثم طالب رسولَ الله ﷺ بالغنائم.

وكانت قبيلته (بني أسد بن عبدالعزى) من قبائل قريش الحاقدة على الاسلام. ثم دخلت في الإسلام و برز منهم حبيب بن مظاهر الاسدي ومسلم بن عوسجة. من المناصرين للامام الحسين عليه السلام.

وفي زمن عثمان بن عفان كان حكيم من خاصته المقربين فحصل على اموال طائلة من بيت مال المسلمين.

ولما ثار المسلمون وقتلوا عثمان، كان حكيم بن حزام من بين خمسة اشخاص شاركوا في دفنه في مقبرة اليهود ؛ حش كوكب[٣].

ولأجل هذه السيرة فقد اعتز الأمويون بحكيم بن حزام حياً وميتاً وافاضوا عليه المال والمديح والمناقب حتى بلغ بهم الأمر للقول بانه ولد في الكعبة الشريفة حسداً منهم لولادة علي بن أبي طالب عليه السلام فيها[٤] وقد قال الإمام علي بن أبي

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٣١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٨٨.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٤) راجع موضوع الوليد الوحيد للكعبة في هذا الكتاب.

طالب عليه السلام: والله ما تنقم منا قريش إلّا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

ونحن وهبناك العلا ولم تكن عليا وحُطنا حولك الجرد والسمرا[1]

وكذلك، انقسم بنو إسرائيل إلى قسمين:

قسم عبدوا العجل فقتل بعضهم بعضاً وهم ستمائة الف، والقسم الثاني اثني عشر الفاً لم يعبدوا الله تعالى ثم توسلوا بمحمد وآل محمد[2].فانقذهم الله تعالى.

وفتح مكّة يبين منهج رسول الله صلى الله عليه وآله في فتح البلدان ونشر الإسلام دون ظلم ولا عدوان.

وقتل علي بن أبي طالب عليه السلام الحارث بن طلالة احد مؤذي الرسول، وقتل الحويرث بن نقيذ الذي نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله مع هبار بن الأسود فسقطت عن دابتها وألقت جنينها[3] وقتل علي عليه السلام هبار بن الأسود ايضاً[4].

هل غدر خالد ببني جذيمة؟

قال النبي صلى الله عليه وآله في فتح مكة: ألا كل دم ومال و مأثرة في الجاهلية فإنه موضوع تحت قدمي هاتين[5].

وبعث رسول الله، وهو بمكّة، خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن عامر، وهم بالغُميصاء، وقد كانوا في الجاهلية أصابوا من بني المغيرة الفاكة عم خالد وقتلوا عوفاً أبا عبدالرحمن ابن عوف، فخرج عبدالرحمن بن عوف مع خالد بن الوليد

(١) نهج البلاغة ١/٨٢.

(٢) مستدرك الوسائل، المحقق النوري ٥/٢٣٥، تفسير الإمام العسكري ٢٥٥.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٩٣.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٧٠.

(٥) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٣٩ تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٧ـ ٣٤٣.

ورجال من بني سليم وقد كانوا قتلوا ربيعة بن مكدّم في الجاهلية، فخرج جذل الطّعان فقتل من بني سليم بدم ربيعة مالك ابن الشريد.

وكان بنو جذيمة قد اسلموا وبنو المساجد في ساحاتهم.فبلغهم أنّ خالداً قد جاء ومعه بنو سليم.

فقال لهم خالد: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنّا لا نأخذ السلاح على الله ولا على رسوله ونحن مسلمون، فانظر ما بعثك رسول الله له فإن كان بعثك مصدّقاً فهذه إبلنا وغنمنا فاعدُ عليها.

فقال خالد : ضعوا السلاح[١].

لقد أسلم خالد طمعاً في الغنائم والجاه والسلطة فبقي غادراً للمسلمين يهدر دماءهم، وينقض عهودهم ويطأ نساءهم المحصنات![٢].

وقد عرف بنو جذيمة خالداً مشهوراً بالغدر إذ قال جحدم لقومه:إنّه خالد والله ما بعد وضع السلاح الاّ الأسر وما بعد الأسر الاّ ضرب الاعناق![٣].

قالوا: إنّا نخاف أن تأخذنا بإحنة الجاهلية. فانصرف عنهم وأذّن القوم وصلّوا، فلمّا كان في السحر شنّ عليهم الخيل فقتل المقاتلة وسبى الذريّة!

وقال عبدالرحمن بن عوف امام الرسول والمسلمين: والله لقد قتل خالد القوم مسلمين.

فقال خالد: إنّما قتلتهم بأبيك عوف بن عبد عوف. (اي اعترف بقتلهم كفراً!)

فقال له عبدالرحمن: ما قتلت بأبي ولكنّك قتلت بعمّك الفاكه بن المغيرة[٤].

فبلغ رسول الله ذلك فقال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد!

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٩٨.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي ٢/٤١٣، سنن البخاري ٤/١٧١، وفيّات الأعيان ٦/١٤.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٩٨.

(٤) راجع تاريخ الطبري ٢/٣٢٧ ـ ٣٤٣، تاريخ اليعقوبي ٢/٥٨ ـ ٦١، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٣٩ ـ ٢٥٤، مغازي الواقدي ٣/٨٨٢، مغازي الذهبي ٥٦٨، سنن البخاري، باب المغازي ٥/١٠٧، مسند أحمد ٢/١٥١.

وبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب ؑ بمال فأدّى إليهم ما أخذ منهم حتّى العقال وميلغة الكلب، وودّى القتلى وبقيت معه منه بقيّة، فدفعها علي ؑ إليهم على أن يحلّلوا رسول الله ممّا علم وممّا لم يعلم.

فقال رسول الله: لعلي ؑ: فداك أبواي. لما فعلت أحبّ إليّ من حمر النعم.

وقتل خالد سبعين قرشيّاً في فتح مكة دون رضىٰ رسول الله ﷺ[1] والظاهر بأنهم من المسلمين.

وقتل خالد امرأة من هوازن بعد معركة حنين بعد انتهاء الحرب رغم الامر النبوى بالامتناع عن قتل النساء .

وشارك خالد في الهجوم على بيت فاطمة وقتلها [2].

وكان خالد من المعادين لأمير المؤمنين علي ؑ فقد حاول اغتياله في أيام حكومة أبي بكر .

وشارك خالد في اغتيال سعد بن عبادة [3].

وغدر خالد بن الوليد بالمسلمين مرّة أُخرى في زمن أبي بكر إذ قتل مالك بن نويرة وقبيلته في الصلاة وزنىٰ بزوجته[4]. فدعا عمر إلى قتله. وهذا ما يشكّك في حقيقة نوايا خالد. في دخوله الإسلام!

وكانت العداوة بين خالد وعمر علىٰ اشد ما تكون في الجاهلية والإسلام فعزله عمر في اليوم الأول لسلطته وقتله بواسطة رجل المهمات الخاصة في حكومته اليهودي السابق محمد ابن مَسلمة[5].

---

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٨٤.

(٢) شرح النهج ٤٨/٦،البداية والنهاية ٤٩٦/٤،تثبيت الامامة ايحيى بن الحسين ١٧، المسترشد ٤٥٦.

(٣) راجع كتاب تبصرة العوام .

(٤) حياة الصحابة ٢ / ٤١٣، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٢١.

(٥) راجع نظريات الخليفتين، المؤلف ٢ / ٢٧٤ - ٢٨٠.

لقد استمر طغاة قريش في منهجية الغدر فبعد فتح مكّة جلس أبو سفيان يحدّث نفسه بالغدر قائلاً: لو جمعت لمحمد جمعاً؟

فضرب رسول الله ﷺ بين كتفيه وقال: إذاً يخزيك الله[١]

الدلائل والعبر

من الناحية الفقهية والاخلاقية لما دخل رسول الله ﷺ وجيشه مكّة خرجت بنات سعيد بن العاص فنشرن شعورهن يضربن بخمرهن وجوه خيل المسلمين [٢].

وكان من عادة نساء الجاهلية نشر الشعور لعدم التزامهن بالحجاب، فوقع بعض الشعراء المسلمين في الخطأ يوم وصفوا نساء الحسين الشهيد ؑ في كربلاء قائلين: خرجن من الخدور ناشرات الشعور، علىٰ الخدود لاطمات[٣].

إذ أخذ بعض المسلمين جزءاً من الأعراف الجاهلية، وسرق رجال الحزب القرشي بعض المسائل الفقهية الإسلامية لتحسين صورة قريش الجاهلية؛ مثل التزام الجاهليين بالغسل من الجنابة وقطع يد السارق!

وفي الناحية الامنية لقد قرأنا اموراً مدهشة في السيرة المختصة بفتح مكّة إذ طلب رسول الله ﷺ من الله تعالىٰ ان يعمي علىٰ قريش الاخبار ليدخل مكة دون اراقة دماء. فحصل ذلك إذ اخبره تعالىٰ بخيانة حاطب بن بلتعة وقصده أخبار قريش بالغزوة فأبطل عز وجل مؤامرته.فبيّن تعالىٰ وجود جواسيس لقريش في صفوف المسلمين .

وعن موضوع التجسس لم يكن التجسس وليد يومنا هذا ويبرز هذا الحال في عدم رغبة قريش بقتل بعض المهاجرين رغم تمكنهم منهم في الحروب.

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ٣٤٨.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٢٧.

(٣) بحار الانوار ٩٨ / ٣٢٢.

ويتضح هذا الأمر ايضاً في التحالف الحاصل بعد فتح مكّة واثر مقتل رسول الله ﷺ بين بعض الماجرين وطلقاء مكّة إذ وصل إلىٰ سدّة الحكم قادة الحزب القرشي في بدر واحد والخندق مثل معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل.

ويتبين هذا الموضوع اكثر في ابعاد بني هاشم والانصار والمهاجرين الآخرين عن سدّة الحكم بعد مقتل رسول الله ﷺ فلم يصل ابطال المسلمين في بدر واحد والخندق وخيبر إلىٰ السلطة.

فيتضح المقال بتغيير قريش وجواسيسها خطة عملهم في مواجهة الإسلام من الحرب إلىٰ السلام معه علىٰ أمل استلام السلطة.

فدخلوا في الدين ورضوا بترك عبادة الأصنام وبدأوا في التخطيط لاستلام السلطة بعد رسول الله ﷺ؛ اي انهم رضوا بسياسة الأمر الواقع في سقوط عبادة الأوثان وشيوع عبادة الرحمن. ونجحوا في استلام مقاليد الحكم بعد النبي ﷺ.

ومن الدلائل والعبر الأهتمام النبوي بالبيعة الشعبية المتمثلة في حكومة الشعب، اذ دعاﷺ المسلمين جميعاً بعد فتح مكة إلىٰ البيعة رجالاً ونساءً.

ففي باب الحقوق يكون رسول الله ﷺ أول من دعا إلىٰ البيعة في تاريخ البشرية معطياً للمرأة دوراً مهماً في هذا المجال.ورغم مرور ألف واربعمائة سنة علىٰ تلك البيعة الجماهيرية نجد امتناع الكثير من الحكومات من اعطاء ذلك الحق لمواطنيها.

ان حق التصويت النسائي الذي شرعه رسول الله ﷺ للمرأة كان أمراً عجباً في ذلك الزمن الغابر المنكر لابسط الحقوق النسائية.

فكانت معظم النساء في ذلك الوقت بين خادمة وجارية تخدم الاولىٰ في بيوتها وتدفع بعض الجوارى للزنا فنزل القرآن الكريم بتحريم الاعمال المخزية.

﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن اردن تحصنا﴾[1].

وفي عالم الاخلاق وجد القرشيون الطلقاء رحمة رائعة من رسول الله ﷺ فقد عفىٰ عنهم وقرَّ اعينهم ومنع المهاجرين من الأنتقام منهم واعطاهم حقوقاً متساوية مع الفاتحين وبلغ به الأمر ان عفىٰ عن الذين أمر بقتلهم! بعد اسلامهم.

فلم يرد ﷺ الطلبات الداعية للعفو عنهم الصادرة منهم ومن ارحامهم ونسائهم.

فلقد كان النبي ﷺ عطوفاً ورؤوفاً اكثر مما نتصور واكثر مما تخيله الكافرون.

ووصف الله تعالىٰ محمداً قائلاً: ﴿وإنك لعلىٰ خلق عظيم﴾[2].

وفي جانب التربية والقضاء يطيب لي ان احرر أمراً آخر فعله رسول الله ﷺ الآ وهو أمره بقتل الاشرار والفسّاق الذين لا فائدة ترجىٰ في حياتهم ولا أمل ينظر في بقائهم وهم أبو سفيان وحكيم بن حزام وعكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن أبي ربيعة وصفوان بن أميّة وهند بنت عتبة ووحشي وآخرون ذكرناهم.

وهذا من دلائل النبوة إذ عاش ومات هؤلاء علىٰ الظلم والغدر والخيانة.

وفي باب التربية والاخلاق ايضا كان المسلمون الآ القليل منهم يحترمون رسول الله ﷺ ولا ينطقون بحضرته الفاظاً بذيئة مهتمين بذلك إذ قال أبو سفيان في حضرة النبي والعباس وعمر كيف أصنع باللات والعزىٰ؟

فقال عمر: آخرأ عليهما.

فقال أبو سفيان: ويحك يا عمر إنك رجل فاحش[3].

وكان الكثير من عرب الجاهلية ينزهون انفسهم عن الكلمات والتعابير

---

(١) النور ٢٤.

(٢) القلم ٤.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

والأفعال الرديئة. والعرب تعيب العبث بالميت والتثيل به ايضاً إذ قال الحليس بن علقمة لما رأىٰ أبو سفيان يجأ برمحه شدق حمزة: يا معشر بني كنانة انظروا إلىٰ من يزعم أنه سيد قريش ما يصنع بابن عمه الذي صار لحماً!(١).

ولما رأىٰ أبو سفيان صلاة المسلمين الجماعية واحترامهم لرسول الله ﷺ قال:ما رأيت كاليوم طاعة قوم قبلهم ههنا لافارس الاكارم ولا الروم ذات القرون(٢).

وفي موضوع الدعاء صلىٰ النبي ﷺ الظهر باصحابه بعد فتح مكة عند الحجر الأسود فلما سلم رفع يديه وكبر ثلاثاً وقال: لا إله إلّا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده واعز جنده وغلب الأحزاب وحده فله الملك وله الحمد يحيي ويميت ويميت ويحيي وهو علىٰ كل شيء قدير.

ثم أقبل علىٰ أصحابه فقال ﷺ: لا تدعوا هذاالتكبير وهذا القول في دبر كل صلاة مكتوبة فان من فعل ذلك بعد التسليم، وقال القول كان قد أدىٰ مايجب عليه من شكر الله تعالىٰ ذكره(٣).

وفي عالم التربية والغزو سار في أمر يتمثل في محاولة خاتم الأنبياء توجيه الناس في هدفه المطلوب فأمر بالجهاد وساق طلقاء مكة إلىٰ حرب حنين، فأصبح جيشه اثني عشر ألف محارب بعدما كان عشرة آلاف مقاتل.

وتعامل رسول الله مع اهالى مكة باخلاق عالية فتعجب المكيون من رقته في المعاملة وهو سلطان الحجاز وخاتم الرسل .

فشعر القرشيون سريعاً بانهم من المسلمين كيف لا وهم يجدون انفسهم في صفوف الجيش الأسلامي مقابل كفار هوازن وكفار الطائف وحقوقهم وحقوق المسلمين السابقين متساوية.

---

(١) اعلام الورىٰ، الطبرسي ١ / ١٨١ مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب ١ / ١٦٧.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٨.

(٣) علل الشرائع ٢ / ٣٦٠، وسائل الشيعة، الحر العاملي ٤ / ١٠٣١.

في حين أمر يزيد بن معاوية بإباحة المدينة المنوّرة لافراد جيشه بعد حوالي خمسين سنة من ذلك التاريخ ففعلوا فيها كل ما يدخل في عالم الخزي! والفسق والفجور!

فسيد الرسل أراد بناء الانسان وتحكيم الأخلاق وتشييد الدول ونشر المحبّة، وباقي العتاة في تاريخنا الغابر والحاضر يريدون أسر الانسان ونشر الرذيلة وطمس الأمن. فالطغاة اعدىٰ عدوهم الشعب وأسلم وسائلهم الاستبداد ولو استخدم النبي ﷺ وسائل أخرىٰ معهم لنفر هؤلاء عن الإسلام في أول فرصة ممكنة، ولكنهم مكثوا عليه.

ولما رحل رسول الله ﷺ إلىٰ حنين عيّن عتاب بن اسيد الأموي والياً علىٰ مكّة[1].

وحصل علي عليه السلام علىٰ مناقب كثيرة في فتح مكّة فقد صعد علىٰ كتف رسول الله ﷺ وكسر الصنم الأعظم وقذف به من علىٰ ظهر الكعبة، وكان اللواء الاكبر للمسلمين بيده[2].

---

(١) الوفا باحوال المصطفىٰ ﷺ ٧٢٠، سيرة ابن حاتم ١ / ٣٣٥ - ٣٤٢، تاريخ خليفة ٤٠، المنتظم ٣ / ٣٢٤، البدء والتاريخ ٢ / ٩٧، عيون الأثر ٢ / ١٨١، تاريخ الطبري ٢ / ٣٢٣، الأرشاد، المفيد ١ / ١٣٠، السيرة الحلبية ٣/٧٠، تاريخ ابن الأثر ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٥، تاريخ الخميس ٢ / ٧٧ - ٩٧، طبقات ابن سعد ٢ / ١٣٤ - ١٤٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ٤٥ - ٩٠، جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٤٩، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣، التنبيه والاشراف، ٢٣٠، سنن البخاري ٦ / ٢٦٠ - ٢٦٧، الروض الأنف ٧ / ١٠٨ - ١٢٦، تفسير الزمخشري ٤ / ٨١٠ تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٢٤ - ٣٣٩، تفسير الطبرسي، ٥ / ٥٠٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٣٤.

الفصل الثالث

معركة حنين

دلت سورة النصر التي نزلت في فتح مكة على أنه ﷺ نعيت اليه نفسه[1] وقرب زمن موته بعد ان خذل الله تعالى قريشاً وبني بكر بن وائل ونصر المسلمين وحلفاءهم بني كعب (خزاعة).

وبعد مطالعتك أخي القاريء لموضوع معركة حنين ستجد جبهة معارضة واسعة لرسول الله ﷺ مكوّنة من هوازن وثقيف وقريش وقبائل الأعراب الملتحقة بجيش النبي ﷺ مثل أسلم وتميم والمنافقين المنتمين للمهاجرين والأنصار، فهل حدث الاتفاق في مكة عبر جاسوس هوازن المقتول بيد عمر أم كان صدفة؟ وهل كان هذا التنظيم العددي والمكاني صدفة؟ الجواب في هذا الموضوع.

بعد فتح مكة في ٢٠ رمضان بلغ رسول الله ﷺ أنَّ هوازن وثقيفاً قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً ورئيسهم مالك بن عوف النضري وهو ابن ثلاثين سنة فخرج الرسول ﷺ من مكة في السادس منه. والمعركة حدثت في العاشر من شوال في السنة الثامنة للهجرة[2].

وقد اختلفت المعادلات في معركة حنين عن المعارك السابقة بزيادة عدد المحاربين المسلمين على الكفار زيادة ملحوظة، ورغم هذا فرّوا من أرض المعركة.

وكان كثير من جنود المسلمين ما زالوا حديثي العهد بالاسلام فطلبوا من

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٢٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٤٩، مغازي الواقدي ٢ / ٨٨٩.

النبيﷺ في اثناء مسيره الى حنين ان يجعل لهم شجرة ذات أنواط مثلها عند الكفار يذبحون عندها ويعكفون عليها[١].

فوصف الله تعالىٰ حالهم بقوله:﴿**إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة**﴾[٢].

وحنين وادي بين مكّة والطائف، كانت فيه الوقعة والمسلمون اثنا عشر ألفاً وهو الصحيح الذين حضروا فتح مكّة فيهم ألفان من الطلقاء وقالوا: عددهم ثمانية آلاف برواية مجاهد وقال عطاء عن ابن عباس ستة عشر ألفاً[٣].

وتسكن هوازن في الجنوب الشرقي لمكة وحنين من اودية تهامة وهو اسم موضع في طريق الطائف إلىٰ جنب ذي المجاز قال الواقدي بينه وبين مكة ثلاث ليال وقيل بضعة عشر ميلاً وكان سوقاً في الجاهلية.

وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلىٰ هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر[٤].

وقال زعيم هوازن: ما لا قىٰ محمداً قوم يحسنون القتال فأجمعوا أمركم وسيروا إليه[٥].

وشاركت في الحرب ثقيف كلها وغابت عن هوازن كعب وكلاب وشهدها نصر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال وهوازن وثقيف عتاة مردة.

وهوازن وثقيف أربعة الآف، فيمن ضامهم من امداد سائر العرب، فكان الجم الغفير، واعتقد بانهم اكثر من اربعة آلاف مقاتل. وقالوا: عشرون الفاً وقالوا: ثلاثون ألفاً[٦].

---

(١) سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٦البداية والنهاية ٤ / ٣٧٢.

(٢) الأعراف ١٣٨.

(٣) تفسير القرطبي ٨ / ٩٨، تفسير الفخر الرازي ٦ / ١٨.سيرة ابن هشام ٤/٨٣.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، معجم البلدان ٢ / ٣٥٩.

(٥) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦.

(٦) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦، ٩٩.

وقد كانت اعداد قريش وقبائل الاعراب الموجودة في صفوف المسلمين اكثر من خمسة آلاف محارب ولو عد المحققون هذه القوات المنافقة مع الكافرين لاصبح المسلمون في سبعة آلاف مقاتل واصبح الكافرون في احد عشر الف محارب.

وقبل اللقاء قال أبو بكر: لن نُغلَب اليوم من قِلّة. فساءت رسول الله ﷺ[١] فعانهم أبو بكر بعجبه بهم[٢]. ولما قال أبو بكر ذلك القول قال تعالىٰ تعليقاً علىٰ قوله: ﴿ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم﴾[٣].

لقد قال أبو بكر جملة ساءت النبي ﷺ فأبدل بعض الرواة اسم أبي‌بكر برجل، وهكذا فعلوا في كل الحوادث التي أساء فيها أبو بكر وعمر وعثمان للنبي ﷺ.

وحاول الزمخشري انقاذ أبي بكر من قول المنكر بإلقاء ذلك علىٰ رسول الله ﷺ!

وحاول محاولة أخرىٰ تتمثّل بحذف اسم أبي بكر ووضع كلمة رجل![٤] ولكن الواقدي ذكر في مغازيه بأنّ القائل هو أبو بكر[٥].

وقال الفخر الرازي في تفسيره: قال رجل من المسلمين: لن نُغلب اليوم من قلّة، فهذه الكلمة ساءت رسول الله ﷺ وهي المراد من قوله: ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾.

وقيل قالها رسول الله ﷺ، وقيل قالها أبو بكر، وإسناد هذه الكلمة إلىٰ رسول الله ﷺ بعيد، لأنه كان في أكثر الأحوال متوكلاً على الله، منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها[٦].

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ٢ / ٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٨،، الأرشاد ٢ / ١٤٠، مغازي الذهبي ٥٧٤ البداية والنهاية ٤ / ٣٦٩، جمل من أنساب الاشراف وعلىٰ قول عروة والزهري وموسى بن عقبة يكون عدد جيش المسلمين اربعة عشر الفاً لانه ﷺ قدم باثني عشر الفاً، البداية والنهاية ٤ / ٣٧١، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.

(٢) الأرشاد ٢ / ١٤٠، وعانهم يعني حسدهم.

(٣) التوبة ٢٥.

(٤) تفسير الكشاف للزمخشرى ٢/٢٥٩.

(٥) المغازي، الواقدي ٢/٨٩٠، البداية والنهاية: ٣٦٩/٤.

(٦) تفسير الفخر الرازي ١٩/٦.

وجاء في سيرة الحافظ الدمياطي أنّ أبا بكر قال: لن نغلب اليوم من قلة[١].

لقد نظر أبو بكر إلى الحالة المادية على أرض المعركة في كثرتهم وكونهم أضعاف أعداد المشركين.

وساء النبي ﷺ قول أبي بكر لأنّه ﷺ طلب من المسلمين أن ينظروا إلى الحالة الغيبية للأمور، والمتمثلة بالنصر الإلهي، لا الحالة المادية في كثرة أعداد المسلمين.

لقد قال تعالى **﴿وما تشاؤون الا أن يشاء الله﴾** فجعل عزّ وجل المشيئة بيده يفرضها حيث أراد في خلقه وأرضه وسماواته، فيدعها فوق السنن الحياتية متى أراد سبحانه. لذا يقول المسلم حيث كان ومتى قصد عملاً إن شاء الله تعالى.

وفي معركة هوازن أعلن أبو بكر بأنّ الغلبة للمسلمين لكثرتهم على الكافرين فغضب رسول الله ﷺ من هذا المنطق المادي وأنكر الله تعالى هذا المنحى عملاً فانهزم المسلمون وانتصر الكافرون وكان أبو بكر رأس الفارين.

ذكر ابن إسحاق: ولما سمع بهم (هوازن) رسولُ الله ﷺ بعث إليهم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي من هوازن، وأمره أن يدخل في الناس، فيقيم حتى يأتيه منهم ويعلم من علمهم، فانطلق ابن أبي حدرد فدخل فيهم، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ، وعلم أمر مالك، وأمر هوازن، وما هم عليه، ثم أتى رسول الله فأخبره الخبر ولقد بقي ابن أبي حدرد يومين في جيش هوازن ووصل خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه: إنّ محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة، وإنّما كان يلقى قوماً أغماراً لاعلم لهم بالحرب فيظهر عليهم، فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم وآكسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أنّ الغلبة لمن حمل أوّلاً[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ٣/١١٠، سيرة الحافظ الدمياطي.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩، المواهب اللدنية، الزرقاني، موضوع معركة حنين.

واضاف ابن أبي حدرد قائلا : يا رسول الله ﷺ إنّي انطلقت بين أيديكم حتىٰ طلعتُ جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن علىٰ بكرة أبيها، بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلىٰ حنين.

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غداً إنْ شاء الله[1]. وهذا من دلائل نبوّته.

فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأخبره خبر ابن أبي حدرد، فقال عمرُ: كذب.

فقال ابن أبي حدرد: إنْ تكذّبني فطالما كذّبتَ بالحقّ يا عمر. وكذّبت من هو خير منّي[2] فقال عمر: يا رسول الله ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد؟

فقال رسول الله ﷺ: قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر[3].

لقد وقفت طويلاً عند هذه الرواية لقول ابن أبي حدرد لعمر: طالما كذّبت بالحقّ يا عمر، وقوله قد كذّبت من هو خير منّي أي رسول الله ﷺ، ولم يعترض رسول الله ﷺ علىٰ قوله بل ايده فوجدت أنّه لولا المعلومات الخطيرة التي قالها ابن أبي حدرد ولو لا اعتناء رسول الله ﷺ بها لخسر المسلمون المعركة في وقت السحر.

والدهشة تصيب القارىء احيانا من تقديم عبد الله بن أبي حدرد روحه في سبيل الحصول علىٰ خطط الأعداء وبرامجهم وتأييد النبي ﷺ لأقواله التي ذكرها في هوازن وفي عمر!.

لقد أشار دريد بن الصمة علىٰ مالك بن عوف النضري بوضع كمين يهجم علىٰ

---

(١) مغازي الذهبي ٥٧٥ وهذه من دلائل نبوته.

(٢) أي النبي ﷺ.

(٣) وذكر ذلك في شرح الزرقاني على المواهب من رواية الواقدي، تاريخ الطبري ٢/٣٤٦، مستدرك الحاكم ٣/ ٥١ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، مغازي الذهبي ٥٧٢، البداية والنهاية ٤ / ٣٧١، سيرة ابن هشام ٨٢/٤ طبعة الحلبي - مصر.

جيش النبي ﷺ من الخلف، واجتمعت هوازن وثقيف وبنو سعد بن بكر مع مالك.

وقال دريد: إجعل كميناً يكون لك عوناً، إنْ حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم، وكررت أنت عليهم بمن معك، وإن كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد.[١]

والحكمة من مجيء هوازن بدريد بن الصمة الأعمىٰ البصر هي تجربته في الحروب فقد كان عمره مائة وأربعين سنة، فوضعوه في شجار وهو مركب من أعواد يهيأ للنساء. وأيّد دريد الحرب في واد أوطاس واصفاً إيّاه لا حزن ضرس ولا سهل دهس وخطّأ نظرية مالك بن عوف في المجيء بالنساء والماشية لعدم فائدتها في الحرب بل تكون لقمة سائغة للعدو فوصفه بأنه راعي ضأن ماله وللحرب![٢] وكانت الحرب في يوم قائظ شديد الحر ثم مطرت الدنيا[٣].

وقال البراء بن عازب: وكانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا علىٰ الغنائم فاستقبلونا بالسهام فأخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي أحد علىٰ أحد[٤]. وقد ورد أنّهم انهزموا مرتين مرّة في بداية الحرب ومرّة عند انكباب المسلمين علىٰ الغنائم[٥].

تجسس هوازن

لقد ارسلت هذيل (هوازن) جاسوسا الى مكة لا يعرفه الا زعماء قريش وجواسيسها من المهاجرين يقال له ابن الأكوع في أيّام فتح مكّة ليكون عيناً علىٰ

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٣٢.

(٣) المنتظم ٣ / ٣٣٢، طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٩.

(٥) سيرة الحلبي ٣ / ١٠٨.

النبي ﷺ حتىٰ علم علمه، فجاء إلىٰ هذيل بالخبر من مكة ثم أسر هذا الجاسوس يوم حنين فخاف الجواسيس والقرشيون من افتضاح امرهم فارادوا قتله رغم المنع النبوي عن قتل الاسرى ، فمرّ به عمر بن الخطاب، فلما رآه أقبل علىٰ رجل من الأنصار وقال له : عدوّ الله الذي كان عيناً علينا ها هو أسير فاقتله فضرب الأنصاري عنقه.

وبلغ ذلك النبي ﷺ فكَرِهَهُ وقال: ألم آمركم ألّا تقتلوا أسيراً» وقُتِل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير، فبعث النبي ﷺ إلىٰ الأنصار وهو مُغْضَب فقال:

ما حملكم علىٰ قتله وقد قال الرسولُ لا تقتلوا أسيراً؟

فقالوا: إنّما قتلنا بقول عمر.

فأعرض رسول الله ﷺ عنه بعد أنْ كلّمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك[1].

والسؤال هو كيف عرف عمر بن الخطاب جاسوس هوازن بين صفوف الأسرىٰ قبل وصول رسول الله ﷺ إليهم وقتله له رغم الأمر النبوي بعدم قتل الاسرى؟

والجواب الذي لا يرقىٰ إليه الشك أنّه تعرّف عليه في مكّة؟! وعليه فقد خاف عمر افتضاح قضية الاتفاق الحاصل بين هوازن وثقيف وقريش وبعض المهاجرين والأنصار في افتعال الهزيمة وقتل رسول الله ﷺ في أرض المعركة فقتل جاسوس هوازن. تخلّصاً من هذا المأزق . وقتل الجواسيس لبعضهم البعض أمر عادي.

وقد اعترف شيبة بن عثمان من بني عبد الدار بخطته في اغتيال النبي ﷺ بعد انهزام جيشه عنه في حنين فمنعه الله تعالىٰ من ذلك[2].وهذا جزء من المؤامرة المذكورة .

ومن الطبيعي أن يكون زعماء المشروع وعلى رأسهم عمر بن الخطاب هم العارفون بشخص جاسوس هوازن، والأمر مقتصر علىٰ البعض هروب زعماء

(١) الارشاد، المفيد ٢/١٤٥.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦٣.

هوازن وثقيف إلىٰ حصن الطائف وغالباً ما يُقتَل أصحاب الأسرار في العالم فقد قَتَل معاوية بن أبي سفيان محمد بن مَسْلَمة المشارك في اغتيالات خطيرة علىٰ رأسها اغتيال سعد بن عبادة زعيم الأنصار[١].

مؤامرة الطلقاء والأعراب والجواسيس

لقد اتفق الطلقاء والاعراب والجواسيس وهوازن على قتل النبي ﷺ والمسلمين ويقال إنَّ الطلقاء قال بعضهم لبعض أخذلوه هذا وقته، فانهزموا، فهم أول من انهزم وتبعهم الناس.

وكان بعض الطلقاء قد فرحوا بهزيمة المسلمين ومعرفة خيانة هؤلاء تتبين من اقوالهم وافعالهم . فقال أبو سفيان:لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. والأزلام معه في كنانته[٢].

وقال أخو صفوان بن أميَّة قد بطل السحر، وقال عكرمة بن أبي جهل: لا يجبرونها ابداً.

وقال رجل من ثقيف في وصف عيينة بن حصن: ليس منا احد أشد علىٰ محمد منه وإن كان معه[٣] .وقال عيينة: والله ما جئت معكم أُقاتل ثقيفاً ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأُصيب جارية من ثقيف فأطأُها لعلها تلد لي رجلاً فإنّ ثقيفاً قوم مباركون.

فقال النبي ﷺ عنه هذا الاحمق المطاع[٤].

وقال شيبة الحجبي (حاجب البيت): قلت أسير مع قريش إلىٰ هوازن بحنين

(١) الأرشاد ٢ / ١٤٥.

(٢) مغازي الذهبي ٥٧٦، سيرة ابن هشام ١٢٤/٤، مغازي الواقدي ٨٩٨/٣، تاريخ الطبري ٨٤/٣، عيون الأثر ٢١٦/٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٢.

(٤) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٧.

فعسىٰ إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فأقتله فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلّها (وكان أبوه وعمه قتلا في أحد) فلما اختلط الناس ونزل النبيﷺ عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه ورفعت السيف حتىٰ كدت أوقع به الفعل فحال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد، فناداني النبيﷺ: يا شيبة أُدن منّي فدنوت منه فالتفت إليّ وتبسّم وعرف الذي أريد منه فسح صدري، ثم قال: اللهم أعذه من الشيطان، قال شيبة فوالله لهو الساعة أحب إليّ من سمعي وبصري ونفسي[1].

وقال الواقدي: خرج رجال من مكّة مع النبيﷺ ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم ولا يكرهون أنْ تكون الصدمة لمحمدﷺ[2].

وصدق ما قاله عبد الله بن أبي حدرد إذ قال استقبلت هوازن المسلمين بما لم ير مثله قط من السواد والكثرة في غبش الصبح وخرجت الكتائب المختفية في مضايق الوادي فحملوا حملة واحدة علىٰ المسلمين المستقرين في الوادي. فانكشفت خيل بني سليم مولية فتبعهم أهل مكة[3].

المنهزمون

وروى البخاري عن أبي قتادة الأنصاري، قائلاً: وانهزم المسلمون ـ يوم حنين ـ وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس (المنهزمين)، فقلت له: ما شأن الناس؟

قال عمر: أمر الله[4].

وروى الواقدي في مغازيه فرار المسلمين وفيهم عمر: «وكانت أُمُّ الحارث

(١) السيرة الحلبية ٣/١١١، البداية والنهاية ٤/٣٨١، مغازي الذهبي ٥٧٧، سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٩٤.

(٣) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٠.

(٤) صحيح البخاري ٣/٤٦، البداية والنهاية لابن كثير باب غزوة حنين ٤/٣٧٦، صحيح مسلم ٤/٣٢٩.

الأنصارية أخذت بخطام جمل أبي الحارث زوجها، وكان جمله يسمّىٰ المجسار.

فقالت: يا حارث أتترك رسول الله ﷺ فأخذت بخطام الجمل، والجمل يريد أن يلحق بأُلَّافه، والناس يُولّون منهزمين. وهي لا تفارقه.

وقالت أمُّ الحارث: فرَّ بي عمر بن الخطاب، فقلت: يا عمر ما هذا (الفرار)؟

فقال عمر: أمْر الله.

وجعلت أمُّ الحارث تقول: يا رسول الله مَنْ جاوز بعيري فاقتله، واللهِ إن رأيت كاليوم ما صنع هؤلاء القوم بنا! تعني بني سُلَيم وأهلَ مكَّة الذين انهزموا بالناس»[١].

وأجمل ما قرأت عن هزيمة الفارّين في معركة حنين ما ذكره أنس بن مالك: «إنَّ أُمَّ سُليم أُمّي ابنة ملحان جعلت تقول يا رسول الله، أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفرُّوا عنك وخذلوك! لا تَعْفُ عنهم إذا أمكنك اللهُ منهم، فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال النبي ﷺ: يا أُمَّ سُلَيم قد كفى اللهُ، عافية الله أوسع!

ومعها يومئذ جمل أبي طلحة، قد خشيت أن يغلبها، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام، وهي شادَّة وسطها ببُرْدٍ لها، ومعها خنْجَرٌ في يدها.

فقال لها أبو طلحة: ما هذا معكِ يا أُمّ سُلَيم؟

قالت: خَنْجَرٌ أخذته معي، إن دنا منّي أحدٌ من المشركين بَعَجْتُه به.

قال أبو طلحة: أما تسمع يا رسول الله ما تقول أُمُّ سُلَيم»[٢].

ومقابل صمود أمّ سليم انهزم أكابر الصحابة في يوم حنين بالرغم من كثرتهم، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وابن الجراح والمغيرة والأشعري ومعاذ بن جبل وأُسيد بن حضير وخالد بن الوليد وطلحة وسعد بن أبي وقاص.

---

(١) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

(٢) مغازي الواقدي ٢/٩٠٤.

وقد أيّد هذا الفرار البخاري ومسلم وابن كثير والبلاذري والواقدي والديار بكري واليعقوبي وآخرون، وقد بايع هؤلاء النبي ﷺ في الحديبية علىٰ أن لا يفرّوا!(١).

وجاء في تاريخ الخميس في رواية أنّه لم يبقَ معه إلاّ أربعة، ثلاثة من بني هاشم وهم علي ﷺ والعباس وأبو سفيان بن الحارث وكان قد أخذ بعنان بغلته والرابع عبد الله بن مسعود، وأضاف إلىٰ ذلك أنّ علياً والعباس كانا يحفظانه من قبل وجهه، وعبد الله بن مسعود يحفظه من جانبه الأيسر، وكان كل من يقبل علىٰ رسول الله يُقتَل(٢).

لقد حدث الهجوم علىٰ المسلمين في الصباح الباكر. وأوّل من انهزم بنو سليم وتبعهم أهل مكّة ثم الناس(٣).

وقال عروة بن الزبير عن أهل مكّة قائلاً: خرج أهل مكّة لم يغادر منهم أحد، ركباناً ومشاة حتىٰ خرج النساء مشاة ينظرون ويرجون الغنائم، ولا يكرهون الصدمة برسول الله ﷺ وأصحابه وهم علىٰ غير دين!(٤).

واعترف معاوية بن أبي سفيان بفرار أبيه قائلاً:لقيت أبي منهزماً مع بني أبيه من أهل مكّة فصحت به: يا ابن حرب والله ما صبرت مع ابن عمّك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك(٥).

وممّا يضحك أنّ أبا سفيان جعل يجمع في حوزته كل ترس أو سيف يسقط من الصحابة(٦) مما يبين عدم اعتنائه بالإسلام وشدة اهتمامه بالدنيا وبخله الشديد.

---

(١) جمل من أنساب الأشراف ١ / ٤٦٤.

(٢) تاريخ الخميس، للشيخ حسين الديار بكري ٢ ،١٠٢، السيرة الحلبية، الشافعي ١٠٩/٣.

(٣) مغازي الذهبي ٥٧٤.

(٤) مغازي الذهبي ٥٧٧، مغازي عروة، مغازي الواقدي ٣ / ٨٩٩.

(٥) الأرشاد ٢ / ١٤٤.

(٦) مغازي الذهبي ٥٧٧.

وقال الذهبي: اعتزل أبو سفيان وابنه معاوية وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وراء تلٍّ ينظرون لمن تكون الدَّبْرة افبينا هم علىٰ ذلك حمل المشركون عليهم حملة رجل واحد فَوَلّوا مدبرين وحزر حارثة بن النعمان من بقي مع النبي ﷺ بمئة رجل[1].

ووصلت الهزيمة إلىٰ مكّة وسر بذلك قوم وأظهروا الشماتة فقال قائل منهم: ترجع العرب إلىٰ دين آبائها وقد قُتِل محمد وتفرّق أصحابه[2].

وقال اليعقوبي: انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتّىٰ بقي في عشرة من بني هاشم وقيل تسعة وهم علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب، والفضل بن العباس، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وقيل أيمن بن أمّ ايمن[3].

فقال جابر بن عبد الله الانصارى : لم نبايع رسول الله ﷺ على الموت، إنّما بايعناه علىٰ أن لا نفر[4].

وقال يزيد ابن أبي عبيد: قلت لسلمة بن الأكوع: علىٰ أي شيء بايعتم النبي ﷺ يوم الحُدَيبيّة؟

قال: على الموت ولكن الناس انهزموا![5].

وقد انهزم عثمان في معركة بدر وانهزم أبو بكر وعمر وعثمان في معارك أحد والخندق وخيبر وحنين، وعصوا النبي ﷺ في حملة أسامة ولم يذهبوا فيها أبداً. ولم يقتلوا كافراً ولا يهودياً قط. وتمكّن خالد وضرار من قتل عمر في معركتي أحد والخندق فلم يقتلاه!.

---

(١) مغازي عروة، مغازي الذهبي ٥٧٨ البداية والنهاية ٤ / ٣٧٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٣٠.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٣، طبعة ليدن.

(٤) سنن النسائي ٣/٨٧١ حديث ٣٨٧٧.

(٥) سنن النسائي ٣/٨٧٢ حديث ٣٨٧٨.

وبعد موت النبي ﷺ لم يشاركوا في أي حرب لا بصفة قائد ولا بصفة جندي، بينما كان النبي ﷺ وعلي عليه السلام قد حضرا في جبهات القتال وعمرهما يناهز الستين سنة.

إذ شارك النبي ﷺ في فتح مكّة وفي حرب حنين في السنة الثامنة من الهجرة، فيكون عمره الشريف ستين سنة، وفي هذه السن شارك علي عليه السلام في معركة صفين.

النصر الإلهي في حنين

لقد لقن الله سبحانه المسلمين درساً في الحرب يتمثل في رجوع الأمر إلىٰ النصر الإلهي أوّلاً وإلىٰ قوانين السنن الحياتية ثانياً.

ولما ثبت ذلك ودعا رسول الله ﷺ بالنصر اللهم إني أنشدك ما وعدتني اللهم لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا[1] فقال الله تعالىٰ:

﴿لَقَد نَصَرَكُمُ اللهُ في مواطنَ كَثِيرَة وَيَومَ حُنَينٍ إذ أعجَبَتكُم كَثرتُكُم فَلَم تُغنِ عَنكُم شَيئاً وضاقَت عَلَيكُمُ الأرضُ بما رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيتُم مُدبِرِينَ، ثُمَّ أنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ علىٰ رَسُولِهِ وَعلى المؤمِنِينَ وأنزَلَ جُنُوداً لم تَرَوها وَعذَّبَ الذينَ كَفَرُوا وذلِكَ جَزاءُ الكافِرِين﴾[2].

وحاربت الملائكة الكافرين إذ قال المشركون: أتانا رجال بيض علىٰ خيلٍ بُلقٍ فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترىٰ[3].

دور النبي ﷺ في المعركة

و دور علي عليه السلام فيها؟

ونادىٰ النبي ﷺ مخاطبا المسلمين: أين ما عاهدتم الله عليه؟

---

(١) مغازي الذهبي ٥٧٨.

(٢) التوبة: ٢٥ـ٢٦.

(٣) مغازي الواقدي ٣ / ٨٩٢، تاريخ الطبري ٣ / ٨٢، سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٢، مغازي الذهبي ٥٧٤.

أنـــا النـــبي لا كَـــذِب أنا ابنُ عـبد المـطّلب[1].

وأخذ النبي ﷺ يناديهم: أنا ابن العواتك والفـواطـم، أنـا ابـن عـبدالمـطلب، فقال ﷺ: ناولني كفاً من تراب فناولته ثم استقبل بهـا وجـوههم قـائلا: شـاهت الوجوه، وفي رواية قال: حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما، فما خلف الله منهم إنساناً إلّا ملأت عينيه وفمه، وقال: انهزّموا ورب محمد، فولوا مدبرين[2].

فكان تراب رسول الله أمضىٰ من سلاح اثني عشر ألف مـقاتل سـاروا مـعه، وأمضىٰ من عصا موسىٰ! ﷺ. وقال الرسول كان عـليا ﷺ لي كـالعصا السـحرية لموسى ﷺ[3].

وأخذت عائشة ذلك من رسول الله ﷺ فقذفت تراباً في وجوه جيش علي ﷺ في معركة الجمل قائلة شاهت الوجوه، فكـانت النـتيجة فـرار جـيشها وانـتصار اعدائها!.

ونلاحظ أمراً عظيماً آخر ألا وهو ارجاع النبي ﷺ والمسـلمين سـبايا تـلك القوات المعادية إليها إكراماً لأُخته من الرضاعة وتشجيعاً منه لإسلامهم، فالهدف الإسلام ليس السبايا.

والذي يستفاد من معركة حنين أنّ الانتصار بالجهاد والدعم الإلهي لا بالزيادة البشرية وكثرة العدة الحربية ومصداق ذلك الانتصار الإسلامي في بدر وخيبر.

والفائدة الأُخرىٰ اهتمام رسول الله ﷺ بدخول الناس في الإسـلام لا قـبض الغنائم، فعفا النبي ﷺ عن قائد هـوازن مـالك وارسـله لقيادة عـملية حـصار الطائف!.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٨٢ – ٨٤، سيرة ابن هشام ٤ / ١٢٢، الأرشاد ٢ / ١٤٢.

(٢) السيرة الحلبية ٣/١١٠، مغازي الذهبي ٥٨١، سنن مسلم، كتاب الجهاد ٧٦ / ١٧٧٥، تاريخ البخاري ١٩/٤.

(٣) الفهرست لابن النديم ١٤٤.

أمّا دور الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام في معركة حنين فكان في ثباته مع رسول الله صلى الله عليه وآله حين فرَّ عنه المسلمون واقدامه على قتل حامل لواء المشركين وبطلهم في حنين أبي جرول.

وكان أبو جرول بطل هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبَّ عليهم، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين فاتّبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنا أبو جَرول لا بَراح حتىٰ نُبيح القومَ أو نُباحَ

فصمد له أمير المؤمنين علي عليه السلام فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطّره ثم قال:

قد علم القومُ لدىٰ الصباح أنّي في الهيجاء ذو نِصاح

وقتل علي عليه السلام أربعين رجلاً من القوم فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول بطل الكافرين [١].

قال اليعقوبي: ولمّا انتصرت هوازن صاح العباس بأمر الرسول صلى الله عليه وآله: يا أهل بيعة الرضوان، يا أصحاب سورة البقرة. ومضى علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة[٢].

وتبيّن معركة حنين أنّ النصر من قبل الله تعالى وليس بكثرة المسلمين على أعدائهم ففي تلك المعركة كان المسلمون كثيرين فلم تنفعهم كثرتهم ولا عدّتهم ففشلوا وهزموا.

ولما بقيت القلّة القليلة من المؤمنين بقيادة رسول الله صلى الله عليه وآله تحت لواء علي بن أبي طالب عليه السلام جاء نصر الله تعالى فسقطت راية الكافرين وتفرّقت فلولهم وانهزمت جموعهم.

---

(١) الأرشاد ٢ / ١٤٢ سيرة أبي حاتم ١ / ٣٤٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٢، مغازي الواقدي ٢ / ٩٠٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٣.

الغنائم والسبايا

وكانت الغنائم أربعة وعشرين ألف بعير والغنم أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف أوقية فضّة وستة آلاف امرأة وطفل[١].

وأعطىٰ رسول الله ﷺ كل واحدٍ من المهاجرين والأنصار أربعة من الأبل[٢] وأربعين شاة. ومن كان فارساً أخذ سهمه وسهم فرسه، ثم أخذ رسـول الله ﷺ وبرة من سنام بعيره ثم قال: أيّها الناس إنّي والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الاّ الخمس والخمس مردود عليكم[٣].

وقالوا: أعطىٰ أبا سفيان مائة من الأبل وأربعين أوقية فضّة فـقال ابـني يـزيد فأعطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل قال ابني مـعاوية قـال ﷺ: أعـطوه أربعين أوقية فضة ومائة من الإبل وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل ثم سأله مائة أخرىٰ فأعطاه إيّاها وأعطىٰ صفوان بن أميّة مائة من الإبل وأعطىٰ سهيل بن عمرو مائة من الإبل وأعطىٰ حويطب بن عبد العزّىٰ مائة من الإبل وقد أعـطىٰ الرسول ﷺ هؤلاء المؤلفة قلوبهم من الخمس[٤].

ووقف ذو الخويصرة في الجعرانة وقال للرسول ﷺ: إعدل فإنّك لم تعدل[٥].

فقال الرسول ﷺ: ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون وقال ﷺ: سيخرج من ضئضيء هذا الرجل قوم يخرجون من الدين كما يخـرج السهـم مـن الرمية لايجاوز إيمانهم تراقيهم فخرج منه حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤، ١٠٨، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢.

(٢) الأرشاد ٢ / ١٤٨.

(٣) سيرة أبي‌حاتم ١ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٨، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٣.

(٥) المنتظم ٣ / ٣٣٩.

(٦) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١٠.

وجاءت الشيماء بنت حليمة أُخت رسول الله ﷺ من الرضاعة اليه فحباها وأكرمها وبسط لها رداءه.

وكلّمته في السبايا وقالت: إنّما هنّ خالاتك وأخواتك.

فقال ﷺ: ما كان لي ولبني هاشم فقد وهبته لكِ، فوهب المسلمون ما كان في أيديهم من السبايا كما فعل إلّا رئيس بني تميم الأقرع بن حابس ورئيس فزارة عيينة بن حصن، وقوم آخرون فأعطاهم النبي ﷺ إبلاً عوضاً عن السبايا.

وكلّمته في مالك بن عوف النضري رئيس جيش هوازن فرضي ﷺ عنه فجاء وأسلم في حصار الطائف فابقاه لحصار الطائف و بقيت غنائمهم الكثيرة للمسلمين[١].

ولاحتياج هؤلاء إلىٰ الملابس فقد اعطاهم النبي ﷺ قبطية قبطية[٢] وردّ عثمان بن عفان زينب بنت حيان التي أصابها من السبي وفي زمن حكمه جاءته مع زوجها وكان ساقطاً فقال لها عثمان: ويحكِ هذا كان أحب اليك منّي؟

قالت: نعم زوجي وابن عمي[٣].

موقف الانصار من توزيع الغنائم

وقال البخاري والطبري وابن سيد الناس وابن الوردي وأبو الفداء إنّه ﷺ لم يعطِ الأنصار شيئاً[٤]. وقال المفيد أعطاهم شيئاً يسيراً.

وقيل لرسول الله ﷺ: أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٣، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦١، الطبقات ٢ / ١٥٤، ١٥٥، جمل من انساب الاشراف ١/٤٦٨.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٢٣.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٩٥.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٢٢٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٦١، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٢٥، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٨، سنن البخاري ٥ / ٢٧٨.

وتركت جعيل بن سراقة الضمري؟

فقال رسول الله ﷺ: أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ولكنّي تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة لإسلامه[١].

وكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم ليثبت إسلامهم ويدفع شرهم.

وغَضِبَ قومٌ من الأنصار لطريقة توزيع الغنائم، وبلغ رسول الله ﷺ عنهم مقالٌ سَخِطَه، فنادى فيهم فاجتمعوا ثم قال لهم: «إجلسوا، ولا يَقْعد معكم أحدٌ من غيركم» فلما قَعدوا جاء النبي ﷺ يتبعه أمير المؤمنين ﷺ حتّى جلس وسطهم، فقال لهم: «إني سائلُكم عن أمرٍ فأجيبوني عنه» فقالوا: قل يا رسول الله، فقال: «ألستم كُنتم ضالّين فهداكم الله بي؟»

قالوا: بلىٰ، فللّه المنّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا علىٰ شفا حُفرة من النار، فأنقذكم الله بي؟» قالوا: بلىٰ، فللّه المنّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا قليلاً فكثّركم الله بي؟» قالوا: بلىٰ، فللّه المنّةُ ولرسوله. قال: «ألم تكونوا أعداءً فألفَّ الله بين قلوبكم بي؟» قالوا: بلىٰ، فلله المنّة ولرسوله.

ثم سكت النبي ﷺ هُنَيْهَةً ثمّ قال: «ألا تُجيبوني بما عندكم؟»

قالوا: بمَ نُجيبك فِداك آباؤنا وأمّهاتنا، قد أجبناك بأنّ لك الفضلَ والمَنّ والطَولَ علينا. قال النبي ﷺ: «أم لو شئتُم لقلتُم: وأنت قد جِئتنا طريداً فآويناك، وجئتنا خائفاً فآمنّاك، وجئتنا مُكذَّباً فصدّقناك».

فارتفعَتْ أصواتهم بالبُكاء وقام شيوخُهم وساداتهم إليه فقبّلوا يديه ورجليه، ثُمَّ قالوا: رَضينا بالله وبرسوله، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئتَ فاقسمها علىٰ قومك، ولكنّهم ظَنّوا سُخطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله.

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٢٥٩.

فقال النبي ﷺ: «اللهمّ إغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، يامعشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع غيركم بالشاة والنعم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله؟»

قالوا له: رضينا.

فقال النبي ﷺ: «الأنصار كرشي وعيبتي»[١]، لو سلَكَ الناس وادياً وسلَكت الأنصار شِعباً، لسلكت شِعبَ الأنصار، اللهم إغفر للأنصار».

وقد كان رسول الله ﷺ أعطىٰ العباس بن مرداس السلمي أربعاً من الإبل يومئذٍ فسخِطها وهو رئيس قومه، وأنشأ يقول:

(أتجعلُ نهبي) ونهبَ العُبيـ ـدِ[٢] بين عُيَينة والأقرع
فما كان حِصْنٌ ولا حابِسٌ يفوقان شَيخي في المَجْمَعِ
وما كنتُ دونَ أمرىءٍ منهما ومَن تضعِ اليوم لا يُرفَعِ

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين ﷺ: «قُم - يا عليّ - إليه فاقطع لسانه».

فقال العباس بن مِرداس: فوالله لَهذه الكلِمة كانت أشدَّ عليَّ من يوم خَثعَم، حين أتونا في ديارنا. فأخذ بيدي عليٌّ بن أبي طالب فانطلق بي، ولو أرىٰ أحداً يُخلّصني منه لدعوته، فقلت: يا عليُّ، إنّك لقاطعٌ لساني؟

قال علي ﷺ: «إنّي لَممضٍ فيك ما أُمرتُ».

قال: ثمَّ مَضى بي، فقلت: يا عليُّ إنّك لقاطعٌ لساني؟

قال علي ﷺ: «إنّي لممضٍ فيك ما أُمرتُ»، قال: فما زال بي حتّىٰ أدخلني الحظائر، فقال لي: «أعتدّ ما بين أربع إلىٰ مائة من الابل»

قلتُ بأبي أنتم وأُمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم!.

فقال علي ﷺ: «إنّ رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجَعَلك مع المهاجرين، فإنّ

---

(١) في الحديث: «الانصار كرشي وعيبتي» أراد أنهم بطانته وموضع سرّه وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره. النهاية ٤: ١٦٣».

(٢) العُبيد: كزبير، فرس. «القاموس المحيط - عبد - ١: ٣١١».

شئتَ فخُذها، وإن شئتَ فخذ المائة وكُن مع أهل المائة».

قلتُ: أشر عليّ. قال علي ﷺ: «فإني آمرُكَ أن تأخُذَ ما أعطاك وترضىٰ».

قلتُ: فإنّي أفعل[1].

ذكروا لما قال النبي ﷺ :اقطعوا عنّي لسانه» قام عمر بن الخطاب فأهوىٰ إلىٰ شفرة كانت في وسطه ليسلّها فيقطع بها لسانه، فقال النبي ﷺ لأمير المؤمنين: «قم أنت فاقطع لسانه»[2].

الصراع بين قريش وهوازن

ذكرنا في بداية الكتاب موضوع الصراع بين حـزب لعـقة الدم وبـين هـوازن والحروب بينهما تسمّىٰ بحروب الفجار.ولم يكن بنو هاشم من حزب لعقة الدم.

ورغم هذا الصراع الدامي تمنىٰ طلقاء مكّة انتصار هوازن علىٰ رسول الله ﷺ! وتحالفت القيادة القرشية مع قيادة هوازن في حرب حنين ممّا يكفي لبيان مدىٰ الحقد القرشي علىٰ الإسلام.

ولو انتصرت قبيلة هوازن وغيرهم من قيس فهذا في غير صالح قريش سياسياً واجتماعياً، ولكن قريشاً تفرح بنجاح جبهة الكفر المنتمية إليها عقائديّاً.

وثانياً أنّ قريشاً كانت ستعلن للملأ العام وقوفها في الحرب في صفوف هوازن فتكون نتائج الحرب في صالحها.

ولمّا فَضّ الله تعالىٰ جمع المشركين بحُنين، تفرّقوا إلىٰ ثلاثة أقسام[3] فرقة مـنهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس[4].

(١) الارشاد ١/١٤٦ ـ ١٤٧، المغازي، الواقدي ٣/٩٤٥.

(٢) الارشاد ١/١٤٦ ـ ١٤٧، المغازي، الواقدي ٣/٩٤٥.

(٣) أوطاس: وادٍ في ديار هوازن كانت فيه وقعة حُنين. «معجم البلدان ١: ٢٨١.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

فبَعثَ النبيُّ ﷺ أبا عامر الأشعري إلىٰ أوطاس في جماعة ووجه ابا سفيان إلى الطائف.

أما أبو سفيان فإنّه لَقِيَتْهُ ثقيفُ فضربوه علىٰ وجهِهِ، فانهزم ورَجَعَ إلىٰ النبي ﷺ فقال: بَعَثتَني مع قومٍ لا يُرقَعُ بهم الدلاء من هُذيل والأعراب، فما أغنوا عنّي شيئاً، فسكتَ النبي ﷺ عنهُ.

ثم وجه النبي ﷺ علياً عليه السلام إلىٰ خيل من خثعم: فبَرَزَ له رجل من القوم يُقال له شِهاب، في غَبَش الصبح، فقال: هل من مبارز؟

فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام: «من له؟» فلم يَقُم أحد، فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام فوثب أبو العاص بن الربيع زوجُ ربيبة رسول الله ﷺ فقال: تُكفاهُ أيها الأمير.

فقال عليه السلام: «لا، ولكن إنْ قتِلْتُ فأنت علىٰ الناس» فبرز إليه أميرُ المؤمنين عليه السلام وهو يقولُ:

«إنَّ علىٰ كلِّ رئيسٍ حقّاً ... أنْ يرْوِيَ الصَعْدَةَ أو تُدَقّا»

ثمّ ضربهُ فقتلهُ، ومَضىٰ في تلك الخيل حتىٰ كَسَر الأصنام.

وعاد عليٌّ إلىٰ رسول الله ﷺ وهو مُحاصر لأهل الطائف فلمّا رآهُ النبي ﷺ كَبَّر للفتح، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً[1].

فروىٰ عبدُ الرحمن بن سَيابة والأجْلَح - جميعاً - عن أبي الزُبير، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنّ رسول الله ﷺ لما خلا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الطائف، أتاه عُمر بن الخطّاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلوبه دوننا؟

فقال ﷺ: «ياعمر، ما أنا انتجيتُه، بل الله انتجاه»[2].

فأعرَض عُمر وهو يقول: هذا كما قلتَ لنا قبل الحديبية: **﴿لتدخلُنّ المسجد**

---

(١) الأرشاد ٢ / ١٤٨ - ١٥١، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣.

(٢) روي باختلاف يسير في سنن الترمذي ٥: ٣٠٢، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤، أُسد الغابة ٤: ٢٧، كفاية الطالب: ٣٢٧.

الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِين)[١] فلم ندْخُلهُ وصُدِدْنا عنه.

فناداه النبي ﷺ: «لم أقُل إنّكم تدخلونه في ذلك العام!»[٢].

الشهداء والقتلى

واستشهد من المسلمين يوم حنين أيمن بن عبيد ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب وسراقة بن الحارث بن عدي من الأنصار وأبو عامر الاشعري[٣].

وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين وفي الانهزام أكثر من ثلاثمائة وأسر منهم خلق كثير[٤].

وقيل قُتِل من هوازن في معركة حنين خلق عظيم، وسبي منها سبايا كثيرة، بلغت عدّتهم ألف فارس، وبلغت الغنائم إثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب.

وقُتِل دريد بن الصمة فأعظم الناس ذلك.

فقال ﷺ: إلى النار وبئس المصير، إمام من أئمّة الكفر، إن لم يكن يعين بيده فإنّه يعين برأيه[٥].

ويعني قوله تعالى: ﴿**وعذّب الذين كفروا**﴾ القتل والأسر وسلب الأموال والأولاد وذهاب الجاه.

وصارت السبايا والأموال في أيدي المسلمين وبلغت هزيمة المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف . ومرّ النبي ﷺ بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس

---

(١) الفتح ٢٧.

(٢) أعلام الورى: ١٢٤، وانظر قطع منه في سنن الترمذي ٥: ٦٣٩ / ٣٧٢٦. جامع الاصول ٨: ٦٥٨ / ٦٥٠٠٥، تاريخ بغداد ٧: ٤٠٢، مناقب المغازلي: ١٢٤ / ١٦٣، كفاية الطالب: ٣٢٧، أسد الغابة ٤: ٢٧، مصباح الانوار ٨٨، كنز العمال ١١: ٦٢٥ / ٣٣٠٩٨ عن الترمذي والطبراني.

(٣) الروض الأنف ٧ / ١٨٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٤) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤.

(٥) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٤، ١٠٨، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢.

مزدحمون عليها فأرسل ﷺ إلىٰ خالد أنّ النبي ينهاك أن تقتل وليداً أو عسيفاً[١].

حصار الطائف

والطائف بلد كثير الأعناب والنخيل جنوب شرقي مكّة علىٰ قمّة جبل غـزوان وارتفاعه ١٦٣٠ متراً.واهالي الطائف من المحاربين القدماء للاسلام ومن المشاركين في حرب الاحزاب .ولم يشترك عروة بن مسعود في حرب الطائف إذ كان في جرش يتعلم صنعة العرادة والمنجنيق والدبابة[٢].

ولمّا قدم المنهزمون من ثقيف ومَنِ انضمّ إليهم من غيرهم إلى الطائف، وهم فلول معركة حنين أغلقوا عليهم مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون إليـه لسـنة كاملة وقائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل.

فسار إليهم النبي ﷺ ، فلمّا كان ببحرة الرغاء قبل وصوله إلى الطائف أمر فيها بقتل رجل من بني ليث قصاصاً، كان قد قتل رجلاً من هُذيل، وهو أوّل دم أُقيد به في الإسلام[٣].

وفي خلاصة السير أنّهُ ﷺ كان في غزوة الطائف فبينما هو يسير ليلاً بوادٍ قرب الطائف إذ غشىٰ سدرة في سواد الليل وهو في سنة النوم فانفرجت السدرة له نصفين فمرّ بين نصفها وبقيت منفرجة علىٰ حالتها[٤].

وحاصر النبي ﷺ الطائف نيفاً وعشرين يـوماً[٥]. واخـرجت ثـقيف امـرأة ساحرة فاستقبلت الجيش الإسلامي بـعورتها[٦]. وكـان الكـفار يـعتمدون عـلى

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ٣٨٦.

(٢) المنتظم ٣ / ٣٤٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

(٤) تاريخ الخميـس ٢ / ١١٢.

(٥) المنتظم ٣ / ٣٣٦، ٣٤١، البداية والنهاية ٤ / ٤٠٢، تاريخ أبي الفداء ٢ / ٢٠٩.

(٦) مغازي الواقدي ٢ / ٩٢١.

الساحرات لرد كيد اعدائهم .

وأشار النبي ﷺ بنصب منجنيق عليهم، وقاتلهم قتالاً شديداً، حتّى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف دخل نفر من المسلمين تحت دبّابة عملوها، ثمّ زحفوا بها إلى جدار الطائف، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المُحماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم مَن بالطائف بالنبل فقتلوا رجالاً منهم[1].

ثم خرج من حِصن الطائف نافع بن غيلان بن مُعتب في خَيلٍ من ثقيف، فلقيهُ أمير المؤمنين عليه السلام بِبَطنَ وَجٍّ فقتله، وانهزم المشركون ولَحِق القوم الرعبُ فتوجّه منهم جماعة إلىٰ النبي ﷺ فأسلَموا[2].

ونزل إلى رسول الله بضعة عشر رجلاً من رقيق أهل الطائف فأعتقهم، منهم أبو بكرة بقيع بن الحارث بن كلدة، (وإنّما قيل له أبو بكرة ببكرة نزل فيها)، وغيره.

فلمّا أسلم أهل الطائف تكلّمت سادات أُولئك العبيد في أن يردّهم رسول الله ﷺ، إلى الرقّ.

فقال النبي ﷺ: لا أفعل، أُولئك عتقاء الله.

ونزل من الطائف مالك بن عوف زعيم هوازن فأتىٰ رسول الله ﷺ ومدحهُ بشعر وأسلم فوهب له رسول الله ﷺ أهل بيته ومائة من الإبل واستعمله علىٰ من أسلم من قومه ومن حول الطائف[3] وقد أسلم وفد هوازن بعد أن أرجع لهم رسول الله ﷺ السبي[4].

ومن اعمال المنافقين:

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٣، طبقات، ابن سعد ٢ / ١٥٨، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٠٦.

(٢) الإرشاد ٣ / ١٥٠ - ١٥٣، من أنساب الاشراف ١ / ٤٦٤.

(٣) جمل من أنساب الاشراف، ١ / ٤٦٨.

(٤) سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ١٣٤، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٩، سيرة ابن هشام ٣ / ٢٦، المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٣٤٢.

تسبب المغيرة بن شعبة في قتل مسلم عمداً إذ كان أبو محجن من ثقيف يـرمي المسلمين من فوق الحصن فقال رجل من مزينة لصاحبه: إن افتتحنا الطائف فعليك بنساء بني قارب فإنّهن أجمل إن أمسيت وأكثر فداءاً إن فاديت.

فسمعه المغيرة بن شعبة فقال: يا أخا مزينة إرمِ أبا محجن. وإنّما غار المغيرة حين ذكر المزني النساء، وعرف أنّ أبا محجن رجل رامٍ لا يسقط له سهم.

فرماه المزني فلم يصنع سهمهُ شيئاً، وفوّق له أبو محجن بمعبلة وقـعت في نحـره فقتله.

فقال عبد الله بن عمرو بن عوف للمغيرة قاتلك الله يا مغيرة أنت والله عرّضته لهذا، أنت والله منافق، والله لولا الإسلام ما تركتك حتىٰ أغتالك.

وقال المزني[1]: إنّ معنا الداهية وما نشعر، والله لا أكلمك أبداً، فطلب المغيرة إلىٰ المزني أن يكتم ذلك له. قال: لا والله أبداً[2].

واستأذن عيينة بن حصن رسول الله ﷺ في أن يأتي أهل الطائف فيدعوهم إلىٰ الإسلام فأذن له، فجاءهم فأمرهم بالثبات في حصنهم وقال لهم: لا يهولنكم قطع ما قطع من الأشجار في كلام طويل.

فلما رجع قال له رسول الله ﷺ ما قلت لهم؟

قال: دعوتهم إلىٰ الإسلام وأنذرتهم النار وذكرتهم بالجنّة.

فقال النبي ﷺ: كذبت بل قلت لهم كذا وكذا.

فقال عيينة : صدقت يا رسول الله ﷺ أتوب إلىٰ الله وإليك من ذلك[3].

ولم يأذن الله تعالىٰ لرسوله في فتح الطائف[4]. ثمّ إنّ خويلة بنت حكيم السُّلمية،

---

(١) صاحب المزني الشهيد.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٩٣٠.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٦٣، البداية والنهاية ٤ / ٣٩٩.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٦٨، تاريخ خليفة بن خياط ٤٤.

وهي امرأة عثمان بن مظعون، قالت: يارسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُليّ بادية بنت غيلان أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أكثر النساء حلياً.

فقال لها رسول الله ﷺ: أرأيت إن كان لم يؤذن لي في ثقيف ياخويلة؟

فلمّا رأت ثقيف الناس قد رحلوا عنهم نادى سعيد بن عبيد الثقفي: ألا إنّ الحي مقيم. فقال عيينة بن حصن: أجل والله مجدة كراماً.

فقال رجل من المسلمين: قاتلك الله ياعيينة أتمدحهم بالإمتناع من رسول الله ﷺ؟ قال عيينة: إنّي والله ما جئت لأُقاتل معكم ثقيفاً، ولكنّي أردت أن أُصيب من ثقيف جارية لعلّها تلد لي رجلاً، فإنّ ثقيفاً قوم مناكير.

وقيل: إنّ رسول الله ﷺ استشار نوفل بن معاوية الدؤلي في المقام عليهم. فقال: يارسول الله ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرّك، فأذّن بالرحيل. فلمّا رجع الناس قال رجل: يارسول الله ادعُ على ثقيف.

قال النبي ﷺ: اللهمّ اهد ثقيفاً وأت بهم.

واستشهد بالطائف إثنا عشر رجلاً، منهم عبدالله بن أبي أُميّة المخزومي.

وبعد عودته ﷺ من الطائف اعتمر من الجعرانة لخمس خلون من ذي القعدة ودخل مكّة وطاف وسعىٰ وحلق ورجع إلىٰ الجعرانة التي تبعد عن مكّة ثمانية عشر ميلاً[1].

وأيد هذه العمرة أصحاب المغازي والسير مثل عروة بن الزبير وموسىٰ بن عقبة وابن إسحاق وابن هشام وابن حبان والواقدي.

اسلام أهالي الطائف

وفي سنة تسع هجرية قدم من الطائف على رسول الله ﷺ عروة بن مسعود

---

(١) سيرة ابن دحلان ٢ / ١١٤.

الثقفي فأسلم، ورغب في العودة إلى الطائف لتبليغ الإسلام، فقال له الرسول ﷺ: إنّهم قاتلوك وهذا من دلائل نبوّة النبي ﷺ.

فقال عروة: أنا أحبّ إليهم من أبكارهم، وكان فيهم محبّباً مطاعاً.

ولمّا دعاهم للإسلام رموه بالنبل وقتلوه»[١].

ثمّ أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ثمّ إنّهم ائتمروا بينهم ألاّ طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا.

فجاء وفد الطائف للمدينة فأنزلهم ﷺ في قبّة في المسجد، في رمضان سنة تسع فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم وبين النبي ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم ما يأكلونه مع خالد، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتّى يأكل خالد منه، حتّى أسلموا[٢].

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ، أن يدع الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، وكان قصد هم من ذلك أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم فأبى عليهم، فنزلوا إلى شهر فلم يجبهم، وسألوه أن يُعفيهم من الصلاة.

فقال النبي ﷺ: لا خير في دين لا صلاة فيه، فأجابوا وأسلموا. وأمّر عليهم رسول الله ﷺ، عثمان بن أبي العاص، وكان أصغرهم، لِمَا رأى من حرصه على الإسلام والتفقّه في الدين. ثمّ رجعوا إلى بلادهم[٣] واستأذنوه أن يسبقوا رسله إليهم.

فلما جاؤوا قومهم تلقوهم فسألوهم ما وراءكم فأظهروا الحزن وأنهم إنّما جاؤوا من عند رجل فظ غليظ قد ظهر بالسيف بحكم ما يريد وقد دوخ العرب، قد حرم الربا والزنا والخمر، وأمر بهدم الربة، فنفرت ثقيف وقالوا لا نطيع هذا أبداً.

قال فتأهبوا للقتال وأعدوا السلاح، فمكثوا على ذلك يومين - أو ثلاثة - ثم ألقىٰ

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٣٦٣، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٣ ـ ٢٨٥. طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٨.

(٢) جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٦٧، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٦٦.

(٣) راجع تاريخ ابن الأثير ٢/٢٦٦، ٢٨٣، ٢٨٤.

الله في قلوبهم الرعب فرجعوا وأنابوا وقالوا: إرجعوا إليه فشارطوه علىٰ ذلك وصالحوه.

قالوا: فإنا قد فعلنا ذلك ووجدناه أتقىٰ الناس وأوفاهم وأرحمهم وأصدقهم، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه وفيما قضيناه، فافهموا القضية واقبلوا عافية الله.

قالوا: فلم كتمتمونا هذا أولاً؟ قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياماً ثم قدم عليهم رسل رسول الله ﷺ وقد أمّر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة، فعمدوا إلىٰ اللات، وقد استكفت ثقيف رجالها ونساءها والصبيان حتىٰ خرج العواتق من الحجال ولا يرىٰ عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنّها ممتنعة، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين - يعني المعول - وقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض برجله فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وفرحوا وقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربّة.

وقالوا لأولئك من شاء منكم فليقترب، فقام المغيرة فقال: والله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم إنه ضرب الباب فكسره. ثم علا سورها وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتىٰ سووها بالأرض، وجعل سادنها يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها فحفروه حتىٰ أخرجوا ترابها وجمعوا ماءها وبناءها، وبهتت عند ذلك ثقيف، ثم رجعوا إلىٰ رسول الله ﷺ فقسم أموالها من يومه وحمدوا الله تعالىٰ علىٰ اعزاز دينه ونصرة رسوله[1].

وكان كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب لهم: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله ﷺ إلىٰ المؤمنين: إن عضاة وج[2] وصيده لا يعضد من وجد يفعل شيئاً من ذلك فإنّه يجلد وتنزع ثيابه، وإن تعدى ذلك يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً وإنّ هذا أمر النبي محمد وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبدالله فلا يتعداه

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٤٢، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٠٣.

(٢) عضاة: واحدته عضة، شجر له شوك، ووج أرض الطائف.

أحد، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ﷺ[1].

وهكذا أسلمت ثقيف بحكمة رسول الله ﷺ دون حروب، وحَسُن إسلامها. وأصبح عروة بن مسعود الثقفي قدوةً لهم في إسلامه وشهادته وصدقه.

الدلائل والعبر

بعد فتح مكّة لم يستقر رسول الله ﷺ طويلاً فيها بل سرعان ما جهزّ نفسه والمسلمين لغزو هوازن وثقيف وهو ما يدل علىٰ رغبته في فتح شبه جزيرة العرب بأسرع وقت ممكن لتخفق عالياً راية لا إلٰه إلّا الله محمد رسول الله.

وأراد ﷺ أن يستخدم القبائل المسلمة جديدا في الجهاد ليستقر الإسلام في قلوبها فنراه أخذ معه قبائل قريش وخزاعة وبني أسلم وتميماً وغيرها.

ولم يغفل رسول الله ﷺ عن دور العيون في كشف حقيقة الأعداء في عددهم وعدّتهم وخططهم الحربية، فقام بذلك الدور المهم عبد الله بن أبي حدرد المنحدر من قبيلة هوازن والموثوق به من قبل سيد الرسل.وكان اعتماده ﷺ علىٰ ابن أبي حدرد إلىٰ درجة أن صدق رأيه وطرح قول عمر بن الخطاب.

ومن الأمور الملفتة للنظر ثبات رسول الله ﷺ في الحروب كلها اعتماداً علىٰ القوىٰ الإلٰهية وعدم التفاتته للقوىٰ المعادية. وذلك الثبات والتمركز هو الذي دعا لتراجع المسلمين إلىٰ قواعدهم الأصلية والبدء بمحاربة قوىٰ هوازن وثقيف.

فتمكن النبي ﷺ بتلك القوة الصامدة معه من الثبات أمام جيش هائج متشكل من آلاف مؤلفة.

واظهرت الحرب أنّه لا يثبت في الحروب إلّا المخلصون المتوكلون علىٰ الله تعالىٰ، أما الفاسقون وضعيفو الايمان فلا يجاهدون في ساحات القتال ولا يصمدون أمام

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٤٣.

سيوف الغزاة والمعادين. ففرت الجماعات ذاتها التي انهزمت في أحد وخيبر.

وأثبتت أعمال المعارضين لرسول الله ﷺ اتحادهم في ذلك الهدف فقد طالبوا بوضع شجرة لهم يعبدونها كما يعبد الكفار شجرة ذات أنواط، ورتبوا أمر الهزيمة في حنين بصورة جماعية بين زعامات قريش وبني سليم وأسلم وتميم.

وفرار ستة آلاف مقاتل من الأعراب وقريش من جيش الرسول ﷺ تسبب في فرار الأنصار والمهاجرين. فلم يكن هناك فائدة في جيوش أبي سفيان وعيينة بن الحصن وابن الأكوع بل كان فيهم ضرر. إذ تسببوا في فرار جيش المهاجرين والأنصار وإثارة نوع من الفوضىٰ في صفوف المسلمين. وقال أبو سفيان: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر[1].

وكان شيبة بن عثمان بن طلحة قد تعاهد هو وصفوان بن أمية إن رأيا علىٰ رسول الله ﷺ دائرة أن يكونا عليه وهما خلفه[2] قال شيبة فجئت محمداً ﷺ من خلفه فلم يبق إلّا أسوره[3] بالسيف فوقع ما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق وخفت أن يمحشني (يحرقني) ووضعت يدي علىٰ بصري ومشيت القهقرىٰ[4].

وأخو صفوان الثاني كلدة بن حنبل نادىٰ: اليوم بطل السحر وقال سهيل بن عمرو: لا يجبرها محمد وأصحابه[5].

وهذا بيّن الاتّفاق الحاصل بين قريش وهوازن.

وشجّع عيينة بن الحصن بني ثقيف علىٰ الصمود في وجه خاتم الأنبياء في حين أرسله النبي ﷺ ليشجعهم علىٰ الاستسلام!

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/٩٠٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٩٠٩.

(٣) سوره أي علاه.

(٤) مغازي الواقدي ٢/٩١٠، عيون الأثر ٢ / ٩١٠.

(٥) مغازي الواقدي ٢ / ٩١٠.

وحرّك آخرون الناس ضد طريقة توزيع رسول الله ﷺ الغنائم وقاد تلك المحاولة ذو الخويصرة الخارجي وانضم الأنصار إلىٰ المحتجين.

ومجموع تلك الأفعال بين وجود تنظيم بين الطلقاء والأعراب والمنافقين في مواجهة الإسلام فلم يكن دخول هؤلاء في الدين إلّا شكليّاً، فهم بعيدون عن الاعتقادات الغيبية والطاعة للقيادة النبوية، فقال واحد: لا نغلب اليوم من قلّة وكذّب الثاني المعلومات الخطيرة المقدّمة من قبل عبد الله بن أبي حدرد وقتل جاسوس هوازن الأسير في يد المسلمين، وفتك خالد بن الوليد بالنساء حنقاً علىٰ الأمر النبوي في عدم قتل الأطفال والنساء والأسرىٰ والعبيد لاثارتهم علىٰ معاداة الإسلام وطلب ﷺ من أبي بكر وعمر قتل ذي الخويصرة فلم يقتلاه![1] فهذه الأعمال الكثيرة والمرتبة تبين شدّة وسعة الهجمة علىٰ النبي ﷺ ولولا النصر الإلهي لأصبح الإسلام في خبر كان

﴿ثم أنزل سكينته علىٰ رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾[2].

لذلك قالت أُم سليم لرسول الله ﷺ: أرأيت هؤلاء الذين أسلموك وفرّوا عنك وخذلوك لا تعف عنهم إذا امكنك الله تعالىٰ منهم فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين.

فقال ﷺ: يا أُم سليم قد كفىٰ الله، عافية الله أوسع[3].

ومن الضروري بمكان اطلاع جاسوس هوازن علىٰ أسماء شبكة التآمر علىٰ رسول الله ﷺ ومشاريعهم فتسبب الأمر في قتله ودفن المعلومات التي عنده. ولنفس الغرض كُذّب عبدالله بن أبي حدرد الذي اطّلع علىٰ معلومات مفيدة وخطيرة وصل الينا بعضها. ولم يحصل ابن أبي حدرد عليها إلّا لشجاعته وانتمائه إلىٰ قبيلة هوازن.

---

(١) النص والاجتهاد ١٣٤ - ١٤٠.

(٢) التوبة ٢٦.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ٩٠٤.

وقد قال حذيفة بن اليمان العارف بأسماء المنافقين لاحقاً:عندي أسرار لو قلتها لقتلوني قبل أن أضع يدي في فمي[١].

ولما طلب بعض المسلمين أن تكون لهم شجرة يذبحون لها ويتعرّون عندها يوماً تعظيماً لها! فقد جاء: «كان من حجّ منهم وضع رداءه عندها ويدخل بغير رداء تعظيماً لها[٢].

فقال رسوله ﷺ إنهم يسيرون علىٰ سنن اليهود من أتباع موسىٰ ﷺ الذين قالوا: ﴿**اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهةً قال إنكم قوم تجهلون**﴾[٣] إنها لسنن من كان قبلكم.

وبسبب الحرية التي أوجدها رسول الله ﷺ فقد أبرز الكثير من الناس آراءهم بصراحة فالأقرع بن حابس رئيس تميم وعيينة بن الحصن رئيس فزارة والعباس بن مرداس رئيس بني سليم أعلنوا بصراحة مخالفتهم لإرجاع السبايا إلىٰ هوازن[٤] وأعلن أبو سفيان وصفوان بن أميّة وشيبة آراءهم في بغض النبي ﷺ ودينه واستنكر عمر مناجاة الرسول لعلي ﷺ ورفض ذو الخويصرة طريقة رسول الله ﷺ في توزيع الأموال ورفض أبو بكر وعمر قتل ذي الخويصرة فكانت جبهة عريضة ضد رسول الله ﷺ.

إنّ هؤلاء المخالفين لرسول الله ﷺ كانوا يتشجعون علىٰ أعمالهم بكثرتهم ولولا ذلك لما جرأوا علىٰ أفعالهم، وثقيف لم تتقوَّ علىٰ صمودها إلّا بدعم من عيينة بن الحصن وأبي سفيان والمغيرة بن شعبة الذين ذهبوا للتفاوض معها.

والأمر الآخر إنّ الله تعالىٰ بيّن بعض شؤون معركة حنين في كتابه الكريم وبيّن

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٩.

(٢) مغازي الواقدي ٢ / ٨٩١.

(٣) الأعراف ١٣٨.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٢٢٣.

البعض الآخر عبر جبرئيل عليه السلام.

فكشف جبرئيل حقيقة قول عيينة بن الحصن لثقيف ففضحه جماهيرياً وبيّن تعالىٰ شخصية ذي الخويصرة والخوارج لرسوله صلى الله عليه وآله فأعلنها للناس.

وفي الجانب الآخر كان علي بن أبي طالب من الثابتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم يفر أبداً يحمل لواءه عالياً لاخائفاً ولا وجلاً. ولما كان أبو جرول حامل لواء المعادين وأشجع فرسان هوازن وثقيف فقد صمد له علي عليه السلام وقتله في جولة سريعة فسقطت راية المهاجمين واندحر عزهم فولوا مدبرين لا يلوون علىٰ شيء.

ولما أمر خاتم الأنبياء بقتل ذي الخويصرة حرقوص بن زهير حمل سيفه أمير المؤمنين واندفع لتنفيذ حكم الله تعالىٰ فيه لكنّه لم يعثر عليه وذلك بعد أن امتنع أبو بكر وعمر عن قتله. وبعد مرور ثلاثين سنة علىٰ ذلك التاريخ تمكن منه أبو الحسن عليه السلام فقتله في معركة النهروان[1].

ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله أموالاً طائلة للمؤلفة قلوبهم من قريش وسائر قبائل العرب ليشد جمعهم علىٰ الثبات في الدين والاحتراس من وثباتهم الطائشة وليكن صلى الله عليه وآله شاهداً عليهم يوم القيامة لكنّهم أصروا علىٰ غيهم وشرهم غير مهتدين ولا موقنين.

وتعامل خاتم الأنبياء مع أعدائه بكل عطف واحترام فخيرهم بين أهلهم السبايا وبين أموالهم ففضلوا أهلهم فأرجعهم إليهم بكل رأفة وغضب علىٰ خالد بن الوليد الذي قتل امرأة من السبايا.

ولم يأخذ لنفسه شيئاً من تلك الأموال والسبايا فرفع وبرة سنام بعير وقال: ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلّا الخمس وهو مردود عليكم[2].

---

(١) أسد الغابة، ابن الاثير ٢ / ١٧٢.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٧١.

وأثبتت الأنصار استقامتها إذ رضيت بحرمانها من الغنائم واستمرت في تضحياتها.

وكسب النبي ﷺ زعيم هوازن مالك بن عوف إلىٰ الإسلام فأصبحت تلك القبيلة الكبيرة من الطوائف المسلمة المحاربة للمشركين.

والقارئ لهذا الموضوع يطمئن بأنّ هوازن وثقيف لا تجترئ علىٰ حرب رسول الله ﷺ لولا اقتراح قريش. ورغم الأعمال المخزية لبعض المسلمين من الطلقاء والأعراب والمهاجرين وغيرهم لم يأمر النبي ﷺ بقتلهم. والشخص الوحيد الذي أمر ﷺ بقتله هو ذو الخويصرة. ولم يلح في حرب أهل الطائف ولم يَدْعُ عليهم بل دعا لهم بالهداية ولم يقطع نخلهم وكرومهم فلم تمض سنة إلّا ودخلت ثقيف في الإسلام[1].

---

(١) الروض الأنف ٧ / ١٦١ - ٢٠٠، الأرشاد ٢ / ١٤٠ - ١٥٥، مغازي الذهبي ٥٧١ - ٥٨٥، أنساب الاشراف ١/ ٤٦٣ - ٤٦٦، سيرة أبي حاتم ١/ ٣٤٦، تفسير الفخر الرازي ٦/ ١٨، البدء والتاريخ ٢/ ٩٩، المنتظم، ابن الجوزي ٣/ ٣٣٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ٩٦ - ١٠٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٥٢، عيون الأثر ٢ / ٢١٣، تفسير القرطبي ٨/ ٩٦، البداية والنهاية ٤/ ٣٧٠ - ٣٧٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٢٥، حياة محمد ﷺ، هيكل ٤٣٢، تاريخ أبي الفداء ٢٠٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ١٢٥ - ٢٠٠، السيرة الحلبية ٣ / ١١٠ - ١٢٠، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٦٨، تفسير الزمخشري ٢/ ٢٦١، تاريخ خليفة بن خياط ٤٣ - ٤٥، تفسير الطبرسي ٣ / ١٧.

الفصل الرابع

قدوم وفود العرب على رسول الله ﷺ



وفود العرب إلىٰ رسول الله ﷺ

قدمت وفود العرب إلىٰ خاتم الأنبياء لتعلن الإسلام في السنة الثامنة والتاسعة بعد سماعها بإسلام قريش.

فإذا كانت مكة قد منعها الله تعالىٰ من إبرهة وجيشه ومنعها من سائر الطغاة فقد شاهد العرب سرعة استسلامها لجيش رسول الله الأمر الذي كان مدعاة لأن يدرك الناس أنّ الله تعالىٰ في الحالتين مع بني إسماعيل مرة في شخص عبد المطلب ومرة في شخص حفيده محمد ﷺ.

ولقد فتح جيش المسلمين مدن شبه جزيرة العرب الواحدة بعد الأخرىٰ، وأصبحت المدينة المنورة وخيبر ومكة والطائف وقبائل عربية كبيرة تعيش في ظل حكومة رسول الله ﷺ. وأضحت الدولة الإسلامية سيدة للمنطقة بلا منازع يزهو عدلها ونظمها وأمنها وتكاملها الاجتماعي علىٰ مسلمي المقاطعة. فاضطر زعماء العشائر للرضوخ لضغوط الناس الداعية لقبول الإسلام.

ولمّا لم تكن تلك القبائل أقوىٰ من قريش وهوازن وثقيف واليهود فكيف لها بالصمود في الظروف الحاكمة يومذاك أمام المسلمين. ثمّ إنّ القبائل أصبح حالها واقتصادها وأمنها أفضل مما كانت عليه زمن الكفر فلماذا ترفض القبائل التي لم تؤمن بعد الحالة الجديدة؟

خاصّة وأنّ ملوك الدول المجاورة يتصفون بالقهر والاستبداد والاستغلال في حين لم يتّصف رسول الله ﷺ إلّا بالعفو والرحمة والعدل وبسط الحرية سيمّا وقد تحققت انتصارات عظيمة للمسلمين نهاية السنة الثامنة ؛ ففي شهر رمضان فتحوا مكّة وظمّوا قريشاً إلىٰ المسلمين، وفي شهر شوال هزموا هوازن وضمّوها إلىٰ صفوف الموحدين.

واستمرت الانتصارات فتوجت بإسلام ثقيف في شهر رمضان في السنة التاسعة.

ولمّا سمعت قبائل العرب بإسلام قريش وثقيف السلمي سارعت للحذو حذوها فدخلت في دين الله أفواجاً دون حرب ولا عناء طبقاً للسورة المباركة:

﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾.

لقد نزلت هذه السورة في فتح مكة مبشرة بفتح الحرم المكي وسائر البلاد ودخول الناس في الدين أفواجاً أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون في الدين واحداً واحداً أو اثنين اثنين.فورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون وبعضهم يقرأون القرآن وبعضهم يهللون فسرَّ النبي ﷺ بذلك[1].

وسُئل الحسن بن علي ﷺ عن الناس؟

فقال ﷺ: نحن الناس وأشياعنا أشباه الناس وأعداؤنا النسناس، فقبله علي ﷺ بين عينيه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته[2].

وسورة النصر تبين ما فتح الله تعالىٰ علىٰ المسلمين لاحقاً من أقطار جزيرة العرب ومن أمصار سائر الأمم حتىٰ بلغوا المدائن والقسطنطينية[3].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠.

(٢) تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠ ـ ٢٣٤، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤٠ ـ ٣٤٢، تفسير الطبرسي ٥ / ٥٥٤، تفسير الزمخشري ٤ / ٨١٠.

وقال رسول الله ﷺ: إنّ الناس دخلوا في الدين أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً[١]

ووعد الله تعالىٰ رسوله بالتربية العظيمة بقوله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾[٢].

فدخل في الإسلام المخلصون لله تعالى والطامعون في الدنيا، وأدركت قبائل أُخرى أن لا قدرة عندها على مواجهة دولة رسول الله ﷺ الفتية والعظيمة فدخلت في دين الله تعالى.

وكلّ تلك الجاميع نشطت لخدمة الدين بعد تعرّفها على أُصوله القويمة وأُسسه الإنسانية وأخلاقه العالية. وهو مصداق للسورة المباركة:

وقدمت عليه وفود العرب، ولكلّ قبيلة رئيس يتقدّمهم. فقدمت مزينة ورئيسهم خزاعي بن عبد نُهم، وأشجع ورئيسهم عبدالله بن مالك، وأسلم ورئيسهم بريدة، وسليم ورئيسهم وقّاص بن قمامة، وبنو ليث ورئيسهم الصعب بن جثامة.

وجاءت زعامات بني تميم برئاسة عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم والحبحاب بن يزيد ونعيم بن زيد.

وجاء قيس بن عاصم في وفد عظيم من تميم فيهم عيينة بن حصن الفزاري. وكان الأقرع وعيينة شهدا مع رسول الله ﷺ حنيناً والفتح والطائف.

وبعدما فاخروا رسول الله ﷺ والمسلمين قال الأقرع بن حابس: إنّ هذا الرجل محمّداً ﷺ خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا وأصواتهم أعلىٰ من أصواتنا. ولما فرغوا أجازهم رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٢ / ٢٣٠، تفسير الفخر الرازي ١١ / ٣٤١.

(٢) الضحىٰ ٥.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣١٥.

وجاء وفد صداء إلىٰ رسول الله ﷺ معلناً إسلامه في السنة الثامنة[١]. فدعوا رسول الله في بئرهم فأعطاهم حصيات فتحركهن بيده فألقوها في البئر وقد سموا الله تعالىٰ فلم ينقطع ماؤها[٢].

وجاء وفد بني محارب وكانوا أغلظ العرب وأفظهم علىٰ رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه علىٰ القبائل يدعوهم إلىٰ الله[٣].

وجاء وفد غسان ثلاثة نفر في شهر رمضان سنة عشر معلنين إسلامهم وبعد عودتهم لم يستجب لهم قومهم[٤].

ثمّ وفد الجارود بن المعلّى فولّاه رسول الله على قومه، وأوفدت ملوك حمير بإسلامهم وفوداً وهم: الحارث بن عبد كُلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رُعين وكتبوا إليه بإسلامهم فبعث إليهم معاذ بن جبل، وعُكل ورئيسها خزيمة بن عاصم، وجذام ورئيسها فروة بن عمرو، وحضرموت ورئيسها وائل بن حجر الحضرمي، والضباب ورئيسها ذو الجوشن، وبنو أسد ورئيسها ضرار بن الأزور.

وجاء بنو الحارث بن كعب ورئيسهم يزيد بن عبدالمدّان، وبنو تميم وعليهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم ومالك بن نويرة، وبنو نهد وعليهم أبو ليلى خالد بن الصقعب، وكنانة ورئيسهم قطن وأنس إينا حارثة من بني عُليم.

وهمدان ورئيسهم ضمام بن مالك، وثمالة والحُدّان فخذ من الأزد ورئيسهم مسلمة بن هزّان الحدّاني، وباهلة ورئيسهم مطرق بن كاهلة الباهلي الحنفي ومهرة ورئيسهم مهري بن الأبيض[٥].

---

(١) عيون الأثر ٢ / ٣١٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٦، عيون الأثر ٢ / ١٨١.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣١٤، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨١.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣١٦، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨٣.

(٥) راجع تاريخ اليعقوبي ٢ / ٨٤، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٣١٠.

وقدم وفد بني عذرة وقالوا: نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه نحن الذين عضدوا قصيًّا وازاحوا من بطن مكّة خزاعة وبني بكر ولنا قرابات وأرحام.

فقال رسول الله ﷺ مرحباً بكم وأهلاً فأسلموا وبشرهم ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل إلىٰ ممتنع بلاده وأجازهم رسول الله ﷺ[1].

وقدم وفد بني بلي ربيع الأوّل سنة تسع وقد اسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ[2].

وقدم وفد بني مرة ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف فأجازهم رسول الله ﷺ عشر أواقي لكل منهم وأعطى الحارث اثنتي عشرة أوقية ودعالهم ﷺ بالمطر فسقاهم الله تعالىٰ[3].

وقدم وفد خولان وقد أسلموا وقالوا: قد فتننا صنمنا عم أنس فقد أكلنا الرمّة لفقرنا واشترينا مائة ثور وذبحناها لعم أنس وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من السباع.

فأوصاهم رسول الله ﷺ بالوفاء وبالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار وأن لا يظلموا أحداً، فأجازهم النبي ﷺ ورجعوا[4].

وقدِم وائل بن حجر من حضر موت وكان أبوه من ملوكهم وقد بشّر به رسول الله ﷺ قبل مقدمه بثلاثة أيام[5].

وقدم زيد الخيل في وفد طيء فكلموا رسول الله ﷺ وأسلموا، فسماه رسول الله ﷺ: زيد الخير[6].

---

(١) عيون الأثر ٢ / ٣٠٩، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٧٩.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨٠.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣١١.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣١٢، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٨١.

(٥) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٥٨.

(٦) الروض الأنف ٧ / ٤٠٣.

وأسلم فروة بن مسيك المرادي مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم، وقبيل الإسلام كانت هناك وقعة بين همدان ومراء انتصرت فيها همدان[١].

وفي شهر رمضان قدم الأزد ورأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر رجلاً فأسلم وأمّره رسول الله ﷺ علىٰ من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد المشركين، فانتصر علىٰ أهل جرش[٢].

وفي السنة التاسعة أسلم فروة بن عمرو الجذامي وبعث رسولاً إلىٰ رسول الله ﷺ بإسلامه وأهدىٰ له بغلة بيضاء.

وكان فروة عاملاً للروم علىٰ من يليهم من العرب، ومنزله معان في أرض الشام، ولما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتىٰ أسروه وحبسوه ولمّا قدّموه ليصلبوه قال:

بلّغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي[٣].

وقد بعث اليه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله وقدم وفد عبد القيس فقال لهم الرسول ﷺ: مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامىٰ ووضع النبي ﷺ يده علىٰ ظهر مجنونهم ودعا له فبرىء لحينه.

وحذرهم المسكر قائلاً: إذا شربوا المسكر عمد أحدهم إلىٰ ابن عمه فجرحه، وأشار إلىٰ رجل قد جرحه ابن عمه في ذلك وكان يخفي جرحه ويكتمه فعجبوا من علم النبي ﷺ[٤].

وبعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً علىٰ رسول الله ﷺ فقدم عليه وأناخ بعيره علىٰ باب المسجد ثم عقله، ودخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه ؛ وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتىٰ وقف علىٰ رسول

---

(١) الروض الأنف ٦ ٤٠.
(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٥، الروض الأنف ٧ / ٤١١.
(٣) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٩٧.
(٤) الروض الانف ٧ / ٤٢٨.

الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابنُ عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب.

قال: أمحمد؟ قال نعم.

قال يابن عبد المطلب، إنّي سائلك ومُغلّظ عليك في المسألة، فهل تجدنَّ في نفسك، قال لا أجد في نفسي، فسل عما بدا لك. قال: أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولا؟

قال: اللهم نعم ؛ قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئاً، وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه؟

قال: اللهم نعم، قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله أمرك أن نصلّي هذه الصلوات الخمس؟

قالوا: اللهمّ نعم.

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة. الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها، ينشدهُ عند كلّ فريضة منها كما ينشده في التي قبلها، حتىٰ إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأُؤَدّي هذه الفرائض؛ وأجتنب مانهيتني عنه، لاثم أزيد ولا أنقص. ثم انصرف إلى بعيره راجعا.

فقال رسول الله ﷺ: إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنّة[1].

وجاء وفد بني عامر فيهم ابن الطفيل وأربد بن قيس وخالد بن جعفر وحيان بن مسلم فكان هؤلاء النفر رؤساء القوم وشياطينهم، فقدم عامر بن الطفيل، فقال: تالله لقد كنت آليتُ أن لا أنتهي من تتبع العرب عقبي ؛ أفأنا أتبع عقب هذا الفتىٰ من قريش؟

(١) الروض الأنف ٧ / ٣٩٧.

ثم قال لأربد إذا قدمنا علىٰ الرجل فإني شاغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعلهُ بالسيف[1] فلما قدموا علىٰ رسول الله ﷺ قال عامر: يا محمد خالّني[2].

فقال ﷺ: «لا حتىٰ تؤمن بالله وحده، لا شريك له».

فلما أبي عليه رسول الله ﷺ، قال: أما والله لأملأنها عليك خيلاً حمراً، ورجالاً

فلما ولّىٰ قال رسول الله ﷺ: «اللهم اكفني عامر بن الطفيل» فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ، قال عامر لأربد: ويحك يا أربد!! اين ما كنت أمرتك به؟ والله ما كان علىٰ ظهر الأرض رجل أخوف عندي علىٰ نفسي منك، وأيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً.

قال: لا أبا لك لا تعجل عليّ فوالله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة: إلا دخلت بيني وبين الرجل حتىٰ ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف؟

ثم خرجوا راجعين إلىٰ بلادهم، حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عز وجل علىٰ عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله في بيت امرأة من بني سلول، ثم خرج أصحابه حين واروه حتىٰ قدموا أرض بني عامر فأتاهم قومهم فقالوا ما وراك يا أربد فقال لقد دعانا إلىٰ عبادة شيء لوددت أنّه عندي فأرميه بالنبل هذه حتىٰ أقتله.

وكان رسول الله ﷺ قد دعا علىٰ عامر بن الطفيل ثلاثين صباحاً، اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث عليه داء يقتله[3].

وقدم وفد بني الحارث بن كعب فيهم يزيد بن عبد المدان، وذكر فيهم أيضاً ذا الغصة وهو الحصين بن يزيد بن شداد الحارثي.

---

(١) «فاعله بالسيف» يريد: اقتله، ويروى: فاغله بالسيف: بالغين المعجمة، وهو من الغيلة وهي القتل خديعة وخفية.

(٢) (خالني): اي تفرد لي خالياً حتىٰ احدثك علىٰ انفراد، ومعناها الثاني: اتخذني خليلاً اي صاحباً.

(٣) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٢٠.

وقال عمر بن الخطاب يوماً: لا تُزاد امرأة في صداقها كذا وكذا، ولو كانت بنت ذي الغُصّة[١].

وقدم وفد سلامان في السنة العاشرة معلنين إسلامهم[٢] وقدم وفد بني عبس معلنين إسلامهم، وقدم وفد بني عامر معلنين إسلامهم سنة عشر[٣].

إنّ دخول قبائل عربية كثيرة في الإسلام دون حرب ساعد المسلمين على حفظ دمائهم وأموالهم وتطوير وحدتهم ونظمهم ممّا مكّن الدولة في التفكير في الغزو الخارجي للروم والفرس. ولمّا وجدت قبائل العراق والشام العربية التفاف قبائل جزيرة العرب حول رسول الله ﷺ سارعت الكثير منها للتفكير في دخول الإسلام ومحاربة الدولتين الرومية والفارسية.

وآخر وفد جاء إلىٰ رسول الله ﷺ هو وفد النخع في النصف من محرم سنة إحدىٰ عشرة في مائتي رجل[٤].

مسيلمة الكذاب والاشعث

وجاء وفد بني حنيفة وأسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ، ولما عادوا إلىٰ اليمامة ارتد عدو الله مسيلمة وأعلن نبوّته المزيفة، ووضع عنهم الصلاة وأحلّ لهم الخمر والزنا.

ومع ذلك شهد لرسول الله ﷺ بالنبوة، فأرسل له النبي ﷺ رسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ إلىٰ مسيلمة الكذاب، سلام علىٰ من أتّبع الهدىٰ، أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

---

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٥٤.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣١٧.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠.

(٤) عيون الأثر ٢ / ٣٢٠، سيرة ابن دحلان ٢ / ١٩٢.

فأرسل له مسيلمة رسولين فقال لهما النبي ﷺ: أنتما تقولان بمثل ما يقول؟

قالا: نعم.

فقال ﷺ: أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما[١].

ومن زيف كتاب مسيلمة: الطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابزات خبزاً والثاردات ثرداً واللاقمات لقماً[٢].

وقال كذباً: «لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى بين صفاف وحشا»

وكانت آياته منكوسة: تفل في بئر قوم سألوه ذلك تبركاً فجف ماؤها، ومسح رأس صبيٍّ فقرع قرعاً فاحشاً، ودعا لرجلٍ في ابنين له بالبركة فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط في البئر والآخر قد أكله الذئب، ومسح على عيني رجل استشفى بمسحه فابيضّت عيناه[٣].

وانتهت حركة مسيلمة بالفشل والخذلان إذ قتله المسلمون وهزموا جيشه!

وقدم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ مسلماً في ثمانين راكباً من كندة وقد رجّلوا جممهم وتكحلوا وعليهم جبب الحبرة قد كففوها بالحرير.

فقال لهم رسول الله ﷺ: ألم تسلموا؟

قالوا: بلى.

قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم؟

فشقوه منها فألقوه[٤].

ثم ارتدّ الأشعث في زمن رسول الله ﷺ وأصبح من حزب مسيلمة الكذّاب.

وأذن الأشعث بن قيس لمسيلمة الكذاب وأذّن شبث بن ربعي لسجاح المتنبئة ثم تزوج مسيلمة من سجاح!

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٣٢، سيرة ابن هشام ٤ / ٢١٠.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٣٣.

(٣) الروض الأنف ٧ / ٤٤٤.

(٤) الروض الأنف ٧ / ٤١٠.

سفراء النبي إلىٰ ملوك العالم

وبعث رسول الله ﷺ رسلاً من أصحابه إلىٰ ملوك العالم وكتب معهم كتباً يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام.

فبعث دحية الكلبي إلىٰ قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلىٰ كسرىٰ ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمري إلىٰ النجاشي ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلىٰ جيفر وعيّاد الأزديين ملكي عمان، وبعث سليط بن عمرو احد بني عامر بن لؤي إلىٰ ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة، وبعث العلاء بن الحضرمي إلىٰ المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلىٰ الحارث بن أبي شمر الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلىٰ الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن[١].

الدلائل والعبر

كانت قبائل العرب الجاهلية تعيش علىٰ الغدر والإحتيال وتغير المواقف باستمرار وتُعَوِّد نفسها علىٰ غزو الجار والأرحام والأعداء علىٰ السواء!

وكان الطرف الآخر بقيادة النبي ﷺ وأجداده في استقامة دائمة لا غدر فيها ولا ختل ولا تذبذب في المواقف، ولا غزو للأصدقاء والأرحام.

ويسعىٰ هذا الخط الإلهي لفرض الأمن في البلاد والعافية للناس والتكامل الاجتماعي للبشر، ويطمح لتوفير الحريات والعدالة الاجتماعية.

وهذه الأمور تسببت في دخول القبائل في الإسلام برغبة ورهبة فالمخلصون من الناس دخلوا رغبة في الأهداف السامية والطالحون دخلوا خوفاً من العدالة وطمعاً في الأمور الدنيوية.

---

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٦٥.

والملاحظ علىٰ سيرة دخول الناس في الإسلام يلحظ المدة الزمنية القصيرة، فبعد مرور ثلاث وعشرين سنة دخلت شبة جزيرة العرب كلها في الإسلام.

إنّ كبر مساحة هذه المنطقة واختلاف أهداف الناس وعقائدهم يجعل من الصعوبة دخولهم في فكر جديد إلاّ إذا كان كاملاً.

والأخطر في ذلك أنّ قبائل شبه جزيرة العرب قد تعوّدوا علىٰ التحلل السياسي والعيش بعيداً عن حكومة مركزية فكيف تمكن رسول الله ﷺ من جمعهم في دولة قوية وربطهم بسلطة مركزية.

فالناس في العراق يختلفون آنذاك عن الناس في الحجاز ونجد فسكان الحجاز ونجد لا يوجد في ذهنهم وذهن آبائهم تبعية لقدرة سياسية والتزام بقوانين أمنية.

ورغم ذلك فقد حاول رسول الله ﷺ الاستفادة من تلك التناقضات لكسب الناس إلىٰ الإسلام فنجح نجاحاً باهراً.

والقضية الثالثة التي أهتم بها رسول الله ﷺ بعد استقباله لوفود العرب واهتمامه بدول العالم تمثل في إرساله السفراء إلىٰ ملوك الارض لدعوتهم إلىٰ الإسلام وهذه خطوة مهمةوضرورية فعلها الأنبياء من قبل، إذ أرسل عيسىٰ عليه السلام حواريه إلىٰ ملوك العالم لدعوتهم إلىٰ النصرانية[1].

لقد لاحظ الناس هذه الأمور فأقبلوا علىٰ الإسلام:

شريعة سمحة وكاملة لا تغفل عن الأمور السياسية والإقتصادية والاجتماعية وأخلاق نبوية فاضلة يعلو بها علىٰ سائر البشر ويرقىٰ بها علىٰ أهل النظر.

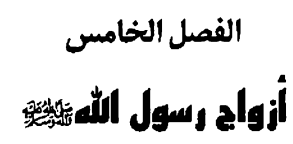
وإنّ رسول الله ﷺ مصداق لتطابق كلامه وعمله فلم يجمع أموال الدنيا، ولم يتجبر علىٰ سائر الناس، ولم يركب أهواءه، ولم يظلم أحداً، وكلّما اطّلع الناس علىٰ خفايا أسراره ازدادوا حباً وتعلّقاً به.

فقد كان يفرش رداءه لأي أعرابي مغمور يقدم عليه المدينة ويجلسه مكانه في أرض المسجدا وإذا تكلم محدثُهُ لا يقطع عليه كلامه.

---

(١) الروض الأنف ٧ / ٤٦٤.

الفصل الخامس



أزواج رسول الله ﷺ



نساء الرسول

كان في نساء الأنبياء الصالحات والطالحات ومن الطالحات زوجتا نوح ولوط قال تعالىٰ: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾[1] وقال تعالىٰ عن ابن نوح: ﴿إنه عمل غير صالح﴾[2] أي خرج من أهلك بكفره. ودافعت زوجة لوط عن قومها وأفعالهم المخزية فقالت: واقوماه فأدركها حجر فقتلها[3].وكذلك كانت نساء رسول الله ﷺ فيهن الصالحات والطالحات.ومعظم آباء ازواج الرسول من الكافرين والمنافقين واليهود فسودة أبوها من الكافرين وام حبيبة وعائشة وحفصة آباؤهم ابو سفيان وابو بكر وعمر وصفية وريحانة أبوهما يهوديان.

قال الصادق عليه السلام: إنّ النبي ﷺ تزوّج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، ومات ﷺ عن تسع[4].

١ ـ أوّلهنّ خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزّى بن قصي وولدت أولاده أجمعين خلا إبراهيم عليه السلام، ولم يتزوّج عليها حتّى ماتت.وتزوجها عذراء، روىٰ ذلك البلاذري وأبو قاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضىٰ في الشافي وأبو جعفر في

---

(١) التحريم ١٠.

(٢) هود ٤٦.

(٣) تاريخ أبي الفداء ١ /٣١.

(٤) تاريخ ابن الأثير ٢/٣٠٧.

التلخيص[١].

٢ ـ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي، تزوّجها بمكّة، وكانت كبيرة في السنّ،ومن المتعصبات لقريش ،فحزنت بانتصار المسلمين في بدر ومجيئهم بأشراف قريش أسرىٰ فقالت لهم: أعطيتم بأيديكم كما تفعل النساء ألا متم كراماً؟فقال رسول الله ﷺ لها: أعلىٰ الله ورسوله تحرضين؟[٢].وبينما كانت خديجة تتمتع بأخلاق فاضلة، كانت سودة معروفة بعكس ذلك اذ فيها حدة[٣].وانقسمت نساء النبي ﷺ بين الاثنتين :فأعلنت عائشة أنّها تقتدي بسودة قائلة: رأيت أحبّ اليّ أن أكون في مسلاخها[٤]، وانضوت ام سلمة تحت منهج خديجة ، وبدأ الصراع بين الجانبين:

فتآمرت سودة وعائشة وحفصة علىٰ رسول الله ﷺ لأكله العسل في بيت أُم سلمة فقلن له فيك رائحة كريهة أأكلت المغافير[٥]. فقال ﷺ: لا[٦].فطلّقها رسول الله ﷺ فخشيت سودة أن يطلّقها رسول الله ﷺ نهائيا لاعمالها المشينة في حقّه، فقالت له لا تطلقني وأجلسني مع نسائك ولاتقسم لي[٧] فنزلت آية:**﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أنْ يصلحا بينهما والصلح خير﴾**[٨].وجاء في رواية انه ﷺ لم يرجعها [٩].

---

(١) البحار ٢٢ / ١٩١، الإستغاثة ١ / ٧٠.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ١٣١.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٧٧.

(٤) اي في مثل هديها وطريقها، كتاب النهاية لابن الاثير كلمة سلخ.

(٥) والمغافير صمغ العرفط كريه الرائحة .

(٦) تفسير الطبرسي ١٠ / ٥٥، اسباب النزول، الواحدي ٢٩١، تفسير القرطبي ٥ / ٤٠٣.

(٧) تفسير الطبرسي ٣ / ٢٠٦.

(٨) النساء ١٢٨.

(٩) تفسير ابن كثير ١ / ٨٩١.

وقال ﷺ عن هذه المجموعة:انهن صواحب يوسف .

٣ ـ عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة، تزوّجها النبي وكانت ثيباً ودخل بها بالمدينة. ثم طلقها وراجعها[١].

٤ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ ثم طلّقها وراجعها ثم همّ بطلاقها[٢].

٥ ـ زينب بنت عميس[٣].

٦ ـ زينب بنت خزيمة بن الحارث من بني عامر بن صعصعة، وهي أُمّ المساكين؛ ولم يمت من نسائه عنده غيرها وغير خديجة.

٧ ـ أُم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

٨ ـ زينب بنت جحش بن رئاب بن قيس بن يعمر بن صبرة من بني أسد بن خزيمة.

٩ ـ أُم سلمة هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم[٤].

١٠ ـ جويريّة واسمها برّة بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقيّة من خزاعة[٥].

١١ ـ ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُجير الهلالي[٦].

هؤلاء اللاتي دخل بهنّ ﷺ ومن سراريه، مارية أُم إبراهيم وريحانه القريظية وصفية بنت حيي بن أخطب من بني النجّار من سبط هارون النبي ﷺ.

---

(١) المستدرك ٤ ح ١٧٥١٦.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٣٨٤، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة وحفصة وسودة بسبب اخلاقهن السيئة وكان لا يحبهن ثم راجعهن لحكمة ارادها الله تعالى.

(٣) البحار ٢٢ / ١٩٤.

(٤) البحار ٢٢ / ١٩١.

(٥) البحار ٢٢ / ١٨١.

(٦) البحار ٢٢ / ١٩١.

والنسوة اللاتي لم يدخل بهنّ رسول الله ﷺ:

١ ـ خولة بنت الهذيل بن هبيرة الثعلبية، هلكت في الطريق قبل وصولها إليه[١].

٢ ـ شِراف أُخت دحية بن خليفة الكلبي، حُملت إليه فهلكت قبل دخولها عليه[٢].

٣ ـ سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة السلمي، ماتت قبل أن يصل إليها[٣].

٤ ـ قُتيلة بنت قيس بن معدي كرب، وهي أُخت الأشعث بن قيس بن فلان، قُبض رسول الله قبل خروجها إليه من اليمن، وارتدت مع الأشعث، فخلف عليها عكرمة بن أبي جهل[٤].

٥ ـ العالية بنت ظبيان بن عمرو الكلابي، طلّقها.

٦ ـ ليلى بنت الحطيم الأوسي[٥]

قالت: أنا بنت الحطيم، وأبي مطعم الطير، وقد جئتك أعرض نفسي عليك. قال: قد قبلتك. فأتت نساءها فقلن لها: بئس ما صنعتِ! أنتِ امرأة غيور ورسول الله كثير الضرائر، إنّا نخاف أن تغاري فيدعو عليك فتهلكي، إستقيليه، فأتته فاستقالته، فأقالها[٦].

٧ ـ وصفيّة بنت بشامة العنبرية، عرض عليها المقام عنده أو ردّها إلى أهلها فاختارت أهلها فردّها.

اسباب تعدد زوجات الرسول

من الدواعي الرئيسية لهذا رغبة الاباء والنساء في مصاهرة رسول الله ﷺ

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٦٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٩، البحار ٢٢ / ١٩٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

(٥) البحار ٢٢ / ١٩٢.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/ ١٥٠، ١٥١.

فتقدم ابو بكر وعمر والاشعث بن قيس على عرض عائشة وحفصة وقتيلة على الرسول فوافق على الزواج منهن. وبعض النساء عرضن انفسهن مباشرة على النبي ﷺ فوافق على الزواج منهن مثل غزية بنت دودان وام حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش .

وعندما طلق الرسول سودة طلبت منه ان لا يطلقها وترضى ان لا يقسم لها [١]

والملاحظ في نسائه أنّ الكثير منهنّ من المسنّات مثل سودة، أو من اللواتي ليس لهنّ معيل يعيلهنّ بعد مقتل أزواجهنّ فضمّهن رسول الله ﷺ إلى نسائه.

فكانت خديجة باكرة فقط، والأخريات ثيبات، بينما كان بإمكانه الزواج من العشرات من النساء الباكرات.

ولا يغيب عن بالنا كثرة الحروب التي شنّها الكفّار على المسلمين وكثرة الفتوحات الإسلامية تسبّبت في زيادة نسبة النساء على الرجال، فأصبح شائعاً زواج الرجل من عدّة نساء وامتلاكه مجموعة من الجواري.

وزواج الرجل من عدّة نساء كان عادياً في الجاهلية والإسلام لكن اليهود والأمويين وسائر أعداء الإسلام سلّطوا الضوء على زيجات النبي ﷺ وافتروا كثيراً في هذا المجال.

كما أنّ النبي ﷺ اعتزل بعض نسائة (عائشة وحفصة) فترة من الزمن، وبيّن الحاكم ذلك الحديث بصورة واضحة قائلاً: كان النبي قد طلّق عائشة وحفصة ثمّ راجعهما[٢].

وبعض زيجاته كانت سياسية واجتماعية ودينية مثل زواجه بريحانة القريظية وصفية النضيرية .

وسبايا الحروب من النساء كن كثيرات يقعن في سهم كل مسلم .

---

(١) تفسير الطبرسي ٣/٦-٢.

(٢) صحيح البخاري ٦/٧٠ طبعة دار الفكر ـ بيروت، المستدرك ٤ / ١٧٥١٦.

كم زوجة للنبي طُلقت بخديعة؟

وممّن طلّقن بخديعة عائشة وحفصة:

١ ـ غزيّة بنت دودان بن عوف بن جابر بن ضباب من بني عامر بن لؤي، وهي أمّ شريك التي وهبت نفسها للنبي ﷺ. فاستعاذت من النبي ﷺ بنصيحة عائشة وحفصة فطلّقها ﷺ(١).

٢ ـ أسماء بنت النعمان الكندي، من بني آكل المُرار، كانت من أجمل نسائه وأتمهنّ فقالت لها عائشة وحفصة: إن أردت أن تحظي عنده فتعوّذي بالله منه إذا دخلت عليه.

فلمّا دخل وأرخى الستر، قالت: أعوذ بالله منك! فصرف وجهه عنها.

ثمّ قال ﷺ: أمنى عائذة بالله! إلحقي بأهلك فخرج النبي ﷺ والغضب يُعرف في وجهه(٢).

٣ ـ عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رواس الكلابي، علّمتها عائشة نصيحتها الخطيرة! بالتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، والرجيم أقبح شياطين الجن.

فقالت لرسول الله ﷺ أعوذ بالله منك فطلّقها(٣).

٤ ـ الجونية امرأة من كندة وهي زينب بنت أبي الجون وليست بأسماء، كان أبو أُسيد الساعدي قدم بها عليه في السنة التاسعة، فوليت عائشة وحفصة مشطها وإصلاح أمرها، فقالت إحداهما لها: إنّ رسول الله يعجبه من المرأة إذا دخل عليها ومدّ يده إليها أن قالت: أعوذ بالله منك.

ففعلت ذلك فوضع ﷺ يده على وجهه واستتر بها وقال ﷺ: عذت، فعاذت ثلاث مرّات. ثمّ خرج وأمر أبا أُسيد الساعدي أن يمتّعها برازقيّتين ويلحقها بأهلها؛

---

(١) طبقات ابن سعد: ٨/١٤٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، البحار ٢٢/١٩٢، ٢٠٤، ٢١٠، مختصر تاريخ دمشق ٢/٢٨٧.

(٣) المستدرك الحاكم ٤ / ٣٨ طبعة دار الكتب العلمية.

فسمّت نفسها الشقية وماتت كمداً[١].

فقال النبي ﷺ عن عائشة وحفصة: إنهنّ صواحب يوسف وكيدهن عظيم[٢].

٥ ـ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان استعاذت من النبي ﷺ بنصيحة عائشة وحفصة! فطلقها النبي ﷺ فقالت أنا الشقية إنما خُدِعت[٣].

٦ ـ إمرأة من بلجون علّمتها عائشة وحفصة ومكرن بها فقالت للنبي ﷺ أعوذ بالله منك فطلقها ﷺ.

فقالت لأهلها خُدعت، فسَجَنت نفسها في بيتها حتىٰ ماتت كمداً[٤].

٧ ـ مُليكة بنت كعب الليثي وكانت تذكر بجمال بارع فخدعتها عائشة فقالت لرسول الله ﷺ أعوذ بالله منك فطلقها النبي[٥] وقتل خالد بن الوليد أباها بعد فتح مكّة في حادثة بني جذيمة[٦].

وكان إصرار عائشة وحفصة علىٰ الاستمرار في خداع زوجات رسول الله ﷺ الجدد عجيباً رغم الغضب النبوي الشديد تجاههما، والحالة النفسية الخطيرة لتلك المطلّقات! والمنتهية بالموت لبعضهن.

٨ ـ وضُباعة بنت عامر القيسيّة، كانت عند عبدالله بن جدعان فطلّقها ثمّ تزوّجها هشام بن المغيرة فأولدها سلمة، وطلقها فخطبها رسول الله ﷺ إلى سلمة.

فقال: استأمرها.

فقالت: أفي رسول الله! قد رضيت[٧].

---

(١) المستدرك الحاكم ٥٨/٤، جمل من أنساب الاشراف ٩٦/٢، طبقات ابن سعد ١٤٥/٨، أنساب الاشراف ٥٩٧/٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٧.طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، البحار ٢٢ / ٢٠٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٢.

(٤) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٦، أنساب الاشراف ٢ / ٥٩٧.

(٥) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٨، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٩. طبعة دار صادر - بيروت.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٨٧، أنساب الاشراف ٢ / ٥٩٩ طبعة دار الفكر.

(٧) عيون الأثر ٣٩٢/٢ ـ ٣٩٤، تاريخ اليعقوبي ٨٤/٢، ٨٥، تاريخ ابن الأثير ٣٠٧/٢.

والظاهر أنّها طلّقت بخديعة عائشة وحفصة إذ ماتت كمداً وحزناً[١]. ونسب إليها رجال الحزب القرشي طوافها بالكعبة عارية وقولها في الجاهلية: اليوم يبدو بعضه أو كلّه[٢] وهذا من كذب الحزب القرشي لحبها رسول الله ﷺ.

مَنْ آذت رسول الله ﷺ؟

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتّى يظلّ يومه غضبان كما قال البخاري[٣].

وقالت حفصة للنبي ﷺ أمام عمر: تكلم ولا تقل إلّا حقاً فضربها عمر[٤].

ومن صور أذاهما تشكيك عائشة في نسب إبراهيم بن رسول الله ﷺ[٥] أي وصمت مارية بالزنا! واتهمت ابراهيم بأنّه لقيط! فأنزل الله تعالى براءتها في كتابه الكريم. في آيات الإفك. وقد غيّر الأمويون آيات الإفك لاحقاً لصالح عائشة بدل مارية![٦]

فهل تعتبر عائشة وحفصة من جملة نساء رسول الله ﷺ المتنعّم بهما!؟

ومن مصاديق كذب عائشة علىٰ رسول الله ﷺ أنّه أرسلها إلى امرأة من كلب لتنظر إليها فذهبت ثم رجعت.

فقال ﷺ لها: ما رأيت؟

قالت: لم أر طائلاً[٧].

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٩٤، الروض الأنف ٢ / ٢٩١.

(٢) الروض الأنف ٢ / ٢٩١. جمل من أنساب الاشراف ٢ / ٩٩.

(٣) صحيح البخاري ٦/٦٩، الطبقات ٨/٥٦.

(٤) البحار ٢٢ / ١٧٤.

(٥) المستدرك الحاكم ٤/٤٢ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٦) راجع كتاب الإفك للسيد جعفر مرتضى.

(٧) اي ليس فيها فائدة.

فقال ﷺ: لقد رأيتِ خالاً بخدّها اقشعرت له كل شعرة منك[١].

فقالت عائشة: يا رسول الله ما دونك ستر[٢].

وكانت أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان تبغض علياً عليه السلام[٣] مثل عائشة وحفصة وقد قال رسول الله ﷺ: يا علي لا يحبك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق[٤].

وورد أنّ رسول الله ﷺ فوّض أمر نسائه بعد موته إلىٰ علي عليه السلام وجعل رسول الله له أنْ يقطع عصمة أيّتهنَّ قائلاً: إذا عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين أي يقطع عصمة أيتهن شاء، وله من الصحابة جماعة يشهدون بذلك[٥].

ولم يعتن طلحة بن عبد الله ابن عم عائشة برسول الله فأعلن رغبته في الزواج من عائشة وأعلن عثمان رغبته في الزواج من أم سلمة[٦] فنزل قوله تعالىٰ:

﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إنّ ذلكم كان عند الله عظيماً﴾[٧].

وقد قال النبي ﷺ في صلاة الجمعة في المسجد النبوي عن منزل عائشة: ها هنا الفتنة ، ها هنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان[٨].

وممّن كذب على رسول الله ﷺ أيضاً الحارث ذلك إنّه ﷺ خطب جمرة بنت

---

(١) أطلَع جبرائيلُ عليه السلام رسول الله ﷺ على جمالها وغضبت عائشة عند رؤيتها.

(٢) أنساب الاشراف ٢ / ٦٠١.

(٣) البحار ٣٣ / ١٢٣.

(٤) مستدرك الحاكم ٣ / ١٢٧، الرياض النضرة ٢ / ١٦٦.

(٥) البحار ٣٣ / ١٢٣، سفينة البحار ٢ / ٩٣، ٩ / ٢٧٧.المناقب، ابن شهر آشوب ١ / ٣٣١ طبعة طهران الأولىٰ ١٣١٧، الدرجات الرفيعة ٣٠٣.

(٦) تفسير الحميري في تفسير الآية المذكورة وتفسير الدر المنثور للسيوطي في تفسير الآية السابقة.

(٧) سورة الأحزاب ٥٣، البحار ٣١ / ٢٣٨، الأمالي، المفيد ٦٢.

(٨) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٤ / ٣٣ وقد محا النسّاخ والناشرون اسم عائشة من الحديث في بعض طبعات صحيح البخاري!، البحار ٢ / ٣ / ٢٨٧.

الحارث ابن عوف فقال أبوها: إنّ بها برصاً وهو كاذب فبرصت. وهي أم شبيب بن البرصاء الشاعر(١).

زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش

في المدينة ساعد النبي ﷺ المسلمين على الزواج ومنهم زيد بن حارثة إذ ساعده على الزواج من زينب بنت جحش، (إبنة عمّته أُمامة بنت عبدالمطلّب).

وكان زيد بن حارثة عبداً لخديجة فوهبته لرسول الله ﷺ فحرّره وربّاه.

وكان الناس في الجاهلية يتبنّون من أحبّوا من مماليكهم وغير مماليكهم، وعلى هذا الأساس تكون علاقتها ببعض مثل علاقة سائر الآباء بالأبناء من حرمة زواج الأب من زوجة ابنه، ولمّا لم يكن للنبي ﷺ أبناء فقد اعتقد بعض الناس أنّه تبنّى زيد بن حارثة.

وفي المدينة كانت هناك مشكلتان تتعلّق بزيد بن حارثة: الأولى: علاقته غير الجيدة مع زوجته زينب بنت جحش.

الثانية: إعتقاد الكثير من الناس ببنوة زيد لرسول الله ﷺ، وحرمة زواج النبي ﷺ من زوجة ابنه بالتبنّي زيد، وكان يسمىٰ زيد بن محمد ﷺ(٢).

وهاتان المشكلتان حلّها الوحيد يتمثّل في طلاق زيد لزينب وزواج النبي ﷺ منها.

بعد أن حاول النبي ﷺ أوّلاً إصلاح العلاقة الزوجية بينهما فلم ينفع ذلك.

وكان ﷺ في ذهنه أن يتزوّج زينب إن طلّقها زيد، لأنها ابنة عمته ومهاجرة غريبة في المدينة، وإنّه ﷺ هو الذي زوّجها من زيد الذي لا تريده الآن.

---

(١) أنساب الاشراف، ٢ / ٦٠٢.

(٢) المستدرك، الحاكم ٤ / ٢٥.

وكان زواجه ﷺ منها نهاية للإشاعة الجاهلية المنتشرة بين الناس والمتمثّلة في بنوة زيد لرسول الله ﷺ. فحصل ذلك الأمر بطلاق زيد لزينب ثمّ زواج النبي ﷺ منها.

وعندها تكلّم المنافقون الفضوليون في هذه القضيّة للإنتقام من النبي محمّد ﷺ. وزاد الأمويون في أيّام ملوكيتهم في القضيّة لتكون موضوعاً جيداً لكلّ معارض من محاربي الإسلام.

فصنعوا روايات معادية لرسول الله ﷺ على خطى روايات اليهود ضدّ النبي داود وسائر الأنبياء.

ومن ضمن موضوعاتهم زيارة النبي ﷺ بيت زيد ورؤيته زينب دون حجاب وتعلّق قلبه بها! ولا نعلم كيف اطّلعوا على قلب النبي ﷺ في تلك اللحظة وهم يروون أنّه كان وحده!

وكيف شاهدوا زينب بلا حجاب وغير ذلك من الافتراءات.

لقد كان النبي مطّلعاً على مفاتن زينب الباكر قبل زواجها فلم يرغب في الزواج منها، وزوّجها من زيد فكيف يرغب في الزواج منها بعد سنوات من ذلك التاريخ.

الأقرب للعقل أنّ زينب هي التي كانت تبغض زيداً، وترغب في الزواج من ابن خالها محمّد ﷺ.

فعطف عليها النبي ﷺ وضمّها إلى نسائه إضافة إلى المصلحة الأكيدة في الزواج منها والمتمثّلة في نفي أبوته لزيد.

إنّ اليهود الذين بهتوا النبي داود عليه السلام في علاقته بزوجة تلميذه أوريا لهم اليد الطولى في نشر افترائهم في قضيّة زواج النبي ﷺ من زينب[1]. ووصموا النبي ﷺ وموسى عليه السلام بالتعري اعتداءاً على الساحة النبوية[2].

---

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ٢٥/٢١٢، ٢١٣.

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٩ / ١٢٩.

ومن غير المنطق توجّه رسول الله ﷺ وعمره قريب من الستّين عـلى زواج غرامي مع ابنة عمّته التي لم يرغب بها سابقاً. وقد نزل في الحادثة قوله تعالى:

﴿وإذ تقولُ للذيَ أنعَمَ اللهُ عَلَيهِ وأنعمتَ عليهِ أمسِك عَلَيكَ زَوجَكَ واتّقِ اللهَ وتُخفِي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبديهِ﴾.الى قوله تعالى :

﴿فلمّا قَضَى زَيدٌ مِنها وَطَراً زَوَّجناكَها لِكَي لا يَكُونَ على المؤمنينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعيآئِهم إذا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَراً وكَانَ أمرُ اللهِ مَفعُولاً﴾[1].

فالنبي يريد الاصلاح بينهما دون جدوى، واضعاً في نفسه زواجه منها ان طُلّقت.

وكان رجال الجاهلية لا يتزوّجون نساء أبنائهم بالتبنّي، في حين هنّ حلال عليهم. فسنّها القرآن واضحة المعالم بيّنة. ولولا هذا الزواج لنسبوا اسامة بن زيد إلى النبي ﷺ.

ولادة إبراهيم بن رسول الله ﷺ

كان النبي ﷺ مشتاقاً للحصول على ابن مثل سائر الناس، وكان طغاة الجاهلية ومنهم العاص بن وائل والد عمرو بن العاص بالتبني يصف النبي ﷺ بالأبتر فنزلت في العاص ابن وائل: ﴿إنّ شانئك هُو الأبتر﴾[2].

وولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ وأمّه مارية القبطية في ذي الحجّة سنة ٨ هجرية، ولمّا وُلد هبط جبرئيل على رسول الله فقال: السلام عليك ياأبا إبراهيم!

وتنافست فيه نساء الأنصار أيّهنّ ترضعه، فدفعه رسول الله إلى أمّ بردة بنت المنذر بن زيد من بني النجّار، وعقّ رسول الله عنه بكبش.

وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة أبي رافع، فجاء أبو رافع إلى رسول الله فأخبره فوهب له عبداً.

---

(١) الأحزاب ٣٧.

(٢) الكوثر ٣.

وغارت بعض نساء رسول الله واشتدّ عليهنّ حيث رزق منها ولداً فروى الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت: دخل عليّ رسول الله ومعه ابنه إبراهيم يحمله، فقال النبي ﷺ: أنظري إلى شبهه بي.

قالت عائشة: أرى شبهها.

قال ﷺ: أما ترين بياضه ولحمه؟

قالت: من قصر عليه اللقاح أبيضّ وسمن[1].

فشكّكت عائشة في نسب إبراهيم إليه ﷺ وهي رأس من اتّهم مارية افتراءاً بابن عمها.[2] فنزل في عائشة وعصبتها **﴿إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم﴾**[3].

حيث رمت عائشة مارية القبطية بالزنا، وقالت للنبي ﷺ بأنّ ابنك إبراهيم من مارية لا يشبهك!

وأنزل الله تعالىٰ حينها: **﴿يا أيّها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا...﴾**[4].

وفي قول إنّها قالت لرسول الله ﷺ: ما يحزنك عليه فما هو إلّا ابن جريح القبطي.

فأمر رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ بقتله فذهب في أثر جريح الذي خاف من غضب علي ﷺ فصعد فوق نخلة ووقع علىٰ الأرض فبدت عورته فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء فانصرف علي ﷺ إلىٰ النبي وأخبره.

فقال النبي ﷺ: الحمد لله الذي صرف عنّا السوء أهل البيت[5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٨٧

(٢) راجع المستدرك، الحاكم ٤/٤٢ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) النور ١١.

(٤) الحجرات ٦ ،تفسير القمي ٢/٣١٨.

(٥) تفسير القمي ٢ / ١٠٠.

ونزل في حق عائشة قوله تعالىٰ: ﴿**التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً**﴾.

فهي نكثت إيمانها[١].

وهي التي سمّت رسول الله بالشيطان الرجيم عندما رغّبت النساء في القول له: أعوذ بالله منك.

والرجيم هو أخبث الشياطين لأنّه يرجم[٢].

فقضية الإفك في اتهام عائشة لمارية بالزنا ينسجم مع أخلاق عائشة المعروفة بالشدة والغلظة في معالجة الأحداث.

فكان تشكيكها بولده الوحيد أصدع لقلبه من تخرّصات العاص بن وائل!

وسارع الحزب القرشي لنفي قضية افتراء عائشة علىٰ مارية وتحريف آية براءة مارية منها إلىٰ عائشة أنظر كتاب حديث الإفك للسيد جعفر مرتضىٰ العاملي.

وتوفّي إبراهيم في سنة ١٠ هجرية وله سنة وعشرة أشهر، وكُسفت الشمس ساعتين من النهار، فقال الناس: كسفت لموت إبراهيم.

وقال رسول الله: إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم فافزعوا إلى مساجدكم.

وقال النبي ﷺ: إنّ العين تدمع والقلب يخشع وإنّا بك ياإبراهيم لمحزونون ولكنّا لا نقول ما يسخط الربّ[٣].

القرآن ونساء النبي ﷺ

ونزلت في عائشة وحفصة ما جاء في القرآن الكريم في سورة التحريم فتكون هذه السورة مفتاح معرفة شخصية عائشة وحفصة وامرأتي نوح ولوط:

---

(١) تفسير العياشي ٢ / ٢٧٠، تفسير البرهان ٢ / ٣٨٣، البحار ٧ / ٤٥٤.

(٢) تفسير البرهان ٢ / ٣٨٤، البحار ١٤ / ٦٢٨، الصافي ١ / ٩٣٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٨٧.

﴿وإذ أسر النبي إلىٰ بعض أزواجه حديثاً فلما نبّأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبّأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير، إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهيرا، عسىٰ ربُّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكارا﴾[1].

ثم قال سبحانه في سورة التحريم:

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النارَ مع الداخلين﴾[2].

وقال عمر بن الخطاب لإبن عباس إنّ المرأتين اللتين تظاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ هما عائشة وحفصة[3].

وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان[4]. فقال عمر بن الخطاب لحفصة: لقد علمت إن رسول الله ﷺ لا يحبك[5].

وهما اللتان صوّرتا وعرّفتا رسولَ الله ﷺ بالشيطان لنسائه الآخريات فقالت بعض نسائه الجدد الغافلات له: نعوذ بالله تعالىٰ منك[6].

وعارضت عائشة رسول الله ﷺ في علاقة الرجال بالنساء فأجازت لأي

---

(١) التحريم ٣ – ٥.

(٢) التحريم: ١٠.

(٣) صحيح البخاري ٣ / ٢٠٦ ط. مصر سنة ١٩٣٢، كنز العمال ٢ / ٥٣٢ ح ٤٦٦٦، مسند أحمد ١ / ٤٨.

(٤) صحيح البخاري ٦ / ٦٩، طبقات ابن سعد ٨ / ٥٦.

(٥) صحيح مسلم ٤ / ١٨٨.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/١٤٥، ١٦٠، المحبر ٩٤، مستدرك الحاكم ٤/٣٧، الإستيعاب ٢/٧٠٣، الإصابة ٣/٥٣٠، ترجمة نعمان بن أبي الجون، البحار ٣٢ / ١٩١، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١.

رجل الدخول على أي امرأة باسم الرضاعة منها! فأدخلت سالم بن عبد الله بن عمر لحبها لجده على أختها أم كلثوم بنت أبي بكر ليرضع منها، فرضع منها ثلاث مرّات! ليحل له الدخول عليها![1].وأهم موضع أنثوي جنسي عند المرأة هما الثديان.

وكانت عائشة صاحبة الفتوى في زمن أبي بكر وعمر وعثمان، وعبر فتواها المذكورة تمكن الكثير من الرجال الدخول على النساء الراضيات بتلك الفتوى الغريبة!.

رأي عائشة في القرآن

أمّا رأي عائشة في القرآن فعجيب ومدهش إذ كانت تعتقد بأنّ رسول الله ﷺ يكتم بعض آيات القرآن الكريم!

فقد قالت عائشة لأم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمة النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ : يقال إنّ عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهروه؟

فقالت زينب: لو كتم محمد ﷺ ممّا أنزل الله عزّ وجل عليه لكتم هذه الآية:

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾[2].

من هن المخالفات لرسول الله ﷺ؟

خالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالى

﴿وقَرنَ في بيُوتكُنّ ولا تَبرّجن تبرُّجَ الجاهلية الأولى﴾[3].

وقالت أُم سلمة لعائشة : وحذر رسول الله ﷺ نساءه من الإنحراف عن الصراط؟ فقلنا نعوذ بالله وبرسوله من ذلك فضرب على ظهرك فقال: إيّاك أنْ

(١) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٢ ترجمة أُم كلثوم بنت أبي بكر.

(٢) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢ / ٢٧٣.

(٣) الأحزاب ٣٣ / ٣٣.

تكونيها ياحميراء(١).

وحينئذٍ كتبت أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة إلىٰ عليّ عليه السلام من مكّة: أما بعد فإنّ طلحة والزبير وأشياعهم أشياع الضلالة يريدون أنْ يخرجوا بعائشة ومعهم عبدالله بن عامر، يذكرون أنّ عثمان قُتِل مظلوماً، والله كافيهم بحوله وقوته ولولا ما نهانا الله سبحانه عن الخروج وأنت لم ترضَ به لم أدع الخروج إليك والنصرة لك، ولكني باعثة إليك بإبني وهو عدل نفسي عمر ابن أبي سلمة، يشهد مشاهدك فاستوص به يا أمير المؤمنين خيراً، فلما قدم عمر علىٰ عليّ عليه السلام أكرمه ولم يزل معه حتىٰ شهد مشاهده كلها (٢).

وقد أرسلت عائشة إلىٰ حفصة وغيرها من أمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها إلىٰ البصرة فما أجابها إلىٰ ذلك منهم إلّا حفصة، لكنّ أخاها عبدالله أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطت رحلها بعد أن همّت(٣).

ثم فرحت عائشة بمقتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٤) رغم معرفتها بحب رسول الله ﷺ له إذ قالت:ما رأيت رجلاً أحب إلىٰ رسول الله ﷺ منه (علياً عليه السلام) ولا رأيت إمرأة كانت أحب إليه من إمرأته(٥).

وسبب فرح عائشة بمقتل عليّ عليه السلام يتمثل في قولها:قُتِل عليّ لتصنع العرب ما شاءت، فليس أحدٌ ينهاها(٦).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ٢/٧٨، ٧٩، ٦/٢١٨، معجم البلدان ٢/٣٦٢، الروض المعطار ص٢٠٦، تطهير الجنان، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ص ١٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن الحديد المعتزلي ٢ / ٨٠، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧، معجم البلدان ٢ / ٣٦٢، الروض المعطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن الحديد المعتزلي ٢ / ٨٠، تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧، معجم البلدان ٢ / ٣٦٢، الروض المعطار، ابن حجر بهامش الصواعق المحرقة ١٠٨.

(٤) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الاصفهاني ٤٣.

(٥) العقد الفريد ٤ / ٢٩٢.

(٦) الإستيعاب ٣ / ٢١٨.

أي لتعبد العرب من شاءت، ولتخالف شريعة محمد ﷺ متىٰ أرادت، فقد قتل حامي الدين ومخيف الطغاة ومحطم الأصنام.

ولم تسمح فاطمة ؟ لعائشة وأبيها وعمر من حضور مراسم دفنها. وقد قال رسول الله ﷺ يا فاطمة إنّ الله ليغضب لغضبكِ ويرضىٰ لرضاكِ[١].

وفي حين قال النبي ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة منعت عائشة من دفن الحسن ؟ جنب جثمان جدّه رسول الله ﷺ[٢] المدفون في بيت امه فاطمة ؟.

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة إذ جاء:

«لمّا قُتِل محمد الأمين دخل إلىٰ السيّدة زبيدة أمّه أحد خدمها، وقال لها ما يجلسك وقد قُتِل أمير المؤمنين؟

فقالت: ويلك ماذا أصنع؟

قال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان.

فقالت: إخسأ لا أمّ لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟

ثم أمرت بثيابها فسوّدت، ولبست مسحاً من شعر»[٣]

وقال رسول الله ﷺ لعائشة يوماً: أفأخذك شيطانكِ[٤].

وعن قضية إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان قال سعيد بن المسيّب: أول قضية رُدّت من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلانٍ (معاوية) في زياد[٥].

وقال ابن أبي نجيح: أوّل حكم رُدّ من حكم رسول الله ﷺ علانية الحكم في

---

(١) كنز العمال ١٢ / ٣٤٢٣٨.وراجع كتاب السقيفة للمؤلف .

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٧٥، مختصر تاريخ دمشق، ترجمة الإمام الحسن ؟، أنساب الاشراف ترجمة الإمام الحسن ؟، مقاتل الطالبيين ٧٤.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٢٧.

(٤) مسند أحمد ٦ / ٢٢١.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٩ / ٧٨.

زياد[١]. إذ أعلنها معاوية وكتبتها عائشة: من عائشة أم المؤمنين إلىٰ زياد بن أبي سفيان[٢].

في حين قال النبي ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر[٣].

من هي التي ضربها رسول الله ﷺ ؟

لقد تعرضت عائشة للضرب من قبل رسول الله ﷺ وأبي بكر لأفعالها الكثيرة والمستمرة في مخالفة النبي ﷺ وظلم سائر نسائه ﷺ.

إذ تابعت عائشة رسول الله ﷺ ليلاً إلىٰ البقيع دون إذنه أولاً وللتجسس عليه ثانياً فشاهدها النبي ﷺ فلحقها جارياً إلىٰ منزلها فقال لها:أنت السواد الذي رأيته أمامي؟

قالت: نعم

قالت عائشة فلهزني[٤] ﷺ لهزة في صدري أوجعتني[٥]

وقالت عائشة: خاصمت النبي ﷺ إلىٰ أبي بكر فقلت: يا رسول الله ﷺ أقصد (اعدل).

فلطم أبو بكر خدي وسال الدم علىٰ ثيابي[٦].

وبينما كانت عائشة المرأة الوحيدة القائلة لرسول الله ﷺ اعدل كان ذو الخويصرة زعيم الخوارج الرجل الوحيد القائل لرسول الله ﷺ اعدل[٧].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٧٨.

(٣) الاستبصار، الطوسي ٤ / ١٨٣.

(٤) يقال لهزه لهزة إذا ضربه بجمع كفه في صدره، عمدة الاخبار ١٢٤.

(٥) تاريخ المدينة المنوّرة ١ / ٨٩.

(٦) تفسير القرطبي ١٨ / ١٦١، تاريخ بغداد ترجمة محمد بن أبي بكر، كنز العمال ٧ / ١١٦ح ١٠٢٠ ط. حيدر آباد، احياء علوم الدين، الغزالي، كتاب آداب النكاح الباب الثالث ج ٢ ص ٢٩ ط. مصر

(٧) سليم بن قيس ٢٤٧، العمدة، ابن البطريق ٤٥٨ البحار ١٨ / ١١٣.

وقالت عائشة للنبي ﷺ أنت الذي تزعم أنّك نبي الله؟[١].

وفي أواخر أيّام عمرها جلست عائشة تراقب مسلسل تاريخ حياتها وما يستحق يوم القيامة فبكت كثيراً وقالت: ياليتني كنتُ ورقة من هذه الشجرة[٢].

وبذلك توضح رأي عائشة في رسول الله ﷺ وأهل بيته مبنيّاً علىٰ عدم اطاعتهم ومحبتهم.

صفات نساء النبي ﷺ

كانت معظم نساء النبي ﷺ من الثيبات والعجائز والدميات المنظر فقد كانت عائشة بنت أبي بكر سوداء دميمة في وجهها أثر مرض الجدري والحجاب هو الذي أنقذها وبقي رسول الله ﷺ يكابد ألم النظر إليها وتحمّل أخلاقها لحكمة يريدها الله تعالىٰ فطلّقها رسول الله ﷺ مع حفصة وسودة ولكن الحكمة الإلهية أوجبت أن لا يطلق واحدة من نسائه في حياته وأجاز له ذلك بعد مماته.

وقد طلق الرسول عائشة وحفصة وسودة [٣]باعتراف جميع العلماء لكن الكثير منهم حذفوا شيئا من الرواية لتحريف الموضوع والاساءة لرسول الله والكلمة المحذوفة من الرواية هي بعض فالاصل طلق النبي ﷺ بعض نسائه فأصبح طلق النبي ﷺ نساءه لتصويره بالمجنون والعياذ بالله تعالى .

جاء في تاريخ يحيىٰ بن معين ومصنفات الشيخ المفيد عن عبادة: قلنا لسهيل بن ذكوان هل رأيت عائشة أم المؤمنين؟

قال: نعم

---

(١) احياء علوم الدين للغزالي، كتاب النكاح الباب الثالث ٢ / ٢٩ ط. مصر.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ٧٤، ٧٥، سيرة اعلام النبلاء ٢/١٧٩.

(٣) المستدرك ٤ ح ١٧٥١٦،عيون الأثر ٢ / ٣٨٤، أنساب الاشراف ٢ / ٥٦١، فطلق النبي ﷺ عائشة وحفصة وسودة بسبب اخلاقهن السيئة وكان لا يحبهن ثم راجعهن لحكمة ارادها الله تعالىٰ.

قلنا: صفها

قال: كانت سوداء[١].

وقال ابن حجر العسقلاني: إنّها كانت أدماء (أي سوداء)[٢]

وقال البخاري وابن حبان وابن حجر العسقلاني: بوجهها أثر جدري[٣].

ومن المتصفين بنفس الصفة كان عثمان بن عفان ويزيد بن معاوية[٤] اي صفة الأسود بوجهه أثر الجدري ولنقص الدواء سابقاً كان مرض الجدري يؤثر في الوجه تأثيراً خطيراً يجعله دمياً بالكاد تستطيع النظر إليه.

وروى الزبير بن بكار: أنّ الضحّاك بن أبي سفيان الكلابي كان رجلاً دمياً قبيحاً، فلما بايعه النبي ﷺ قال للنبي: إنّ عندي امرأتين أحسن من هذه الحميراء (أي عائشة قبل نزول آية الحجاب)، أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها؟ (وعائشة جالسة تسمع).

فقالت (عائشة): أهي أحسن أم أنت؟

فقال: بل أنا أحسن وأكرم.

فضحك النبي ﷺ من سؤالها إياه![٥].

الدلائل والعبر

من الأسباب المهمة الداعية لرسول الله ﷺ للزواج من عدّة نساء ومن قبائل وعشائر شتّىٰ هي كسب تلك القبائل والعوائل إلىٰ صفوف المسلمين وتقوية أواصر العلاقة معها مثل بني أسد، وبني عامر بن لؤي، وبني عدي، وبني أمية، وبني مخزوم،

---

(١) تاريخ يحيىٰ بن معين ٣ / ٥٠٩، مصنفات الشيخ المفيد ١ / ٣٦٩.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر ٣ / ١٣٤، ٤ / ١٢٥ طبعة مجلس المعارف النظامية في الهند.

(٣) لسان الميزان، ابن حجر ٤ / ١٣٦ طبعة حيدر آباد – الهند.

(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٦٧، تاريخ ابن الوردي ١ / ١٤٦.

(٥) السمير المهذّب ٢ / ٨ – ٩.

وبني خزاعة، وبني هلال، وبني آكل المرار، وبني كندة، وبني كلب.

فتحققت بعض تلك الزيجات وفشلت أخرىٰ بفعل دسائس بعض نسائه وكلنا يعلم إنّ الناس في ذلك الوقت يلتزمون بالقبلية ويطيعون قوانينها وأعرافها.

فقد وقفت قبيلة بني النجار في المدينة مواقف مشرفة مع بني عبد المطلب في صراعاتهم لزواجهم فيها لأنّهم أخوالهم.

وكان رسول الله ﷺ لا يرد طلب امرأة متقدمة للزواج منه فاستغل البعض ذلك للتقرب إلىٰ جاه وشرف النبوة.

فقد قدّم عمر بن الخطاب ابنته حفصة الثيّبة للنبي فرضي رسول الله ﷺ بالزواج منها[١]، والظاهر أنّه تعلّم ذلك من أبي بكر.

وقدّم الأشعث بن قيس زعيم كندة أخته قتيلة لرسول الله ﷺ فرضي ﷺ بالزواج منها[٢]، ثمّ ارتدّ وأخته.

والمسألة الأخرىٰ إن زواج الرجال في الجاهلية والإسلام بأكثر من واحدة كان عادياً ومألوفاً فلم ينكره الناس في ذلك الزمن.

وفي أيامنا هذه وبفعل تأثر الناس بالحياة الغربية استنكر البعض الزواج بأكثر من امرأة.

وكانت الحروب تؤثر تأثيرا كبيرا علىٰ هذه القضية الاجتماعية فأصبحت من مشاكل المسلمين كثرة عدد النساء علىٰ الرجال إذ تعرّض آلاف من الناس للقتل في تلك المعارك.

فتزوج رسول الله ﷺ بأم سلمة المقتول زوجها وأُم حبيبة المتنصر زوجها ليأوي أمثال هذه النساء في ديار الغربة .

---

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي ٤ / ٢٧٧، فتح الباري ٧ / ٨٥.

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٧.

ومن القضايا الحساسة المحتاجة للالتفات في ذلك الزمن كثرة سبايا المشركين من النساء.

فنكح المسلمون هذه النساء بالملك أو أنّهم حرّروهن ثم تزوّجوهنّ وقد خير رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن أخطب بين نكاحها بملك اليمين أو الزواج منها[١] وكذلك خيّر ريحانه القرظيّة[٢].

والشيء المهم الملحوظ أنّ الناس لم تتبع فتوىٰ عائشة في الرضاعة ولو اتبعوها لساءت الحالة الاجتماعية وكثر الفساد مثلما لم تتبع الناس اعتقاد عمر بنقص القرآن الكريم[٣].

---

(١) الخصال، الصدوق ٤١٩.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٢٩١.

(٣) الدر المنثور ١ / ١٠٦، صحيح البخاري ١٠ / ٤٣، الاتقان، أبو عبيدة ٢ / ٤٢.

الفصل السادس

محاولات اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة



محاولة أبي سفيان اغتيال النبي ﷺ

كان أبو سفيان علىٰ رأس الرجال الظلمة الكفرة الساعين لإطفاء نور الإسلام قبل وبعد فتح مكة ولكن وسائله وطرقه لقتل الناس وإشاعة الكفر قد تغيرت بعد إعلانه الإسلام، إذ أصبح متوسلاً بالسرية والكتمان بعد أن كان متوسلاً بالصراحة والإعلان.

ومحاولته قتل رسول الله ﷺ وهو في مكة، واغتياله وهو في المدينة يؤيد ضلوع أبي سفيان في المحاولات اللاحقة لقتل رسول الله ﷺ في العقبة والمدينة، وضلوعه في عملية اغتيال أبي بكر لصالح عثمان.

وفعلاً نجح المشروع الأموي في اغتيال أبي بكر وإيصال عثمان بن عفان إلىٰ الخلافة بدلاً عن أبي عبيدة بن الجراح المرشح لها بعد خلافة عمر بن الخطاب[1].

ذكر البيهقي: «كان أبو سفيان بن حرب قد قال لنفر من قريش بمكة: ما أحد يغتال محمداً، فإنّه يمشي في الأسواق فندرك ثأرنا، فأتاه رجل من العرب فدخل عليه منزله، وقال له: إن أنت قويتني[2] خرجت إليه حتىٰ اغتاله، فإني هادٍ بالطريق خِرِّيتٌ، ومعي خنجر مثل خافية النَّسْر.

(١) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، للمؤلف.

(٢) في البداية والنهاية لابن كثير ٤/٧٩ «ان وفيتني».

قال: أنت صاحبُنا، فأعطاه بعيراً ونفقة، وقال: إطْوِ أمرك، فإني لا آمَنُ أن يسمع هذا أحَدٌ فيُنِمَّه إلىٰ محمد.

قال الأعرابي: لا يعلم به أحد.

فخرج ليلاً علىٰ راحلته فسار خمساً وصبَّح ظَهْرَ الحَرَّة، صُبْح[1] سادسَهِ، ثم أقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتىٰ أتى المصلىٰ، فقال له قائل: قد توَجَّه إلىٰ بني عبد الأشهل، فخرج يقود راحلته حتىٰ انتهىٰ إلىٰ بني عبد الأشهل، فعقل راحلته، ثم أقبل يؤمُّ رسول الله ﷺ فوجده في جماعة من أصحابه يُحَدِّثُ في مسجدهم.

فدخل، فلما رآه رسول الله ﷺ قال لأصحابه: إنَّ هذا الرجل يريد غدراً، والله حائل بينه وبين ما يريد.وهذا من دلائل النبوة .

فوقف، فقال: أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، فذهب ينحني علىٰ رسول الله ﷺ، كأنه يُسارُّه، فَجَذَبَهُ أسيد بن حضير، وقال له: تَنَحَّ عن رسول الله ﷺ، وجبذَ بداخلةِ إزاره، فإذا الخنجر.

فقال رسول الله ﷺ : هذا غادِرٌ، وسُقِطَ في يدي الأعرابي، وقال: دمي دمي يا محمد، وأخذ أسيدٌ يلبِّبُ.

فقال رسول الله ﷺ :إصدقني: ما أنت؟ وما أقدَمك؟ فإن صدقتني نفعك الصِّدقُ، وإن كذبتني فقد أُطلِعْتُ علىٰ ما هممت به.

قال الأعربي: فأنا آمِنٌ؟

قال: فأنت آمن.

فأخبره بخبر أبي سفيان وما جَعَلَ له.

فأمر به فَحُبِسَ عند أسيدٍ، ثم دعا به من الغد فقال ﷺ: قد أمَّنتك فاذهب حيث

---

(١) في البداية والنهاية يوم سادسه.

شئت، أو خيرٌ لك من ذلك.

قال: وما هو؟ قال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلّا الله، وأني رسول الله.

قال: فإني أشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله، واللهِ يا محمد ما كنتُ أفرق الرجال، فما هو إلّا أن رأيتُكَ فذهب عقلي، وَضَعُفت نفسي، ثم اطلعت علىٰ ما هممتُ به مما سبقتُ به الركبان، ولم يعلمهُ أحدٌ، فعرفت أنك ممنوع، وأنّك علىٰ حـقٍّ، وأنّ حزب أبي سفيان حزب الشيطان، فجعل النبي ﷺ يتبسّم.

وأقام أياماً ثم استأذن النبي ﷺ فخرج من عنده فلم يسمع له بذكر.

فقال رسول الله ﷺ لعمرو بن أمية الضمري ولسلمة بن أسلم بـن حـريش: أُخرجا حتىٰ تأتيا أبا سفيان بن حرب، فإن أصبتما منه غِرّة فاقتلاه، قـال عـمرو: فخرجنا أنا وصاحبي حتىٰ أتينا بطن (يأجج)[1].

فقيدنا بعيرنا، فقال لي صاحبي: يا عَمرُو هل لك في أن نأتي مكة ونطوف بالبيت سبعاً، ونصلي ركعتين؟

فقلت: إنّي أُعْرفُ بمكة من الفرسِ الابلق، وإنهم إن رأوني عرفوني، وأنا أعرف أهل مكة أنهم إذا أمسوا انفجعوا بأفنيتهم، فأبىٰ أن يطيعَني، فأتينا مكة فطفنا سبعاً، وصلينا ركعتين، فلما خرجتُ لقيني معاوية بن أبي سفيان فعرفني وقال: عمرو بن أمية (وا حزناه)[2] فأخبر أباه فنيد بنا أهلُ مكة.

فقالوا: ما جاء عمرو في خَيْرٍ ـ وكان عمرو رجلاً فاتكاً في الجاهلية ـ فـحشد أهل مكة رجالهم وتجمعوا، فهرب عمرو وسلمة.

وخرجوا في طلبهما، واشتدوا في الجبل. قال عمرو: فدخلت غاراً، فتغيبت عنهم، حتىٰ أصبحت، وباتوا يطلبون في الجبل، وعمّىٰ اللهُ (سبحانه) عليهم طريق المدينة أن يهتدوا لراحلتنا.

---

(١) الزيادة من البداية والنهاية.

(٢) الزيادة من البداية والنهاية.

فلما كان الغد ضحوةً أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي يختلي لفرسه حشيشاً، فقلت لسلمة بن أسلم: إن أبصرنا أشعر بنا أهل مكة، وقد أقصروا عنا، فلم يزل يدنو من باب الغار حتىٰ أشرف علينا وخرجت فطعنته طعنةً تحت الثدي، فسقط وصاح، وأسمَعَ أهل مكة فأقبلوا بعد تفرقهم، ودخلت الغار فقلت لصاحبي: لا تتحرَّك وأقبلوا حتىٰ أتوا عثمان بن مالك، فقالوا: من قتلك؟

قال: عمرو بن أمية.

قال أبو سفيان: قد علمنا أنه لم يأتِ بعمروٍ خيرٌ، ولم يستطع أن يخبرهم بمكاننا، كان بآخر رَمَقٍ ومات، وشغلوا عن طلبنا بصاحبهم يحملونه»[١].

محاولة صفوان بن أمية اغتيال النبي ﷺ

قال رسول الله ﷺ عن أهل البيت ﷺ لا يحبهم إلّا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقي الجد رديء الولادة[٢]. وهذا القول الإلهي يصدق فيمن حاول اغتيال رسول الله ﷺ وأهل بيته.

واستمرت مؤامرات قريش ضد خاتم الأنبياء كما كان عليه الحال في مكة وكما كان الحال قبل حرب بدر، واشترك في تلك المؤامرات طغاة قريش جميعاً.

وقال كاتب السيرة محمد بن إسحاق: «جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير.

وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارىٰ بدر. أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٣/٣٣٣ ـ ٣٣٧ طبع دار الكتب العلمية، بيروت، تاريخ الطبري ٢/٢١٧، طبع مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، البداية والنهاية ٤/٧٩ ـ ٨١، طبع مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

(٢) مقتل الحسين ٢/١٦.

فذكر عمير أصحاب القليب ومصابهم.

فقال صفوان[1]: والله لا خير في العيش بعدهم.

قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دَين عليَّ ليس له عندي قضاء، وعيال أخشىٰ عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلىٰ محمد حتىٰ أقتله، فإن لي قبلهم علة، إبني أسير في أيديهم.

فاغتنمها صفوان وقال: عليَّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم.

فقال له عمير: فاكتم عني شأني وشأنك، قال صفوان : أفعل.

ثم أمر عمير بسيفه، فشحذ له وسُمَّ، ثم انطلق حتىٰ قدِم المدينة.

فدنا عمير من النبي ﷺ ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهـل الجـاهلية بينهم.

فقال رسول الله ﷺ: قد أكرمنا اللهُ بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة.

فقال عمير: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد.

قال النبي ﷺ: فما جاء بك يا عمير؟

قال عمير: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال النبي ﷺ: فما بال السيف في عنقك؟

قال عمير: قبحها الله من سيوف! وهل أغنت عنّا شيئاً!

قال النبي ﷺ: إصدقني، ما الذي جئت له؟

قال عمير: ما جئت إلاّ لذلك.

قال النبي ﷺ: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فـذكرتما أصحاب

(١) كان صفوان بن أمية من اعمدة الكفر في مكة وهو نظير أبي سفيان.

القليب من قريش، ثم قلت:لولا دَين علي وعيال عندي لخرجت حتىٰ أقتل محمداً، فتحمَّل لك صفوان بدَينك وعيالك، علىٰ أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلّا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلّا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هـذا المساق، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره، ففعلوا.

ثم قال عمير: يا رسول الله، إني كنت جاهداً علىٰ إطفاء نور الله، شديد الأذىٰ لمن كان علىٰ دين الله عزوجل، وأنا أحب أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ، وإلىٰ رسوله ﷺ، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلّا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم.

فأذن له رسول الله ﷺ، فلحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية ـ حين خرج عمير بن وهب ـ يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام، تنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عنه الركبان، حتىٰ قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

فلما قدم عمير مكة، أقام بها يدعو إلىٰ الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم علىٰ يديه ناس كثير.

قال ابن إسحاق: وعمير بن وهب هو الذي رأىٰ إبليس حين نكص (فرّ) علىٰ عقبيه يوم بدر، فقال: أين أي سراقة؟ فأنزل الله تعالىٰ فيه:

﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني

جار لكم﴾[1] فذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقة بن مالك»[2].

وبقي صفوان بن أمية محارباً لله ولرسوله إلىٰ أن أسلم كرهاً في فتح مكة مثل أبي سفيان ومعاوية وحكيم بن حزام وغيرهم.

وقد سعى الأمويون إلىٰ إضفاء الفضائل علىٰ قادة الحزب القرشي الكفرة وتفضيلهم على المسلمين المهاجرين فذكروا روايات عديدة في فضائلهم لا أساس لها من الصحة، وقد قال تعالىٰ: **﴿إِنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظَّالِمِينَ﴾**[3]

وهؤلاء أقدموا بعد إسلامهم علىٰ جر المسلمين إلى الهزيمة في معركة حنين![4]

محاولات أخرىٰ لقتل النبي ﷺ

ومن المحاولات الأخرىٰ خروج عتبة بن أبي لهب من مكة إلىٰ المدينة مستخفياً لقتل رسول الله ﷺ فقتله أسد في الطريق[5].

وفي السنة الخامسة للهجرة طلب رجل من غطفان سيف النبي ﷺ فأعطاه له فأراد الرجل قتل رسول الله ﷺ فكبته الله تعالىٰ فأنزلت **﴿يا أيها الذين آمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ همّ قوم أن يبسطوا أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾**[6]

ومن المحاولات الاخرى جاء في القرآن الكريم:

﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللهِ وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللهَ واستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[7]

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣١٦ـ ٣١٩، مطبعة الحلبي، التبيان في تفسير القرآن، الطوسي ٣/٤٦٣، حلية الأبرار، البحراني ١/١١٣.

(٣) الأنعام: ١٤٤.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٢ ط. ليدن.

(٥) البحار ١٧ / ٤١٢.

(٦) المائدة ١١ .اسباب النزول ،الواحدي ١٢٨.

(٧) النساء: ٦٤.

قال أبو بكر الأصم في سبب النزول: «إنّ قوماً اصطلحوا علىٰ كيد في حق الرسول ﷺ، ثم دخلوا عليه لأجل ذلك الغرض، فأتاه جبريل ﷺ فأخبره به.

فقال النبي ﷺ: إنّ قوماً دخلوا يريدون أمراً لا ينالونه فليقوموا وليستغفروا الله حتىٰ أستغفر لهم، فلم يقوموا.

فقال النبي ﷺ: ألا تقومون، فلم يفعلوا.

فقال ﷺ: قم يا فلان، قم يا فلان حتىٰ عدّ اثني عشر رجلاً منهم.

فقاموا وقالوا: كنا عزمنا علىٰ ما قلت، ونحن نتوب إلىٰ الله من ظلمنا أنفسنا فاستغفر لنا.

فقال النبي ﷺ: الآن اخرجوا، أنا كنت في بدء الأمر أقرب إلى الاستغفار: وكان الله أقرب إلىٰ الإجابة، أخرجوا عنّي»[1].

الواضح من هذا النص أنّ الذين اشتركوا في محاولة قتل النبي ﷺ هنا من أعمدة الحزب القرشي، بحيث أبدل الراوي أو الناسخ أو الناشر اسمهم إلىٰ فلان وفلان. وهذه المجموعة قد كررت محاولاتها لقتل الرسول ﷺ.

محاولة شيبة بن عثمان اغتيال النبي ﷺ

وفي معركة حنين أراد البعض من الطلقاء اغتيال النبي ﷺ فلم يفلحوا منهم شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار، وكان أبوه قد قتله علي ﷺ في معركة أحد[2].

٧فقد كاد كفار قريش الإسلام مرّة أخرىٰ رغم إعلانهم الدخول في الإسلام قال اليعقوبي:

---

(١) تفسير الفخر الرازي ١٢٦/٤، طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت.

(٢) تاريخ الخميس ١٠٣/٢، ١٠٤، تهذيب الكمال، المزي ٦٠٤/١٢، طبقات ابن سعد ٤٤٨/٥.

«وأبدىٰ بعض قريش ما كان في نفسه. فقال أبو سفيان: لا تنتهي والله هزيمتهم دون البحر، وقال كلدة بن حنبل: اليوم بطل السحر، وقال شيبة بن عثمان: اليوم أقتلُ محمداً.

فأراد رسول الله أن يقتله فأخذ الحربة منه فأشعرها فؤاده.

والظاهر هنا أنّ النبي ﷺ قد أخذ الحربة من شيبة بن عثمان بالقوة وأنّ شيبة قد هجم عليه بالفعل، فاضطرّ النبي ﷺ إلىٰ أخذها منه ثم خطّ بها قلبه.

فقال رسول الله للعباس: صِحْ يا للأنصار، وصح يا أهل بيعة الرضوان، صِحْ يا أصحاب سورة البقرة، يا أصحاب السَّمُرة. ثم انفض الناس وفتح اللهُ علىٰ نبيه وأيَّده بجنود من الملائكة، ومضىٰ علي بن أبي طالب إلىٰ صاحب راية هوازن فقتله، وكانت الهزيمة»[1].

وتكررت محاولات قريش لقتل رسول الله ﷺ في مكة والمدينة وبعد اسلامهم في حنين والعقبة والمدينة!

ثم نجح الحزب القرشي في قتل النبي ﷺ وابنته فاطمة ﷺ وابنيها الحسن ﷺ والحسين ﷺ. كما سترىٰ بعض ذلك في الفصول القادمة.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٢، ٦٣، طبعة ليدن.

الفصل السابع

غزوة تبوك

من هو بمنزلة هارون من موسىٰ عليه السلام ؟

قال أحمد بن حنبل والبلاذري واليعقوبي والبيهقي: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غـزّة رجب سنة ٩ هجرية واستخلف علياً عليه السلام علىٰ المدينة[1].

فكان علي عليه السلام خليفة محمد صلى الله عليه وآله كما خلّف موسىٰ عليه السلام هارون عليه السلام عند ذهابه إلىٰ الطور لقوله تعالىٰ: ﴿واخلفني في قومي﴾[2].

وتثبت لعلي عليه السلام جميع منازل هارون عليه السلام الثابتة في الآية سوىٰ النبوة ومن منازله الإمامة المراد بقوله: وأشركه في أمري.

لمّا خلّف النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام على المدينة قال له عـلي عليه السلام: أتخـلفني في النسـاء والأطفال؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: إنّ المدينة لاتصلح إلاّ بي أو بك ألا ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ. إلاّ أنّه لا نبي من بعدي ولاينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي، وانت ولي كل مؤمن ومؤمنة من بعدي[3].

وكان البعض يخاف أشـدَّ الخـوف مـن وصـول الإمـام عـلي عليه السلام إلىٰ خـلافة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٦٧، دلائل النبوة، البيهقي ٥/٢١٢، مسند أحمد ١/١٧٧، كشف الغمة، الاربلي ١/٣٨، البحار ٢٨/٣٦٣، مناقب الإمام علي، ابن الدمشقي ١/٧٨، الإسلام، ابن حزم ٧/٩٨٢، التنبيه والاشراف، المسعودي ٣٢٦.

(٢) الاعراف: ١٤٢.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ١٤٤، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الأرشاد ١ / ١٥٦.

النبي ﷺ، لأنّ ذلك يعني سيطرة بني هاشم على الحكم، وحرمان قريش من الخلافة.

وعُرفت خلافة علي عليه السلام الإلهية أكثر عندما تركه الرسول ﷺ على المدينة المنورة خليفة له ليحفظها واصفاً إيّاه بهارون من موسىٰ. وكان موسىٰ عليه السلام قد قال:

﴿قال ربِّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به ازري واشركه في أمري﴾[1].

﴿وقال موسىٰ لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾[2].

من الأمور الغريبة أنّ شياطين بني أمية كانوا يسعون لطمر وإخفاء فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام، ولمّا كانت تلك الفضيلة متواترة ومنتشرة في الآفاق اندفعوا لافراغها من محتواها وتحريف دلالتها وهدفها وتزوير شواهد الموضوع وقرائنه.

أو إيجاد فضيلة مشابهة لهذه الفضيلة لشخص آخر، مثلما فعلوا في قضية سد أبواب المسجد إذ أمر رسول الله ﷺ بسد الأبواب إلّا بابه وباب علي عليه السلام فصنعوا حديثاً مزوراً: سدّوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر[3]. ونسوا خوخة عمر وعثمان!

وفي قضية غزوة تبوك صححوا حديث النبي ﷺ أنت مني مثل هارون من موسىٰ إلّا أنهم كذبوا بتولية النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة (اليهودي السابق) أو سباع بن عرفطة[4] علىٰ المدينة.

---

(١) طه ٢٥، ٣٢.

(٢) الأعراف ١٤٢.

(٣) مسند أحمد ١ / ٢٧٠، الكافي ٨ / ٦١، الاحتجاج ١ / ١٨١ ٧ سنن الترمذي ٥ / ٢٧٠.

(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٧٨، جمل من أنساب الاشراف ١ / ٤٧١.

وقال الواقدي في مغازيه[١] قائلاً: «إنَّما كانت أخبارُ الشام عندَ المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، فقدمت قادمة فذكروا أنَّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام، وأنَّ هِرْقِل قد رزق أصحابهَ لسنة، وأجلب معه لَخْم وجُذامُ وغَسانُ وعامِلة. وزحفوا وقدَّموا مقدَّماتهم إلىٰ البلقاء وعسكروا بها، وتخلَّف هِرقلْ بحُمص. ولم يكن ذلك، إنَّما ذلك شيء قيل لهم فقالوه. ولم يكن عدوٌّ أخوفَ عند المسلمينَ منهم، وذلك لِما عاينوا منهم (إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً) من العَدَدَ والعُدَّة والكُراع. وكان رسول الله قد غزا غزوة تبوك في حرٍّ شديد».

بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف أقام في المدينة مابين ذي الحجة إلىٰ رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وذلك في زمن عسرة من الناس وشدّة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار وأحيت الظلال. فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها علىٰ الحال من الزمان الذي هم عليه، وخرج رسول الله ﷺ إلىٰ الشام للمطالبة بدم جعفر بن أبي طالب والرغبة في نشر الإسلام فحضَّ أهل الغنا علىٰ النفقة فأتوا بنفقات وقوّوا الضعفاء.

وسمي هذا الجيش بجيش العسرة لقلة النفقات وسميت الغزوة بغزوة الروم. وتبوك موضع بين وادي القرىٰ والشام[٢]. والمسلمون في ثلاثين ألفاً من الناس والخيل عشرة آلاف فرس[٣].

وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلّا كنىٰ عنها وأخبر أنّه يريد غير الذي يصمد له إلّا ما كان من غزوة تبوك فإنّه بيّنها للناس لبعد الشقّة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمد له ليتاهب الناس لذلك، وأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس علىٰ ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه وقد عظّموا ذكر الروم وغزوهم.

---

(١) المغازي ٢/٩٨٩.

(٢) معجم البلدان ٢ / ١٤.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٢٥٤.

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله وهم البكاؤون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم فاستحملوا رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة فقال:

﴿لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لايجدوا ما ينفقون﴾[١] قال فبلغني أن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي أبا ليلىٰ عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مُغَفل وهما يبكيان فقال لهما ما يُبكيكما.

قالا جئنا رسول الله ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به علىٰ الخروج معه فأعطاهما ناضحاً فارتحلاه وزوّدهما من تمر فخرجا مع رسول الله ﷺ.

وجاء المعذِّرون من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عز وجل وكانوا من بني غفار منهم خفاف بن أيماء بن رحضة ثم استتب رسول الله ﷺ سفره وأجمع السير.

وخرج رسول الله يوم الخميس إلىٰ غزوة تبوك وخرجوا في تبوك الرجلان والثلاثة علىٰ بعير وخرجوا في حر شديد فأصابهم يوماً عطش شديد حتىٰ جعلوا ينحرون إبلهم فيعصرون أكراشها ويشربون ماءها فكان ذلك عسرة من الماء وعسرة من الظهر وعسرة من النفقة[٢].

ثم إنّ أبا خيثمة أخابني سالم رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حارّ فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائط قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت له فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً فلما دخل فقام علىٰ باب العريشين فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له قال رسول الله ﷺ: في الضحّ والرّيح وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيمٌ ما هذا بالنّصف ثم

---

(١) التوبة ٩٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧، مغازي الذهبي ٦٣٤.

قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتىٰ ألحق برسول الله فهيّئا لي زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتىٰ أدركه حين نزل تبوك.

وأدرك أبو خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق بطلب رسول الله ﷺ فترافقا حتىٰ إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب إنّ لي ذنباً فلا عليك أن تخلف عني حتىٰ آتي رسول الله ﷺ ففعل ثم سار حتىٰ إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل فسلم علىٰ رسول الله ﷺ فقال له رسول الله: أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله الخبر فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير[1].

وكان رسول الله ﷺ حين مر بالحجر (مساكن ثمود) نزلها واستقى الناس من بئرها فلما راحوا منها قال رسول الله ﷺ: لا تشربوا من مائها شيئاً ولا تتوضأوا منها للصلاة وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوا الابل ولا تأكلوا منه شيئاً.

ولا يخرجن أحد منكم الليلة لهبوب ريح شديدة إلّا ومعه صاحب له وقال ﷺ: لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلّا ان تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم وتقنع ﷺ بردائه وهو علىٰ الرحل[2].

وكانوا قد استقوا الماء من آبار ثمود فأراقها رسول الله ﷺ ورحل بهم إلىٰ البئر التي كانت تشرب منها الناقة[3].

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله ﷺ إلّا رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر يطلب بعيراً له فأما الذي ذهب لحاجته فإنّه خُنق علىٰ مذهبه وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتىٰ طرحته في جبل

---

(١) مغازي الذهبي ٦٣٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٧٠، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٢٣.
(٢) البداية والنهاية ٥ / ١٤.
(٣) البداية والنهاية ٥ / ١٥، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٣٤.

طيّء فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: ألم أنهكم أن لا يخرج أحد إلّا ومعه صاحب له ثم دعا الذي أصيب علىٰ مذهبه فشفي وأما الآخر الذي وقع بجبل طيّء فإنّ طيّاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

من دلائل النبوة

وجاء أبو ذر علىٰ بعيره فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله علىٰ ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ونزل رسول الله في بعض منازله فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إنّ هذا الرجل يمشي علىٰ الطريق وحده فقال رسول الله ﷺ كن أبا ذر فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويُبعث وحده.

ولما نفىٰ عثمان أبا ذر الى الربذة أصابه بها قدره ولم يكن معه أحد إلاّ امرأته وغلامه فأوصاهما أن غسلاني وكفناني ثم ضعاني علىٰ قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم قولوا:هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله فأعينونا علىٰ دفنه فلمّا مات فعلا ذلك به ثم وضعاه علىٰ قارعة الطريق فأقبل عبد الله بن مسعود ورهط من أهل العراق عُمّاراً فلم يرعهم إلاّ بجنازة علىٰ الطريق قد كادت الإبل تطأها، وقام إليهم الغلام فقال هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا علىٰ دفنه:

فاستهلّ عبد الله بن مسعود يبكي ويقول: صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو وأصحابه فواروه[1].

اعمال المنافقين في حملة تبوك

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخي بني سلمة هل

---

(١) مغازي الذهبي ٦٣٣، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٢١.

لك يا جد العام في جلاد بني الأصفر؟

فقال يا رسول الله أو تأذن لي ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن.

فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت لك ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية:

﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني﴾[1] والرغبة بنفسه عن نفسه ﷺ أعظم وإن جهنّم لمن ورائه[2].

وقال قائل من المنافقين لبعض لاتنفروا في الحر زهادة في الجهاد وشكاً في الحق وإرجافاً بالرسول فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم **﴿وقالوا لا تنفروا في الحر قل نارُ جهنّم أشد حراً لو كانوا يفقهون - إلى قوله - جزاءً بما كانوا يكسبون﴾**[3].

ثم إن رسول الله صلى عليه وآله وسلم جدَّ في سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش وخَصَّ أهل الغنى فاحتسبوا.

وتخلف كعب بن مالك بن أبي أخو بني سلمة (وكعب بن مالك لم يبايع علياً ﷺ في خلافته) ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية أخو بني واقف وأبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف.

فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي بن سلول عسكره على جدة أسفل منه بحذاء ذُباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله ابن أبي أخا بني

---

(١) التوبة ٤٩.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣٦٧، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٢١٤.

(٣) التوبة ٨١، ٨٢.

عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتَل أخا بني عمرو بن عوف ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قَينُقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيدون الإسلام وأهله وفيهم أنزل الله عز وجل:

﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبلُ وقلّبوا لك الأمور﴾[1].

فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فدعا الله فأرسل الله سحابة فأمطرت حتىٰ ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء وكان الرجل ليعرف النفاق من أخيه ومن أبيه ومن عمه ومن عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً علىٰ ذلك ثم قال محمود بن لبيد: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتىٰ ارتوى الناس أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء.

قال أوس بن قيظي[2]: سحابة مارّة.

ثم إنّ رسول الله ﷺ سار حتىٰ إذا كان ببعض الطريق ضلّت ناقته فخرج أصحابه في طلبها، وقال زيد بن اللصيب القينقاعي وكان منافقاً: أليس يزعم محمد أنّه نبي يخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته.

فقال رسول الله ﷺ: إنّي والله ما أعلم إلّا ما علّمني الله وقد دلني عليها وهي في الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتىٰ تأتوا بها. فذهبوا فجاؤا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلىٰ أهله فقال والله لعجب من شي حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً عن مقالة زيد بن اللصيب فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي فأقبل عمارة علىٰ زيد في عنقه يقول يا

---

(١) التوبة ٤٨.

(٢) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٧٩، تاريخ الطبري ٢ / ٢٧٠.

عباد الله والله إنّ في رحلي لداهية وما أدري، أخرج يا عدو الله من رحلي فلا تصحبني فزعم بعض الناس أن زيداً تاب عن ذلك وقال بعضٌ لم يزل متهماً بشرٍّ حتىٰ هلك[1].

ثم مضىٰ رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون يا رسول الله تخلف فلان فيقول دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه.

وقد كان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حُمير يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلىٰ تبوك فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم والله لكأني بكم غداً مقرّنين في الحبال ارجافاً وترهيباً للمؤمنين فقال مخشي بن حميّر والله لوددت أني أقاضي علىٰ أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة وانّا ننفلت أن ينزل الله فينا قرآنا لمقالتكم هذه.

فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر أدرك القوم فإنّهم قد احترقوا فسلهم عمّا قالوا فإن أنكروا فقل بلى قد قلتم كذا وكذا فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك.

فأتوا رسول الله يعتذرون اليه. فقال وديعة بن ثابت: يا رسول الله كنّا نخوض ونلعب.

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلا إلى المدينة فكان في الطريق ماء يخرج من وشلٍ ما يروي الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له وادي المشفق فقال رسول الله ﷺ من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقين منه شيئاً حتىٰ نأتيه فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه.

فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف عليه فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلىٰ هذا الماء فقيل له يا رسول الله: فلان وفلان.

---

(١) مغازي الذهبي ٦٤١، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧١.

فقال ﷺ أو لم ننههم أن يستقوا منه شيئاً حتىٰ نأتيه ثم لعنهم رسول الله ودعا عليهم ثم نزل ﷺ فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما شاء الله أن يدعوا فانخرق من الماء كما يقول من سمعه إنّ له حسّاً كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله ﷺ: من بقي منكم ليسمعن بهذا الوادي وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه[1].

علاقة الرسول ﷺ بهرقل وأهالي الشام

وبعث رسول الله ﷺ رسالته إلىٰ هرقل من تبوك بيد دحية الكلبي فلما وصله الكتاب دعا قسيسي الروم وبطارقتها ثم أغلق عليه وعليهم الدار. فقال:

قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم وقد أرسل اليّ يدعوني إلىٰ ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه علىٰ دينه، أو نعطيه مالنا علىٰ أرضنا والأرض أرضنا، أو نلقاه في حرب.

والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن ماتحت قدمي فهلم فلنتبعه علىٰ دينه أو نعطيه مالنا علىٰ أرضنا.

فنخروا نخرة رجل واحد حتىٰ خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعونا إلىٰ أن نذر النصرانية و نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟

فلمّا ظن أنّهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفأهم (سكنهم) ولم يكد. وقال:

إنّما قلت ذلك لأعلم صلابتكم علىٰ أمركم[2].

---

(١) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٨٠، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٣.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٢٠.

فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك أتاه يحنّه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله صلى الله ﷺ وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً.

فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك أتاه يحنّه بن رؤبة صاحب أيلة فصالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزية وصالحه أهل جرباء وأذرح فأعطوه الجزية وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً.

اما عن علاقة اليهود بحملة تبوك فقد جاء في تفسير قوله تعالىٰ

«وإن كادوا ليستفزوك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلّا قليلاً»[1].

بأنّها نزلت في اليهود الذين قالوا لرسول الله: إنّ الأنبياء إنّما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيمﷺ فلو خرجت إلىٰ الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا إنّه لا يمنعك من الخروج إلّا خوف الروم، فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم.

فغزا النبيﷺ غزوة تبوك لا يريد إلّا الشام فلما بلغ تبوك انزل الله تعالىٰ آياته في ذلك وأمره بالرجوع إلىٰ المدينة ففيها محيّاه ومماته ومنها يبعث[2].

محاولة اغتيال النبيﷺ في العقبة

لمّا رجع رسول الله قافلاً من تبوك إلىٰ المدينة، حتّىٰ إذا كان ببعض الطريق، مكر به ناس من أصحابه، وتآمروا أن يطرحوه في العقبة[3] وأرادوا أن يسلكوها

(١) الإسراء ٧٦.

(٢) الروض الأنف، السهيلي، موضوع غزوة تبوك، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٥٤.

(٣) العقبة: مرقىً صعب من الجبال، والطريق في أعلاها، والجمع عقاب وعقبات وواحدها العَقَب. أقرب الموارد ٢/٨٠٧.

معه لهذه الغاية، فأُخبر رسول الله خبرهم، فقال لأصحابه :من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم.

فأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناسُ بطن الوادي إلّا النفر الذين أرادوا المكر به، فقد استعدوا وتلثموا، وأمر رسولُ الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه مشياً، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة، وحذيفة يسوقها، فبينما هم يسيرون، إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم، قد غشوهم.

فغضب رسولُ الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يراهم، ويتعرَّف عليهم، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، وضربها بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، فأُرعبوا حين أبصروا حذيفة، وظنّوا أنَّ مكرهم قد ظهر، فأسرعوا حتّىٰ خالطوا الناس.

وأقبل حذيفة حتّىٰ أدرك رسول الله، فلمّا أدركه، قال ﷺ: إضرب الناقة يا حذيفة، وامش أنت يا عمّار، فأسرعوا وخرجوا من العقبة، ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ :يا حذيفة هل عرفت أحداً منهم؟

فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل قد غشيتهم وهم متلثّمون.

فقال رسولُ الله ﷺ: هل عرفت ما شأنهم وما يريدون؟

قال حذيفة: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: فإنهم فكّروا أن يسيروا معي، حتّىٰ إذا صرت في العقبة طرحوني فيها!

فقال حذيفة: فلا ترأف بهم إذا جاءك الناس.

قال: أكره أن يتحدَّث الناس، ويقولوا: إنَّ محمداً قتل أصحابه، ثمَّ سمّاهم بأسمائهم[1].

---

(١) السيرة الحلبية ١٤٣/٢ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ودلائل النبوة لابي بكر أحمد البيهقي ←

وفي كتاب أبان بن عثمان بن عفان، قال الأعمش: وكانوا اثني عشر، سبعة من قريش.

قال حذيفة: لو حدَّثتكم بحديث لكذبني ثلاثة أثلاثكم.

ففطن له شاب، فقال: من يصدّقك إذا كذبك ثلاثة أثلاثنا! فقال: إنَّ أصحاب محمد ﷺ كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر.

فقيل له: ما حملك علىٰ ذلك؟

فقال حذيفة: إنَّه من عرف الشر، وقع في الخير[١].

وقال الحسن بن علي ﷺ: «يوم أوقفوا الرسول ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته كانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان»[٢].

وذكر ابن عبد البر الأندلسي في كتابه الإستيعاب: كان أبو سفيان كهفاً للمنافقين منذ أسلم[٣].

وروىٰ مسلم في صحيحه عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل: قال: وفي مسند حذيفة بن اليمان عن أبي الطفيل «كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك الله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال له القوم أخبره إذ سألك؟

فقال حذيفة : كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر[٤].

ـ ٥/٢٦٠ ـ ٢٦٢ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت، وأخرجه مسلم في ص ٥٠ كتاب صفات المنافقين واحكامهم، كتاب أبان بن عثمان.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٦/٢٥٩.

(٢) كتاب المفاخرات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/١٠٣ ط. دار الفكر ١٣٨٨ هـ

(٣) الإستيعاب ٢/٦٩٠.

المغازي النبوية ٣ / ١٠٤٢، مجمع البيان ٣ / ٤٦، امتاع الأسماع ١ / ٤٧٧.

تفسير ابن كثير ٢ / ٦٠٢، ٦٠٥، طبع دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٦٠٥، كنز العمال، المتقي الهندي ١٤ / ٨٦.

لقد أخفىٰ ناشر كتاب مسلم ذكر اسم ذلك الرجل وهو أبو موسى الأشعري، وذكره صاحب كتاب كنز العمال[١] ولو كان من الأنصار لذكر اسمه حفظاً للأمانة؟!

ووفق رواية حذيفة بن اليمان كان في هؤلاء الرجال أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص[٢]. إضافة للأشعري وأبي سفيان اللذين ذكرناهم.

وذكر البيهقي عن عروة بن الزبير قائلاً:

ورجع رسول الله ﷺ قافلاً من تبوك إلى المدينة، حتىٰ إذا كان ببعض الطريق مَكَرَ برسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه فتآمروا [عليه] أن يطرحوه في عَقَبةٍ في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فلما غَشِيَهم رسول الله ﷺ أُخْبِرَ خبرهم.

فقال: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسَعُ لكم، وأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلّا النَفَرَ الذين مَكَرُوا برسولِ الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدُّوا وتلثَّموا، وقد هَمُّوا بأمرٍ عظيم.

وأمر رسول الله ﷺ حُذَيفة بن اليمان، وَعمَّار بن ياسر، فمشيا معه مشياً، وأمر عماراً أَنْ يأخذ بزمامِ الناقة، وأمر حذيفة أن يسوقها فبينا هم يسيرون إذ سمعوا بالقوم من ورائهم قد غشوهم فغضِبَ رسولُ الله ﷺ، وأمرَ حذيفة أن يردهم.

وأبصر حذيفة غضبَ رسول الله ﷺ، فرجع ومعه محجن، فاستقبل وجوه رواحلهم، فضربها ضَرْباً بالمحجن، وأبصر القومَ وهم متلثمون، لا يشعرُ إنما ذلك فِعْل المسافر، فَرعَّبهم الله عزّوجلّ حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهرَ عليه، فأسرعوا حتىٰ خالطوا الناسَ.

وأقبل حذيفة حتىٰ أدرك رسول الله ﷺ، فلما أدْركه قال: إضرب الراحلة يا حذيفة، وامشِ أنت يا عَمّارُ. فأسرعوا حتى استوى بأعلاها فخرجوا من العقبة

---

(١) كنز العمال، ١٤ / ٨٦ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٢) المحلىٰ، ابن حزم الأندلسي ١١/٢٢٥ طبع دار الفكر، وابن حزم قد توفي سنة ٤٥٦ هجرية.

ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: لحذيفة: هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب، أحداً منهم؟

قال حذيفة: عرفت راحلةَ فلان وفلان، وكانت ظُلْمَةُ الليل، قد غشيتهم وهم متلثمون.

والمقطع الصحيح ذكره اليعقوبي أنّ حذيفة قال: إنّي لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم[1] والظاهر أنّ الناسخ هو الذي محا اسمائهم لأنّ القضية كانت شائعة إلىٰ درجة إقدام ابن حزم الناصبي علىٰ ذكر اسمائهم.

فقال النبي ﷺ: هل علمتم ما كان شأنُ الركب وما أرادوا؟

قالوا: لا والله يا رسول الله.

قال النبي ﷺ: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتىٰ إذا أظلمت في العقبة طرحوني منها.

قالوا: أفلا تأمرُ بهم يا رسول الله إذا جاءك الناس فَتَضْرِب أعناقهم؟

قال النبي ﷺ: أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا إن محمداً قد وضع يده في أصحابه، فسماهم لهما، وقال: أُكتماهم[2]. إذن كان حذيفة وعمار يعرفان أسماء المنافقين.

وقد عودنا الرواة والنسّاخ والناشرون علىٰ وضع كلمتي فلان وفلان بدل أبي بكر وعمر.

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي عمر وعثمان بدل فلان عند ذكر المنهزمين من معركة أحد[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦٨.

(٢) نقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ١٩)، عن المصنف، وقد روى الخبر الإمام أحمد عن أبي الطفيل، وابن سعد عن جبير بن مطعم.

دلائل النبوة، البيهقي ٥/٢٥٦، ٢٥٧ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٣) نظريات الخليفتين، المؤلف ٢/٢٦٦، شرح النهج، المعتزلي ٣/٣٩٠ طبع دار الكتب العلمية ـ مصر.

رواية ابن حزم الأندلسي

وكشف حذيفة بن اليمان العَبْسِي (صاحب سر النبي ﷺ كما وصفه الخليفة عمر)[١] محاولة بعض الصحابة قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وذلك بالقائه من العقبة[٢] في الوادي.

وقد ذكر بن حَزْمٍ الأندلسي المتوفّىٰ سنة ٤٥٦ هـ هذه الحادثة في كتابه المحلّىٰ قائلاً:

« وأمّا حديث حذيفة فساقط، لأنّه من طريق الوليد بن جميع، وهو هالك، ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنّه قد روىٰ أخباراً فيها أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص أرادوا قتل النبي ﷺ، وإلقاءه من العقبة في تبوك، ولو صحّت لكانت بلا شك علىٰ ما بيّنا من أنّهم صَحّ نفاقهم، وعاذوا بالتوبة، ولم يقطع حذيفة ولا غيره علىٰ باطن أمرهم، فتورّع عن الصلاة عليهم »[٣].

والوليد بن جميع هو الوليد بن عبد الله بن جُميع.جاء في كتاب ميزان الإعتدال للذهبي : الوليد بن جُميع وثّقه إبنُ معين، والعجلي، وقال أحمد، وأبو زرعة ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث [٤].

وجاء في كتاب الجرح والتعديل للرازي[٥]: عن إسحاق بن منصور، عن يحيىٰ بن معين، الوليد بن جميع ثقة.

وذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة في جملة رواته[٦].

---

(١) اسد الغابة، ابن الاثير، ترجمة حذيفة ١/٤٦٨، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٢) العقبة: الجبل الطويل يَعْرِضُ للطريق فيأخُذُ فيه وهو طويل صعبٌ شديد، لسان العرب لابن منظور ٦٢١/١.

(٣) المحلىٰ، ابن حزم الأندلسي ٢٢٥/١١.

(٤) ميزان الإعتدال ٣٣٧/٤ رقم ٩٣٦٢ طبع دار المعرفة ـ بيروت.

(٥) الجرح والتعديل ج ٩/٨ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٦) الإصابة ج ٤٥٤/١.

وذكره ابن كثير في جملة رواته الثقات[١].

وذكره مسلم في صحيحه في جملة رواته الثقات[٢].

ولمَّا كان الحاكم قد اطَّلع علىٰ حديث حذيفة المذكور بواسطة الوليد بن عبد الله بن جُميع، فقد قال: «لو لم يذكره مسلم في صحيحه لكان أولىٰ»[٣].

وهذا يعني أنّ الوليد بن جميع ثقة في نظر الحاكم ولكنه منزعج منه لذكره الحديث المذكور. فالحاكم يريد منه أنّ يذكر بعض الأحاديث ويكتم البعض الآخر الفاضح لزعماء السياسة!.

إذن وفق رأي مسلم، والذهبي، وابن معين، والعجلي، وأبي زرعة، وأبي حاتم، والرازي والحاكم وابن حجر يكون سند الحديث صحيحاً، فهؤلاء يوثّقون حذيفة بن اليمان، والوليد بن جميع.

وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم صلاة حذيفة علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان إذ قال:

«ولم يقطع حذيفة ولا غيره علىٰ باطن أمرهم فتورَّع عن الصلاة عليهم»[٤].

حُذيفة صاحب سر النبي ﷺ، وكان عمر يسأله إذا مات ميت، فإن حضر الصلاة عليه صلَّىٰ عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر[٥]. لتحريم الصلاة على المنافقين ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُم عَلَىٰ قَبرِهِ﴾[٦]

إنّ الذي مات في زمن عمر وحذيفة هو أبو بكر. وقطع ابن حزم الأندلسي بعدم

---

(١) البداية والنهاية ٣٦٢/٤، ٣١٠/٥، ٢٢٥/٦.

(٢) صحيح مسلم ١٤١٤/٣ حديث ٩٨ ـ ١٧٨٧ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٣) المحلىٰ لابن حزم ٢٢٥/١١.

(٤) المحلىٰ، ابن حزم الأندلسي ٢٥٥/١١.

(٥) الاستيعاب، ابن عبد البر ٢٧٨/١ بهامش الإصابة وأسد الغابة، ابن الأثير ٤٦٨/١، السيرة الحلبية ١٤٣/٣، ١٤٤.

(٦) التوبة: ٨٤ ولم يصلِّ عليهم أمير المؤمنين علي عليه السلام.

صلاة حذيفة عليه. طاعة للآية القرآنية. ولم يصل المسلمون على جثمان عثمان إلّا أربعة[١].

وذكر ابن عساكر صاحب تأريخ دمشق أيضاً، أنَّ حذيفة لم يصلِّ على فلان[٢] أي أبا بكر وهذه عادة معروفة مع الشيخين أبي بكر وعمر. والظاهر أن ابن عساكر ذكره والناسخ أو الناشر أبدله بفلان!.

وقد صرّح النبي ﷺ[٣] وعلي ﷺ وعمر[٤] بمعرفة حذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين، فقد قال علي ﷺ: ذاك امرؤ علم المعضلات والمفصّلات، وعلم أسماء المنافقين، إن تسألوه عنها تجدوه بها عالماً[٥].

وحذيفة لم يخبر أحداً بأسماء المنافقين، لكنه لم يصلِّ عليهم! والمقصود بهم هنا مجموعة المهاجمين للنبي في العقبة.

قال حذيفة: مرَّ بي عمر بن الخطاب وأنا جالس في المسجد فقال لي:

يا حذيفة! إنّ فلاناً[٦] قد مات فاشهده.

ثم مضى، إذ كاد أن يخرج من المسجد، التفت إليَّ فرآني وأنا جالس فعرف، فرجع إليَّ فقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟

قلت: اللهم لا ولن أبرئ أحداً بعدك.

قال: فرأيت عيني عمر جاءتا[٧].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٧٦.

(٢) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولى ـ دمشق.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، المستدرك، الحاكم ٣٨١/٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ٢٥٢/٦، أُسد الغابة، ابن الأثير ترجمة حذيفة ٤٦٨/١ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، تاريخ دول الإسلام، شمس الدين الذهبي ص٢٢.

(٦) أي أبا بكر.

(٧) مختصر تاريخ دمشق ٢٥٣/٦، طبعة دار الفكر الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م، وكان عمر إذا مات ميت

←

أي عرف عمر عدم رغبة حذيفة بالصلاة على جثمان أبي بكر. ولو صرح حذيفة باسم عمر لقتله.

واستمر عمر وأصحابه في التجسس على الشاهدين والعارفين بأسماء منافقي العقبة لتصفيتهم وهذه عادة معروفة في حوادث التأريخ. فروى ابن عساكر: «دخل عبدالرحمن على أمّ سلمة رضي الله عنها، فقالت:

سمعت النبي ﷺ يقول: إنّ من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً. فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتىٰ دخل علىٰ عمر، فقال له: إسمع ما تقول أمُّك.

فقام عمر حتىٰ دخل عليها، فسألها، ثمّ قال أنشدك الله أمنهم أنا؟

قالت: لا ولن أُبرئ بعدك أحداً[1].

وكان ابن عوف وعمر من رجال العقبة[2]، لذلك ذعرا من قول أُم سلمة وتركا شغلهما وجاءا لها يسألانها.

والظاهر أنّ عمر كان خائفاً جداً من هذا الموضوع بحيث سأل عنه حذيفة وأمّ سلمة!

ولقد وقع حذيفة وأمّ سلمة في حرج شديد من سؤال عمر الخطير لهما وأنّ هذا الحرج يتضح من قولهما له: لن أبرئ بعدك أحداً.

و قال نافع بن جبير بن مطعم بن نوفل القرشي (وأبوه كان من اعداء النبي ﷺ): «لم يخبر رسولُ الله ﷺ بأسماء المنافقين، الذين بخسوا به ليلة العقبة بتبوك غير حذيفة، وهم اثنا عشر رجلاً»[3].

ـ سأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلّىٰ عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر، الاستيعاب، ابن عبد البر الأندلسي ١/٢٧٨ بهامش الإصابة، أسد الغابة، ابن الأثير ١/٤٦٨، السيرة الحلبية ١٤٣/٣.

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٩/٢٣٤، ولو اعترفت لقتلت والحقت بفاطمة ؏ وسعد بن عبادة.

(٢) منتخب التواريخ ص٦٣.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/٢٥٣، المستدرك الحاكم ٣/٣٨١.

ولقد أضافوا إلىٰ حديث ابن عساكر شيئاً لم يكن موجوداً في أصله، وهو: ليس فيهم قرشي، وكلهم من الأنصار أو من حلفائهم؟! ليبعدوا الجريمة عن قريش، ويضعوها علىٰ عاتق الأنصار، كما فعلوا ذلك في حوادث عديدة: اذ ادعوا قيام العباس بن عبدالمطلب بسقي النبي ﷺ شرابا قبل موته [1]، ومنها السقيفة! إذ اتهموا زوراً سعد بن عبادة بمحاولة اغتصاب السلطة، في حين قاموا هم بسقي النبي ﷺ الشراب القاتل [2] واغتصاب السلطة.

وقال حذيفة: لو كنت علىٰ شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغرف، فحدّثتكم بكل ما أعلم، ما وصلت يدي إلىٰ فمي، حتّىٰ أُقتل [3].

أي لو أخبر حذيفة بأسماء المنافقين الأحياء منهم والأموات، لقتلوه بسرعة، لذلك لم يخبر بأسمائهم في زمن حكم أبي بكر وعمر وعثمان ولكنه كان لا يصلّي عليهم وهذه إشارة ذلك، وفي بداية زمن حكم أمير المؤمنين علي ﷺ صرّح بأسمائهم وفيهم الاشعري فقتله أبو موسىٰ الأشعري والي عثمان على الكوفة!

وقال حذيفة: خذوا عنّا فإنّا لكم ثقة، ثمّ خذوا عن الذين يأخذون عنّا، فإنّهم لكم ثقة، ولا تأخذوا عن الذين يلونهم.

قالوا: لم؟

قال: لأنّهم يأخذون حلو الحديث ويدعون مُرَّهُ، ولا يَصلَح حُلُوه إلاّ بمُرِّهِ [4].

وقال حذيفة: لقد حدّثني رسولُ اللهِ ﷺ بما يكون حتىٰ تقومَ الساعة، غير أنّي لم أسأله ما يخرج أهلَ المدينة منها [5].

---

(١) صحيح البخاري ٧/ ١٧، صحيح مسلم ٧/ ٢٤، ١٩٨، معجم ما استعجم، عبد الله الأندلسي ص١٤٢.

(٢) راجع كتاب السقيفة وكتاب هل اغتيل النبي محمد ﷺ للمؤلف.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/ ٢٥٩.

(٤) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/ ٢٥٩.

(٥) مختصر تاريخ ابن عساكر ٦/ ٢٤٩.

وكانت سيرة أبي موسى الأشعري غير مرضية بالعمل والقول وقد اتهمه أعاظم الصحابة بالنفاق. فقد ذكره حذيفة في جملة منافقي ليلة العقبة:

إذ جاء في الرواية: أن عماراً سُئِل عن أبي موسىٰ فقال: سمعت فيه من حـذيفة قولاً عظيماً، سمعته يقول: صاحب البرنس[١] الأسود، ثم كلح كلوحاً علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط[٢]. ولكن هل يصح عدم معرفة عمار باسمه؟ ستجد في رواية قادمة معرفة عمار باسم الأشعري من لسان النبي ﷺ مباشرة!.

وذكرت كتب السيرة أنَّ المنافقين المذكورين كانوا حرباً لله ورسوله[٣].

وأخرج ابن عدي في الكامل وابن عساكر في التاريخ علىٰ ما في مـنتخب كـنز العمال بالإسناد عن أبي نجاء حكيم قال: كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسىٰ فقال: ما لي ولك؟ الست أخاك؟

قال (عمار): فما أدري ولكن سمعت رسول الله ﷺ يلعنك ليلة الجبل (العقبة).

قال: إنّه استغفر لي.

قال عمار: قد شهدت اللعن ولم اشهد الاستغفار[٤].

فاعترف الأشعري باشتراكه في هجوم العقبة، وأقرّ بلعن رسول الله ﷺ له، وهو اعتراف بمشاركة سائر رجال قريش الذين ذكرهم ابن حزم في المحلّىٰ في الهـجوم، وتثبيت للعن رسول الله ﷺ لهم جميعاً.وصرّح أبو هريرة بقبول النبي ﷺ لعن أبي بكر[٥].

---

(١) البرنس: قلنسوة طويلة وكان النساك يلبسونها في صدر الإسلام قال الجوهري: هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أو جبة * المختار ٣٧ ب.

(٢) كنز العمال ١٤ / ٦٨.

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥ ٠ ٦ طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

(٤) منتخب كنز العمال ٥/٢٣٤. وقد حذف الناسخ أو الناشر هذه الرواية من تاريخ ابن عساكر القيّم رعاية لحفظ الأمانة الشرعية! وطاعة للزعامة السياسية.

(٥) مسند أحمدبن حنبل ٢ / ٤٣٦ وراجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر وعائشة للمؤلف ص ٨٣.

ونزل في المنافقين المحيطين بالنبي **﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم﴾**[1].

مسجد ضرار

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتىٰ نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد ضرار قد أتوه وهو يتجهز إلىٰ تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنّي علىٰ جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل ﷺ بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلىٰ هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه، فخرجا سريعين حتىٰ أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن أنظرني حتىٰ أخرج إليك بنار من أهلي فدخل إلىٰ أهله فأخذ سعفاً من النخل فأشعل فيه ناراً ثم خرجا يشتدان حتىٰ دخلا المسجد وفيه أهله فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفرا وتفريقاً بين المؤمنين﴾[2] إلىٰ آخر القصة وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً[3].

ذلك أن المنافقين بنوا مسجداً قريباً من مسجد قباء وأرادوا أن يصلي لهم رسول الله فيه حتىٰ يروج لهم ما أرادوا من الفساد والكفر والعناد فعصم الله سبحانه رسوله من الصلاة فيه لأنّه كان علىٰ جناح سفر إلىٰ تبوك، فلمّا رجع ونزل ذا أوان مكان بينه

---

(١) التوبة ١٠١.

(٢) التوبة ١٠٧.

(٣) مغازي الذهبي ٦٤٧.

وبين المدينة ساعة نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد. فقوله تعالىٰ ضراراً فلأنّهم أرادوا مضاهاة مسجد قباء وكفراً بالله لا للإيمان به، وتفريقاً للجماعة عن مسجد قباء.

وهذا المسجد مقر لأعوان أبي عامر الراهب الفاسق[١] الذي قال لهم: ابنوا مسجدكم واستمدوا ما استطعتم من قوة ومن سلاح فإني ذاهب إلىٰ قيصر ملك الروم فآتيكم بجند من الروم، فأخرج محمداً واصحابه[٢].

ولما عاد من الشام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكلمن أحدٌ منكم هؤلاء الثلاثة المتخلفين كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون فصفح عنهم رسول الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة النفر حتىٰ أنزل الله عز وجل قوله :

﴿لقد تاب الله علىٰ النبي والمهاجرين والأنصار - إلىٰ قوله - وكونوا مع الصادقين﴾.

فتاب الله عليهم.

وقدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في شهر رمضان وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف، ولمّا عادوا من تبوك جعل بعض المسلمين يبيعون أسلحتهم ويقولون: قد انقطع الجهاد. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم قائلاً: لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون علىٰ الحق حتىٰ يخرج الدجال[٣].

وأكثر الأمويون في الأكاذيب في غزوة تبوك فقالوا: إنّ عثمان بن عفان الأموي

---

(١) البداية والنهاية ٥ / ٢٧.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢٦٣.

(٣) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٧.

أنفق نفقة عظيمة لم ينفق أحد أعظم منها قيل كانت ثلاثمائة بعير وألف دينار[١].

والرواية عن الوليد بن أبي هشام وهو مولىٰ عثمان بن عفان وهو الذي روىٰ مناقب في صالح عثمان مقابل أموال بني أُميّة ومن رواياته المزيّفة: ما علىٰ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم[٢] وقال علماء الحديث عن الحديث غريب[٣].

وقالوا عن الراوي الآخر للرواية فرقد أبي طلحة: لا يعرف[٤] أي أنّ فرقد رجل مختلق من مختلقات السياسة الأموية!

وقد كذب الأمويون في هذه الغزوة كثيرا للتغطية علىٰ دور عثمان في عملية العقبة.

وللإطلاع أكثر راجع المصادر المثبتة في الهامش[٥].

غزوة دومة الجندل

وأرسل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارساً في رجب سنة تسع إلىٰ أكيدر بن عبد الملك بدوحة الجندل وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانياً.وقال النبي ﷺ لخالد : ستجد ملكهم يصيد البقر.

وفي تلك الليلة المقمرة الصائفة كان الملك علىٰ سطح له ومعه امرأته فباتت البقر

---

(١) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٢٧٧.

(٢) تهذيب الكمال، المزى ١٧ / ٨١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) من له رواية في كتب الستة، الذهبي ٢ / ١٢٠.

(٥) عيون الأثر ٢/٢٥٣ - ٢٦٠، تاريخ الطبري ٢٦٧ - ٢٧٢، طبقات ابن سعد ٢/١٦٥ مغازي الذهبي ٦٢٨، تاريخ ابن الاثير ٢/٢٧٧ - ٢٨٤، تاريخ اليعقوبي ٢/٦٦، الوفا بأحوال المصطفىٰ ابن الجوزي ٧٢٥، جمل من أنساب الاشراف ١/٤٧١، سيرة أبي حاتم ١/٣٦٦، البداية والنهاية ٥/٥ - ٤٧، السيرة الشامية ٥/٦٢٦، شرح المواهب اللدنية، الزرقاني ٣ / ٦٢، تاريخ أبي الفداء ١ / ٢١٠،تاريخ خليفة ٤٤، المنتظم، ابن الجوزي ٢/٣٦٢ - ٣٧١، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٢١٢، صحيح البخاري، كتاب الجهاد ١٩٦، فتح الباري ٦ / ١٩١، سنن أبي داود ٣ / ٩٠.

تحك بقرونها باب القصر.

فقالت امرأته: هل رأيت مثل هذا قط؟

قال: لا والله.

قالت: فمن يترك هذا.

قال: لا أحد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم أخ له يقال له حسان، فركب وخرجوا معه بطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا أخاه حسان، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخوّص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به إلىٰ رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه.

ودخل المسلمون الحصن وأجار خالد أكيدر من القتل حتىٰ يأتي به رسول الله ﷺ علىٰ أن يفتح له دومة الجندل ففعل وصالحه علىٰ مالٍ[1].

الدلائل والعبر

كانت معركة بدر أوّل غزوة عظمىٰ يقودها رسول الله ﷺ ضد الكافرين وكانت غزوة تبوك آخر غزوة كبرىٰ يقودها النبي ﷺ.

والفرق بين الإثنين أنّ دولة رسول الله ﷺ يوم معركة بدر كانت منحصرة في المدينة أمّا في زمن غزوة تبوك فهي دولة كبرىٰ تشتمل على أغلب أراضي شبه جزيرة العرب.

وثانياً إنّ حامل لواء رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام كان بطل الميدان في معركة بدر حيث قتل نصف رجالهم فنادى جبرئيل باسمه.

لا فتىٰ إلّا علي ولا سيف إلّا ذو الفقار

وفي غزوة تبوك بقي علي عليه السلام علىٰ المدينة خليفة لرسول الله ﷺ.

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٦ تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٢، مغازي الذهبي ٦٤٥، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨١.

ووجود أمير المؤمنين في جيش النبي ﷺ كان يرهب العدو الخارجي والداخلي، فهو يقتل أبطال وقادة العدو الخارجي ويرهب العدو الداخلي.

ولمّا وجد العدو الداخلي ذلك الفراغ فقد أقدم علىٰ محاولة اغتيال رسول الله ﷺ في العقبة!.

وشهدت غزوة تبوك اجتماع خطير للمنافقين بكافة أصنافهم من قريش بزعامة أبي سفيان ومن الأنصار بزعامة عبد الله بن أُبي يشاركهم في ذلك سائر المنافقين من الأعراب والمندسين في صفوف المهاجرين.

وكان جيش عبد الله بن أُبي قريباً في العدد من جيش رسول الله ﷺ لكنه انسحب من الميدان إلىٰ المدينة.

ولوجود هذا العدد الهائل من المنافقين واليهود في المدينة وأطرافها فقد كانت الحكمة تقتضي إبقاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة عليها.

وفعلاً خاف الأعداء ومنهم المنافقون من الهجوم علىٰ المدينة وعلي عليه السلام فيها.

وفي غزوة تبوك نضجت أفكار المنافقين وتكثفت جهودهم فبينما كان قرارهم السابق يتمثل بالإنهزام من معركة حنين ومحاولة رجل منهم قتله فقد تمخض اجتماعهم الجديد عن الهجوم الجماعي لقيادة المنافقين علىٰ شخص الرسول ﷺ في معركة تبوك وقتله.

وافتضح دور المتخلفين عن الغزوة وعلىٰ رأسهم كعب بن مالك ورغم العقوبة الإلهية له استمر هذا الرجل متزلفاً للمال وللسلطة مبتعداً عن الحق والعدالة إلىٰ أواخر أيام حياته.

وكانت جهود رسول الله ﷺ والمنافقين متضادة، فرسول الله ﷺ يريد تعيين علياً عليه السلام خليفة له، والمنافقون يخططون وينفذون عملية الاستحواذ علىٰ خلافة رسول الله ﷺ.

وفي ذلك الزمن خلف النبي محمد ﷺ علياً ؑ على المدينة معلناً أمام المسلمين: علي مني بمنزلة هارون من موسى ؑ.

مما يستلزم الخلافة العظمى له مثلما كانت الخلافة العظمى لهارون ؑ لذا وقف المؤمنون إلى جنب هارون في صراعه مع قارون، ووقف أكثرية اليهود مع قارون!.

ولما قال النبي ﷺ لعلي ؑ أنت مني بمنزلة هارون من موسى ؑ سأل المخلصون أنفسهم مع من سيقف المسلمون بعد النبي ﷺ مع هارون أم مع قارون؟

وقال رسول الله ﷺ: ستتبعون سنن من قبلنا حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[١].

واتسعت هجمة المنافقين لتشمل مساجد الله تعالى فلأول مرة بنوا مسجداً ليكون قلعة لأبي عامر الفاسق المرتبط بالروم، فمنع الله سبحانه رسوله ﷺ من الصلاة فيه مرّتين، مرة في طريقه إلى تبوك ومرّة في عودته من تبوك.

ولما كانت صلاة النبي في ذلك المسجد ستكون حتمية فقد بيّن تعالى له واقع ذلك المكان قائلاً:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين﴾[٢]

ولأوّل مرّة صدر الأمر النبوي بإحراق وتحطيم ذلك المسجد المعادي للإسلام فيا ترى كم من المساجد بنيت بعد النبي ﷺ لمحاربة الله ورسوله؟

وكم من مدرسة دينية أنشأت لهذا الغرض؟

ومن الأمور المدهشة في هذه الحملة إقدام الرسول ﷺ عليها رغم الحر والعطش والفاقة وبعد المسافة وقوة العدو الخارجي (الروم) واستفحال أمر العدو

---

(١) تفسير العسكري ٤٨١، تفسير العيّاشي ١/٣٠٤، تفسير الصافي ٤/٧٦، اسباب النزول، الواحدي ٢٧، شواهد التنزيل الحسكاني ١/١٩، تفسير القرطبي ١٠/٣٤٥، الدر المنثور، السيوطي ٥/٤، فتح القدير، الشوكاني ١/٣٤٨.

(٢) التوبة ١٠٧.

الداخلي (المنافقون) وعمره ﷺ إحدىٰ وستون سنة!.

وذلك الغزو النبوي للشام أثبت وجوب الفتح الخارجي لنشر الإسلام والعدل والحق في العالم، وعلىٰ هذا المبدأ سار المسلمون ففتحوا كاشغر في سنة ٩٤ هجرية وفتحوا الأندلس في سنة ٩٦ هجرية.

وفي هذه الغزوة (تبوك) كثرت المعجزات الإلٰهية:

إستجاب الله تعالىٰ لرسوله ﷺ. فنزل المطر علىٰ المسلمين غزيراً فشربوا منه وملأوا قربهم.

وأعلم عزوجل رسوله بمكان ناقته الضائعة جواباً لاشكال المنافقين.

وأخبر النبي ﷺ المسلمين بقرب هبوب رياح شديدة في الليل فحصل ذلك.

وأنعم تعالىٰ علىٰ رسوله مرة أخرىٰ في الماء فنبعت العين التي كانت قد نشفت بأيدي المنافقين.

وواصل تعالىٰ نعمه علىٰ خاتم رسله فحذره من مؤامرة العقبة فتجاوزها النبي الأعظم ﷺ بسلام ولولا ذلك لقتله المهاجمون في وادي العقبة. ومع استمرار تلك المعجزات كان يقين المؤمنين يتصلب وانحراف الفاسقين يزداد.

وبعد عودة المسلمين من تبوك ظافرين معززين سطع نجمهم ليس في شبه الجزيرة العربية فقط بل في العالم أجمع وأصبحوا في مستوى القوتين العظيمتين الروم والفرس.

فاضطرت ثقيف للتنازل عن صمودها وعصيانها والدخول في الدين الإسلامي.

والثمرة الثانية: اسلام عدي بن حاتم الطائي.وكان حاتم نصرانيا.

والثمرة الثالثة دخول أهل اليمن في الإسلام أثناء غزو علي بن أبي طالب ﷺ لهم.

فهؤلاء وجدوا أنفسهم لا شيء أمام جيوش المسلمين التي هابها الروم فدخلوا في الدين من دون حرب ولا تضحيات.

حوادث اخرى
في السنة التاسعة

تحريم المسكر ونادي الخمر الشهير

كانت الخمرة في شرائع الله تعالى محرمة: ١ـ كان الخمر محرماً في الأديان السماوية السابقة للإسلام فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بعث الله عزّ وجل نبياً قط إلّا وفي علم الله عزّ وجل أنّه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمرة حراماً[١].

٢ـ وقد سار قصي (رض) جد النبي على شريعة إبراهيم عليه السلام فحرّمها على نفسه وعلى أهله وصحبه[٢].

٣ـ ومشى عبد المطلب (رض) المسمى بإبراهيم الثاني على دين الأنبياء فحرّم الخمر على نفسه[٣].

٤ـ وقال تعالى **﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾**[٤] وقال تعالى **﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾**[٥].

---

(١) الكافي الكليني ٦ / ٣٩٥.

(٢) السيرة الحلبية ١ / ١٣.

(٣) السيرة الحلبية ١ / ٤.

(٤) المائدة ٩١.

(٥) البقرة ٢١٩.

وتحريم الخمر والقمار (الميسر) في هذه الآية واضح.

٥ـ قال معاذ بن جبل: إن أوّل ما نهى عنه النبي ﷺ حين بعث شرب الخمر[١].

وجاء في الحديث إنّما حرّمها لفعلها وفسادها[٢].

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: كل مسكر حرام[٣].

وكان رسول الله ﷺ قد قال: أول شيء نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان شرب الخمر[٤].

٦ـ وقال الصادق ﷺ أيضاً: شرب الخمر مفتاح كل شر[٥].

فيدخل في الحرمة كل أنواع المخدرات التي تهتك بالبشرية حالياً وخطرها أعظم من الخمر، وقد حرّمها الفقهاء!

وقال الحزب القرشي خوفاً على رجاله الشاربين للخمر: قد حرّمت في سنة ثلاث للهجرة[٦].

وقال: حرمت سنة أربع للهجرة[٧]. وقالوا زيفاً إنّ تحريمها كان تدريجياً.

إذن كان الخمر محرماً في مكة قبل هجرة المسلمين إلى الحبشة والمدينة وما تلك الروايات التي ذكروها عن تحريم الخمر في المدينة إلّا لتبرئة ساحة الذين شربوها متأخراً من المسلمين متأخرا وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.

المدهش والعجيب أن الأمويين وأذنابهم فعلوا المنكر وقالوا الكذب لإبعاد قضية

---

(١) البحار ٢ / ١٢٧، الغدير ٧ / ١٠١، اوائل السيوطي ٩٠.

(٢) الكافي، الكليني ٦ / ٤١٢.

(٣) الكافي، الكليني ٦ / ٤٠٧.

(٤) تفسير الطباطبائي ١٦ / ١٦٣، البحار ٢ / ١٢٧، مجمع الزوائد ٥ / ٥٣.

(٥) الكافي الكليني ٦ / ٤٠٣.

(٦) تاريخ الخميس ٢ / ٢٦، تفسير القرطبي ٦ / ٢٨٥، السيرة الحلبية ١ / ٢٦١.

(٧) سيرة ابن هشام ٣ / ٢٠٠، فتح الباري ١٠ / ٢٥، الغدير ٧ / ١٠١، السيرة الحلبية ٢ / ٢٦١. وقال البعض انها حرمت سنة ست وسنة ثمان للهجرة.

شرب الخمر عن رجال الحزب القرشي ولو بالافتراء علىٰ حمزة وعلي﵇ وتحريف تفسير آيات القرآن.

وكان علي﵇ تلميذ محمدﷺ قد عرف حرمة شرب الخمر في مكة قبل البعثة سائراً علىٰ خطىٰ سيدهﷺ الذي تربىٰ في حضنه فلم يقربها في الجاهلية والإسلام.

فهذا واضح في حرمة الخمر في بداية البعثة في مكّة. فأين فقهاء المسلمين عن هذا؟

جاء في النصوص الصحيحة: وكان المعروف عن أبي بكر لعب القمار وشرب الخمر في الجاهلية، وبعد معركة بدر شربها مع عمر، وقالا هذا الشعر في رثاء قتلى المشركين:

وكائن بالقليب[1] قليب بدر — من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا — وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني — وينشرني إذا بليت عظامي
فقل لله يمنعني شرابي — وقل لله يمنعني طعامي[2]

فضرب رسول الله عمر،

فقال عمر: أعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله، إنتهينا، إنتهينا[3].

لكنهما استمرا في شربها اذ شربها أبو بكر وعمر وأصحابهما في نادي الخمر قبل وبعد فتح مكة، ثم شربها أبو بكر في شهر رمضان بعد التحريم وقال شعراً منه:

ذريني أصطبح يا أمّ بكر — فإنّ الموت نقب عن هشام
ونقّب عن أبيك وكان قرماً — رحيب الباع شرّيب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عنّي — بأنّي تارك شهر الصيام

---

(١) القبر وأصله البئر.

(٢) اسباب النزول، الواحدي وأخرجه الطبري في تفسيرهما لآية «لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى» ٢٠٣، ٢١١، ربيع الأبرار، الزمخشري.

(٣) المستطرف، الابشيهي، ربيع الابرار، الزمخشري.

وتارك كلما يوحي إلينا محمد من أساطير الكلام
ولكنَّ الحكيم رأى حميراً فألجمها فتاهت باللجام[١]

وكان سن أبي بكر عند شربه الخمر في ذلك النادي ٥٨ سنة، وكان سن عمر ٤٥ سنة وسن أبي عبيدة بن الجراح ٤٨ سنة، وكان سن أنس بن مالك ١٨ سنة.

وذكرت كتب الحديث المعتبرة شيئاً عن نادي الخمر وأفصحت عن أسماء أعضائه قائلة:

كان أبو بكر وعمر من أعضاء نادي الخمر الشهير، بينما كان أنس بن مالك ساقي القوم في ذلك النادي الذي يضم أيضاً أبا عبيدة بن الجراح وأبا طلحة زيد بن سهل صاحب النادي وسهيل بن بيضاء وأبي بن كعب وأبا دجانة سماك بن خرشة وأبا أيوب الأنصاري وأبا بكر بن شغوب، ومعاذ بن جبل[٢].

وعظم على الطبري ذلك فأبدل اسم أبي بكر برجل وأبدل إسم أم بكر بام عمرو، وأُم عمرو كنية عائشة. إذ قال عبدالله بن الزبير عن مقتل عائشة بيد معاوية:

لقد ذهب الحمار بأم عمرو ـ فلا رجعت ولا رجع الحمار[٣]

والرواة والكتاب الآخرون أيدوا صحّة سند الرواية: ومنهم ابن حجر العسقلاني[٤] .واستمر عمر في شربها في أيام حكمه[٥].

---

(١) الأنوار العلوية ص٢١٧، مجمع الزوائد ٥/٥١، نوادر الاصول، الحكيم الترمذي، الإصابة، ابن حجر، عمدة القارئ، العيني ١٠/٨٢، المستطرف، شهاب الدين الابشيهي ٢/٢٩١، سنن أبي داود ٢/١٢٨، مسند أحمد ٢/٥٣، رسائل الجاحظ ص٣٤، كتاب مكة، الفاكهي، سنن النسائي ٨/٢٨٧، المستدرك، الحاكم ٢/٢٧٨، تفسير القرطبي ٥/٢٠٠، تفسير ابن كثير ١/٢٥٥، تفسير الخازن ١/٥١٣، تفسير الرازي ٣/٤٥٨، تهذيب التهذيب ٨/٢١٦، الحلية، أبو نعيم في ترجمة شعبة، عمدة القارئ، العيني ٢٠/٨٤، تفسير ابن مردويه، وفتح الباري على صحيح البخاري ١٠/٣٠.

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ١٠/٣٠، صحيح مسلم ٦/٨٨.

(٣) الصراط المستقيم ٣ باب ١٢ / ٤٦. اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة للمؤلف.

(٤) فتح الباري ١٠ / ٣٠.

(٥) العقد الفريد ٣/٤١٦، السنن الكبرى، البيهقي ٨/٢٩٩، كنز العمال ٣/١٠٩، طب ٦/١٥٦، محاضرات

غزوة قبيلة طي وإسلام عدي بن حاتم الطائي

بعد انتشار الإسلام في مكّة والطائف بدأ رسول الله ﷺ يفكّر في نشر الإسلام في سائر مناطق جزيرة العرب، ومن هذه المناطق جبل طيء وقبيلة طيء أوّل قبيلة تعلمت الخط العربي من الحيرة وقالوا: اول من تعلم الخط العربي اسماعيل عليه السلام.

وفي السنة التاسعة من شهر ربيع الآخر أرسل النبي ﷺ، علي بن أبي طالب عليه السلام في سريّة إلى ديار طيء وأمره أن يهدم صنمهم الفلس، فسار إليهم وأغار عليهم، فغنم وسبى وكسر الصنم المقلد بسيفين يقال لأحدهما مخذم وللآخر رَسوب، فأخذهما علي عليه السلام وحملهما إلى رسول الله ﷺ، وكان الحارث بن أبي شمر أهدى السيفين للصنم، فعلّقا عليه.وأسر الإمام علي عليه السلام بنتاً لحاتم الطائي، أخذها إلى رسول الله ﷺ، بالمدينة.

وأمّا إسلام عدي بن حاتم فقال عدي: جاءت خيل رسول الله ﷺ، فأخذوا أختي وناساً فأتوا بهم رسول الله ﷺ.

فقالت أُختي: يارسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ منَّ الله عليك.

فقال النبي ﷺ: ومَن وافدك؟

قالت: عدي بن حاتم. قال النبي ﷺ: الذي فرّ من الله ورسوله! فمنّ عليها، وإلى جانبه رجل قائم وهو علي بن أبي طالب عليه السلام قال: سليه حُملاناً. فسألته، فأمر لها به وكساها وأعطاها نفقة.

وكان حاتم الطائي نصرانيا وعليه فقد عرف بمكارم الاخلاق وعلى رأسها الكرم بالمال والطعام وتربى عدي في هذا البيت الكريم .

قال عدي: كنت ملك طيء آخذ منهم المرباع وأنا نصراني، فلمّا قدمت خيل رسول الله ﷺ، هربت إلى الشام من الإسلام وقلت أكون عند أهل ديني.

ـ الراغب ٣١٩/١، جامع مسانيد أبي حنيفة ١٩٢/٢، سنن النسائي ٣٢٦/٨، الآثار، القاضي أبو يوسف ص٢٢٦، سنن الدارمي ١١٣/٢.

فبينا أنا بالشام إذ جاءت أُختي وأُخذت تلومني قائلة: فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، ثمّ قالت لي: أرى أن تلحق بمحمّد سريعاً فإن كان نبيّاً كان للسابق فضله، وإن كان ملكاً كنت في عزّ وأنت أنت.

قال: فقدمت على رسول الله ﷺ، فسلّمت عليه وعرّفته نفسي، فانطلق بي إلى بيته، فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلّمه في حاجتها.

فقلت: ما هذا بملك، ثمّ دخلت بيته فأجلسني على وسادة وجلس على الأرض، فقلت في نفسي: ما هذا ملك.

فقال لي: ياعدي إنّك تأخذ المرباع وهو لا يحلّ في دينك، ولعلّك إنّما يمنعك الإسلام ما ترى من حاجتنا وكثرة عدوّنا، والله ليفيضنّ المال فيهم حتّى لا يوجد مَن يأخذه، والله لتسمعنّ بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتّى تزور هذا البيت لا تخاف إلّا الله، والله لتسمعنّ بالقصور البيض من بابل قد فتحت.

قال عدي: فأسلمت، ورأيت القصور البيض وقد فتحت، ورأيت المرأة تخرج إلى البيت لا تخاف إلّا الله، والله لتكوننّ الثالثة ليفيضنّ المال حتّى لا يقبله أحد[1].

فأخلاق رسول الله ﷺ المتمثّلة في حديثه مع امرأة فقيرة وجلوسه على الأرض هي التي جذبت عدي بن حاتم الطائي للإسلام. وبمثل هذه الأخلاق تخلّق النبي سليمان ﵇ الذي جالس الفقراء وقال: مسكين مع المساكين.

ولا ننس تأثير فعل النبي ﷺ في فكّه أسر بنت حاتم الطائي ونفقته عليها وإيصالها إلى الشام[2].

وأصبح عدي من اصحاب رسول الله ﷺ ومن اتباع علي ﵇ وقد أراد معاوية النيل من علي ﵇ فقال لعدي أين الطرفات ؟ يعني بنيه طريفا وطارفا وطرفة .

(١) راجع تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢/٣٧٥ ـ ٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٨٥، تاريخ الطبري ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٧.

قال عدي قُتلوا يوم صفين بين يدى علي بن أبي طالب عليه السلام .
فقال معاوية :ما أنصفك ابن أبي طالب اذ قدَّم بنيك وأخَّر بنيه .
قال عدي :بل ما انصفت أنا عليا اذ قُتل وبقيت [1]!

من ذهب أميرا على الحج في السنة التاسعة ؟

في السنة التاسعة للهجرة بعث النبي صلى الله عليه وآله أبا بكر أميراً على الحج وقراءة سورة براءة ﴿بَرَاءةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الَّذِينَ عاهَدتُّهم مِّنَ المُشرِكِينَ، فَسِيحُوا فِي الأَرضِ أربَعَةَ أَشهُرٍ واعلَمُوا أَنَّكُم غَيرُ مُعجِزِي اللهِ وأنَّ اللهَ مُخزِي الكَافِرِين﴾ [2].

﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خيرٌ لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غيرُ معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم، إلّا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتمّوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنَّ الله يحبُّ المتّقين، فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلَّ مرصدٍ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفورٌ رحيم﴾ [3].

و بلغ عدد المسلمين الراغبين في الحج ثلاثمائة مسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله معهم عشرين بدنة ولما وصل المسلمون إلى ذي الحليفة وهو الميقات المعروف بمسجد الشجرة [4] نزل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله يخبره: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك.

---

(١) الكنى والالقاب لعباس القمي ٢/١١٥.

(٢) التوبة: ١، ٢.

(٣) التوبة ٣ - ٥.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

فقال النبي ﷺ: عليٌّ منّي وأنا منه، ولا يؤدي إلّا أنا أو علي[1].

وقد روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي بكر أن النبي ﷺ بعثه ببراءة لأهل مكّة: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ولا تدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله إلىٰ مدته، والله بريءٌ من المشركين ورسوله. فسار بها (أبو بكر) ثلاثاً ثم قال النبي ﷺ لعلي ؑ: إلحقه فرُد عليَّ أبا بكر وبلغها أنت، ففعل.

فلمّا قدم أبو بكر على النبي ﷺ بكىٰ و قال: يا رسول الله هل حدث فيَّ شيء؟

قال النبي ﷺ: ما حدث فيك إلّا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغها إلّا أنا أو رجل منّي[2]، وحكاه في الكنز في تفسير سورة التوبة[3].

وروىٰ أحمد بن حنبل بسنده عن علي ؑ قائلا: لما نزلت عشر آيات من سورة براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي:

أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه، فاذهب به إلىٰ مكّة، فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه.

ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله هل نزل فيَّ شيء؟

قال النبي ﷺ: لا، ولكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك، ونقله في الكنز عن أبي الشيخ وابن مردويه، ونحوه في الكشاف أيضاً[4].

وروى الحاكم عن ابن عمر حديثا قال فيه: ان رسول الله ﷺ بعث أبا بكر وعمر ببراءة إلىٰ أهل مكّة فانطلقا، فإذا هما براكب فقال: من هذا؟

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٦٤، كنز العمال ٦/١٥٣.

(٢) تاريخ أبي زرعة ص٢٩٨، مسند أحمد بن حنبل ٢/١، ذخائر العقبىٰ ٦٩.

(٣) كنز العمال ١/٢٤٦.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١١/١٥٦، كنز العمال ١/٢٤٧، تفسير ابن كثير ٢/٥٤٣، ٥٤٤.

قال: أنا علي يا أبا بكر، هات الكتاب الذي معك، فأخذ علي الكتاب فذهب به، ورجع أبو بكر وعمر إلى المدينة فقالا: ما لنا يا رسول الله؟

قال النبي ﷺ: ما لكما إلاّ خير، ولكن قيل لي لا يبلغ عنك إلاّ أنت أو رجل منك[١].

وقد روىٰ عودة أبي بكر وبكاءه وذهاب علي بن أبي طالب أميراً على الحج أحمد بن حنبل وأبو يعلىٰ من رواية أبي إسحاق عن يزيد بن منبع عن أبي بكر[٢]. وحرّف ابن هشام سيرة ابن اسحاق حفظاً للأمانة الشرعية![٣].

وأخرج ابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر ببراءة إلىٰ أهل مكّة ثم بعث علياً ﷺ علىٰ أثره، فأخذها منه، فكأنَّ أبا بكر وجد في نفسه، فقال النبي ﷺ: يا أبا بكر إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي.

وجاء في تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب أنّه رواه الطبرسي والبلاذري والترمذي والواقدي والشعبي والسدّي والثعلبي والواحدي والقرطبي والقشيري والسمعاني وأحمد بن حنبل وابن بطة ومحمد بن إسحاق وأبو يعلى الموصلي والأعمش وسماك بن حرب في كتبهم عن عروة بن الزبير وأبي هريرة وأنس وأبي رافع وزيد بن نفيع وابن عمر وابن عباس واللفظ له: إنّه لما نزل ﴿براءة من الله ورسوله﴾ إلىٰ تسع آيات أنفذ النبي ﷺ أبا بكر إلىٰ مكّة لأدائها.

فنزل جبرئيل وقال: إنّه لا يؤديها إلاّ أنت أو رجل منك، فقال النبي ﷺ لأمير المؤمنين: اركب ناقتي العضباء والحق أبا بكر، وخذ براءة من يده.

ولما رجع أبو بكر إلى النبي ﷺ جزع. وقال: يا رسول الله إنك أهّلتني لأمر طالت الأعناق اليه، فلما توجّهت إليه رددتني منه؟

---

(١) المستدرك، الحاكم ٣/٥١.

(٢) حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي علىٰ تفسير الزمخشري ٢/٢٤٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٤ / ١٩٠.

فقال النبي ﷺ: الأمين هبط إليّ عن الله تعالىٰ: إنّه لا يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك، وعلي منّي ولا يؤدّي عنّي إلّا علي.

وكلام الله تعالىٰ: لا يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك مطلقة تسمح لعلي عليه السلام بتبليغ الأحكام الإبتدائية مثل تلك التي جاءت في سورة براءة بمنع طواف العريان، ومنع دخول المشركين البيت الحرام.

ووجد أتباع الخط الأموي في ذلك الفعل الإلهي تضعيف لخطهم فتحركوا لتحريف ذلك النهج الإلهي فقالوا كذباً: بأنّ أبا بكر استمر في أمارة الحج وعلي عليه السلام مأمور تحت إمارته.

وقالوا: إنّ أمر الله هذا جاء وفق عادة عرب الجاهلية أنّ لا يبلغ في العهود إلّا شخص من قبيلته.

لقد أراد ابن شهاب الزهري الأموي إرضاء الحكم الأموي عنه فقال: إنما أمر النبي علياً عليه السلام بتبليغ براءة دون غيره لأنّ عادة العرب أن لا يتولىٰ العهود إلّا سيّد القبيلة وزعيمها أو رجل من أهل بيته يقوم مقامه كأخيه أو ابن عمه فأجراهم علىٰ عادتهم[1]. وهذا من أكاذيب الزهري التي ليس لها دليل إذ كان الوكيل عند العرب كالأصيل!

أقول أنّ النبي ﷺ كان رسولاً لله وزعيماً للبشرية وليس مثل رئيس قبيلة صغيرة! ولم تكن في عادة الجاهلية أن لا يبلغ عن زعيم القبيلة إلّا فرد منها بل يمكن ذلك لكل حليف أو صديق. والأخطر من ذلك أن سورة براءة قول الله تعالىٰ وليس قول رئيس قبيلة كما يزعمون، وقول الله سبحانه لا يبلّغه إلّا المطهرون من أفراد أهل البيت عليهم السلام من الذين قرنهم الله تعالىٰ مع القرآن في قوله ﷺ:

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

---

(١) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٤٣.

ولماذا هذا التضعيف للقول الإلهي بأنّه جاء وفقاً لمعايير الجاهلية! ولو كان الأمر هكذا لما جاء الله بشريعة وقوانين مخالفة لتعاليم وعادات الجاهلية!

وقد كذّب أبو بكر هؤلاء الكتّاب بما فعله بعد رجوعه من بكائه وجزعه وكآبته وإنّه وجد في نفسه وما قاله للرسول ﷺ: هل نزل فيّ شيء؟ ولو بقي أبو بكر أميراً لما فعل هذا.

وقد كان أبو بكر وعمر في مرّات عديدة مأمورين، مرّة في حملة ذات السلاسل تحت قيادة عمرو بن العاص وقيادة علي عليه السلام ومرّة تحت قيادة أبي عبيدة بن الجراح، ومرّة في السنة العاشرة عندما استعمل النبي ﷺ سباع بن عرفطة الغفاري علىٰ ما في سيرة ابن هشام ورواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم. ومرّة تحت قيادة أسامة بن زيد إلىٰ الشام فبقي أبو بكر وعمر يناديان أسامة بالأمير طول مدة حياتهما[1].

وبذلك يكون عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح وأسامة بن زيد قد ترأسوا علىٰ جيوش من جنودها أبو بكر وعمر، وهذا يثبت أنهما مع عثمان بن عفان من عامّة أصحاب النبي ﷺ، لم يميزهم عن غيرهم سوى السلطة السياسية التي سيطروا عليها في انقلاب السقيفة.

بينما لم يتزعّم شخص علىٰ رسول الله ﷺ ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام

وأيد علي بن إبراهيم القمي رجوع أبي بكر إلىٰ المدينة وذهاب علي عليه السلام أميراً علىٰ الحج[2] وقال النبي ﷺ: لا ينبغي لأحدٍ أن يبلّغ هذا إلّا رجل من أهلي.

فقال صاحب المنار إنّ قوله ﷺ أو رجل مني في رواية السدي قد فسرتها الروايات الأخرىٰ عند الطبري وغيره بقوله ﷺ أو رجل من أهل بيتي وهذا النص الصريح يثبت تأويل كلمة مني بأنّ معناها أن نفس علي كنفس رسول الله ﷺ

---

(١) البداية والنهاية ٨/٧٣.

(٢) تفسير القمي ١ / ٢٨٢، ١٥٨.

وإنّه مثله وإنّه أفضل من كل أصحابه[١] وهذا واضح في انّ علياً عليه السلام لا يكون مأموراً أبداً.

وفي كتاب المستجاد للعلامة الحلي أنّ النبي محمدا صلى الله عليه وآله أبلغ علياً عليه السلام أن يخيّر أبا بكر بين الذهاب معه أي (مأموراً) أو الرجوع فرجع أبو بكر[٢].

وأيّد السهيلي رجوع أبي بكر إلىٰ المدينة وذهاب علي بن أبي طالب عليه السلام ببراءة[٣].

وصحح سبط ابن الجوزي ذهاب علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً علىٰ الحج ورجوع أبي بكر إلىٰ المدينة قائلاً: ودفع النبي صلى الله عليه وآله ناقته العضباء فأدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلىٰ رسول الله فقال: بأبي أنت وأمي هل نزل فيَّ شيء؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل منّي[٤].

وهناك مئات المصادر الأخرىٰ تذكر رواية أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سورة براءة من أبي بكر ورجوع أبي بكر إلى المدينة وخوفه من نزول قرآن فيه أو وجده من ذلك، ومن الذين ذكروا تبليغ علي عليه السلام لسورة براءة وأذانه وحجه بالناس: أبو محمد أسماعيل السدي الكوفي المتوفّىٰ سنة ١٢٨ هـ ومحمد بن اسحاق المتوفّىٰ سنة ١٥١هـ، وإمام الحنابلة أحمد بن حنبل المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ، وأبو محمد عبد الله الدارمي صاحب السنن المتوفىٰ سنة ٢٥٥ هـ، وأبو عبد الله بن ماجة القزويني صاحب السنن المتوفّىٰ سنة ٢٧٣ هـ وأبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح المتوفّىٰ سنة ٢٧٩ هـ، واليعقوبي المتوفىٰ سنة ٢٩٢ هـ[٥] والحافظ أبو عبد الرحمن أحمد النسائي

---

(١) تفسير الميزان ٩ / ١٧٦.

(٢) المستجاد من الأرشاد، الحلي ٥٧، البحار ٢٢ / ١١.

(٣) الروض الأنف ٦ / ٣٧٤، خصائص النسائي ٢٠، سنن الترمذي ٢ / ١٨٣، مسند أحمد٣ / ٢٨٣، الدر المنثور، السيوطي ١٠/٤٦، مستدرك الصحيحين٣/٥١، وراجع فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢/٣٨٣.

(٤) تذكرة الخواص سبط ابن الجوزي، ٤٣، سبط ابن الجوزي، ٤٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٧٦.

صاحب السنن المتوفّىٰ سنة ٣٠٣هـ، وعبدالله البغوي صاحب المصابيح المتوفّىٰ سنة ٣١٧هـ، وسليمان بن أحمد الطبراني المتوفّىٰ سنة ٣٦٠ هـ، وعلي بن عمر الدارقطني المتوفّىٰ سنة ٣٨٥ هـ، والحاكم النيسابوري صاحب المستدرك المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ هـ، وجار الله الزمخشري وإبن أبي الحديد والسخاوي وجلال الدين السيوطي والقسطلاني وابن حجر الهيثمي.

وأثبت الطبري رجوع أبي بكر إلىٰ المدينة[1] وأضيف إلىٰ الكتاب عودته مرة أخرى أميراً علىٰ الحج! الأمر الذي يرفضه العقل. لأنّ أبا بكر إذا عاد إلىٰ المدينة ورجع مرة أخرىٰ إلىٰ مكة لاحتاج إلىٰ عشرة أيام علىٰ الأقل. ولا يوجد دليل أصلاً علىٰ أنّ النبي ﷺ بعثه مرة أخرىٰ أميراً علىٰ الحاج. كما لم ينقل لنا أي راوٍ وجود محادثة ثانية بين علي عليه السلام وأبي بكر: هل جئت يا أبا بكر أميراً أو مأموراً؟

لقد قال رسول الله ﷺ مرتين: علي منّي وأنا منه مرّة في معركة أحد يوم فرّ عنه أصحابه وبقي علي بن أبي طالب عليه السلام فقال جبريل: وأنا منكما.

فقال محمد بن إسحاق في المغازي قال الزهري: إنّما قال جبرئيل إنّ هذه لهي المواساة لأن الناس فروا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتىٰ عثمان بن عفان فإنّه أوّل من فرّ ودخل المدينة وفيه نزل:

﴿إنّ الذين تولوا يوم التقىٰ الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا[2]﴾

ومرة اخرى قال الرسول ﷺ: علي مني وأنا منه عندما أرسل علياً عليه السلام أميراً علىٰ الحج في السنة التاسعة[3].

ووجب بسورة براءة ستر العورة اي لا يحج بعد هذا العام عريان ولا يقرب

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٣٨٢.

(٢) آل عمران ١٥٥.

(٣) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٤٢.

المسجد بعد هذا العام مشرك وكان الكفار يطوفون بالبيت عراة.

وقال تعالىٰ ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾[١] مما يلزم ستر العورة وكان الرجال يطوفون عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل يعظمون بذلك الحرمة ويقول بعضهم:

أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس عليّ شيء من الدنيا خالطه الظلم فكره رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام[٢].

وكان المشركون يحجون مع المسلمين ويعارضهم المشركون بإعلاء أصواتهم ليغلطوهم بذلك بقولهم لا شريك لك إلّا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[٣].

وحدد لهم علي بن أبي طالب عليه السلام المدة قائلاً: ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله مدته.

فقال بعض الكفار: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك.

فقال علي عليه السلام: لو لا أنّ رسول الله ﷺ أمرني أن لا أحدث شيئاً حتىٰ آتيه لقتلتك فلما عادوا أرعب الله تعالىٰ المشركين فدخلوا في الإسلام طوعاً وكرهاً[٤].

وكان العهد بين رسول الله ﷺ والمشركين عاماً وخاصّاً فالعام أن لا يصد أحد عن البيت جاءه، ولا يخاف أحد في الأشهر الحرم، فانتقض ذلك بسورة براءة.

والخاص بين رسول الله ﷺ وبين قبائل من العرب إلىٰ آجال مسماة[٥].

الدلائل والعبر

من الأمور الفقهية البيّنة تحريم الخمر في بداية البعثة في مكة ولأن مجموعة من

---

(١) الأعراف ٣١.

(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

(٣) عيون الأثر ٢ / ٢٧٥.

(٤) تذكرة الخواص ٤٣، عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

(٥) عيون الأثر ٢ / ٢٧٦.

الصحابة استمرت في شربها فقد غيّر وعاظ السلاطين زمن التحريم وأخروه عشرين سنة إلىٰ الوراء.

وتأثر العلماء الآخرون بهذا فأخذوا يبحثون مع أولئك عن التحريم إن كان في السنة الرابعة أم في السنة السابعة. وقد قيل: إكذب إكذب حتىٰ يصدّقك عدوّك فالناس علىٰ دين ملوكها تتأثر بهم ولو كانوا في صراع معهم.

لقد سعىٰ ملوك آل أمية إلىٰ ضرب أحاديث التحريم في بداية البعثة وتحريمها في سائر الأديان السابقة عرض الحائط.

واتهموا أناساً آخرين بشرب الخمر في المدينة وعلىٰ رأسهم علي بن أبي طالبعليه السلام وحمزة، وهدفهم خلط روايات صحيحة وأخرىٰ كاذبة لذر الرماد في العيون.

من الملفت للنظر أنّ مجاميع عديدة من المسلمين كانت تعارض رسول اللهصلى الله عليه وآله في السنوات الأخيرة من عمره الشريف.

فواحد يقول له إعدل، وآخر يشاهد استجابة الله تعالىٰ لدعاء رسوله بنزول المطر فيقول سحابة مارة، وآخر يسمع طلب رسول اللهصلى الله عليه وآله بالمجيء بصحيفة ودواة ليكتب وصيّته فيتهمه بالهجر، فيلتحق به أصحابه ينادون يهجر يهجر يتّهمون النبيصلى الله عليه وآله بالجنون في بيته!

وهذه المجموعة هي عصبة قريش الذين شربوا الخمر في ناديهم الشهير وقد قال تعالىٰ عن المتهمين لخاتم الأنبياء بالجنون:

﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنّه لمجنون وما هو إلّا ذكر للعالمين﴾[1].

وهناك أمر عقائدي مهم في بعث رسول اللهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام بسورة براءة ذلك

---

(١) القلم ٥١.

انه ﷺ أرسل أبا بكر أميراً على الحج ولما نزلت سورة براءة عزله الله تعالىٰ وعيّن علياً عليه السلام مبلغاً لسورة براءة، باتفاق الروايات على ذلك.

ومن يعينه الله تعالىٰ أفضل ممن يعزله، أليس كذلك؟

واتفقت الروايات على قوله ﷺ لابي بكر إنّ جبرئيل قال لن يؤدي عنك إلّا أنت أو رجل منك.

وجاء مثل هذا في القرآن الكريم ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ فعلي عليه السلام نفس محمد ﷺ.

وإذا ثبت هذا فكيف يجوز لأبي بكر ان يكون أميراً وزعيماً على نفس محمد ﷺ هل يجوز ذلك؟

ولأوّل مرة يبلغ شخص سورة قرآنية بدل رسول الله ﷺ ولم يكن ذلك الرجل إلّا علي عليه السلام. وليس لإنسان آخر هذه المنقبة فعلي عليه السلام نفس محمد ﷺ إلّا النبوة.

ومن المسائل السياسية في هذه الواقعة أنّ أبا بكر جزع وبكىٰ وأصابته الكآبة إثر عزله، والمسؤولية السياسية لا تستحق ذلك لأنها خدمة ومسؤولية في عنق المسلم ومتىٰ زاغ الإنسان عن هذه النظرة يبدأ الإنحراف ويحصل له ما فعله طلحة والزبير في معركة الجمل لامتناع علي عليه السلام من توليتهما على الكوفة والبصرة.

واستمر أبو بكر في نظرته للمسؤولية من هذا الباب فدفعه جزعه للامتناع عن المشاركة في مراسم دفن رسول البشرية ، وسلبَ فاطمة فدكاً وأمر بالهجوم علىٰ بيتها.

وبعد ما فعل هذا كله ندم أبو بكر قائلاً: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة [1].

---

(١) لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان.

الفصل الثامن

غزوة اليمن وحجة الوداع

غزوة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن

اليمن دولة كبيرة في شبة جزيرة العرب ولكثرة المياه فقد نشأت فيها حضارات راقية وبنيت السدود وعلى رأسها سد مأرب.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن مرّتين : مرّة إلى قبيلة همدان في السنة الثامنة للهجرة ومرّة إلى قبيلة مذحج في السنة العاشرة للهجرة.[1]

والبعث الأول في أواخر سنة ثمان إلى همدان وأمّا الثاني فكان في رمضان سنة عشر إلى مذحج [2].

الغزوة الاولى

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام ان يعسكر بقباء حتى يجتمع أصحابه، فعقد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لواءه وأخذ عمامة فلفها مثنية مربعة فجعلها في رأس رمح ثم دفعها إليه، وعممه عمامة ثلاثة أكوار وجعل ذراعاً بين يديه وشبراً من ورائه[3].

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم، تلوّمهم ترهم أناة ثم تقول لهم:

---

(١) طبقات ابن سعد ٢ / ١٦٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢، عيون الأثر ٢/١٥٢.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، تاريخ الخميس ٢ / ١٤٤.

هل لكم إلىٰ أن تقولوا لا إله إلّا الله؟ فإن قالوا نعم فقل هل لكم أنْ تصلُّوا؟ فإن قالوا نعم فقل: هل لكم أن تخرجوا من أموالكم صدقةً تردُّونها علىٰ فقرائكم؟

فإن قالوا نعم فلا تبغ منهم غير ذلك، والله لأن يهدي الله علىٰ يدك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت.[1].

وقال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ مر أصحاب خالد بن الوليد من شاء منهم يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل[2].

وقال النبي ﷺ لعلي ﷺ وخالد: أنْ التقيتما فالأمير علي ﷺ.

وكان النبي ﷺ قد بعث أولاً خالد بن الوليد إلىٰ اليمن فبقي يدعوهم إلىٰ الإسلام ستة أشهر فلم يجيبوه[3].

ولمّا قرأ علي بن أبي طالب ﷺ رسالة النبي ﷺ لقبيلة همدان أسلموا جميعاً في يوم واحد فكتب علي ﷺ بذلك إلىٰ رسول الله ﷺ فسجد شكراً لله[4] وقال السلام على همدان ثلاثاً ثم تتابع أهل اليمن علىٰ الإسلام.

وفي اليمن خطب علي بن أبي طالب ﷺ الناس وفيهم كعب الأحبار قائلاً:

إنّ من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار وفيهم من لا يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار، ومن يعطِ باليد القصيرة يُعطَ باليد الطويلة.

فسألوا كعباً فقال: من الناس من يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو المؤمن بالكتاب الاول ولا يؤمن بالكتاب الاخر واما قوله منهم من لا يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار فهو الذي لا يؤمن بالكتاب الأوّل ولا الآخر وأمّا قوله: من يُعطِ باليد

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٧٩.

(٢) سيرة ابن دحلان ٢ / ١٥٢.

(٣) مغازي الذهبي ٦٩٠، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٣٠٠، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٩٦، تاريخ الخميس ٢ / ١٤٥.

(٤) تاريخ ابن الاثير ٢ / ٣٠٠، صحيح البخاري، كتاب المغازي ٥ / ١١٠، دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٦٩، فتح الباري ٨ / ٦٥، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، الأرشاد، المفيد ١ / ١٦١، عيون الأثر ٢ / ٢٤٠.

القصيرة يُعطَ باليد الطويلة فهو ما يقبل الله من الصدقات(١).

وبعد ما وزع علي بن أبي طالب‏ عليه السلام الغنائم علىٰ المقاتلين من نساء وأموال اصطفىٰ لنفسه جارية منهن.

فبعث خالد بن الوليد بريدة الاسلمي إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله ليخبره بذلك ويوقع في علي ولما وصل بريدة إلىٰ المدينة قال له: إمضِ لما جئت له فإنّه سيغضب لابنته مما صنع علي. فدخل بريدة علىٰ النبي صلى الله عليه وآله ومعه كتاب خالد، فجعل يقرؤه ووجه رسول الله يتغيّر.

فقال بريدة: يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنك إن رخّصت للناس في مثل هذا ذهب فيؤهم.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله:

ويحك يا بريدة أحدثت نفاقاً إنّ علي بن أبي طالب‏ عليه السلام يحلُّ له من الفيء ما يحلُّ لي إنّ علي بن أبي طالب‏ عليه السلام خيرُ الناس لك ولقومك، وخير من أخلف من بعدي لكافة أمتي يا بريدة إحذر أن تبغض علياً فيبغضك الله.

قال بريدة: فتمنيت أنّ الأرض انشقت بي فسخت فيها، وقلت: أعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، يا رسول الله استغفر لي فلن أُبغض علياً أبداً ولا أقول فيه إلّا خيراً، فاستغفر له النبي صلى الله عليه وآله (٢) وفي الروايات الصحيحة أنّ علي بن أبي طالب‏ عليه السلام لم ينكح إمرأة أخرىٰ في حياة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام. فالظاهر بأنّه‏ عليه السلام أعطىٰ الجارية لأحد المسلمين.

وقال عمرو بن شاس الأسلمي وهو من أصحاب الحديبية:

كنت مع علي بن أبي طالب‏ عليه السلام في خيله التي بعثه فيها رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ اليمن فجفاني علي بعض الجفاء، فوجدت في نفسي، فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وأقبلت يوماً ورسول الله جالس، فلمّا جلست قال صلى الله عليه وآله: إنّه والله يا عمرو

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨٢.

(٢) الأرشاد، المفيد ١ / ١٦١، صحيح البخاري كتاب المغازي الحديث ٣٤٥٠، فتح الباري ٨ / ٦٦، دلائل النبوة البيهقي ٥ / ٣٩٧، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

بن شاس لقد آذيتني!

فقلت: إنا لله وإنّا إليه راجعون أعوذ بالله والإسلام أن أُوذي رسول الله ﷺ.

فقال النبي ﷺ: من آذىٰ علياً فقد آذاني[١].

وبعد عودة علي ﷺ وجيشه من اليمن قال له بعض جنوده: أن نركب إبل الصدقة ونريح إبلنا فأبىٰ علينا قائلاً: إنما لكم منها سهم كما للمسلمين[٢].

وهذه العدالة الإسلامية التي أجراها علي ﷺ لم ترق لبعض المسلمين المستغلين لبيت المال. وهؤلاء هم الذين استمروا في بغضهم لعلي ﷺ والميل نحو السائرين علىٰ أهوائهم كمعاوية بن أبي سفيان.

الغزوة الثانية

ولمّا عاد رسول الله ﷺ من تبوك إلىٰ المدينة قدم عليه عمرو بن معدي كرب فقال له النبي ﷺ: «أسلم ـ يا عمرو ـ يؤمنك الله من الفزع الأكبر».

فقال: يا محمّد، وما الفزع الأكبر، فإنّي لا أفزع!؟

فقال النبي ﷺ: «يا عمرو، إنّه ليس ممّا تحسب وتظنُّ إنّ الناس يصاح بهم صيحةً واحدةً، فلا يبقىٰ ميتٌ إلاّ نشر ولا حيّ إلاّ مات، إلاّ ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحةً أُخرىٰ، فينشرون ولا حيٌّ إلاّ مات، إلاّ ماشاء الله، ثمّ يصاح صيحةً أُخرىٰ، فينشر من مات ويصفون جميعاً، وتنشقُّ السماء وتهدُّ الأرض وتخرُّ الجبال، وتزفر النيران وترمي بمثل الجبال شرراً، فلا يبقىٰ ذو روح إلاّ انخلع قلبهُ وذكر ذنبه وشغل بنفسه، إلاّ ماشاء الله، فأين أنت - ياعمرو - من هذا؟»

قال عمرو: ألا إنّي أسمع أمراً عظيماً، فآمن بالله ورسوله، وآمن معه من قومه ناسٌ، ورجعوا إلى قومهم.

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٩٥.

(٢) دلائل النبوة، البيهقي ٥ / ٣٩٨.

ثمّ إنّ عمرو بن معدي كرب نظر إلىٰ أُبيّ بن عثعث الخثعمي فأخذ برقبته، ثم جاء به إلىٰ النبي ﷺ: أعدني علىٰ هذا الفاجر الذي قتل والدي.

فقال رسول الله ﷺ «أهدر الإسلام ماكان في الجاهلية»

فانصرف عمرو مرتّداً فأغار علىٰ قوم من بني الحارث بن كعب ومضىٰ إلىٰ قومه، فاستدعىٰ رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فأمره علىٰ المهاجرين، وأنفذه إلىٰ بني زبيد، وأرسل خالد بن الوليد في طائفة من الأعراب وأمره أن يقصد الجُعفي فإذا التقيا فأمير الناس علي بن أبي طالب عليه السلام. فسار أمير المؤمنين واستعمل علىٰ مقدّمته خالد بن سعيد بن العاص واستعمل خالدُ علىٰ مقدّمته أبا موسىٰ الأشعري.

فأما جُعفيّ فإنّها لمّا سمعت بالجيش افترقت فرقتين: فذهبت فرقة إلىٰ اليمن، وانضمت الفرقة الاخرىٰ إلىٰ بني زبيد، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فكتب إلىٰ خالد بن الوليد: أنْ قف حيثُ أدركك رسولي.

فلم يقف، فكتب إلىٰ خالد بن سعيد: تعرّض له حتىٰ تحبسه.

فاعترض له خالد حتّىٰ حبسه، وأدركه أمير المؤمنين عليه السلام فعنّفه علىٰ خلافه، ثمّ سار حتّى لَقِي بني زبيد بوادٍ يقال له كُشر[١].

فلمّا رآه بنو زبيد قالوا لعمرو: كيف أنت – يا أبا ثور – إذا لقيك هذا الغلام القرشي فأخذ منك الأتاوة؟[٢].

قال: سيعلم إنْ لقيني.

وخرج عمرو فقال: هل من مبارز؟

فنهض إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقام خالد بن سعيد فقال له: دَعْني يا أبا الحسن بأبي أنت وأمي أُبارزه.

---

(١) كُشر: بوزن زفر: من نواحي صنعاء اليمن. «معجم البلدان ٤: ٤٦٢».

(٢) الأتاوة: الخراج «لسان العرب – اتى – ١٤: ١٧».

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كنت ترىٰ أنّ لي عليك طاعةً فقِف مكانك فوقف، ثمّ برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فصاح به صيحةً فانهزم عمرو وقُتل أخوه وابنُ أخيه وأُخِذت امرأتهُ رُكانةُ بنت سَلامة، وسُبيَ منهم نسوانٌ، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام وخلَّف على بني زُبيد خالد بن سعيد ليقبضَ صدقاتهم، ويُؤمنَ من عاد إليه من هُرّابهم مُسلماً.

وجاء أيضاً: كان عمرو فارس العرب مشهوراً بالشجاعة وكان شاعراً محسناً فقال: دعوني حتىٰ آتي هؤلاء القوم فإنّي لم أسمّ لأحد قط إلّا هابني فلمّا دنا منهما نادىٰ أنا أبو ثور أنا عمرو بن معدي كرب.

فابتدره علي عليه السلام وخالد وكلاهما يقول لصاحبه خلّني وإيّاه ويفديه بأبيه وأمّه.

فقال عمرو (إذ سمع قولهما): العرب تفزع مني وأراني لهؤلاء جزرة، فانصرف عنهما (انهزم)[1].

فرجع عَمرو بن معدي كرب واستأذن على خالد بن سعيد، فأذن له فعاد إلىٰ الإسلام، وكلّمه في امرأته وولده، فوهبهم له.

وقد كان عَمرو لمّا وقف بباب خالد بن سعيد وجَد جزوراً قد نُحِرَت، فجمع قوائمها ثمّ ضربها بسيفه فقطعها جميعاً، وكان يُسمّىٰ سيفُه الصَمصامة.

والظاهر بأنّ الصمصامة أخذها علي عليه السلام من ابن معدي كرب إذ قال علي عليه السلام في صفين:

أنا علي صاحب الصمصامة ... وصاحب الحوض لدىٰ القيامة
أخو نبي الله ذي العلامة ... قد قال إذ عمّمني العمامة
أنت أخي ومعدن الكرامة ... ومن له من بعدي الإمامة[2].

وفي المرة الثانية في السنة العاشرة خرج علي بن أبي طالب عليه السلام لغزو مذحج في

(١) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢/٣٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٩.

اليمن فخرج علي ﷺ في ثلاثمائة فارس، فكانت خيلهم أول خيل دخلت بلاد مـذ حج ومرّ علىٰ نجران فأخذ منهم ما اتفقوا علىٰ دفعه لرسول الله ﷺ.

وفي اليمن لقىٰ جمعاً من الناس فدعاهم إلىٰ الإسلام فأبوا ورموا في أصـحابه ثم حمل عليهم علي ﷺ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلاً فتفرقوا وانهزموا وتـركوا لواءهم قائماً، فكف عن طلبهم ودعاهم إلىٰ الإسلام فسارعوا وأجابوا، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه علىٰ الإسلام قائلين: نحن علىٰ من والانا من قـومنا وهـذه صدقتنا فخذ منها حق الله[1].

وأخذ علي بن أبي طالب ﷺ الخمس معه إلىٰ رسول الله ﷺ ليرىٰ فـيه رأيـه وعندما وصل إلىٰ قرية قرب الطائف تسمىٰ الفتق تعجل عـلي ﷺ وخـلف عـلىٰ أصحابه أبا رافع ليقدم علىٰ النبي ﷺ في حجة الوداع[2].

فسأل أصحاب علي ﷺ أبا رافع أن يكسوهم من ثياب الصدقة فكساهم ثوبين ثوبين فلما كانوا بالسدرة داخلين مكّة خرج علي ﷺ يتلقاهم ليقدم بهـم فـينزلهم فرأى علىٰ أصحابه ثوبين ثوبين، فقال لأبي رافع: ما هذا؟

قال: كلموني ففرقت من شكايتهم. وظننت أن هذا يسهل عليك، وكان من قبلك يفعل هذا بهم فقال علي ﷺ رأيت إبائي عليهم ذلك وقد أعطيتهم، وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلّفت، فتعطيهم؟[3].

---

(١) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨٠.

(٢) مغازي الذهبي ٦٩١، صحيح البخاري كتاب المغازي ٥ / ١١٠.

(٣) مغازي الواقدي ٢ / ١٠٨١، السيرة الحلبية ٣ / ٢٠٦، البداية والنهاية ٥ / ١٢٠.

الباب الثالث:

مرحلة الترسيخ

الفصل الاول

حديثا الثقلين
والإمامة في حجة الوداع

حديث الثقلين في حصار الطائف (٨ هـ)

بعد فتح مكة ذهب الرسول ﷺ وجيشه إلى حنين ومن هناك إلى الطائف، وبعد انصراف الرسول ﷺ وجيشه عن الطائف سنة ٨ هجرية قال ﷺ:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وأحدهما أكبر من الآخر، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة»[1].

أي قال الرسول ﷺ ذلك الحديث مبكّراً وأكده في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة. ولأهميته فقد كرّره النبي ﷺ في مرّات عديدة وأماكن مختلفة.

وعلى خطى حديث الثقلين قال الرسول ﷺ في حصار الطائف: «علي مع القرآن والقرآن مع علي»[2].

وهذا الحديث مثل حديث الثقلين يفصح فيه النبي ﷺ عن عصمة علي عليه السلام وعن خلافة أهل البيت في المسلمين.

قال ابن حجر: لا تنافي في أنَّ رسول الله ﷺ قد قال حديث الثقلين في حجة الوداع في عرفة وفي الطائف وفي الغدير وفي المدينة في مرض موته ﷺ[3].

والسؤال المهم الذي راود أذهان الناس في حجة الوداع: ماذا سيوصي رسول

---

(١) الصواعق المحرقة، ص ٨٩، وقد حاصروا الطائف اثنين وعشرين يوماً.

(٢) المستدرك، الحاكم ٣/١٢٤ باب علي مع القرآن والقرآن مع علي، الصواعق المحرقة ٧٥ المعجم الصغير، الطبراني ١/٥٥، المناقب، الخوارزمي ١١٠، مجمع الزوائد ٩/١٣٤.

(٣) الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩.

الله ﷺ في حجته الأخيرة؟

ومن يخلّف في منصب زعامة المسلمين؟

حديث الثقلين في حجة الوداع (١٠ هـ)

وقال رسول الله ﷺ حديث الثقلين أيضاً في مكة المكرمة في يوم ٧ ذي الحجة في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة[1]، وقد ذكر ذلك الكثير من العلماء وأهل السير والتأريخ. وسبب تكرار رسول الله ﷺ ذلك الحديث لأهميته وخطورته في الإسلام.

وكان مجموع المشاركين في حجة الوداع من المسلمين مئة ألف إلى مئة وعشرين ألفاً، وكرر الرسول ذكر الثقلين في مواقف عرفة ومنىٰ وغدير خم والمدينة لمعرفته بأن الكثير من المسلمين الذين حضروا معه في عرفة سوف لا يحضرون معه في غدير خم أو المدينة.

لأنّهم من سائر أنحاء جزيرة العرب، الذين سيعودون إلى بلادهم في يوم ١٢ ذي الحجة و١٣ ذي الحجة، بينما كان موقفه في غدير خم في يوم ١٨ ذي الحجة.

وعلم النبي ﷺ بأن بعض المسلمين الذين حضروا حصار الطائف في سنة ٨ هجرية سوف لا يحضرون حجة الوداع في سنة ١٠ هجرية، فأخبرهم رسول الله ﷺ بخلافة الثقلين في ذلك الوقت.

وقد قال الحلبي: خطب رسول الله ﷺ في الحج (حجة الوداع الخطيرة) خمس خُطب:

الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة.

والثانية يوم عرفة.

(١) اضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٤٤، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢/٥٣٦.

والثالثة يوم النحر بمنى.

والرابعة يوم النحر بمنى أيضاً.

والخامسة يوم النفور الأوّل بمنى أيضاً[١].

وقال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام [٢].

حديث الثقلين في عرفة ١٠ هـ

عن جابر بن عبدالله الأنصاري وأبي سعيد الخدري قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته العضباء يخطب فسمعته يقول:

«يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي كتاب الله طرف بيد الله عزوجل وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا، والآخر عترتي، وإنَّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، وسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم[٣]».

وعن جابر بن سمرة قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع في عرفات:

«يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»[٤].

: ولا يزال الإسلام عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش»[٥].

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٣٣٣.

(٢) مستدرك الحاكم ٣ / ١١٦ طبعة دار الكتب المصرية – بيروت.

(٣) المشكاة، الخطيب التبريزي، المعجم الكبير، الطبراني ٥/١٨٦، جامع الاصول، ابن الاثير ١/٢٧٧، مسند أحمد٣/١٤، ٣/١٧، ٣/٥٩، ٣/١٤٨، اضواء على السنة المحمدية، أبو رية ٤٠٤، صحيح الترمذي ٥/٣٢٨، صحيح النسائي ٥/١٣٠ ح ٨٤٦٤، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٨٩.

(٤) صحيح البخاري ٨/١٢٧، مسند أحمد ٥/٩٣، سنن الترمذي ٣/٣٤٠.

(٥) صحيح مسلم ٦/٣.

والحديث الكامل والصحيح قوله ﷺ: يكون اثنا عشر أميراً كلهم من أهل بيتي، من قريش فهو يوافق حديثه ﷺ الثاني اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي. لذا قال رسول الله ﷺ: الأئمة من قريش من هاشم[١].

حديث الثقلين في منىٰ

قال الحلبي: خطب النبي ﷺ في منى ثلاث مرّات[٢].

وقال المقدسي في حديثه: سمعت رسول الله ﷺ يخطب بمنى فسمعته يقول: «لن يزال هذا الأمر عزيزاً ظاهراً حتى يملك اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ثم لغط القوم وتكلموا»[٣].

والحديث الصحيح والكامل عن خطبة حجة الوداع في منىٰ جاء عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة: كنت مع أبي عند النبي ﷺ فسمعته يقول:

بعد أثني عشر خليفة ثم أخفى صوته، فقلت لأبي ما الذي اخفى صوته؟

قال: قال ﷺ: كلهم من بني هاشم[٤].

وذكر سماك بن حرب مثل ذلك الحديث[٥].

وحديث كلهم من بني هاشم يوافق قوله ﷺ: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

ولا يوافق حديث الثقلين حديث كلهم من قريش فقط ! ففي قريش اربع وعشرون قبيلة!

وروى الحافظ أبو نعيم أحد أعاظم حفاظ أهل السنة بسنده عن ابن عباس قال:

---

(١) شرح النهج، المعتزلي ٩ / ٨٤، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢ / ٥٣٣، الخصال ٢٠٧.

(٢) السيرة الحلبية، الحلبي ٣/٣٣٣.

(٣) مسند أحمد ٥/١٠٠.

(٤) ينابيع المودة الحنفي القندوزي ٢/٥٣٣ طبعة المكتبة الحيدرية، النجف.

(٥) المصدر السابق.

قال رسول الله ﷺ:

«من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي فليوال علياً من بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

وقد قال الإمام علي بن أبي طالب ؑ: إنَّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم»[٢].

وقد أيد الحاكم تلك الأحاديث بالقول النبوي الشريف: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٣].

وقال الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[٤]

قد يتصور المبطلون كون نساء النبي ﷺ من أهل بيته، ولكن خابوا إذ ردّهم مسلم في كتابه قائلاً:

فقلنا من أهل بيته، نساؤه؟

قال: لا وأيم الله تعالى، إنَّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته، الذين حرموا الصدقة بعده[٥].

فيتوضح من القرآن والسنة أن الأمراء والخلفاء هم أهل البيت ؑ سادة قريش وسفينة نوح.

---

(١) حلية الاولياء ٨٦/٣.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٨٤/٩.

(٣) المستدرك، الحاكم ٣٤٣/٢، ١٥٠/٣ وهذا الحديث صحيح على شرط مسلم، كنز العمال ٢١٦/٦، مجمع الزوائد ١٦٨/٩، تاريخ بغداد ١٩/٢، حلية الاولياء ٣٠٦/٤، الصواعق المحرقة ٢٨٢.

(٤) الأحزاب ٣٣.

(٥) صحيح مسلم ١٨١/٥.

إخبار الرسول ﷺ بالأئمة الإثني عشر عليهم السلام

قال رسول الله ﷺ برواية انس بن مالك: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب عليه السلام [١].

وأخبر رسول الله ﷺ بخلافة اثني عشر خليفة له قائلاً: «يكون بعدي أثنا عشر خليفة» وقرأ آية: ﴿إنَّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين والتاسع مهديهم»[٣].

وجاء عن جابر بن سمرة أنّه لم يسمع ما قاله الرسول ﷺ بعد ذلك فسأل أباه، فقال: إنّه يقول: كلهم من قريش[٤]

وعندها كثر الصخب من طلقاء قريش والمنافقين في منى[٥].

والحقيقة أنّ الصخب قد حدث لقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم. كما قال جابر بن سمرة[٦]، فذكروا قوله ﷺ كلهم من قريش فقط.

وقد عمل الحزب الأموي نفس الأمر في قضية الوصية في يوم الخميس إذ جاء: قال رسول الله ﷺ «اوصيكم بثلاث: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم وسكت عن الثالثة أو قالها فنسيتها»[٧].

فعندما يصل الأمر إلى الوصية لعلي عليه السلام أو الخلافة للأئمة الاثني عشر من أهل

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ١ / ٢٣٤.

(٢) سورة التوبة ٣٦، صحيح البخاري ١٢٦/٥، مجمع الزوائد ٢٦٥/٣، الخصال، الصدوق ٤٦٦ ـ ٤٦٧، كمال الدين ٢٧١، مسند أحمد ٩٢/٥، صحيح مسلم ٢٠٢/١٢.

(٣) كمال الدين ٧٣.

(٤) سنن الترمذي ٣٤٠/٣، مسند أحمد ١٠٠/٥، ١٠٧، معجم الطبراني ٢٧٧/٢ ح ٢٠٤٤ المستدرك، الحاكم ٦١٧/٣، ٦١٨.

(٥) مسند أحمد ١٠٠/٥، سنن أبي داود ٣٠٩.

(٦) ينابيع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

(٧) صحيح مسلم ١٢٥٨/٣ ح ١٦٣٧.

البيت ﷺ ينسيْ الراوي! ويحرف الناسخ أو الناشر أو أنّه لم يسمع الكـلمة جـيداً وغير ذلك!!

وهذا يعود إلى النظرية التي قالها الحـزب القـرشي في يـوم الخـميس بحـضور الرسول ﷺ: حسبنا كتاب الله[1]، والقانون الذي سنَّه أبو بكر وعمر وعثمان وكتبه معاوية لاحقاً في المنع من ذكر الحديث وتدوينه والامتناع عن ذكر فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل بيته[2].

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «إنّي وإثني عشر من ولدي وأنت يا عـلي زرُّ الأرض، يعني أوتادها وجبالها، بنا أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها، فإذا ذهب الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا»[3].

وقال جعفر الصادق عليه السلام: «لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت»[4].

وجاء في رواية أبي نعيم قول رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحييْ حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن فليوال علياً عليه السلام بعدي ويقتدِ بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً وويل للمكذبين بفضلهم من أمتي القاطعين فيهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي[5].

وعن عبدالله بن مسعود قال رسول الله ﷺ: الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل[6].

وهذا الحديث يفصح عن أنّ خلافة النبي ﷺ دينية وسياسية وليست سياسية فقط مثلما يدعي البعض، فيضعون ضمن الخلفاء كل من جاءت به السياسة ومنهم

(١) صحيح البخاري ١/٣٧، الملل والنحل، الشهرستاني ١/٢٣.
(٢) الإستيعاب ١/٦٥، الإصابة ١/١٥٤، الكامل، ابن الاثير ٣/١٦٢.
(٣) الكافي ١/١٧٩، ٥٣٤.
(٤) الكافي ١/١٧٩، ٥٣٤.
(٥) حلية الاولياء ١ / ٨٦.
(٦) كمال الدين ٢٧١.

معاوية ويزيد بن معاوية ومروان![1].

ولقد كان أوّل الخلفاء علي بن أبي طالب ﷺ. الذي قال فيه الرسول ﷺ: من كنت مولاه فهذا علي مولاه[2].

وبالإتفاق لم يكن أبو بكر وعمر وغيرهم خلفاء دينيين بل سياسيين وقد قال عمر عن بيعة أبي بكر: كانت فلتة ومن عاد إليها فاقتلوه[3]

وندم أبو بكر في أواخر عمره (بعدما سُمّ من قبل حلفائه) على استلامه السلطة، قائلاً:

وددت أني يوم سقيفة بني ساعدة قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين عمر أو أبي عبيدة[4].

ولو كانت خلافته دينية لما ندم على ذلك ولما قال: يـاليتني كـنت بـعراً ولم أكُ بشراً[5].

وقال الكنجي الشافعي:

«إنَّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده ﷺ اثنا عشر قد اشتهرت مـن طرق كثيرة... فبشرح الزمان وتعريف الكـون والمكـان، عـلم أنَّ مـراد رسـول الله ﷺ من حديثه هذا الأئمة الإثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلتهم عن اثني عشر.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك الأمويين لزيـادتهم عـلى اثـني عـشرولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبدالعزيز، ولكونهم من غير بني هاشم، لأن النبي ﷺ قال:

(١) راجع البداية والنهاية ٢٤٨/٣.

(٢) سنن الترمذي ٥٩١/٥، سنن النسـائي ١٣٠/٥ ح٨٤٦٤ المسـتدرك، الحـاكم ١٠٩/٣مسـند أحـمد ٢٧٠/٤.

(٣) شرح النهج، المعتزلي ٤٧/٦، الامامة والسياسة ٦١/١.

(٤) الامامة والسياسة ١٤/١.

(٥) منتخب كنز العمال ٣٦١/٤.

كلهم من بني هاشم في رواية عبدالملك، عن جابر وإخفاء صوته ﷺ في هذا القول يرجح هذه الرواية، لأنّهم لا يحبون خلافة بني هاشم.

ولا يمكن أن نحمله على الملوك العباسيين، لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلة رعايتهم الآية: قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى وحديث الكساء.

فلابدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الإثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله...

ويؤيد هذا المعنى، أي أن مراد النبي ﷺ الأئمة الإثني عشر من أهل بيته، ويشهد له ويرجحه: حديث الثقلين، والأحاديث المتكررة المذكورة في هذا الكتاب، وغيرها...»[١].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة من خطبته: أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا، أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم.. بنا يستعطى الهدى وبنا يستجلى العمى.

وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله ﷺ، وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حرف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر.

وقال الرسول ﷺ عن علي عليه السلام: «إنّه أبو سبطيّ، والأئمة من صلبه، يخرج الله تعالى الأئمة الراشدين منه، ومنهم مهدي هذه الأمة»[٢].

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «إنّ وصيي علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده سبطاي الحسن والحسين تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين.

---

(١) ينابيع المودة، الكنجي الشافعي ٤٤٦.

(٢) الخصال ١٦٣.

قال: يا محمد فسمهم لي.

قال ﷺ: إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي فهؤلاء إثنا عشر»[١].

إذن حديث الأئمة الاثني عشر بأسمائهم قد ورد من طرق السنة والشيعة[٢]؛ قالها رسول الله ﷺ في حجة الوداع وفي أماكن أخرىٰ. فهم الأئمة الذين أشار الرسول إليهم وحاول الطغاة الحلول محلهم.

لماذا عصت قريش في عرفة ومنىٰ سنة ١٠ هـ؟

بعد ذكر رسول الله ﷺ لخلافة الثقلين له وعـدَّدَ وسمّـىٰ خـلفاءه مـن أهـل البيت ﷺ في عرفة ومنىٰ ثارت قريش الطلقاء على قوله ﷺ، وعصت أوامره في هذا الموضوع لكرهها آل محمد ﷺ، ورغبتها في تناوب خلافة الرسول ﷺ بين قبائلها.

نقل الشعبي عن الصحابي الشهير جابر بن عبدالله الأنصاري أنّه قال:

خطبنا رسول الله ﷺ في حجة الوداع بعرفات[٣] فقال: لا يـزال هـذا الأمـر عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناوأه حتى يملك اثنا عشر كلهم من قريش، فجعل الناس يقومون ويقعدون![٤]. أي جعل المنافقون يلغطون ويهيجون.

وقال أحمد بن حنبل زعيم المذهب الحنبلي وأبو داود أحد أصحاب السنن: فكبرَّ

(١) ينابيع المودة الحنفي، القندوزي ٢/٥٢٩، السقيفة، سليم بن قيس ١٠٦.

(٢) البحار ٩/١٥٨ الاختصاص، المفيد ٢٠٨، ٢٢٤.

(٣) مسند أحمد ٥/٩٩.

(٤) مسند أحمد ٥/٨٧، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠.

الناس وضجوا[1]. والذي عنده القدرة على إثارة الضجة هو الحزب القرشي.

وقال أحمد بن حنبل: ثم لغط القوم وتكلموا[2].

وفي سنن أبي داود عن جابر بن سمرة قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، قال: فكبَّر الناس وضجوا، ثم قال كلمة خفية، قلت لأبي يا أبة ما قال؟ قال: كلهم من قريش[3].

الملاحظ من هذه النصوص المذكورة في مسند أحمد وسنن أبي داود أن قريشاً الطلقاء ومن لف لفهم من الأعراب والمنافقين قد أعلنوا العصيان وضجوا ولغطوا وأخذوا يقومون ويقعدون احتجاجاً على ولاية أهل البيت عليهم السلام وخلافتهم!!

وهذا الاحتجاج يشكل ثاني معارضة لرسول الله ﷺ منذ إسلامهم القهري في فتح مكة ويثبت استمرار كفرهم الباطني وإسلامهم العلني، ومعارضتهم الأولى كانت في هزيمتهم المدبرة في معركة حنين!

وهذا العصيان الكافر هو الذي دعاهم للامتناع عن ذكر أسماء خلفاء رسول الله من أهل البيت عليهم السلام وحذف عبارة كلهم من أهل بيتي وذكر كلهم من قريش!

وهو منحى قبائل قريش للقبض على السلطة وتناوبها بينهم، ذكره عمر بن الخطاب قائلاً: إنَّ قريشاً تحسد اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم[4]، وهذه الرواية تثبت الخلافة في بني هاشم وحسد قريش لهم.

وموقف قريش جاء رداً على حديث الرسول ﷺ في حجة الوداع وغدير خم ومجلس يوم الخميس بقوله ﷺ: كلهم من قريش من بني هاشم[5].

---

(1) مسند أحمد ٥/٩٨، سنن أبي داود ٢/٣٠٩.

(2) مسند أحمد ٥/١٠٠.

(3) سنن أبي داود ٢/٣٠٩.

(4) الكامل ابن الاثير ٣/٢٤، شرح النهج، المعتزلي ٣/١٠٧.

(5) الخصال ٢٠٧، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢/٥٣٣.

ثم سعى رموز قريش بعدها إلى التآمر للقضاء على تلك الأطروحة بقتل رسول الله ﷺ أوّلاً والاستحواذ على السلطة ثانياً. وفعلاً نجحت خطة قريش المذكورة على أرض الواقع!

وكرههم لآل البيت وعلى رأسهم علي عليه السلام وضّحه النبي ﷺ قائلاً:

يا علي إن فيك مثلاً من عيسى بن مريم إن اليهود أبغضوه حتّى بهتوه، وإن النصارى أحبوه حتى جعلوه إلهاً، ويهلك فيك رجلان محب مفرط ومبغض مفتر، قال المنافقون ما قالوا: رفع بضبع ابن عمه، جعله مثلاً لعيسى ابن مريم وكيف يكون هذا؟ وضجوا ما قالوا[1].

وذكر الطبراني والهيثمي ذلك العصيان الكافر للطلقاء والمنافقين في حجة الوداع:

لغط قوم قرب النبي ﷺ فقال أصحابه: يا رسول الله لو بعثت إلى هؤلاء بعض من ينهاهم عن هذا.

فقال رسول الله ﷺ: لو بعثت إليهم فنهيتهم أن يأتوا الحجون لأتاه بعضهم وإن لم يكن له به حاجة[2].

وتعليق رسول الله ﷺ على قول أصحابه يبين شدة عصيان المنافقين من الطلقاء وغيرهم له بحيث أنهم يفعلون عكس ما يقوله الرسول دائماً!!

وامتداداً لذلك المنحى فقد فعل رجال قريش نفس العمل في المدينة عندما دعا رسول الله ﷺ بصحيفة ودواة ليكتب الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام إذ جاء.

عن جابر بن عبد الله الانصارى أن رسول الله ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلون بعده، وكان في البيت لغط فتكلم عمر بن الخطاب...[3].

الملاحظ من نصوص معارضة زعماء قريش للنبي ﷺ في عرفة ومنىً والمدينة

---

(١) تفسير فرات الكوفي ٤٠٤.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ابن حجر ١/١٧٧ ورجاله رجال الصحيح.

(٣) مجمع الزوائد، ابن حجر ٤/٢١٥، واللغط اصوات مبهمة لا تفهم، كتاب العين، الفراهيدي ٤/٣٨٧.

أن عصيانهم يتركز حول خلافة رسول الله ﷺ، ففي الموقف الأول والثاني ذكر رسول الله ﷺ خلافة الثقلين له وهوية الخلفاء وعددهم، وفي الموقف الثاني أراد كتابة الوصية لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

فارتكب العصاة لله ورسوله لغطاً وضجيجاً، وقالوا ألفاظاً قبيحة للرسول ﷺ مثل يهجر، مما يكشف عن كون القيادة للعصيان واحدة في الموقفين!! بزعامة أبي بكر وعمر وأبي سفيان وابن الجراح.ولم تسنح الفرصة أمام الطلقاء لإعلان كفرهم في حياة الرسول ﷺ وبعد موته ﷺ جاءت الفرصة فضجَّ أهل مكة وارتدوا عن الإسلام!!

ففي سنة ١١ هجرية ضجَّ أهل مكة مثلما ضجوا في منى في سنة ١٠ هجرية، فهرب والي مكة عتاب بن أُسيد خوفاً منهم[1].

وظاهر الأمر من الروايات أن عدَّة العاصين كانت كثيرة بحيث أنهم أحدثوا ضجيجاً عالياً لم يمكن الآخرين من سماع خطبة النبي ﷺ في عرفة ومنى!

وآية البلاغ التي نزلت بعد ذلك بأيام في غدير خم أوضحت قوتهم الكبيرة بقوله تعالى:

﴿بلِّغ ما أُنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[2]

فالناس يقصد بهم الله تعالى أولئك الذين أحدثوا ضجيجاً ولغطاً في منى كما جاء في الرواية فكبَّر الناس وضجّوا[3] ثم قالوا للنبي ﷺ: يهجر في المدينة، وهؤلاء هم الذين منعوا دفن النبي ﷺ ريثما يرتِّبوا قضية السقيفة والاستحواذ على السلطة، ووطأوا صدر سعد بن عبادة (رئيس الأنصار)، ووضعوا التراب في فم الحباب بن

---

(١) كنز العمال ١٣/ ٤٣٠.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) مسند أحمدبن حنبل ٥/ ١٠٠ سنن أبي داود ٢ / ٣٠٩.

المنذر (الرئيس الثاني للأنصار)[١].

ولو كانت قوى الكفر والنفاق المذكورة قليلة لما قال الله سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿والله يعصمك من الناس﴾

والناس عبارة عن جماعة عظيمة فنقول: جمع الناس إذا شهدوا الجمعة[٢].

وأراد بهم سبحانه وتعالى كل المعارضين لله ورسوله ﷺ وكان عدد المنافقين مع عبدالله بن أُبي مثل عدد جيش رسول الله ﷺ أي ثلاثين ألفاً[٣] وكان عدد المحاربين لأهل البيت عليهم السلام بعد حادثة السقيفة أربعة آلاف رجل[٤] والآخرون معارضة متفرقون.

ولم يقتصر عمل رسول الله ﷺ على ذكر حديثي الثقلين وأسماء الأئمة الاثني عشر وولاية علي عليه السلام بل أمر الناس بالتسليم بإمرة المؤمنين على علي عليه السلام في حجة الوداع.

إذ قال أبو ذر: إنّ النبي ﷺ قد أمرهم قبل وبعد حجة الوداع بالتسليم بإمرة المؤمنين[٥] على علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولكن أهل السقيفة قد صمموا على سلب الخلافة من أهل البيت عليهم السلام في حجة الوداع[٦].

أي أنّهم واجهوا مشروع النبي ﷺ السياسي بمشروعهم القرشي في تناوب الخلافة.

---

(١) راجع نظريات الخليفتين للمؤلف ١/١١٠، ١٢١، ١٥٤، صحيح البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد، صحيح مسلم ١١/٨٩، الطبقات، ابن سعد ٢/٢٤٢ تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٣، الإصابة ١/٣٢٥، تاريخ الطبري ٢/٤٥٨ شرح النهج، المعتزلي ٢/٢٨٧.

(٢) كتاب العين، الفراهيدي ١/٢٤٠.

(٣) راجع حادثة معركة حنين في هذا الكتاب.

(٤) البحار ٢٨/٢٠٢.

(٥) ارشاد القلوب، الديلمي ٣٢٤.

(٦) السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

حديث الثقلين والخلافة في سنة ١٠ هـ

عند وصول النبيﷺ والمسلمين إلىٰ غدير خم في ١٨ ذي الحجة سنة ١٠ هجرية نزل من الله تعالىٰ:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾[1].

فقام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خماً (غدير خم) بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنىٰ عليه ووعظ وذكّر ثم قال:

«أما بعد أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيبوأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي»[2].

وقال الرسول ﷺ: ألست أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله»[3].

وأعقب ذلك بيعة المسلمين الحاضرين لعلي بن أبي طالبؑ بإمرة المسلمين وقال أبو بكر وعمر:

---

(١) المائدة ٦٧.

(٢) صحيح مسلم ٥/٢٢ ـ ٦٦ ح٢٤٠٨، الدر المنثور، السيوطي ٣٤٩/٧، مسند أحمدبن حنبل ٤٩٢/٥ ح١٨٧٨٠، المعجم الكبير، الطبراني ١٨٦/٥، تهذيب الكمال، ٥١/١٠، تفسير القرآن، ابن كثير ١١٥/٩، كنز العمال ٤٨/١، نوادر الاصول، الحكيم الترمذي ٦٨، مجمع الزوائد ١٧٠/١، سنن الدارمي ٤٣٦/٢، المستدرك، الحاكم ١٠٩/٣، السنن الكبرى، البيهقي ٣٠/٧، ١١٤/١٠.

(٣) تفسير الفخر الرازي ٣ / ٦٣٦، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف ٢٢١.

بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أمسيت مولاي ومولىٰ كلّ مؤمنٍ ومؤمنة[١].

وأُعقب ذلك نزول آية قرآنية اخرىٰ وهي:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾[٢].

وإستناداً لهذا الحديث فقد وصف معاوية بن يزيد بن معاوية الإمام علياً ﷺ (عند انتخابه خليفة لابيه يزيد) قائلاً:

«إنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولىٰ منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظم فضيلته وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً وأشجعهم قلباً وأكثرهم علماً وأولهم إيماناً وأشرفهم منزلة وأقدمهم صحبة، ابن عم رسول الله ﷺ وأفضل هذه الأمّة وصهره وأخوه، وزوّجه ﷺ ابنته فاطمة وجعله لها بعلاً باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنّة، وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيّبة الطاهرة الزكية. فركب جدّي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتىٰ انتظمت لجدي الأمور»[٣].

فقال بنو أميّة لمعلمه عمر المقصوص أنت علّمته هذا ولقّنته إيّاه وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حب علي واولاده وحملته علىٰ ما وسمنا به من الظلم وحسّنت له البدع حتىٰ نطق بما نطق وقال ما قال.

فقال عمر المقصوص: واللهِ ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع علىٰ حب علي ﷺ.

فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حياً حتىٰ مات[٤].

---

(١) تاريخ الخطيب البغدادي ٢٣٢ مسند أحمد ٤ / ٢٨١.

(٢) المائدة ٣.

(٣) حياة الحيوان الكبرىٰ، الدميري ٢ / ٨٩، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٧٢ - ٧٣، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص ٢٤٦، البداية والنهاية ٨ / ٢٦١، تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٤.

(٤) تاريخ الخميس ٢ / ٣٠١.

ومعاوية الثاني أول خليفة مسلم طالب بإرجاع الخلافة إلىٰ أهل البيت عليهم السلام للنص عليهم واستقال من منصبه، ممّا دفع الأمويين إلىٰ قتله بالسم[١].

نزول آيتي البلاغ وإكمال الدين

أيّد الكثير من العلماء نزول آيتي البلاغ و إكمال الدين في الغدير قال السيوطي: نزلت هذه الآية:

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾[٢]

على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب.[٣]

وقال عبدالله بن مسعود : كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ إنّ علياً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس[٤].

وعن جابر بن عبدالله وعبدالله بن العباس الصحابيين قالا: أمر الله محمداً أن ينصب علياً للناس ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه: **﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾**[٥]

فقال رسول الله بولايته يوم غدير خم.

وقالت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله: وهل ترك أبي يوم غدير خمٍّ لأحدٍ عذراً[٦].

---

(١) مروج الذهب، ٣ / ٧٢، ٧٣، تأريخ الخلفاء، السيوطي ٢٤٦، تأريخ اليعقوبي ٢ / ٢٥٤، تاريخ الخميس ٢/٣٠١.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) الدر المنثور ٢/٢٩٨.

(٤) الدر المنثور، السيوطي ٢/٢٩٨.

(٥) المائدة: ٦٧.

(٦) الخصال ١٧٣.

وروى السيوطي في الدر المنثور: لما نصب رسول الله ﷺ علياً يوم غدير خم ونادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه بهذه الآية: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم...**﴾[1]

راجع حديث الغدير للطبري المفسر والمؤرخ الشهير، وحديث الغدير للحافظ الدارقطني، والذهبي، وعبيدالله الحسكاني، ومسعود السجستاني وكتاب الغدير للأميني، وحديث الغدير في كتاب عبقات الأنوار.

وفي تفسير الثعلبي قال جعفر بن محمد عليه السلام في معنى قوله: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك**﴾، في فضل علي، فلما نزلت هذه أخذ النبي ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية قال: نزلت في علي بن أبي طالب إذ أمر الله النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه[2].

قال الأميني: نزلت هذه الآية الشريفة يوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة حجة الوداع (١٠ هـ) لما بلغ النبي الأعظم ﷺ غدير خم، فأتاه جبرئيل بها على خمس ساعات مضت من النهار فقال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك:

﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - في علي - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾

وكان أوائل القوم وهم مائة ألف أو يزيدون قريباً من الجحفة فأمر أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان، وأن يقيم علياً عليه السلام علماً للناس، ويبلغهم ما أنزل الله فيه، وأخبره بأن الله عزَّ وجلَّ قد عصمه من الناس.

---

(١) المعيار والموازنة ٢١٣، الحافظ الحسكاني في الحديث ٢١١ وتواليه من شواهد التنزيل ١/١٥٧، وابن عساكر في الحديث (٥٨٥ ـ ٥٨٦) من ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام تاريخ دمشق ٢/٩٥ الطبعة الأولى.

(٢) تفسير الميزان ٦/٥٤.

وما ذكرناه من المتسالم عليه عند أصحابنا الإمامية، غير إنا نحتج في المقام بأحاديث أهل السنة في ذلك. وقد ذكر الأميني ؒ ثلاثين مؤلفاً من السنيين رووا أن الآية نزلت في ولاية علي ؑ نذكر عدداً منهم باختصار:

١ ـ الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠ هجرية، أخرج بإسناده في كتاب (الولاية) في طرق حديث الغدير، عن زيد بن أرقم قال:

لما نزل النبي ﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت ضحى وحر شديد، أمر بالدوحات فأُقيمت، ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إلي:

﴿بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...﴾

٢ ـ الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفّى ٣٢٧ هـ.

٣ ـ الحافظ أبو عبدالله المحاملي المتوفّى ٣٣٠ هـ، أخرج في أماليه بإسناده عن ابن عباس...

٤ ـ الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي المتوفّى ٤٠٧ هـ، روى في كتابه ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين، بالإسناد عن ابن عباس...

٥ ـ الحافظ ابن مردويه المولود ٣٢٣ هـ والمتوفّى ٤١٦ هـ، أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ أن علياً مولى المؤمنين ـ...»

٦ ـ أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف والبيان.

٧ ـ الحافظ أبو نعيم الاصبهاني المتوفّى سنة ٤٤٣ هـ، روى في تأليفه: ما نزل

من القرآن في علي...

٨ ـ أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٨ هـ. روى في أسباب النزول / ١٥٠...

٩ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّى سنة ٤٧٧ هـ في كتاب الولاية بإسناده من عدة طرق عن ابن عباس...

١٠ ـ الحافظ الحاكم الحسكاني أبو القاسم روى في شواهد التنزيل لقواعد التفصيل والتأويل، بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وجابر...

١١ ـ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر الشافعي المتوفّى سنة ٥٧١ هـ. أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري...

١٢ ـ أبو الفتح النطنزي أخرج في الخصائص العلوية، بإسناده عن الإمامين محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام.

١٣ ـ أبو عبدالله فخر الدين الرازي الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ. قال في تفسيره.

الكبير ٣/٣٦٣: نزلت الآية في فضل علي عليه السلام، ولما نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه...

١٤ ـ أبو سالم النصيبي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ هـ. في مطالب السؤول /١٦...

١٥ ـ الحافظ عز الدين الرسعني الموصلي الحنبلي المولود ٥٨٩ هـ...

١٦ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويني المتوفّى سنة ٧٢٢ هـ. أخرج في فرائد السمطين عن مشايخه الثلاثة: السيد برهان الدين إبراهيم بن عمر الحسيني المدني، والشيخ الإمام مجد الدين عبدالله بن محمود الموصلي، وبدر الدين محمد بن محمد بن أسعد البخاري بإسنادهم عن أبي هريرة: إن الآية نزلت في علي عليه السلام.

١٧ ـ السيد علي الهمداني المتوفّى سنة ٧٨٦ هـ. قال في مودة القربى: عن البراء

بن عازب ﷺ قال: أقبلت مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فلما كان بغدير خم نودي الصلاة جامعة، فجلس رسول الله ﷺ تحت شجرة وأخذ بيد علي ﷺ، وقال: ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم؟

قالوا: بلى: يا رسول الله.

فقال: ألا من كنتُ مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

فلقيه عمر فقال: هنيئاً لك يا علي بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. وفيه نزلت: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك.

١٨ ـ بدر الدين بن العيني الحنفي المولود ٧٦٢ هـ والمتوفّى سنة ٨٥٥ هـ ذكره في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ٨/٥٨٤ في قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل) عن الحافظ الواحدي...[1].

وعن ابن عباس وجابر بن عبدالله قالا: أمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً ﷺ علماً للناس، ويخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله ﷺ أن يقولوا حابى ابن عمه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله اليه: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس...** ﴾[2]

وعن أبي جعفر ﷺ قال: سمعت أبا جعفر ﷺ يقول: فرض الله عزّوجلّ على العباد خمساً، أخذوا أربعاً وتركوا واحدة، قلت: أتسميهن لي جعلت فداك؟

فقال: الصلاة وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل ﷺ فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم.

ثم نزلت الزكاة فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم.

ثم نزل الصوم، فكان رسول الله ﷺ إذا كان يوم عاشورا بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم، فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال.

---

(١) الغدير ١/٢١٤.

(٢) تفسير العياشي ١/٣٣١.

ثم نزل الحج فنزل جبرئيل ﷺ فقال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثم نزلت الولاية... وكان كمال الدين بولاية علي بن أبي طالب ﷺ فقال عند ذلك رسول الله ﷺ:

أمتي حديثو عهدٍ بالجاهلية، ومتى أخبرتهم بهذا يقول قائل ويقول قائل، فقلت في نفسي من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله عزَّ وجلَّ بتلة[1]، أوعدني إن لم أبلغ أن يعذبني، فنزلت:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾، فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي ﷺ فقال: أيها الناس إنه لم يكن نبي من الأنبياء ممن كان قبلي إلاّ وقد عمَّره الله ثم دعاه فأجابه، فأوشك أن أدعى فأجيب، وأنا مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

فقالوا: نشهد إنّك قد بلغت ونصحت وأديت ما عليك، فجزاك الله أفضل جزاء المرسلين.

فقال الرسول : اللهم اشهد، ثلاث مرات.

ثم قال: يا معشر المسلمين هذا وليكم من بعدي، فليبلغ الشاهد منكم الغائب[2].

وقال جعفر بن محمد ﷺ أنه قال لمن حضره من مواليه وشيعته: أتعرفون يوماً شَّيد الله به الإسلام، وأظهر به منار الدين، وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا؟

فقالوا: الله ورسوله أعلم، أيوم الفطر هو يا سيدنا؟

قال ﷺ: لا.

قالوا: أفيوم الأضحى هو؟

---

(١) اي مقطوعة.

(٢) الكافي ١/ ٢٩٠.

قال: لا، وهذان يومان جليلان شريفان، ويوم منار الدين أشرف منهما وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.

وإن رسول الله ﷺ لما انصرف من حجة الوداع، وصار بغدير خم، أمر الله عزَّ وجلَّ جبرئيل عليه السلام أن يهبط على النبي وقت قيام الظهر من ذلك اليوم وأمره أن يقوم بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن ينصبه علماً للناس بعده، وأن يستخلفه في أمته. فهبط إليه وقال له: حبيبي محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قم في هذا اليوم بولاية علي ليكون علماً لأُمتك بعدك يرجعون إليه، ويكون لهم كأنت.

فقال النبي ﷺ: حبيبي جبرئيل إني أخاف تغيّر أُصحابي لما قد وترهم، وان يبدوا ما يضمرون فيه،

فعرج وما لبث أن هبط بأمر الله فقال له: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾**

فقام رسول الله ﷺ ذَعِراً مرعوباً خائفاً من شدة الرمضاء وقدماه تشويان وأمر بأن ينظف الموضع ويقمَّ ما تحت الدوح من الشوك وغيره ففعل ذلك، ثم نادى بالصلاة جامعة فاجتمع المسلمون، وفيمن اجتمع أبو بكر وعمر وعثمان وسائر المهاجرين والأنصار، ثم قام خطيباً، وذكر الولاية فألزمها للناس جميعاً، فأعلمهم أمر الله بذلك[1].

وقال رجل للإمام محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يابن رسول الله إن الحسن البصري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري، وخشيت أن يكذبني الناس، فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني.

قال له أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟

قال: لا.

(١) البحار ٩٤/ ٣٠٠.

قال ﷺ: أما والله إنه ليعلم ما هي، ولكنه كتمها متعمداً!

قال الرجل: يابن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟

فقال ﷺ إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالصلاة في كتابه، فلم يدروا ما الصلاة ولا كيف يصلون، فأمر الله عزَّ وجلَّ محمداً نبيه ﷺ أن يبين لهم كيف يصلون. فأخبرهم بكل ما افترض الله عليهم من الصلاة مفسراً.

وأمر بالزكاة، فلم يدروا ما هي، ففسرها رسول الله ﷺ وأعلمهم بما يؤخذ من الذهب والفضة والابل والبقر والغنم والزرع، ولم يدع شيئاً مما فرض الله من الزكاة إلّا فسره لأمته، وبيّنه لهم.

وفرض عليهم الصوم، فلم يدروا ما الصوم ولا كيف يصومون، ففسره لهم رسول الله ﷺ وبيّن لهم ما يتّقون في الصوم، وكيف يصومون.

وأمر بالحج فأمر الله نبيه ﷺ ان يفسر لهم كيف يحجُّون، حتى أوضح لهم ذلك في سنته.

وأمر الله عزَّ وجلّ بالولاية فقال: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**، ففرض الله ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله نبيه ﷺ أن يفسر لهم ما الولاية، مثلما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما أتاه ذلك من الله عزَّ وجلَّ ضاق به رسول الله ذرعاً، وتخوف أن يرتدوا عن دينه وأن يكذبوه، فضاق صدره وراجع ربه فأوحى إليه:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾، فصدع بأمر الله وقام بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يوم غدير خم، ونادى لذلك الصلاة جامعة، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب(١).

---

(١) دعائم الإسلام، النعمان المغربي ١ / ١٤.

وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، تنزل الفريضة ثم تنزل الفريضة الأخرى وكانت الولاية آخر الفرائض، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾

قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ: يقول الله عزَّ وجلَّ: لا أنزل عليكم بعد هذه الفريضة فريضة، قد أكملت لكم هذه الفرائض.

وقال رسول الله ﷺ: أوصي من آمن بالله وبي وصدقني: بولاية علي بن أبي طالب، فإن ولاءه ولائي، أمر أمرني به ربي، وعهد عهده إليَّ، وأمرني أن أبلغكموه عنه[1].

و قال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل أمتي حديثة عهدٍ بجاهلية، وأخاف عليهم أن يرتدوا، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ـ في علي ـ فإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس.

فلم يجد رسول الله ﷺ بداً من أن يجمع الناس بغدير خم فقال: أيها الناس إن الله عزَّ وجلَّ بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، أفلستم تعلمون إنّ الله عزَّ وجلَّ مولاي وأني مولى المسلمين ووليهم وأولى بهم من أنفسهم؟

قالوا: بلى.

فأخذ بيد علي ﷺ فأقامه ورفع يده بيده وقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ومن كنت وليه فهذا علي وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار.

ثم قال أبو جعفر ﷺ: فوجبت ولاية علي ﷺ على كل مسلم ومسلمة.[2]

وقد أيَّد الكثير بأن سورة المائدة آخر سورة في القرآن الكريم إضافة لما ذكرناه مثل:

---

(١) دعائم الاسلام: النعمان المغربي ١/ ١٤.

(٢) شرح الاخبار ١/ ١٠١، ٢/ ٢٧٦.

ابن عباس[١] وعبدالله بن عمر[٢]. وقد ذكر الأميني بعضاً منهم:

١ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّ سنة ٤٧٧ هـ.

٢ ـ أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي المتوفّ سنة ٤٨٣ هـ.

٣ ـ الحافظ أبو القاسم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري.

٤ ـ الحافظ أبو القاسم بن عساكر الشافعي الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١ هـ.

٥ ـ أخطب خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ هـ في المناقب ص ٨٠.

٦ – شيخ الإسلام الحمويني الحنفي المتوفّى سنة ٧٢٢ هـ.

حديث الثقلين في المدينة سنة ١١ هـ

واستمر النبي ﷺ في ذكر حديث الثقلين حتى في ساعات حياته الأخيرة، ففي أيام مرضه وقبل موته قال رسول الله ﷺ وقد امتلأت الحجرة بأصحابه في المدينة:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي ؏ فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»[٣].

وقال ﷺ: ائتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً[٤].

أي فعل الرسول ﷺ ما فعله سابقاً في خطب حجة الوداع وفي غدير خم، فثارت عليه قريش مرّة أُخرى بقيادة عمر بن الخطاب وقالوا: يهجر يهجر وتنازعوا[٥]. ومنعوا أصحابه من المجيء بورقة ودواة ليكتب وصيته إلى خليفته علي

---

(١) شعب الايمان، البيهقي ٢/٢٥٧، ابن حزم الأندلسي، المحلى ٩/٣٨٩، ٤٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢، ابن حجر، مجمع الزوائد ١/٢٥٦. ورواه الطبراني في الاوسط وتفسير التبيان ٣/٤١٣.

(٣) الصواعق المحرقة ٨٩، كشف الاستار عن زوائد البزار ٣/٢٢١ عن مسند أبي بكر البزار، تهذيب اللغة، العلامة الازهري ٩/١٧٨.

(٤) صحيح البخاري ٧ / ٩ باب قول المريض قوموا عني.

(٥) تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ٢٦، تاريخ ابن الوردي ١/١٢٩، مسند أحمد ١/٣٥٥صحيح البخاري ٩/٧ باب قول المريض قوموا عني.

بن أبي طالب عليه السلام وانقسم نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قسمين الأكثرية إلى جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المطالبة بإحضار ورقة ودواة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليكتب وصيته، والأقلية في جانب عمر تمنع ذلك وهنَّ عائشة وحفصة وسودة وام حبيبة بنت أبي سفيان.

فغضب عمر على المؤيدات لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصفهن بصويحبات يوسف قائلاً: أسكتن فانكن صواحبه.

فزجره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: هنَّ خيرٌ منكم[1].

ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة وحفصة وسودة وام حبيبة: إنكنَّ لأنتنَّ صواحب يوسف[2].

وغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المتمردين على أوامر الله تعالى قائلاً: قوموا عنّي[3].

مصير المخالفين لحديث الثقلين ؟

ذكر الله تعالى انحراف أعداء أهل البيت عليهم السلام عن الحق قائلاً:

﴿أفإن مات أو قُتِلَ انقَلَبتُم عَلَى أعقَابِكُم﴾[4]

وقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بارتداد أكثر الصحابة من بعده وانغماسهم في الدنيا قائلاً:

«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم»[6].

---

(١) منتخب كنز العمال ٣/١١٤، تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤/٣٠١.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤/٣٠١، تثبيت الامامة ٢٣.

(٣) صحيح البخاري ٧ / ٩ باب قول المريض قوموا عنّي، مسند أحمد ١ / ٥١، فتح الباري ٨ / ١٠٣، السنن الكبرى النسائي ٤ / ٢٦٠.

(٤) آل عمران ١٤٤.

(٥) سنن ابن ماجة ٢/١٣٠٠.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٣٢.

ولا ينجو من هؤلاء الصحابة إلّا القليل، إذ قال رسول الله ﷺ: «فلم يفلت منهم إلّا كمثل همل النعم».

قال الجوهري: والهمل، الإبل التي ترعىٰ بلا راعٍ مثل النفش إلّا أنّ النفش لا يكون إلّا ليلاً والهمل يكون ليلاً ونهاراً[١].

وقد طرح الرسول ﷺ قضية ارتداد الصحابة من بعده في حجة الوداع مترابطة مع طرحه ضرورة التمسك بالثقلين.

حوادث الحارث الفهري وأصحابه

لقد نزلت العقوبة الإلهية على عدة رجال مخالفين لولاية علي بن أبي طالب ؑ كالتي نزلت على جيش إبرهة الحبشي الذي جاء لهدم الكعبة.

وقد ذكر القرآن الكريم الحادثة ولولا ذلك لطمستها طغاة بني أُميّة واعوانهم.

اذغضب الحارث الفهري من تنصيب الرسول ﷺ لعلي ؑ في منصب الولاية العظمى وسأل الرسول: هذا منك ام من الله ؟ فقال الرسول ﷺ: من الله تعالى.

فقال الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فأصابته حجارة من السماء فسقطت في رأسه وخرجت من دبره وسقط ميتا. ونزل ﴿سأَلَ سَائِلٌ بعذابٍ واقعٍ﴾[٢].

ونزل ايضا قوله تعالى **أفبعذابنا يستعجلون**[٣].

ومن هؤلاء الرجال: جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري وعامر بن الحارث الفهري. والحارث بن النعمان الفهري[٤]. وعمرو بن الحارث الفهري مع اثني

---

(١) الصحاح، الجوهري ٥/١٨٥٤.

(٢) المعارج ١.

(٣) الشعراء ٢٠٤.شرح الاخبار للقاضي النعمان المغربي ٢٣٠.والبحار ٣٧/١٧٦.

(٤) تفسير فرات الكوفي ٥٠٦.

عشر رجلاً من الكفار[١]. وعمرو بن عتبة المخزومي. والنعمان بن الحارث اليهودي، والنعمان بن المنذر الفهري. ورجل من بني تيم. ورجل أعرابي من أهل نجد من ولد جعفر بن كلاب بن ربيعة، وآخرون[٢].

ولما أمر رسول الله ﷺ الناس بالتسليم على علي ؑ بإمرة المؤمنين قال أبو بكر وعمر للنبي ﷺ: أعن أمر الله وأمر رسوله؟

قال ﷺ: نعم[٣].

وهذا يبين كثرة المخالفين لولاية علي ؑ من المسلمين ومنهم أبو بكر وعمر!

الدلائل والعبر

إن معظم الاختلافات الحاصلة في الدنيا منبعها الأهواء الدنيوية وقد قال خاتم الرسل ﷺ: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

فالأنصار بذلوا اموالهم للمسلمين وضحوا بالغالي والرخيص في سبيل رفعة الدين الإسلامي ولما منعهم رسول الله ﷺ الغنائم في معركة حنين تكلموا واحتجوا فأخبر سعد بن عبادة رسول الله ﷺ بالحالة الخطيرة فخطب فيهم وأرضاهم.

فتيقن الأنصار بعدالة رسول الله ﷺ لأنّه بذل الأموال لأعدائه لإرضائهم ولم ينفقها في أهله لإغنائهم.

ولمّا وزّع أبو بكر بعض المال في النساء بعد السقيفة ردّته امرأة من بني عدي

---

(١) تفسير فرات الكوفي ٥٠٤.

(٢) وذكر الحادثة: الحافظ أبو عبيد الهروي المتوفى بمكة سنة ٢٢٣ في تفسيره غريب القرآن، تفسير أبي بكر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ هـ، أبو اسحاق الثعلبي النيشابوري المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، في تفسيره الكشف والبيان، الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب أداء حق الموالاة، أبو بكر يحيى القرطبي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ في تفسيره، شمس الدين أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفى سنة ٦٤٥ هـ، الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي.

(٣) السقيفة، سليم بن قيس ٢/٥٩٣ تحقيق محمد باقر الأنصاري.

قائلة: اتراشونني عن ديني[1].

ولما وزع عثمان بن عفان الأموال في عشيرته وأعطى مروان بن الحكم خمس أفريقيا[2] البالغ وقتها اثني عشر مليون دينار ذهباً ثار المسلمون واستقال زيد بن أرقم وعبدالله بن مسعود من وظيفتها كأميني بيت مال المسلمين.

وقال عثمان: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما وأنا أحتسب في اعطاء قرابتي. قالوا: فهديهما أحب الينا من هديك[3].

وفي غزوة علي بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن ركب أتباعه إبل الصدقة ولبسوا ثياب الخمس المتعلقة بكل المسلمين بعد أخذهم حصصهم من الغنائم اجحافاً بحق الآخرين وسرقة لبيت المال.

ولما استرجعها علي ﷺ منهم تململوا وغضبوا محتجين بعمل سائر قيادات العساكر مثل خالد بن الوليد.

ولكن علياً ﷺ صمد في وجههم دفاعاً عن الحق والعدالة.

ولما كثرت الأموال واتسعت الدولة الإسلامية ازدادت المشاكل المالية والسياسية. فرغم الأموال العظيمة التي حصل عليها المسلمون في تلك السنوات كان البعض منهم يطالب بالمزيد لانحراف الناس نحو مباهج الدنيا وطلباتها الكثيرة ؛ فأُسامة بن زيد طالب أمير المؤمنين علياً ﷺ بمزيد من المال فواعده بإعطائه من حصته السنوية المساوية لحصص أهالي بدر، ولم يعطه من بيت المال.

وطالبه أخوه عقيل بن أبي طالب بحصة أكثر مما حصل عليها المسلمون فوضع علي ﷺ جمرة نار في يديه.

وأعلن علي ﷺ قائلاً: كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أُعطاه من مال الله فهو

---

(١) شرح النهج ٢ / ٥٢.

(٢) كنز العمال ٥ / ٢٨٤.

(٣) شرح النهج ٣ / ٣٥.

مردود في بيت المال[١].

فثار عليه المنتفعون الآخذون مال الله بالباطل من بني أمية وغيرهم وشاركوا في محاربته في الجمل وصفين!

قال الحسين بن علي عليه السلام: الناس عبيد الدنيا والدين لعق علىٰ ألسنتهم.

ولما تعرفت قبيلة همدان علىٰ خصال علي بن أبي طالب عليه السلام الحميدة أحبوه رغم اسلامهم المتأخر وحاربوا معه في صفين دفاعاً عن المبادىء الرشيدة.

أما المطالبون بالأموال الكثيرة دون رعاية للعدالة فقد استمروا في هذا المنحىٰ مثل حكيم بن حزام (الطليق) الذي حصل علىٰ مائة ناقة في حرب حنين باعتباره من المؤلفة قلوبهم فطالب بالمزيد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مائة اخرىٰ[٢].

وفي زمن عثمان حصل علىٰ أموال كثيرة باعتباره من جهاز السلطة السياسي ولم يكتفِ فالتحق بمعاوية بن أبي سفيان وحارب علياً عليه السلام مثلما حاربه في بدر وأحد والخندق فكسب من معاوية مالاً لا يعد ولا يحصىٰ وذلك هو الخسران المبين.

وتكرار الرسول لحديث الثقلين في حجة الوداع نابع من اهميته البالغة عليه فهو يوجد في كل الكتب الاسلامية .

ولاهمية حديث الولاية فقد قال الله تعالى آيتين في خصوصه وذكره النبي صلى الله عليه وآله امام مائة وعشرين الف مسلم في غدير خم .ليسأل الناس عنه يوم القيامة .

(١) شرح النهج ١ / ٢٢٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٢ / ١٥٣، تاريخ الطبري ٣ / ٣٥٨، مغازي الواقدي ٣ / ٩٤٣، سيرة أبي حاتم ١ / ٣٥٦.

من الوقائع المهمة

حديث الطائر

قال انس بن مالك: كنت أخدم رسول الله ﷺ فـقُدِّم لرسـول الله ﷺ فـرخ مشوي فقال:

اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطـير فـجاء عـلي بـن أبي طالب عليه السلام ثلاث مرات وأنس يرده فسمع صوته رسول الله ﷺ فـدعاه واعـتذر انس بأنه أراده ان يكون من قومه وأكل مع رسول الله ﷺ[1].

والذين افردوا قصة الطائر في كتاب منفصل هم الحاكم وابن جرير الطبري وابن عقدة وابو نعيم الاصبهاني وابن مردويه والذهبي .

وقد حارب المعادون لأهل البيت عليهم السلام الحاكمَ لتصحيحه رواية الطائر المشوي.

وقال علي عليه السلام يوم الشورى انا صاحب الطائر المشوى [2].

وقال رسول الله ﷺ: النظر إلىٰ علي عليه السلام عبادة[3].

---

(١) مستدرك الحاكم ٣/١٤٢ طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الذريعة ١٥/١٦٢، اعلام الورى، الطبرسي ١/٣١٦، سير اعلام النبلاء ١٦ / ٣٥٢، الانساب، السمعاني ١ / ٤٣٣، كنز العمال ٦ / ٤٠٦، الاحتجاج ١/٢٠٠، الصراط المستقيم ١/١٩٣ والصواعق المحرقة لابن حجر ٧٢ ح ١٢ واحقاق الحق ٥/٣٢٠ وفضائل الصحابة لاحمد بن حنبل ٢/-٥٦ والبحار ٣١/٣٦٣. وتاريخ ابن عساكر في ترجمة على ٢/١٠٥ـ ١٣٤ ومناقب ابن المغازلى ١٥٦ . وصحيح الترمذى ٥/٥٩٥ ح ٣٧٢١ ومجمع الزوائد ٩/١٢٥ وعيون اخبار الرضا ٢/١٨٧ وامالى الصدوق ٥٢١ والخصال ٥٥١.

(٢) عيون الحكم للواسطى ١٦٧.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٠.

صحيفة المعارضة

لقد تعوّدت قبائل قريش علىٰ كتابة صحيفة معارضة لبني هاشم وأول صحيفة قرشية معارضة لرسول الله ﷺ وقبيلته هي صحيفة المقاطعة المعلقة في جوف الكعبة وقد سارت قريش الكافرة علىٰ بنود تلك المعاهدة الظالمة فترة ثلاث سنين[١].

«وكتبوا الصحيفة بينهم في حجة الوداع على أخذ الخلافة من علي ﷺ وتناوبها بينهم منهم أبو بكر وعمر ومعاذ وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. ثم اتفق ذلك الجمع على أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ويقتلوه في عقبة الهرشي عند منصرفه من حجة الوداع وهم أربعة عشر نفراً. فلما دخلوا المدينة اجتمعوا جميعاً في دار أبي بكر وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر. وكان أول ما في الصحيفة النكث لولاية علي بن أبي طالب ﷺ وأن الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم ومعاذ. وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً: هؤلاء أصحاب العقبة وعشرون رجلاً آخر منهم أبو سفيان، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أميّة بن خلف، سعيد بن العاص، خالد بن الوليد، عياش بن أبي ربيعة، بشير بن سعد، سهيل بن عمرو، حكيم بن حزام، صهيب بن سنان، أبو الأعور الأسلمي (زعيم قبيلة أسلم الاعرابية)، ومطيع بن الأسود المدري. وكاتب الصحيفة سعيد بن العاص.

ومع كل واحد من هؤلاء جمع من الناس وأمين الصحيفة أبو عبيدة بن الجراح فسموه بالأمين[٢]».

وأفراد هذه المجموعة بقوا إلىٰ أواخر حياتهم معارضين ومبغضين لأهل البيت ﷺ وسير الأحداث اللاحقة لهذه الوثيقة يؤيدها، فهؤلاء كانوا يداً واحدة في قيادة الحزب القرشي للوصول إلىٰ السلطة.

قال حذيفة بن اليمان: إنّ أول من تعاقد على غصب الخلافة هو أبو بكر وعمر،

---

(١) راجع موضوع شعب أبي طالب في هذا الكتاب.

(٢) راجع البحار، المجلسي ٢٨/٩٦ ـ ١١١، السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

والأساس الذي تعاقدوا عليه هو «إن مات محمد أو قُتل نزوي هذا الأمر عن أهل بيته فلا يصل أحد منهم الخلافة ما بقينا»[1].

وكانت عائشة وحفصة عينين لأبويهما في منزل رسول الله ﷺ في جميع القضايا.

صحيفتا المقاطعة عند بني لؤي وبني فهر

لقد حارب الحزب القرشي الاسلام حرباً لا هوادة فيها بكل الوسائل المتاحة لديه وكتب صحفاً في ذلك موقعه في داخل الكعبة باسمائهم ومحفوظة فيها.

وكانت قريش الكافرة تحترم الكعبة والعهود الموقعة فيها اكراماً لها ولهذا الغرض حُفظت صحيفة المقاطعة فيها.

فقد ذكرت النصوص حفظ قبائل قريش صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة، وذكرت نصوص اخرى بأنها حُفظت عند زمعة بن الاسود بن عامر من بني عامر بن لؤي.

والجمع بين هذه الروايات يثبت بانها حفظت في جوف الكعبة وأمينها زمعة بن الاسود، ووظيفة الأمين تهيئة الحرس المسؤولين عنها.

ولما كتب رجال الحزب القرشي صحيفتهم الثانية المعارضة لخلافة عليعليه السلام واهل بيته ساروا على نفس المنهج السابق:

اذ كتبوا الصحيفة ووقعوها في الكعبة ثم دفنوها فيها لتكون مقدسة في نظر الموقعين عليها. وكانت الصحيفة الاولى حازمة في كل الامور والصحيفة الثانية حازمة في الامر السياسي.

ولما كان زمعة بن الاسود من بني فهر فقد لزمهم (في نظرهم) ان يكون امين الصحيفة الثانية من قريش ايضاً، فاعطوا الامانة الى ابي عبيدة بن الجراح، وهو

---

(١) السقيفة، سليم بن قيس ١٦٨.

عامر بن عبد الله بن الجراح الفهري من بني فهر. وتركوا المغيرة بن شعبة وابا موسى الاشعري لعدم انتسابهما لقريش.

وبينما كان زمعة وابن الجراح امينين لصحيفتي قريش كان رسول الله ﷺ أميناً حقاً لدين الله تعالى.

اذ لما سألوا أبا جهل: اترى محمداً يكذب؟

قال ابو جهل: كيف يكذب علىٰ الله، وقد كنّا نسميه الأمين لأنه ما كذب قط[1].

ولخدمات زمعة للكفر فقد اطراه الامويون ونسبوا اليه فضيلة شق صحيفة المقاطعة لأمرين:

تكذيب المعجزة الالهية في أكل الارضة لصحيفة المقاطعة بأنّ الذي مزّقها هو زمعة.

وتحسين صورة زمعة بين صفوف المسلمين لتفضيله علىٰ المسلمين السابقين.

ونفس تلك القبائل القرشية شاركت في الصحيفة الثانية لعزل الخلافة عن بني هاشم.

فكان هدف الصحيفة الاولى محاربة نبوة محمد الهاشمي ﷺ وهدف الصحيفة الثانية محاربة خلافة علي الهاشمي ﷺ، ففشلت الاولى ونجحت الثانية لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

وفي امضاء وتنفيذ بنود الصحيفتين شارك ابو بكر وعمر وابو سفيان وعمرو بن العاص وخالد بن الوليد ومعاوية.

ومعظم قبائل قريش الموقعة علىٰ هاتين الصحيفتين كانت قد شاركت في معاهدة لعقة الدم (حلف الظلمة) لمعارضة حلف المطيبين (انصار المظلومين) بقيادة عبد المطلب.

وكانت الصحيفة الاولى علنية والصحيفة الثانية سرية .

---

(١) السيرة الحلبية ١ / ٤٦١.

ورموز الصحيفة الاولى من الحاكمين ورموز الصحيفة الثانية من المحكومين .

ومن دلائل النبوة ما قاله رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: إنّ الأمّة ستغدر بك من بعدي[(١)].

هل أخبر النبي ﷺ بمقتله الوشيك ؟

لقد أخبر رسول الله ﷺ بموته الوشيك في سنة ١١ هجرية، وإليك أدلة ذلك:

١ ـ نعيْ رسولُ الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر[(٢)].

٢ ـ دخل أبو سفيان على النبي ﷺ يوماً فقال: يا رسول الله أريد أن أسألك عن شيء.

فقال ﷺ: إن شئت أخبرتك قبل ان تسألني.

قال: إفعل.

قال ﷺ: أردت أن تسأل عن مبلغ عمري.

فقال ابو سفيان : نعم يا رسول الله.

فقال رسولُ الله ﷺ: إنّي أعيش ثلاثاً وستين سنة.

فقال: أشهد إنّك صادق.

فقال ﷺ: بلسانك دون قلبك[(٣)].

٣ ـ وصعد رسول الله ﷺ المنبر مودعاً أهل الدين والدنيا منادياً: ألا من كانت له مظلمة قِبَلَ محمد ﷺ إلّا قام فليقتص منه[(٤)]. ولم يظلم النبي ﷺ أحداً قط.

٤ ـ وقال الرسول ﷺ قبل موته بليلة لأبي مويهبة: إني قد أُوتيت مفاتيح

---

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٠.

(٢) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٤٥٦/١.

(٣) قصص الأنبياء، البحار ٢٢ / ٥٠٤.

(٤) تاريخ الطبري، حوادث سنة ١١ هجرية ٤٣٣/٢، ٤٣٤.

خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، فخيّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة... لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي[١].

٥ ـ وقال رسولُ الله ﷺ في حجة الوداع أمام مسلمي ذلك الزمان: إنَّ جبرئيل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرّة، وإنَّه عارضني هذا العام مرَّتين، وما أراه إلّا قد حضر أجلي[٢].

٦ ـ وقال الرسول ﷺ أمام ملأ المسلمين في غدير خم: أيها الناس يوشك أن أُدعىٰ فأجيب، وإني مسؤول وإنكم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟[٣]

٧ ـ «وقد رأى العباس ذات ليلة في منامه أنَّ القمر قد رفع من الأرض إلىٰ السماء.

فقال النبي ﷺ له: هو ابن أخيك.

وقال العباس: عرفنا أن بقاء رسول الله ﷺ فينا قليل»[٤].

٨ ـ وقال رسول الله ﷺ: أتزعمون أنِّي من آخركم وفاةً، ألا وإنِّي من أولكم وفاة[٥].

إذاً المسلمون وخاصة أهل المدينة المنورة عالمون بوفاة النبي ﷺ القريبة، وهذه النقطة يجب ان لا ينساها من يقرأ أو يفكر في أحداث السقيفة وما قبلها وما بعدها.

٩ ـ وأخبر رسولُ الله ﷺ عائشة بوفاته القريبة قائلاً: ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا بصيحة[٦].

١٠ ـ وذكر عبد الله بن مسعود قائلاً: «نعىٰ إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته

---

(١) دلائل النبوة، البيهقي ٧/١٦٢، البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٢٤.

(٢) صحيح البخاري باب كان جبرئيل يعرض القرآن على النبي ﷺ، الطبقات لابن سعد ٢/١٩٤.

(٣) سنن الترمذي ٢/٢٩٨، سنن ابن ماجة ص١٢، الطبقات ٢/١٩٤.

(٤) الطبقات ٢/١٩٣.

(٥) الطبقات، ابن سعد ٢/١٩٣.

(٦) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/٣٧١.

بشهر، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمّنا عائشة، فنظر إلينا وشدد فدمعت عينه وقال: مرحباً بكم رحمكم الله آواكم الله حفظكم الله، رفعكم الله، نفعكم الله، وفقكم الله، نصركم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أُوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأؤديكم إليه إني لكم نذير وبشير، لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإنه قال لي ولكم:

﴿تِلْكَ الدارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرضِ وَلَا فَسَادا وَالعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ﴾(١)

وقال ﴿أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوىً لِلمُتَكَبِّرِينَ﴾(٢)

فقلنا متىٰ أجلك؟

قال ﷺ: قد دنا الفراق والمنقلب إلىٰ الله وإلىٰ سِدْرَة المنتهىٰ.

قلنا: فمن يغسلك يا نبي الله؟

قال ﷺ: علي بن أبي طالب .

قلنا: ففيم نكفنك يا نبي الله؟

قال ﷺ: في ثيابي هذه إن شئتم، أو في بياض مصر أو حلة يمانية.

قلنا: فمن يصلي عليك يا نبي الله؟

قال ﷺ: مهلاً غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً. فبكينا وبكى النبي ﷺ وقال: إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني علىٰ سريري في بيتي هذا علىٰ شفير قبري ثمّ اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليَّ جليسي وخليلي جبرئيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة من الملائكة بأجمعها، ثم ادخلوا عليَّ فوجاً فوجاً فصلوا عليَّ وسلِّموا تسليما، ولا تؤذوني بباكية ولا برنة ولا صيحة،

(١) القصص: ٢٨.

(٢) الزمر: ٦٠.

وليبدأ بالصلاة عليَّ رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم...»[١].

١١ ـ وأخبر ﷺ فاطمة ﷺ بوفاته في وجهه[٢]. وقال لها إنّها أول أهل بيته لحوقاً به.

وجاء في القرآن الكريم آيات تؤيد وفاة النبي ﷺ منها: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ... ﴾[٣]

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[٤]

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾[٥]

فهل يمكن بعد كل هذه الأدلة القرآنية والحديثية أن ينفي عمر بن الخطاب وعثمان الموت عن النبي محمد ﷺ؟! أم أنّهم أرادوا منع دفن رسول الله ﷺ إلىٰ حين ترتيب قضية السقيفة للاستحواذ علىٰ السلطة ،وفرارهم من مراسم دفن رسول الله ﷺ يؤيد ذلك ويدعمه قولهم للنبي قبل موته إنّه يهجر.

الدلائل والعبر

لقد حجّ رسول الله ﷺ من المدينة إلىٰ مكة حجة الوداع وفي تلك الحجة الأخيرة أوصىٰ رسول الله ﷺ بأمرين: القرآن وأهل البيت ﷺ وكان خاتم الأنبياء قد ذكر ذلك أيضاً في الطائف بعد فتح مكة.

وبين فتح مكة وحجة الوداع كانت السنة التاسعة وفيها أرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ أميراً علىٰ الحج ومبلغاً لسورة براءة فاجتمع الثقلان في تلك السنة في مكة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٥، الكامل في التاريخ ٢/٣٢٠.

(٢) صحيح البخاري، باب منقبة فاطمة ﷺ ٥/٦٥، صحيح مسلم، فضائل فاطمة، الطبقات ٢/١٩٣.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

(٤) آل عمران: ١٤٤، ١٨٥.

(٥) الزمر: ٣٠.

وهذا الذكر المتعمد من الله ورسوله لأهل البيت والقرآن لم يأت إلّا لأهميته الفائقة في حياة المسلمين. ولو كان هناك موضوع آخر مهم إلىٰ درجة خطيرة لذكره نبي البشرية أليس كذلك ؟ بل لأصبح لزاماً عليه ذكره.

والنكتة الأخرىٰ المستوحاة من حجة الوداع هي ثبات المنافقين وعنادهم في معارضة القرآن وأهل البيت. فقد أحدثوا ضجّة عظمىٰ في أثناء خطبة رسول الله ﷺ.

فالمنافقون من الطلقاء والأنصار والمهاجرين قد اسلموا جزئياً ولم يسلموا أمورهم كلياً لله ورسوله فرضوا ببعض عقائد الإسلام وعارضوا معظمها.

فنفهم من ذلك تحوّل المعاندين من الكفار إلىٰ صفوف المنافقين وخُلوّ ساحة الكفار منهم فأصبح الحزب القرشي مأوىٰ لكل الفئات من المنافقين في مكة والمدينة وسائر المناطق.

ونجح حزب المنافقين في جمع شتات أفراده وتنظيم وتوقيع زعمائهم على وثيقة سياسية لاستلام السلطة فضحتها أسماء بنت عميس[(١)].

وهولاء المنافقون هم الذين قتلوا رسول الله ﷺ وأخّروا دفنه انتظاراً لمجيء أعوانهم من خارج المدينة، واستلموا حكومة المسلمين.

وبقيت أطروحة المنافقين مجهولة عند الكثير من الموحدين رغم كشف الكثير من هؤلاء عن كفرهم فقد قال يزيد من معاوية وهو أحد زعمائهم:

لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزل[(٢)]

بعد أن فضح أبوه معاوية كفر نفسه مرّات عديدة[(٣)].

فأصبح حزب المنافقين هو الحزب الأقوىٰ في الساحة السياسيّة الإسلامية يدير

---

(١) البحار ٢٨/٩٦ ـ ١١١، السقيفة، سليم بن قيس: ١٦٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب ٣ / ٢٦١.

(٣) راجع كتاب نظريات الخليفتين للمؤلف باب معاوية بن أبي سفيان.

دقّة الأمور في البلدان الإسلامية ويقتل كل مخلص يقف في طريقة وهو مطابق لما جاء في كتاب الله عزّ وجل:

﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾[1].

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلّا وهم مشركون﴾[2].

﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[3].

أي جاء هؤلاء بالفتنة كما أخبر رسول البشرية عن الله عزّ وجل، أضلتكم الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً وضحكتم قليلاً[4].

لتتبعن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارىٰ حذو القذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضب لدخلتموه[5]

وفي حديث آخر قال رسول الله ﷺ: أنتم أشبه الناس سمتاً وهدياً ببني إسرائيل لتسلكن طريقتهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل[6]

---

(١) الأعراف ١٠٢.

(٢) يوسف ١٠٦.

(٣) الأعراف ١٧.

(٤) مسند أحمد ٢ / ٣٠٤، ٦ / ٨١، سنن الدارمي ١ / ٣٧، سنن مسلم ١ / ٧٦.

(٥) فيض القدير ٥ / ٢٧٦.

(٦) كنز العمال ١١ / ٢٥٣.

الفصل الثاني

حملة أسامة والاحداث المرتبطة بها

إنتداب عصبة قريش لحملة أسامة

بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع وصل إلىٰ غدير خم وهناك أوصىٰ لعلي بن أبي طالب ﷺ بالخلافة، وعيَّنه إماماً للأمة فبايعوه وفي المدينة دعا الناس للتوجه لحرب الروم، وفي ذلك الجيش معظم الصحابة.

وهناك سؤالان: هل كان أبو بكر وعمر وعثمان جنوداً في تلك الحملة؟

ولماذا عُيِّن أُسامة قائداً علىٰ شيوخ قريش والأنصار؟

وذكرت أُمهات الكتب الحديثية والتاريخية وجود أبي بكر وعمر وعثمان وابن الجراح فيمن انتدب إلىٰ حملة الشام، فقد ذكر ابن سعد:

«فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده ثم قال: أُغزُ بسم الله وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره[1].

إذن ثبت بالدليل القاطع والنص المتواتر وجود أبي بكر وعمر وعثمان وأبي عبيدة بن الجراح في جيش أسامة.

---

(١) البداية والنهاية ٧٣/٨، الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٢٤٩/٢، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢٨١/٢، السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية، أحمد زيني دحلان ٣٣٩/٢، شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٥٢/٦، منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد بن حنبل ١٨٠/٤، الكامل في التاريخ ٦٦/٤.

لقد عيَّن رسول الله ﷺ أُسامة قائداً علىٰ مشايخ المسلمين وعمره ١٩ سنة ليثبت بطلان دعوىٰ أبي بكر باستحقاقه الخلافة لأنّه أكبر سنّاً من الآخرين وهـذه مـن معجزات النبي ﷺ في معرفته بالغيب، وقد رفض أبو قحافة هذه الدعوىٰ قائلاً: إن كانت الخلافة بالسن فأنا أكبر سناً من أبي بكر.

وكانت عند أسامة القدرة علىٰ القيادة، وهو ابن زيد بن حـارثة القـائد الذي استشهد في معركة مؤته فهو أولىٰ بالثأر من غيره.

معارضة عصبة قريش لحملة أسامة

بعد أن أثبتنا انتداب عصبة قريش في حملة أُسامة بن زيد، وفيهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح، نبيِّن هنا عصيان هؤلاء لهذه الحملة، ومعارضتهم لها، وامتناعهم عن الإنضواء تحت لوائها في زمن حياة النبي ﷺ وفي زمن خلافة أبي بكر.

وإثبات هذا الأمر يبيِّن أنّ عصبة قريش كانت تتمنىٰ مـوت رسـول الله ﷺ سريعاً لرفضها الذهاب في حملة أُسامة إلىٰ الشام، فهي تخاف الذهاب إلىٰ حـرب الروم في الشام وتخشىٰ انتقال الخلافة إلىٰ علي ؑ.

وذكريات معركة مؤتة ما زالت عالقة في أذهانهم حيث استشهد فيها جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة.

وقد استدعىٰ الرسول ﷺ أبا بكر وعمر وجماعة ممّن حـضر المسـجد مـن المسلمين (يوم الإثنين) ثم قال ﷺ: ألم آمر أن تنفذوا جيش أُسامة؟

فقالوا: بلىٰ يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ: فلِمَ تأخرتم عن أمري؟

قال أبو بكر: إنِّي خرجت ثم رجعت لأُجدد بك عهداً.

وقال عمر: يا رسول الله إنِّي لم أخرج لأنني لم أحب أن أسأل عنك الركب.

فقال النبي ﷺ: انفذوا جيش أسامة يكررها ثلاثاً[١].

واستمر عمر في معارضة حملة أسامة في زمن خلافة أبي بكر إذ قال لأبي بكر: «إنَّ الأنصار أمروني أن أبلِّغك، وانهم يطلبون إليك أن تولِّي رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر فقال له: ثكلتك أمُّك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه»[٢].

ولكن أبا بكر لم يقل عن علي بن أبي طالب ﷺ عيّنه رسول الله ﷺ خليفة ونزعناه نحن؟ واستمر عمر في مخالفته للحملة بالرغم مما قاله رسول الله ﷺ ممتنعاً عن الذهاب في حملة أسامة فأخذ أبو بكر له إذناً من أسامة بالبقاء في المدينة إذ جاء:

«أمر أبو بكر أسامة بن زيد ان ينفذ في جيشه وسأله أن يترك له عمر يستعين به علىٰ أمره، فقال أسامة: فما تقول في نفسك؟[٣] (أبو بكر ما زال إسماً جندياً في تلك الحملة).

فقال أبو بكر: يا بن أخي فعل الناس ما ترىٰ فدع لي عمر وأنفذ لوجهك، فخرج أسامة بالناس»[٤]. وامتنع عبد الرحمن بن عوف من الذهاب في الحملة![٥] ولم يذهب أيضاً سائر زعماء الحزب القرشي.

وهكذا امتنع أبوبكر وعمر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف وغيرهم من الذهاب

---

(١) كتاب الأرشاد ص٩٦.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠.

(٣) عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢/٢٨٢، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧، تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٣٥، مختصر تاريخ ابن عساكر ٤/٢٥١، ١٥٢، الخلفاء ص١١، الطبقات ٢/١٩١.

(٤) البداية والنهاية ٨/٧٣.

(٥) مختصر تاريخ دمشق ١ / ١٧١ طبعة دار الفكر ولم يذهب عثمان بن عفان وأبو سفيان وسائر رجال الحزب القرشي في الحملة.

في حملة أسامة في زمن حياة رسول الله ﷺ وفي زمن حكم أبي بكر.

وهذا يبين إصرار عصبة قريش على عصيان أمر رسول الله ﷺ، وخوفهم من مقابلة الروم في حرب دامية.

ومن صفات أفراد الحزب القرشي في زمن رسول الله ﷺ وفي زمن الخلفاء الامتناع عن المشاركة في الحروب والهروب منها بشتى الوسائل المتاحة[١].

المخالفون لحملة أسامة ؟

لقد حاول عمر وأبو بكر وجماعة آخرون، عدم الانخراط في حملة أسامة بن زيد وتأخيرها، وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة فعلاً من أفراد الحملة، كما جاء ذلك في تأريخ أحمد زيني دحلان:

«فلمّا أصبح يوم الخميس عقدالرسول ﷺ لأُسامة لواءً بيده ﷺ، ثمّ قال: أُغز باسم الله، وفي سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، فلم يبق من المهاجرين الأولين والأنصار إلّا اشتدّ لذلك، وتهيّأ للخروج، منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص[٢].

وذكر في شرح نهج البلاغة أن جلّة المهاجرين والأنصار كانوا في الحملة ومنهم أبو بكر، عمر، أبو عبيدة بن الجراح، عبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير[٣]. وقد جاء في كتاب كنز العمال: «وفي ذلك البعث أبو بكر وعمر»[٤]. وجاء في طبقات ابن سعد: اخبرنا العمري عن نافع عن ابن عمر أنّ النبي ﷺ بعث سريّة فيهم أبو بكر وعمر فاستعمل عليهم أسامة بن زيد»[٥].

---

(١) راجع كتاب نظريات الخليفتين، للمؤلف ١/٢٥٥ ـ ٢٩٣.

(٢) السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية أحمدزيني دحلان ٢/٣٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٤) منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمدبن حنبل للمتّقي الهندي ٤/١٨٠، الطبقات لابن سعد ٤/٦٦.

(٥) طبقات ابن سعد ٤/٦٦.

وقال ابن الأثير: وأوعب مع أُسامة المهاجرون الأوَّلون، منهم: أبو بكر وعمر، فبينا الناس علىٰ ذلك ابتديَ برسول الله ﷺ مرضه[1].

ولو أردنا معرفة تأريخ أمر رسول الله ﷺ بحملة أسامة بن زيد، نراجع مغازي الواقدي: فقد جاء في يوم الثلاثاء، لثلاث بقين من صفر، وعقد ﷺ له اللواء في يوم الخميس، لليلة بقيت من صفر، ثمّ مرض الرسول ﷺ.

أي حدثت هذه الأحداث، بعد حوالي شهرين علىٰ حجة الوداع وبيعة غدير خم الشهيرة ونزول آية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾[2]

وعن عصيان البعض لهذه الحملة بحجج شتّىٰ، فقد ألقوا (الرواة الأمويون) بتبعة الأمر على المنافقين وأخفوا أسماء كبار الصحابة.

ذكر الطبري: وقد أكثر المنافقون في تأمير أُسامة، حتّىٰ بلغه، فخرج النبي ﷺ على الناس، عاصباً رأسه من الصداع، فقال: قد بلغني إنّ أقواماً يقولون في إمارة أسامة، ولعمري لئن قالوا في إمارته، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله، وإن كان أبوه لخليقاً للإمارة، وإنّه لخليق لها، فأنفذوا بعث أسامة[3].

وعلىٰ رواية الواقدي الّتي تقول: إنّ الرسولَ ﷺ أمر بالحملة في تأريخ ثلاث بقين من صفر، وتوفي في يوم الأثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، يكون عصيان حملة أُسامة قد استمرّ أسبوعين من الزمن؟!

وقد غضب الرسول ﷺ لذلك العصيان، والقيل والقال في زعامة أُسامة، فخرج وقد عصّب علىٰ رأسه عصابة، وعليه قطيفة، ثمّ صعد المنبر، وقال ﷺ:

---

(١) الكامل في التاريخ ٣١٧/٢، ذكر احداث سنة أحدىٰ عشرة، تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين ص٣ـ ٢٠.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) تاريخ الطبري ٤٣١/٢.

يا أيّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في تأميري أُسامة بن زيد؟

والله لئن طعنتم في امارة أُسامة، لقد طعنتم في امارة أبيه من قبل ، وأيم الله، إن كان للإمارة لخليقاً وإنَّ إبنه من بعده لخليق للامارة.

وقد قالوا في أُسامة: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين والأنصار، وكان عمره ثمان عشرة سنة، وقيل تسع عشرة سنة[1].

وذكر الواقدي شيئاً غامضاً عن المخالفين لحملة أسامة فقال: وكان أشدّهم قولاً عيّاش ابن أبي ربيعة القائل: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاوّلين[2].

وقال الشهرستاني: الخلاف الثاني في مرضه إنَّه قال: جهِّزوا جيش أُسامة، لعن اللهُ من تخلَّف عنه. فقال قوم: يجب علينا امتثال أمره، وأُسامة قد برز من المدينة. وقال قوم: قد اشتدَّ مرض النبي ﷺ، فلا تسع قلوبنا مفارقته والحالة هذه، فنصبر حتّىٰ نبصر أيَّ شيء يكون من أمره[3].

وكان النبي ﷺ قد رضي بلعن أبي بكر الفار من جيش أسامة إذ جاء:

قال أبو هريرة: «إنَّ رجلاً شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويبتسم»[4]

إذاً التخلف عن حملة أُسامة كان يعتمد علىٰ عذرين: الأول: التشكيكُ في قيادة أسامة. والثاني: اشتداد مرض النبي ﷺ، وعدم قدرة العاصين علىٰ مفارقة الرسول ﷺ؟! كما يدّعون.

أمَّا الشقُّ الأوّل، فقد أجاب عنه الرسول ﷺ، بتركيزه علىٰ قوّة وقابلية أُسامة، وفعلاً أثبت ذلك في حربه هناك.

---

(١) تاريخ الطبري ٣/١٨٨، السيرة الحلبية ٣/٢٠٧.

(٢) مغازي الواقدي ٢/١١١٨.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ١/٢٣ طبعة القاهرة، تحقيق محمد سيد گيلاني، تاريخ الطبري ٣/١٨٨ طبعة الحسينية بمصر في حوادث سنة ١١ هجرية.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢/٤٣٦.

وأمّا الشقّ الثاني، فقد انتفىٰ وانحلّت أركانه بلعن النبي ﷺ المتخلّفين عن حملة أسامة، ولا يمكن أن يكون العاصي والملعون علىٰ لسان النبي ﷺ محباً له.

وقد أثبتت النصوص الأوامر النبوية لأبي بكر وعمر بالانضمام في حملة أسامة[١].

وقال ابن سعد: إنّ سريّة أُسامة بن زيد بن حارثة إلىٰ أهل أُبنىٰ، وهي أرض السرات، ناحية البلقاء، فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله ﷺ المرض فحمّ وصدع.

فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده، ثمّ قال: أُغزُ بسم الله، في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، فخرج وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأوّلين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وغيره.

فتكلّم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين. فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، فخرج وقد عصب علىٰ رأسه عصابة، فصعد المنبر فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ قال: أمّا بعد أيّها الناس، فما مقالة بلغتني عن بعضكم، في إمارة أُسامة، ولئن طعنتم في إمارة أُسامة، لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إنّه كان للإمارة خليقاً، وإنّ ابنه من بعده لخليق للأمارة[٢].

وهناك أدلة أخرىٰ تثبت وتبيّن، أنّ عمر وأبا بكر من جملة هؤلاء المعارضين لقيادة أسامة، إن لم يكونوا زعامتهم، إذ عاد أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح من الحملة إلى المدينة[٣].

وإنّ أبا بكر والآخرين، الذين عصوا النبي ﷺ في أمره بحملة أُسامة، هم ذاتهم

---

(١) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٤/٦٦، المواهب اللدنية، القسطلاني ١/٣٥٩ ط. طار الكتب العلمية، بيروت، السيرة النبوية، ابن دحلان ٢/١٤٥.

(٢) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٢/٢٤٩، ٤/٦٦.

(٣) تثبيت الامامة ص١٩.

الذين عصوا النبي ﷺ في رزيّة يوم الخميس. لمّا طلب النبي ﷺ كتفاً ودواة ليكتب كتاباً لن تضلّ أُمّته من بعده.

قال عمر وأبو بكر وأتباعهم: لقد اشتدّ مرض النبي ﷺ أو قالوا: إنّه يهجر (والعياذ بالله) وعندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله[١].

إذاً تلك المجموعة قد جاءت بحجّة وعذر لردّ أوامر النبي ﷺ في الذهاب للحرب والغزو، وفي جلب قرطاس ودواة لكتابة وصيّته. إذ قالت أولاً: قد اشتدّ مرض النبي ﷺ فلا تسع قلوبنا مفارقته.

وقالوا ثانياً: قد اشتدّ مرض النبي ﷺ حسبنا كتاب الله. أو إنّ النبي ﷺ يهجر حسبنا كتاب الله.

ولا يمكن تقديم الأعذار الواهية لردّ كلام الرسول ﷺ، وتبرير عصيانه، لأنّ النبي ﷺ في حملة أُسامة لعن المتخلّفين عنها، وغضب لذلك غضباً شديداً، حتّىٰ أنّه خرج مخاطباً المسلمين في مرضه، معصوب الرأس، دلالة علىٰ وجوب الأمر، لاعناً المتخلفين عن الحملة[٢].

وفي يوم الخميس غضب عليهم النبي ﷺ ثانية، وطردهم من بيته، فاجتمع في حقّهم اللعن والطرد النبوي من بيته ﷺ[٣].

والدليل الثاني علىٰ أنّ أبا بكر وعمر من العاصين لحملة أُسامة: هو ذهاب أبي بكر إلىٰ زوجته في السنح[٤]، بعد خطبة النبي ﷺ وغضبه وإلحاحه عليهم للخروج، ولعنه المتخلّفين عن الحملة.

---

(١) صحيح البخاري ٤/٤٩٠، صحيح مسلم ١١/٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ١/٢٢، سنن البخاري ٤/٤٩٠ باب جوائز الوفد ح ١٢٢٩، سنن مسلم ١١/٨٩.

(٤) تاريخ الطبري ٢/٤٤٦ ط. مؤسسة الأعلمي، كنز العمال ٧/٢٣٢ ط. مؤسسة الرسالة، أسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣١٠.

وفعلاً لمّا مات النبي ﷺ، كان أبو بكر موجوداً في السنح عند زوجته، عاصياً أمر النبي ﷺ في الغزو. وقد التفتت رجالات الأمويين إلىٰ هذا فجعلوا لأبي بكر إذناً نبوياً بالذهاب إلىٰ السنح، بعد خطبة النبي ﷺ وإلحاحه، في خروج المقاتلين، ولعن المتخلّفين!(١)

ولا أدري كيف يعطيه النبيُّ ﷺ إذناً بالذهاب إلىٰ السنح بعد غضبه ولعنه المتخلفين عن الحملة. وأبو بكر جندي من جنود أسامة، وعدالة النبي ﷺ تأبىٰ أنْ يسمح لواحد منهم بالذهاب إلىٰ إحدىٰ زوجاته، لأنّه يومها وحصّتها.. أليس كذلك؟

وأوجد بعض الأعراب عذراً آخر لأبي بكر لتبرير عصيانه لحملة أسامة يتمثّل في طلب النبي ﷺ إليه البقاء في المدينة للصلاة بالناس وظاهر الأمر أن هذا التبرير من اختلاق الكتّاب المتأخرين، وهو معارض للتبرير الأول، بالذهاب إلى السنح.

فقد قال ابن دحلان: «فلا منافاة بين ما روي أنّ أبا بكر كان من ذلك الجيش، ومن روىٰ أنّه تخلّف، لأنّه كان من الجيش أولاً، ثم تخلّف لما استثناه ﷺ وأمره بالصلاة بالناس(٢).

فلم يكتفِ ابن دحلان بتبرير قضية عصيان أبي بكر لحملة أُسامة، فقال: إنّ تخلّفه (أبا بكر) كان بأمر منه ﷺ، لأجل صلاته بالناس، وفيه إشارة إلىٰ أنّه خليفة بعده(٣).

إنّ أبا بكر لم يذهب إلىٰ معسكر أسامة في الجرف، ولم يبق في المدينة عند النبي المريض ﷺ، بل ذهب إلىٰ زوجته في السنح (خارج المدينة)!

ووجوده في السنح ينفي قضيّة صلاته بالناس، ويؤكّد عصيانه لحملة أُسامة.

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني ١/٢٣.

(٢) السيرة النبوية، ابن دحلان ٢/١٤٥ ط. دار احياء التراث.

(٣) المصدر السابق.

ولولا مبعوث عمر لأبي بكر بموت الرسول ﷺ، لبقي هناك مدّة أطول.

وكتب أسامة إلى أبي بكر: اعلم أنّي ومن معي من المهاجرين والأنصار وجميع المسلمين ما رضيناك ولا وليناك، فاتق الله ربك وإذا قرأت كتابي هذا فاقدم إلى ديوانك الذي بعثك فيه النبي ﷺ ولا تعصه، وأن ترفع الحق إلى أهله فإنّهم أحقُّ به منك[1].

والدليل الثالث: إنَّ عمر بن الخطاب استمرَّ في معارضته لقيادة أسامة بن زيد تلك الحملة بعد تولي أبي بكر السلطة، بالرغم من الغضب النبوي الشديد، وتأكيده ﷺ علىٰ صلاحيّة أسامة للقيادة؟!

إذ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: «إنَّ الأنصار أمروني أنْ أبلّغك، وإنّهم يطلبون اليك أن تولّي رجلاً أقدم سناً من أسامة. فوثب أبو بكر، وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمُّك وعدمتك يا ابن الخطاب، إستعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه»[2].

وهكذا توضّح أنَّ مخالفة الجماعة لقيادة أسامة، لم تكن إلاّ عذراً، الهدف منه البقاء في المدينة إلىٰ ما بعد وفاة الرسول ﷺ للسيطرة على الحكم... وهؤلاء قد أدركوا قصد النبي ﷺ، وأهدافه في بيعة الغدير، وفي طلبه كتابة الوصيّة لعلي ﷺ وأمره بإخلاء المدينة من وجوه المهاجرين والأنصار.

ولمّا تمَّ لأبي بكر السيطرة على الحكم لم يبق موجب لمعارضة تلك الحملة وقيادتها؟! وفعلاً سيَّرها أبو بكر إلىٰ الشام بقيادة أسامة بن زيد.

الدليل الرابع: لم يرغب أبو بكر وعمر بالسير في تلك الحملة في زمن حكومة أبي بكر، فطلبا إذناً من أسامة بن زيد فأعطاهما، ولكن استمرّا في مناداته بالأمير في مدّة خلافتهما. أي استمرّا في رغبتهما السابقة في عصيان الانخراط في تلك الغزوة للتمكّن من إدارة الحكومة.

---

(١) تثبيت الامامة ص ٢، يحيىٰ بن الحسين بن القاسم اليمني المتوفّىٰ سنة ٢٩٨ هجرية.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠.

وبذلك فقد ذهب أُسامة بن زيد في حملته، دون مجموعة السقيفة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وأبو سفيان وابن الجراح وابن عوف. فقد قال أبو بكر لأُسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له[١].

حادثة يوم الاثنين وكتابة الوصيّة

قال ابن سعد في طبقاته :ان حادثة كتابة الوصية كانت يوم الاثنين وهو يوم موته ﷺ[٢].

ولقد استمرَّ عصيان المخالفين لحملة أُسامة مدَّة إسبوعين كما ذكر الواقدي، وفي هذه الفترة طلب النبيُّ ﷺ من المسلمين بإلحاح الإلتحاق بغزوة أسامة، فلم ينفع معهم؟ فخطب بهم ثانية ولعن العاصين منهم فلم ينفع ذلك؟

فطلب منهم في الثالثة المجيء بلوح ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلُّوا بعده أبداً.

فقالوا: النبي ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله ؟!

إن تلك المجموعة العاصية لحملة أسامة، والملعونة من قبل النبي ﷺ[٣]، هي التي منعت دفن النبي ﷺ ثلاثة أيام، وأسّست السقيفة.وهاجمت بيت علي وفاطمة عليهما السلام، ونجحت في فرض خلافة دورية لقبائل قريش، دون بني هاشم والأنصار.

وذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: فأوّل تنازع وقع في مرضه عليه الصلاة والسلام، ما رواه الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري،: لمَّا اشتدَّ بالنبي ﷺ مرضُهُ الذي مات فيه، قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً، لا

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/٣٣٤، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠، تاريخ اليعقوبي ٢/١٢٧.

(٢) الطبقات ،ابن سعد ٨/٣.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١/٢٣.

تضلُّوا بعده.

فقال عمر: إنَّ رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله. وكثر اللغط، فقال النبي ﷺ: قوموا عنِّي، لا ينبغي عندي التنازع. قال ابن عباس: الرزيَّة ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ[1].

وأخرج البخاري، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ أنَّه قال: «يوم الخميس، وما يوم الخميس، ثمَّ بكىٰ حتَّىٰ خضب دمعه الحصباء، فقال:

إشتدَّ برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس، فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً. فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع.

فقالوا: هجر رسول الله. قال ﷺ: دعُوني فالَّذي أنا فيه خيرٌ ممَّا تدعوني إليه»[2].

وفي رواية قال عمر: إنَّ النبيَّ ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، واختلف من في البيت واختصموا، فنهم من يقول:

قرِّبوا يكتب لكم رسول الله كتاباً، لن تضلُّوا بعده، ومنهم من يقول ما قاله عمر.

فلمَّا أكثروا اللغط والاختلاف عند النبيَّ، قال خاتم الأنبياء ﷺ: **قوموا عنِّي**[3] أي أخرجهم ﷺ من بيته غاضباً عليهم.

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: اشتكى النبيُّ ﷺ يوم الخميس، فجعل يعني ابن عباس يبكي، ويقول: يوم الخميس وما يوم الخميس إشتدَّ بالنبيِّ ﷺ وجعه، فقال: إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً، لا تضلون بعده أبداً. فقال بعض من كان عنده:

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٤٩٠ باب جوائز الوفد، ح١٢٢٩، صحيح مسلم ١١/ ٨٩، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦، المصباح المنير ٦٣٤.

(٣) صحيح البخاري باب قول المريض قوموا عنِّي ٧/ ٩، صحيح مسلم، آخر كتاب الوصيَّة ٥/ ٧٥، مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٥٦ ح ٢٩٩٢.

إنَّ نبي الله لَيَهْجِرُ.

فقيل له: ألا نأتيك بما طلبت؟ قال ﷺ: أو بعد ماذا؟ قال: فلم يدعُ به[١].

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّه قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثمّ نظرت إلىٰ دموعه علىٰ خدّيه تحدر، كأنها نظام اللؤلؤ.

قال رسول الله ﷺ: إئتوني باللوح والدواة أو الكتف أكتب لكم كتاباً، لا تضلُّون بعده أبداً **فقالوا: رسول الله يهجر**[٢].

بينما قال اللهُ تعالىٰ: **﴿وَأَطِيعُوا اللهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾**[٣] و**﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ...﴾**[٤]

وذكر سبط بن الجوزي: ولمّا مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته بيسير: إئتوني بدواة وبياض، لأكتب لكم كتاباً، لا تختلفون فيه بعدي. فقال عمر: **دعوا الرجل فإنّه ليهجر**[٥].

واعترف عمر في أيام حكمه بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ[٦].

أي أراد الرسول ﷺ أن يذكر الإمام علياً عليه السلام لأمر الخلافة.

فكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته قائلا بأنَّ النبيَّ أراد أنّ يصرِّح باسمه (علي عليه السلام) فمنعته!

وسألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب ﷺ في يوم الخميس؟

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٤٢.

(٢) مسند أحمدبن حنبل ١/٣٥٥.

(٣) آل عمران: ١٣٢.

(٤) النساء: ٨٠.

(٥) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٦٢، وسر العالمين وكشف ما في الدارين لابي حامد الغزالي ٢١، تاريخ ابن الوردي ١/١٢٩.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

قال عمر: تعيين الخليفة علي[١].

فعمر فهم هدف النبيّ ﷺ بطلبه دواة وصحيفة، أنّه يريد كتابة الوصيّة، وفهم من قوله: لأكتب كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً، ولاية علي بن أبي طالب ؑ.

لأنّ النبي ﷺ في غدير خم وعندما بايع علياً ؑ ذكر ذلك النص: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، أللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعده أبداً.

وقال ﷺ أيضاً: «وإنّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسّكتم بهما، لن تضلّوا أبداً»[٢].

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت ؑ مع عدم الضلال، وتلازم علي ؑ مع عدم الضلال. لذلك اعترف عمر لابن عباس قائلاً: أراد الرسول ﷺ أن يصرّح باسمه في يوم الخميس، فمنعته[٣].

وعمر الذي قال كلمة يهجر لرسول الله ﷺ في يوم الخميس كرّرها ثانية عند مخاصمة طلحة لعثمان إذ كان بين عثمان وطلحة تَلَاحٍ في مسجد رسول الله ﷺ، فبلغ عمر فأتاهم وقد ذهب عثمان، فقال:

أفي مسجد رسول الله ﷺ، تقولان الهُجْر وما لا يَصْلُح من القول؟[٤]

فجثا طلحة على ركبتيه وقال: إنّي والله لأنا المظلوم المشتوم!

فقال: أفي مسجد رسول الله تقولان الهُجْر، وما لا يَصْلُح من القول؟ ما أنتَ منّي بناج.

فقال: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين، فوالله إنّي لأنا المظلوم المشتوم.

---

(١) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ٨/١٣٢.

(٢) مسند أحمد ٤/٢٨١، تفسير الفخر الرازي ٣/٦٣٦، الصواعق المحرقة، ابن حجر ٢٦، التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٢١، صحيح الترمذي ٥/٦٢١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/١١٤.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّة ١/٣٣.

فقالت أمُّ سلمة من حجرتها: واللهِ إنَّ طلحة هو المظلوم المشتوم[١].

الملاحظ من هذا النص أنَّ عمر أراد ضرب طلحة بدرَّته لأنّه هجر في المسجد وقال ما لا يليق به. فهل يليق بعمر الصحابي أن يقول للنبي محمد ﷺ يهجر وهو يريد كتابة الوصيّة الإلهية للبشريّة جمعاء؟!

ولكن هل اوصى النبي ﷺ ام لا؟ الجواب ان الوصية واجبة على المسلمين وقد اوصى الرسول قائلا انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى اهل بيتي وقال على مع القرآن والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض يوم القيامة [٢].

إمامة الصلاة في صبيحة يوم الإثنين

روىٰ الزهري زيفاً: قال النبي ﷺ لعبدالله بن زمعة: مر الناس فليصلوا، فخرج عبدالله بن زمعة فلقي عمر بن الخطاب، فقال: صلِّ بالناس، فصلّىٰ عمر بالناس، فجهر بصوته فسمعه رسول الله. فقال: أليس هذا صوت عمر؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله، فقال: يأبىٰ الله ذلك والمؤمنون، ليُصَلِّ بالناس أبو بكر.

فقال عمر لعبد الله بن زمعة بئس ما صنعت، كنتُ أرىٰ أن رسول الله ﷺ أمرك أن تأمرني. قال: لا والله ما أمرني أن آمر أحداً[٣].

ومن الأكاذيب عن عائشة: لما ثَقُل رسول الله ﷺ قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. قالت: قلت: يا رسول الله إنَّ أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه فلو أمرت غير أبي‌بكر، قالت: والله مابي إلّا كراهية أن يتشاءم الناس بأوّل من يقوم مقام رسول الله ﷺ، قالت: فراجعته مرتين أو ثلاثاً.

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبّة ١/٣٣.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥وكشف الاستار عن زوائد البزار ٣/٢٢١وتهذيب اللغة للازهرى ٩/١٧٩.

(٣) طبقات ابن سعد ٢/٢١٥ ـ ٢٢٤، المغازي النبوية، الزهري ص ١٣٢.

فقال: ليصل بالناس أبو بكر، فإنكن صواحب يوسف[١].

ومن الزيف ما جاء عن أنس بن مالك: لما كان يوم الأثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فرأىٰ أبا بكر وهو يصلي بالناس، قال: فنظرتُ إلىٰ وجهه كأنه ورقة مصحف، وهو يتبسم.

قال: وكِدْنا أن نفتتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ فإذا أبو بكر دار ينكص، فأشار إليه النبي ﷺ أن كما أنت، ثم أرخى الستر فقبض من يومه ذلك[٢].

واعترفت اخيرا اذ «قالت عائشة خرج أبو بكر فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين كأني أنظر إلىٰ رجليه تخطان من الوجع، فأراد أبو بكر أن يتأخَّر فأومأ إليه النبي ﷺ أن مكانك، ثمّ أُتيَ به حتىٰ جلس إلىٰ جنبه، فكان النبي ﷺ يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلّون بصلاة أبي بكر»[٣].

وهذه الرواية تثبت بأن النبي ﷺ لم يوصِ بالصلاة لأبي بكر، لأن النبي ﷺ خرج إلى الصلاة بالرغم من مرضه الشديد منعاً لصلاة أبي بكر بالناس.

أمّا ما قالته عائشة من أنّ النبي ﷺ كان يصلي بالناس وأبا بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فهذا يدل علىٰ إمامة رسول الله ﷺ للصلاة. بتحريف قليل منها.

لقد جاء حديث صلاة أبي بكر بدل النبي ﷺ في صبيحة يوم الأثنين عن طريق عائشة وأنس بن مالك. واختلفت الروايات مرّة أن أبا بكر صلّىٰ بالناس ثلاثة أيام، ومرّة أنّه صلىٰ بهم صلاة صبح يوم الأثنين (يوم وفاته). واختلاف الروايات دليل بطلانها، فقد قالوا لا حافظة لكذوب.

ويرد الحديث أيضاً بأدلة أخرىٰ منها: أنّ عائشة وفي سبيل السيطرة علىٰ ملك

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري ٨/ ١٤٠، مغازي الزهري ص١٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، فتح الباري ٨/ ١٤٣، مغازي الزهري ص١٣٢.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/ ٢٥٣.

المسلمين لابن عمها طلحة أو لابن أختها عبد الله بن الزبير افتعلت حرب الجمل التي راح ضحيتها قريب من عشرين ألف مسلم فما كانت ستفعل في سبيل ملك أبيها! فهل يصح مع هذا قبول حديثها في موضوع خلافة أبيها؟

لقد ردَّت عائشة نفسها ذلك الحديث إذ قالت إنّ النبي ﷺ قد قال لها إنكن صواحب يوسف.

ومن الطبيعي أن يقول لها النبي ﷺ ذلك لأنها احتالت وألحّت في قضية إمامة أبيها للصلاة صبيحة يوم الأثنين.

فالنبي ﷺ لم يكن ليتكلم بهذا الكلام الجارح إن لم تكن القضية خطيرة، والإحتيال في مسألة الخلافة من الأمور العظمىٰ عند المسلمين.

وصواحب يوسف كما جاء في القرآن الكريم كن يلححن علىٰ يوسف في نفسه ويمتنع يوسف منهن ويفر من حيلهن، حتىٰ رغب في السجن هرباً من طلباتهن ومن أراد التوسّع فليراجع التفاسير في هذا الموضوع. وعائشة نفسها روت حديث رسول الله ﷺ لها ولحفصة «إنكن صواحب يوسف»[1].

ورغم هذه الإهانة النبوية لعائشة وفشل مسعاها في الحصول علىٰ أمر نبوي أو إجازة نبوية بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الأثنين، فقد روت أمراً نبوياً بإمامة أبيها لصلاة صبيحة يوم الأثنين! أي أنها ألحَّت في هذا الموضوع كثيراً في حياة الرسول ﷺ وبعد مماته.

ثم نطقت عائشة بكثير من الأحاديث الصحيحة في أواخر أيام حياتها بعدما ساءت علاقتها بالحكم الأموي أثر قتلهم لأخيها عبد الرحمن، مبطلة بذلك ما قالته من أحاديث بعد وفاة رسول الله ﷺ في سبيل إيصال أبيها إلى السلطة.

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٥٣.

كقوله ﷺ: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب[١]. وأحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال بعلها[٢].

ولقد صدر الأمر النبوي لأبي بكر بالذهاب في حملة أُسامة فكيف يكون حاضراً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين. وحضوره دلالة عصيانه أمر النبي ﷺ.

وقد عصىٰ أبو بكر وعمر الأمر النبوي بالانخراط في حملة أُسامة في زمن حياة النبي ﷺ وبعد مماته.

فيكون حال أبي بكر بين أمرين إمّا أن يكون موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين، وإما أن يكون قد ذهب إلىٰ زوجته في السنح (خارج المدينة).

وفي الحالتين يكون عاصياً للأمر النبوي بالذهاب في حملة أُسامة. إذ كان أسامة في الجرف، وإذا كان عاصياً للأمر النبوي فكيف يعيّنه النبي ﷺ إماماً للصلاة بدلاً عنه؟

وإذا كان إماماً للصلاة بأمر نبوي فلماذا لم يبق في المدينة ليصلي بالناس بقية الأوقات؟ فقد كان أبو بكر في السنح عند موت النبي ﷺ؟[٣] وبعد مماته.

والمؤكد أنّ أبا بكر كان موجوداً في المدينة في صبيحة يوم الأثنين ثم ذهب إلى السنح معرضاً عن الأمر النبوي بالذهاب في حملة أُسامة إلى الشام.

فعندما مات النبي ﷺ أجمعت الأخبار علىٰ وجود أبي بكر في السنح، علماً بأنّ النبي ﷺ قد مات قبل صلاة ظهر يوم الأثنين.

وإذا كانت امامة الصلاة دلالة على الخلافة العظمىٰ فلماذا لا تكون إمارة علي بن أبي طالب ﷺ للحج في السنة التاسعة دليلاً عليها؟

وهي تتضمن إمامة الصلاة وإمارة الحج وتبليغ سورة براءة، وإرجاع أبي بكر

---

(١) حلية الأولياء ١/٦٣، المستدرك الحاكم ٣/١٢٤، كنز العمال ٦/٤٠٠.

(٢) الرياض النضرة ٢/٢١٣، كنز العمال ٦/٨٤، صحيح الترمذي ٢/٣١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٤٤١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٣٢٣.

إلى المدينة، ووجله وبكاؤه من نزول قرآن فيه.

أما أنس بن مالك الراوي الثاني للحديث فلقد كان منحرفاً عن إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان انحرافه إلى درجة أن امتنع من الشهادة مع سائر الصحابة في مسجد الكوفة بسماعه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. فدعا عليه الإمام علي عليه السلام، فأصابه البرص[1].

وكان أنس بن مالك مع أبي بكر وعمر في أحداث السقيفة وما بعدها لذلك عيّنه أبو بكر والياً على البحرين[2] لأنّه من حزبه، ثم طرده عمر.

ومن الطبيعي أن يكون هذا الرجل الممتنع عن ذكر قول الرسول صلى الله عليه وآله في الغدير غير صالح للحديث خصوصاً في قضية سياسية تخص إمامة المسلمين.

وكان أنس بن مالك ساقي الخمر لأعضاء النادي في السنة الثامنة من عمره وكانت الخمرة محرمة في الإسلام، وكان على رأس الذين يهنأون بتلك الكؤوس أبو بكر بن أبي قحافة[3].

وقد غضب رسول الله صلى الله عليه وآله على أبي بكر وعمر لعودتهما إلى المدينة في يوم الاثنين وعصيانهما أمره فقال لهما ولأتباعهما العاصين:

ألم آمر أن تنفذوا في جيش أسامة؟

فقالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فلم تأخرتم عن أمري[4].

الدلائل والعبر

---

(١) المعارف، ابن قتيبة ٢٥١، الصواعق المحرقة ٧٧.

(٢) تاريخ الإسلام، الذهبي، عهد الخلفاء الراشدين ص ١٢١، تاريخ خليفة ص ١٢٣.

(٣) راجع موضوع نادي الخمر الشهير وموضوع حرمة الخمر في هذا الكتاب.

(٤) البحار، المجلسي ٣٠ / ٤٣٤، الأرشاد، المفيد ١ / ١٨٣.

قال تعالىٰ في محكم كتابه الشريف:

﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترىٰ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدىٰ ورحمة لقوم يؤمنون﴾[1].

هناك الكثير من الدلائل والعبر في بحثيّ حملة أُسامة وحادثة يوم الخميس منها.

إنّ العمر لا مدخل له في القيادة السياسية والعسكرية والدينية والاجتماعية وهذا واضح في تعيين الله تعالىٰ لعليﷺ خليفة للمسلمين في يوم الغدير وفي تعيينهﷺ أُسامة بن زيد أميراً لحملة الشام.

وفي الحادثتين عاند المعارضون ذلك واستمروا في عنادهم إلىٰ ما بعد وفاة رسول اللهﷺ.

والأفضلية في الإسلام قائمة علىٰ العلم والتقوىٰ أمّا التعيين فهو لله ورسوله أوّلاً ثم للشعب ثانياً. وقد عيّن الله تعالىٰ علياًﷺ في غدير خم إماماً وخليفة للأمة، وجعل رسول اللهﷺ أُسامة بن زيد قائداً عسكرياً لحملة الشام.

وبعد ما منع أبو بكر وعمر وسائر رجال الحزب القرشي رسول اللهﷺ من كتابة وصيّته في يوم الخميس وأنكرا بيعته لعليﷺ في غدير خم منع الحزب القرشي أبا بكر من كتابة وصيته، وأقدم علىٰ قتله! وجعله عبرة لمن اعتبر. وقد قتل الحزب القرشي عمر بن الخطاب وهو الحزب الذي كان ينادي في يوم الخميس بعد عمر: النبي يهجر، يهجر.

أمّا عائشة فقد قيّض لها الأُمويون مروان بن الحكم يحاربها ويؤذيها ثم قتلها معاوية بن أبي سفيان[2].

لقد دبَّ الخصام بين رجال الحزب القرشي فأصبحوا أعداءً متحاربين بعد أن كانوا إخوانا متحابّين فقتل عمر وعثمان أبا بكر واستحوذا علىٰ ملكه، ومكر عثمان

---

(١) يوسف ١١١.

(٢) راجع كتاب اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

والأمويون بعمر بن الخطاب فقتلوه شرَّ قتلة.

واحتال عثمان في قتل ولي عهده (بأمر عمر) عبد الرحمن بن عوف، وأفتت عائشة بإراقة دم عثمان وإخراجه من الدين قائلة:أقتلوا نعثلاً فقد كفر[١].

فأطاعها ابن عمها طلحة بن عبد الله فأقدم علىٰ ذبح عثمان انتقاماً لدم أبي بكر.

وقد لاقىٰ عثمان ما لا يخطر علىٰ بال حيث رفضه الناس وحاصروه وقتلوه وتركوه جثة هامدة علىٰ مزبلة المدينة ثلاثة أيام دون غسل ولا دفن.

ونهض معاوية والأمويون للانتقام لمقتل ابن عمهم عثمان فقتلوا طلحة وعائشة ومحمداً وعبد الرحمن أولاد أبي بكر.

وهكذا تمزّقت تلك الطائفة وقتل بعضها بعضاً بعد أن كانوا عصبة متحدة في يوم العقبة وفي يوم الخميس وفي يوم الهجوم علىٰ بيت فاطمة بنت محمد ﷺ.

وقد أخبر تعالىٰ بقتل الناس بعضهم بعضاً قائلاً:

﴿أو يُلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض أُنظر كيف نصرّف الآيات لعلهم يفقهون﴾[٢].

وقال رسول الله ﷺ: إنّكم تزعمون أني آخركم موتاً، وإنّي أولكم ذهاباً ثم تأتون بعدي أفناداً يقتل بعضكم بعضاً.

فقالوا: يا رسول الله ﷺ ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟

فقال رسول الله ﷺ: لا تنزع عقول أهل ذلك الزمان [٣].

أمّا عن الرواية الأموية الكاذبة بتعيين رسول الله ﷺ لأبي بكر إماماً للصلاة في يوم الأثنين فيكفي في كذبها المطالب التالية:

---

(١) تاريخ ابن الأثير ٣ / ٢٠٦، شرح النهج ١ / ٢٥٤، تاريخ المدينة ٤ / ١١٦٧.

(٢) الأنعام ٦٥.

(٣) سنن ابن ماجة ٢/١٣٠٩، كتاب الفتن، المروزي ٢٣، مسند الشاميين، الطبراني ٢/١٢٤، كنز العمال ١١/١١٥.

تعيين رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للمسلمين في غدير خم، أي قبل شهر من ذلك التاريخ ومبايعة أبي بكر وعمر والمسلمين له بالخلافة في ذلك اليوم.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في حقه: والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة [١].

وقالت فاطمة عليها السلام: ويحهم أنّىٰ زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين [٢].

رغبة أبي بكر في الاستقالة من السلطة قائلاً: يبيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقيلوني بيعتي [٣].

وأعلن أبو بكر مرّة أخرىٰ قبل مقتله عن ندمه علىٰ استلام سلطة مغصوبة [٤].

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح النهج ١٦ / ٢٣٤، دلائل الامامة، ابن جرير الطبري ٤٠ / ٤١، معاني الأخبار، الصدوق ٣٥٤، ٣٥٥، كشف الغمة، الاربلي ١ / ٤٩٢، ٤٩٤.

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ١٤، أعلام النساء ٣ / ٣١٤.

(٤) لسان الميزان ٨ / ١٨٩ في ترجمة علوان، طبع دار المعرفة - بيروت.

الفصل الثالث

أعمال الحزب القرشي الخطيرة المخالفة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم

قبل وبعد شهادته

بعد عودة النبي ﷺ من الحج ووصيته إلىٰ علي ﷺ في خطبة الوداع وفي خطبة الغدير أمر رجال الحزب القرشي بـالانخراط في حمـلة أُسـامة، وعـندها اشـتدت الخصومة بين رسول الله ﷺ وبين المتحفزين للسـيطرة عـلى الحكـم الرافـضين وصيّته ﷺ إلىٰ علي ﷺ.

فبرزت الخصومة واضحة بين رسول الله ﷺ من جهة وأبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من جهة أخرىٰ. فكانت آراء وأقوال وأعمال هـؤلاء المـعارضة لرسـول الله ﷺ متمثلة بما يلي:

١ ـ رفض رجال الحزب القرشي الانضمام إلىٰ صفوف جيش أُسامة وعلىٰ رأس هؤلاء أبو بكر وعمر، فذهب أبو بكر إلىٰ السنح بعد أن سُمَّ الرسـول ﷺ، فـبقي بجانب زوجته هناك، ولم يعد إلّا بعد مقتل النبي ﷺ بالسم[1].

واستمر عصيان أبي بكر لحملة أُسامة بعد شهادة رسول الله ﷺ فلم يذهب فيها لا قائداً ولا مأموراً رغم مطالبة أسامة له بذلك.

ورفض عمر الانضمام إلىٰ حملة أُسامة في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر رغم الأمر النبوي له بذلك. بل إنه طالب أبا بكر بإقالة أُسامة من منصبه وعصيان الأمر

(١) إذ أخبره بذلك مبعوث عمر إليه وهو سالم بن عبيد * كنز العمال ٧/ ٢٣٢ ط. مؤسسة الرسالة.

النبوي في تعيينه.

لكنه استمر بمناداة أسامة بالأمير في زمن خلافة أبي بكر: إذ أخرج ابن كثير: كان عمر إذا لقيه (أسامة بن زيد) يقول: السلام عليك أيها الأمير[١].

٢ ـ قال عمر وبقية رجال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ في تلك الأيام إنه يهجر[٢] وردّوا نظريته ﷺ المصرّح بها: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﷺ وطرحوا نظريتهم: حسبنا كتاب الله[٣].

٣ـ طالبت أغلب نساء النبي ﷺ في يوم الخميس بإعطاء رسول الله ﷺ ورقة ودواةً فقال عمر لهن: أسكتن[٤].

٤ ـ أمرت عائشة أباها على لسان النبي ﷺ بالصلاة في صبيحة يوم الأثنين فغضب الرسول ﷺ وجاء إلى الصلاة متكئاً على علي ﷺ وقثم بن العباس فصلّى بالناس جماعة[٥].

٥ ـ منع رجال الحزب القرشي الناس من دفن النبي ﷺ يومي الأثنين والثلاثاء بانتظار مجيء أبي بكر من السنح. فقال العباس بن عبد المطلب في ذلك عن جثمان النبي: إنّه ﷺ يأسن[٦].

٦ ـ وبرز حقد وغضب رجال الحزب القرشي على رسول الله ﷺ في امتناعهم عن حضور مراسم غسله وتكفينه، وذهابهم بدلاً عن ذلك إلى السقيفة لإجراء مراسم البيعة لأبي بكر[٧].

---

(١) التحفة اللطيفة، السخاوي، البداية والنهاية، ابن كثير ٨/٧٣، طبع مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١/٣٢٥، سنن مسلم آخر الوصايا، أوائل الجزء الثاني.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ١/٢٢.

(٤) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٣/١١٤.

(٥) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٥٣، تاريخ الطبري ٢/٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤/١-٣.

(٦) تاريخ الطبري ٢/٤٤٣، أنساب الأشراف ١/٥٦٨، ولم يأسن جثمان الرسول ﷺ رغم طول المدة.

(٧) مسند أحمد بن حنبل ١/٥٥، سنن البخاري ٤/١١١، تاريخ الطبري ٢/٤٤٦.

٧ ـ وامتنع أبو عبيدة بن الجراح حفار قبور المهاجرين في المدينة عن حفر قبر رسول الله ﷺ، وذهب لإجراء مراسم السقيفة، فاضطرّ أهل البيت ﷺ لدعوة أبي طلحة حفار قبور الأنصار ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ![1]

وقد جاء عن النبي ﷺ قوله: «بينا أنا قائم إذا زمرة حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال لهم: هَلُمَّ.

فقلت: أين؟

قال: إلىٰ النار والله.

قلت: وما شأنهم؟

قال: إنهم ارتدُّوا بعدك علىٰ أدبارهم القهقرىٰ.

ثم إذا زمرة، حتىٰ إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم.

قلت: أين؟

قال: إلى النار والله.

قلت: ما شأنهم؟

قال: إنّهم ارتدوا علىٰ أدبارهم القهقرىٰ، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل هَمَل النعم[2].

٨ ـ وبعدما دُفِن رسول الله ﷺ في ليلة الأربعاء، هجم رجال الحزب القرشي علىٰ بيت فاطمة الزهراء ﷺ بنت رسول الله ﷺ وكان الهجوم في يوم الأربعاء بعد مراسم بيعة أبي بكر العامة وتسببت في مقتل فاطمة بنت محمد ﷺ وابنها محسن[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢، أسد الغابة، ابن الأثير ٢/٣٣٢، الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٢/٢٩٤، ٢٩٨.

(٢) صحيح البخاري ٨/١٥٠، قال في لسان العرب ١١/٧١٠ وفي حديث الحوض: «فلا يخلص منهم إلّا مثل همل النعم» الهمل: ضوال الإبل واحدها هامل، أي أن الناجي منهم قليل في قلة النعم الضالّة»، صحيح مسلم ١/٢١٧ ـ ٢١٨ كتاب الطهارة، باب استحباب اطالة الغرة، صحيح الترمذي ٥/٣٢١، كتاب تفسير القرآن، باب تفسير سورة الأنبياء ص٢٢، صحيح النسائي ٢/١٣٣، كتاب الافتتاح، باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ص٢١.

(٣) العقد الفريد ٤/٢٥٩، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٦، تاريخ الطبري ٣/١٩٨.

وبذلك يتوضح اشتداد الصراع بين النبي ﷺ وبين الحزب القرشي إلىٰ درجة يتوقع أن تنتهي بحمام دم. إذ لعن خاتم الأنبياء المتخلفين عن جيش أسامة واتهمه المتخلفون بالجنون بأنّه يهجر وفعلاً انتهت باغتيالهم له ﷺ[١].

غضب النبي ﷺ علىٰ رجال الحزب القرشي وأقواله فيهم

بعد اشتداد حدّة الصراع بين النبي ﷺ وبين حزب قريش ردّ رسول الله ﷺ علىٰ أقوال وأعمال الحزب القرشي وعلىٰ رأسهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة بشدّة بما يلي:

١ ـ لعن العاصين لحملة أسامة بن زيد إلىٰ الشام[٢].

٢ ـ ردّ رسول الله ﷺ علىٰ قولهم يهجر للنبي ورفضهم النظرية الالهية : كتاب الله وعترتي أهل بيتي بقوله ﷺ لهم: إنّهن (نساء النبي ﷺ وفاطمة ﷺ) أفضل منكم[٣] وذلك بعدما قال عمر لهن: أُسكتن[٤].

وأخرج مالك بن أنس قائلاً: «إنّ رسول الله ﷺ قال لشهداء أُحد: هؤلاء أَشهدُ عليهم.

فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله إخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟

قال رسول الله ﷺ: بلىٰ ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي.

فبكىٰ أبو بكر ثم قال: ءإنا لكائنون بعدك؟[٥]

وهذا من دلائل النبوة إذ أخبر الرسول ﷺ أبا بكر وصحبه بأنهم كائنون بعده.

---

(١) راجع كتاب هل اغتيل النبي محمّد ﷺ للمؤلّف.

(٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٦/٥٢.

(٣) كنز العمال، المتقي الهندي ٣/١٣٨.

(٤) منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٣/١١٤.

(٥) الموطأ، مالك بن أنس ص٢٣٦، كتاب الجهاد، باب الشهداء في سبيل الله حديث ٩٩٥.

٣ - ولما كادت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ في امرأته الجديدة زينب بنت أبي الجون نجحت الخطة فقالت المسكينة لخاتم الأنبياء ﷺ: أعوذ بالله منك وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فقال النبي ﷺ عن عائشة وحفصة: إنّهن صواحب يوسف وكيدهن عظيم[1].

٤ - ومرّة ثانية قال خاتم الأنبياء ﷺ لعائشة وحفصة وسودة المشاركات لعمر وصحبه في قولهن للنبي يهجر: إنّكنّ صواحب يوسف[2] فشبّه رسول الله ﷺ عائشة بزليخا[3] التي أجبرت يوسف ﷺ علىٰ المنكر فامتنع منها.

٥ ـ أخرج رسول الله ﷺ عمر وأصحابه من منزله في يوم الخميس قائلاً لهم: قوموا[4].

٦ ـ قال الرسول ﷺ لعائشة وحفصة في صبيحة يوم الأثنين يوم شهادته ردّاً علىٰ دعوتهما أبويهما لإمامة الصلاة في المسجد النبوي: إنّكن لصواحب يوسف[5]. وأقبح النساء في حياة الأنبياء صواحب يوسف ﷺ.

٧ ـ تمنّى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل شهادته ﷺ اذ قالت عائشة: فتمنىٰ رسول الله ﷺ موتي قائلاً: وددت أنّ ذلك يكون وأنا حي فأصلّي عليكِ وأدفنكِ[6].

أي تمنى النبي ﷺ موت عائشة السريع قبل دخولها في فتنة عمياء تتمثل في مشاركتها في قتله ﷺ، ومسيرها لمحاربة علي ﷺ في البصرة.

---

(١) طبقات ابن سعد ١٤٥/٨، دار صادر بيروت، البحار ٢٠٩/٢٢، فتح الباري علىٰ صحيح البخاري ٢٩٤/٩.

(٢) شرح النهج ٣ / ١١٤.

(٣) مجمع البحرين ٢ / ٥٨٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣٢٥/١، صحيح مسلم في آخر الوصايا ٢٣٢/١، السقيفة والخلافة، أبو بكر الجوهري، صحيح البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ١١٨/٢.

(٥) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٦) الطبقات الكبرىٰ، ابن سعد ٢٠٦/٢.

٨ ـ وقال النبي ﷺ عن مسكن عائشة: هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، من حيث يخرج قرن الشيطان[١].

٩ ـ وبعدما سقوه السم وصف النبي ﷺ عملهم بالعمل الشيطاني[٢].

١٠ ـ وبعد مسمومية النبي ﷺ وقبل شهادته قالت عائشة: ذهب رسول الله ﷺ إلىٰ البقيع ثم التفت إليَّ فقال: ويحها لو تستطيع ما فعلت![٣]

وهذا النص واضح في إقدام عائشة علىٰ ارتكاب فعل خطير مشابه لفعلها في معركة الجمل. وما ذلك الفعل إلّا إقدامها علىٰ سم رسول الله ﷺ لصالح أبيها وعصبته. وفسّر رسول الله ﷺ ذلك بعدم سيطرتها علىٰ أهوائها. وإقدامها علىٰ جريمة عظيمة.

هل قتل رجال الحزب القرشي أحداً من المسلمين؟

وتسبب رجال الحزب القرشي في مقتل الكثير من الصحابة لاحقاً، من أمثال سعد بن عبادة وخالد بن سعيد بن العاص وأبي ذر وعبد الله بن مسعود[٤]، دون سبب موجب ل ذلك، مثل ردّة بعد إسلام، وزنا بعد إحصان، وقتل نفس مؤمنة.

وبعد اغتيال الحزب القرشي لرسول الله ﷺ وابنته فاطمة ﷺ تقدموا لقتل بقية أفراد أهل البيت ﷺ وحذف السنّة النبوية من النواحي القرآنية والسياسية والعلمية وغيرها بقولهم: حسبنا كتاب الله، فمنعوا تدوين السنة النبوية وتفسير القرآن، بينما سمحوا لكعب الأحبار وتميم الداري بالوعظ الديني في مسجد

(١) صحيح البخاري ٤/٩٢، ١٧٤، ٥/٢٠، ٨/٩٥، صحيح مسلم ٨/١٧٢، سنن الترمذي ٢/٢٥٧.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٤٥.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٣ طبعة دار صادر، بيروت.

(٤) أنساب الأشراف، العقد الفريد، ابن عبد ربة ٤/٢٤٧، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص١٣، تاريخ أبي زرعة ص١١١، أسد الغابة ١/٣٥٩، تاريخ دمشق، ترجمة أبي ذر، تاريخ أبي الفداء ١/٣٣٢.

الرسول ﷺ[١].

ثم تحرَّك رجال الحزب القرشي لاغتيال بعضهم البعض في سبيل الاستحواذ على السلطة والإستمرار فيها، فقتلوا أبا بكر وصاحبه عتاب بن أسيد الأموي، وطبيب العرب ابن كلدة الذي فضح الاغتيال[٢].

وقتل معاوية أشراف قريش دون استثناء منه لرجال بني أمية. فاغتال في هذا الطريق عبد الرحمن بن أبي بكر وعائشة وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والحسن بن علي ﷺ، وزياد بن أبيه[٣].

سيرة السيّدتين عائشة وحفصة

من المستحسن ذكر بعض أعمال عائشة وحفصة للتعرف على شخصيتهما:

١ ـ لقد ذكر البخاري اعتزال رسول الله ﷺ لنسائه[٤] أي طلاق النبي ﷺ لعائشة وحفصة وسودة. وأيّد مسلم في كتابه نزول هذه الآية في تلك الحادثة:

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنَّ أن يُبدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ، مُسلِماتٍ مُؤمِناتٍ﴾[٥]

وكان النبي ﷺ قد طلّق عائشة وحفصة وسودة ثم راجعهن[٦].

---

(١) مجمع الزوائد عن الإمام أحمد ص ١٩٠، تاريخ أبي زرعة ص ٣٣٥ ح ١٩١٥، الطبقات، ابن سعد ٥/ ١٤٠، تاريخ ابن كثير ٨/ ١٠٧، تاريخ المدينة المنورة، عمر بن شبة ١/ ١٢.

(٢) اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة، المؤلف.

(٣) نظريات الخليفتين، المؤلف ٢/ ١٢٩ ـ ١٥١، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤/ ٢٤٧، ٢٥٠، طبقات ابن سعد ٣/ ١٩٨، مروج الذهب، المسعودي ٢/ ٣٠١، ٤١٠، السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ص ١٢، سنن البيهقي ٩/ ١٢٨، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٨/ ٢٦، ٢٤/ ٢٤، الكامل في التاريخ ٣/ ٢٠٤، ٣٥٣، البداية والنهاية، ابن كثير ٨/ ٩٢، ٩٥، تاريخ الطبري، أحداث معركة بدر، تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٣٩، الإستيعاب ٢/ ٣٩٣، الإصابة ٣/ ٣٠٦، مقاتل الطالبيين ص ٤٧، ٤٨، مستدرك الحاكم ٣/ ٤٧٦، أنساب الأشراف، البلاذري ٣/ ٥٨ ـ ٦٠.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ٧٠، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٥) التحريم: ٥، صحيح مسلم ٤/ ١٨٨، ط. دار الفكر ـ بيروت.

(٦) المستدرك، الحاكم ٤/ ١٦ ح ٦٧٥٣، ٦٧٥٤، ٢٣٥١، ٢٣٥٢ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

ممّا يبين سوء أخلاقهن معه ﷺ وعدم حبهن له وإغضابهن له.

٢ ـ وكانت حفصة وعائشة قد تظاهرتا علىٰ رسول الله ﷺ[١]. فنزلت الآية المباركة فيهما كما قال الرسول ﷺ:

﴿إن تتوبا إلىٰ الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله ازواجاً خيراً منكن... ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما...﴾[٢]

وسأل ابن عباس عمر بن الخطاب عن المقصود بالآية فقال عمر: عائشة وحفصة.[٣]

٣ ـ وكانت عائشة وحفصة تؤذيان رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان[٤].

فقال عمر بن الخطاب لحفصة: «لقد علمتِ إن رسول الله ﷺ لا يحبك»[٥].

واعتراف البخاري ومسلم بذلك، يعني أن خبر أذاهما لرسول الله ﷺ وغضبه عليهما قد انتشر بين الناس وتواتر الخبر.

٤ ـ وهما اللتان صوّرتا رسولَ الله ﷺ بالشيطان نعوذ بالله من ذلك، يوم قالتا لمليكة (زوجته الجديدة): قولي لرسول الله ﷺ: أعوذ بالله منك، فإنّه يحب ذلك.

فقالت المسكينة تلك العبارة لرسول الله ﷺ فطلّقها[٦]. ثم ماتت المسكينة كمداً.

---

(١) صحيح البخاري ٦/٦٩، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٢) التحريم: ٦٦/٤، ٥، ١٠ تفسير الثعلبي، الآية، تفسير ابن كثير ٤/٦٣٤، صحيح البخاري ٣/١٣٦.

(٣) صحيح البخاري ٣/٣٦. وجاء في تفسير الثعلبي وتفسير الكشاف ان صالح المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليه السلام، الطرائف ص٢٤.

(٤) صحيح البخاري ٦/٦٩، طبقات ابن سعد، المتوفّى سنة ٢٣٠هـ، ٨/٥٦.

(٥) صحيح مسلم ٤/١٨٨.

(٦) طبقات ابن سعد ٨/١٤٥، المحبر ص٩٤ ـ ٩٥، المستدرك، الحاكم ٤/٣٧، الإستيعاب ٢/٧٠٣، الإصابة ٣/٥٣٠ في ترجمة نعمان بن أبي الجون، تاريخ اليعقوبي باب ازواج النبي ﷺ.

وكانت المتعوذة بالله سبحانه من الرسول ﷺ بتعليم عائشة وحفصة أكثر من واحدة[1] إذ قالت اسماء بنت النعمان للنبي ﷺ: أعوذ بالله منكَ.

فقال: أمِن عائذة بالله؛ إلحقي بأهلك[2].

٥ ـ وشكّكت عائشة في نسب إبراهيم ابن الرسول ﷺ[3].

٦ ـ وخالفت عائشة وحفصة رسولَ الله ﷺ في مرضه وأرادت كل واحدة منهما أن تدعو أباها لإمامة صلاة الجماعة فقال لها رسول الله ﷺ: إنّكن صواحب يوسف[4]. وقال رسول الله ﷺ أيضاً هذه الجملة لعائشة وحفصة سابقاً يوم خدعن احدىٰ زوجاته بالتعوذ منه![5]

٧ ـ وخالفت عائشة قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾[6]

وأمر رسول الله ﷺ في الامتناع عن محاربة علي بن أبي طالب ؑ فحاربته في معركة الجمل، وأرادت حفصة الاشتراك في ذلك فمنعها أخوها عبد الله[7].

وكانت زبيدة زوجة هارون الرشيد أفضل من عائشة فقد جاء:

«لما قُتِل محمد الأمين دخل إلىٰ السيدة زبيدة أمّه أحد خدمها، وقال لها: ما يجلسك وقد قُتِل أمير المؤمنين؟

فقالت: ويلك ماذا أصنع؟

---

(١) راجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب.

(٢) الطبقات، ابن سعد ١٤٥/٨، المحبر ص ٩٤ ـ ٩٥.

(٣) المستدرك، الحاكم ٤٢/٤، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت. وراجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب.

(٤) تاريخ الطبري ٤٣٩/٢، سيرة ابن هشام ٣٠١/٤.

(٥) راجع موضوع زوجات النبي ﷺ في هذا الكتاب طبقات ابن سعد ٨ / ١٤٥، البحار ٢٢ / ٢٠٩.

(٦) الأحزاب: ٣٣.

(٧) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٨٠/٢، تاريخ الطبري ٤٧٧/٣، معجم البلدان ٣٦٢/٢، ٧٨/٢ ـ ٧٩، الروض المعطار ص٢٠٦، تطهير الجنان، ابن حجر، بهامش الصواعق المحرقة ص١٠٨.

قال: تخرجين فتطلبين بثأره، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان.

فقالت: إخسأ لا أمَّ لك، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال؟ ثم أمرت بثيابها فسوّدت، ولبست مسحاً من شعر»[١].

٨ ـ ووصف النبي ﷺ عائشة بالشيطان وجندي الشيطان: إذ قال رسول الله ﷺ لعائشة يوماً: أفأخذك شيطانك[٢].

وروىٰ البخاري: «قام النبي ﷺ خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة، ها هنا الفتنة. من حيث يطلع قرن الشيطان[٣].

وقال الرسول ﷺ لِمَن سقاه الدواء (السم) في بيت عائشة: إنَّها من الشيطان[٤].

٩ ـ واستمرت عائشة في مخالفتها رسول الله ﷺ فبينما قال الرسول: الولد للفراش وللعاهر الحجر كتبت عائشة لزياد بن أبيه: «زياد بن أبي سفيان!»[٥]

١٠ ـ وفرحت عائشة وحفصة بمقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام[٦] وصي رسول الله ﷺ.

١١ ـ وبينما قال الرسول ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[٧].منعت عائشة مع مروان بن الحكم من دفن الحسن عليه السلام مع جدِّه ﷺ[٨].

فتكون عائشة وحفصة قد اغضبتا رسول الله ﷺ وخالفتاه فطلقهما، وكذبتا

---

(١) مروج الذهب ٣٢٧/٢.

(٢) مسند أحمد ٢٢١/٦.

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٢٤٣/٦ حديث ٣١٠٤، ط. دار الريان، صحيح البخاري ٩٢/٤، ١٧٤، ٢٠/٥، ٩٥/٨، صحيح مسلم ١٧٢/٨، سنن الترمذي ٢٥٧/٢.

(٤) البداية والنهاية، ابن كثير ٢٤٥/٥.

(٥) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٧٨/٩.

(٦) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني ص٤٣.

(٧) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٠/٢، سنن الترمذي ٣٠٦/٢، مسند أحمد ٣/٣، ٦٢، ٨٢، الحلية، أبو نعيم ٧١/٥، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٢٣١/٩، ٢٣٢.

(٨) مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٤٥/٧، تاريخ أبي الفداء ٢٥٥/٢، تاريخ اليعقوبي ٢٢٥/٢.

عليه في الحديث.

١٢ ـ ومن يفعل هذه الأفعال يكون من السهل عليه ارتكاب جريمة أُخرىٰ، وهذا ما يؤيد إقدامها علىٰ قتل رسول البشرية ﷺ لتهيئة الأرضية لحكومة أبيها.

وأصدرت فتوىٰ بقتل عثمان بن عفان .وتسبَّبت في مقتل عشرين ألف مسلم في معركة الجمل، وقتلت ٦٠٠ رجل في البصرة[١] وسعت لقتل الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام في معركة الجمل.

١٣ ـ ويدعم ذلك الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ[٢].

ومثلما أُغتيل رجال الاغتيال كمحمد بن مَسْلَمة[٣]، فقد أُغتيلت عائشة بيد معاوية بن أبي سفيان[٤].

وأفعال حفصة أيضاً تؤيد الروايات الصحيحة في اشتراكها في قتل رسول الله ﷺ[٥]. فهي امرأة خشنة الطباع مع رسول الله ﷺ ومع سائر الناس.

وبينما تمتعت عائشة وحفصة في ظل خلافة أبويهما بأفضل معيشة دنيوية، في ظل خيرات البلدان المفتوحة، ابتلت فاطمة بنت محمد ﷺ بالحزن والحرمان والاغتيال ففي عمرها تعرضت للجوع والحرمان في حصار قريش لشعب أبي طالب وتعرضت للظلم في ظل حكم أبي جهل وأبي سفيان ثم تعرضت للقتل في زمن حكم أبي بكر وعمر فقالت:

صُبَّت عليَّ مصائب لو أنَّها صبَّت على الأيام صرن لياليا[٦]

---

(١) المنتظم، ابن الجوزي ٥ / ٨٥

(٢) تفسير العياشي ١/٢٠٠، البحار، المجلسي ٢٢/٥١٦، ٢٨/٢١.

(٣) الإصابة، ابن حجر ٣/٣٨٤.

(٤) الصراط المستقيم ٣ باب ١٢/٤٦، اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ذكره النابلسي في ثلاثيات مسند أحمد ٢/٤٨٩، والديار بكري في تاريخ الخميس ٢/١٧٣، والعلامة ابن

ـ

وكان رسول الله ﷺ قد هيأها لاستقبال المعضلات والمظالم وذلك من علائم النبوة له ﷺ إذ قال لها: يا فاطمة اصبري علىٰ مرارة الدنيا لنعيم الآخرة غداً، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَىٰ﴾[1]

وتختلف عائشة عن خديجة اختلافاً منهجياً إذ كانت شديدة الأخلاق حادة الطبع عنيفة المجابهة، وتحاول الإستفادة من شدتها في حل القضايا المعضلة عندها.

قالت أُم سلمة: إستيقظ رسول الله ﷺ ذات ليلة وهو يقول: لا إله إلّا الله ما فُتح الليلة من الخزائن؟ لا إله إلّا الله ما أُنزل الليلة من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجر، يريد به أزواجه... يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة[2]. في إشارة منه لنسائه المخالفات له! حديث رسول الله ﷺ هنا عام في الفتنة، وإنّ منبعها مسكن عائشة، فهل يقصد في ذلك اشتراكها في قتله ﷺ، كما جاء في الرواية أم يقصد اشتراكها في دعم مشروع السقيفة واغتصاب الخلافة، أم تحركها الواسع لرفض الثقل الثاني بعد القرآن أي أهل البيت ﷺ، أم اقتحامها معركة الجمل للمطالبة بدم عثمان وهي التي قتلته، أم هو ﷺ يقصد بحديثه المذكور مجموع تلك الفتن وغيرها التي صنعتها أم المؤمنين عائشة، أو اشتركت في حياكتها.

وكانت لحفصة وعائشة منزلة مشهودة في الشدّة والقسوة في التعامل مع رسول الله ﷺ، فنزلت في حقهما آيات قرآنية تشهد علىٰ ذلك، كما ذكرنا في هذا الموضوع إلّا أنّ منزلة عائشة أم المؤمنين كانت أشد بحيث أشار رسول الله ﷺ إلىٰ منزلها بأنه دار الفتنة ثلاث مرّات.

= سيد الناس في عيون الأثر ٢/٣٤٠، والسمهودي في وفاء الوفا ٢/٤٤٣، والنبهاني في الأنوار المحمدية ص٥٩٣.

(١) الضحى ٥. كنز العمال ١٢/٤٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللباس ٤/٣٣، صحيح الترمذي (الجامع ٤/٤٨٨)، ومسند أحمد (الفتح ٣٢/٣٤).

ولم تؤثر طول مدة الرفقة مع رسول الله ﷺ في عائشة والبالغة عقداً من الزمان، فقد بقيت شديدة قاسية لا ترحم من تبغض ولا تتوانىٰ في الدفاع عمن تحب.

ومنطقها منطق أهل الجاهلية كما قال الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم　　في النائبات على ما قال برهاناً

فالجاهلي كان يحب ويبغض طبقاً لعصبيته، ويثأر لها بكل السبل المتاحة، ولا يتوانىٰ عن حمل السلاح وطي المسافات الطويلة في سبيل غاياته وغايات قبيلته.

طبعاً كان ذلك من أعمال وصفات الرجال دون النساء إلّا ما شذّ وندر، ولقد فعلت أم المؤمنين عائشة ما عجزت عنه النساء في الجاهلية والإسلام.

قال تعالىٰ في كتابه الشريف:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولىٰ...﴾[1]

فألقت عصاها واستقرّ بها النوىٰ　　كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

وسجدت شكراً لله تعالىٰ[2].

وسمّت خادمها باسم عبد الرحمن؛ حباً وكرامة لعبد الرحمن بن ملجم الخارجي، الذي قتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.روي عن مسروق أنّه قال: دخلت علىٰ عائشة فجلست إليها فحدّثتني واستدعت غلاماً لها أسود يقال له عبد الرحمن، فجاء حتىٰ وقف، فقالت: يا مسروق أتدري لِمَ سمّيته عبدالرحمن؟

فقلت: لا.

قالت: حباً منّي لعبد الرحمن بن ملجم[3].

هذا في الوقت الذي روت فيه عائشة في أواخر أيام حياتها في الدنيا أنَّ رسول

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني ص٤٣.

(٣) كتاب الشافي ٤/١٥٨، الجمل، المفيد ص٨٤.

الله ﷺ قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب[١].

أي أنّها كانت تعرف ذلك وتكتمه عن الناس لمعارضتها الخليفة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد امتنع الإمام علي عليه السلام عن إثارة حفيظتها وإغضابها في أيام خلافته، إذ لبىٰ طلبها في عدم قتل المشاركين لها في حرب الجمل، والمختفين في بيتها في البصرة، ثم أكرمها وأعزّها وأرجعها إلىٰ بيتها في المدينة المنورة، بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر، احتراماً منه لرسول الله ﷺ.

وقد روت عائشة أنّ النبي ﷺ طلب من نسائه أثناء مرضه العلاج في بيتها، إلاّ انها كذّبت ذلك لاحقاً بقولها: ثم رجع ﷺ إلىٰ بيت ميمونة، فاشتدّ وجعه[٢].

وكانت عائشة قد تمارضت عندما شكىٰ رسول الله ﷺ مرضه، فقالت: واراساه.

فقال رسول الله ﷺ: بل أنا واراساه.

قالت عائشة: فتمنّىٰ رسول الله ﷺ موتي قائلاً: وددت أنّ ذلك يكون وأنا حي فاصلّي عليكِ وأدفنكِ[٣].

ورفعت عائشة صوتها علىٰ صوت رسول الله ﷺ فضربها أبوها[٤].

وكسرت إناء أمّ سلمة الذي قدمت فيه طعاماً لرسول الله ﷺ[٥].

ثم منعت عائشة مع مروان من دفن سبط النبي ﷺ الحسن بن علي عليه السلام مع جده

---

(١) مستدرك الصحيحين، الحاكم ٣/١٢٤، كنز العمال ٦/٤٠٠، الرياض النضرة ٢/١٧٧، ١٩٣، ذخائر العقبىٰ ص٧٧، حلية الأولياء ١/٦٣، تاريخ بغداد ١١/٨٩، مجمع الزوائد ٩/١٣١.

(٢) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٦.

(٣) الطبقات، ابن سعد ٢/٢٠٦.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/١٦١، كنز العمال ٧/١١٦.

(٥) صحيح النسائي باب الغيرة ٢/١٥٩.

رسول الله ﷺ، بعد أن سمّته جعدة بنت الأشعث[1].

وعن الفتنة قال رسول الله ﷺ: سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بسنّة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرور فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فنعنيها -وفي رواية -وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبىٰ علي[2].

وروىٰ أسامة بن زيد: أشرف النبي ﷺ علىٰ أطم[3]. من أطام المدينة ثم قال:هل ترون ما أرىٰ؟ إنّي لأرىٰ مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر[4].

مقتل جنّي في مسجد النبيﷺ

كانت أم المؤمنين عائشة تتوسل بالقوة لحل المعضلات وتضرب بيد من حديد كل من يخالف منهجها وأهدافها كائناً من كان. والبعض يتوسل بالصفح والعفو لحل المشكلات.

لذلك تصادمت مع رسول الله ﷺ ومع علي ﷺ ومع فاطمة ﷺ ومع غيرهم فرحموها استناداً إلىٰ منهجهم في إدارة الأحداث، وقياساً على تعاملها هذا لم تكن تتصوّر أنّ علياً ﷺ سيتعامل معها بلطف عال بعد معركة الجمل، لسجلها الخطير في معارضة أهل البيت ﷺ ومحاولاتها في تحطيم اطروحاتهم.

أمّا عن علاقة السيدة عائشة مع سائر الناس ففي رواية «كان جانٌ يطلع علىٰ عائشة، فحرَّجت عليه مرّة بعد مرّة فأبىٰ إلّا أن يظهر، فعدت عليه بحديدة فقتلته. فأُتيت في منامها، فقيل لها: أقتلتِ فلاناً وقد شهد بدراً، وكان لا يطلعُ عليكِ لا

(١) مختصر تاريخ دمشق .ابن عساكر ٧ / ٤٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن ١٨/١٤، ومسند أحمد (الفتح ٢١٥/٢٣) وكنز العمال ١٢١/١١، ١٢٢/١١.

(٣) الاطم: القصر أو الحصن.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الحج ٣٢٢/١، صحيح مسلم ١٨/٧.

حاسراً ولا متجردة، إلّا أنّه كان يسمع حديث رسول الله ﷺ، فأخذ منها ما تقدّم وما تأخر، فذكرت ذلك لأبيها. فقال: تصدّقي باثني عشر ألف ديته»[1].

بعد قراءتنا لهذه الرواية نفهم أنّ عائشة قد قتلت شخصاً مسلماً، قد اشترك في معركة بدر إلىٰ جنب رسول الله ﷺ.

ولكن يد السياسة قد حرّفت الخبر فقد نسخته جاناً بعد أن كان إنسياً، إذ لا يعقل قتل عائشة لفرد من الجن بيديها الضعيفتين! وهل يمكن قتل الجان؟

وكان الحزب القرشي قد تعوّد منذ الجاهلية إلقاء مسؤولية الأحداث على الجن، للهروب من تبعات الأمور ومخاطرها.

فقد قتل كفار قريش طالب بن أبي طالب في معركة بدر لمخالفته المشاركة في قتال رسول واتهموا الجن بقتله[2].

ولما قَتَلَ محمدُ بن مَسْلَمة (مأمور عمر الخاص) سعدَ بن عبادة في الشام سارعت السلطة لاتهام الجن بذلك. وأقدمت عائشة علىٰ تسطير شعر تأييداً لذلك![3].

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نُخطِ فؤاده[4]

والسؤال المفروض هو: من هو الصحابي المشارك في معركة بدر الذي قتلته عائشة بيديها؟

لقد كان منزل عائشة بجانب المسجد النبوي والحادثة وقعت في ذلك المكان، والمسلمون يزورون المسجد النبوي للصلاة فيه ليلاً ونهاراً، لكننا لا نعلم هوية الصحابي المقتول! وقد يكون الحباب بن المنذر المعارض لأبيها الذي مات في ظروف مشكوكة في ذلك التاريخ.

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢/١٩٦، ٢/١٩٨، تذكرة الحفاظ، الذهبي ١/٢٩.

(٢) السيرة الحلبية ٢ ١٥٤. تاريخ الطبرى ٢ / ١٤٤ .

(٣) تاريخ الإسلام، الذهبي ٣/١٤٩، أنساب الأشراف، البلاذري، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤/٢٤٧.

(٤) تاريخ الإسلام، الذهبي ٣ / ١٤٩ طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٨.

لقد عارض زعيما الأنصار سعد بن عبادة والحباب بن المنذر بيعة أبي بكر في السقيفة وكانا من أصحاب العقبة وحملة رايات الأنصار في حروب المسلمين.

وقد أنذرهما عمر بن الخطاب بالقتل في السقيفة بعدما وطأ الحزب القرشي جسم سعد ابن عبادة وكسر أنف الحباب وملأ فمه بالتراب [١].

وفعلاً وفىٰ عمر بن الخطاب بقوله فمحاهما من سجل المسلمين بمساعدة أعوانه!

والسؤال المفروض هو من قتل ذلك الصحابي وكيف؟

هل قتلته عائشة في المسجد النبوي أثناء سجوده؟ أم كان القاتل عمر، وهل حصل ذلك الصحابي علىٰ أسرار خطيرة أوجبت علىٰ عائشة قتله أم قُتل بمعارضته لبيعة السقيفة؟

أو قتُل للسببين المذكورين.

وكانت عائشة تجيز للرجال الدخول عليها بعد إرسالهم للرضاعة من أختها أُم كلثوم بنت أبي بكر بهذه الفتوىٰ الغريبة [٢].

وفي تلك الفترة حرّفت السلطة حديث الإفك النازل في تبرئة ساحة مارية القبطية إلىٰ عائشة.

ورغم تصدُّقها عن دية الصحابي المقتول لكنها لم تتصدق عمَّن تسببت في قتلهم في معركة الجمل، وغيرها وكان المغيرة بن شعبة قد قال لها: أنتِ قتلتِ عثمان [٣].

النبي ﷺ يتمنىٰ موت امرأة

جاء في رواية عن عائشة قولها: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يصدع، وأنا أشتكي رأسي فقلت وارأساه، فقال: بل أنا والله يا عائشة وارأساه.

---

(١) الامامة والسياسة ١ / ٨.

(٢) المجموع، النووي ١٨ / ٢١٢، المغني لابن قدامة ٩ / ٢٠١.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي ٤/٢٧٧.

ثم قال: وما عليكِ لو متَّ قبلي فوليت أمرك، وصليت عليكِ وواريتكِ؟

فقلت: والله إني لاحسب لو كان ذلك لقد خلوت ببعض نسائك في بيتي من آخر النهار، فضحك رسول الله ﷺ، ثم تمادىٰ به وجعه فاستعزَّ به»[1].

وقال رسول الله ﷺ: «ذاك (موتكِ) لو كان وأنا حي فأستغفر لكِ وأدعو لك.

فقالت: وا ثكلياه! واللهِ إنّي لاظنك تحب موتي، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك»[2].

لقد أدركت وعرفت عائشة من قول الرسول ﷺ المذكور كرهه لها وحبه لموتها العاجل فدهشت وصرخت. ولقد تمنىٰ النبي ﷺ موتها لمعرفته بالفتن التي ستخوضها من بعده والفتن التي تصنعها. ولم تصغ عائشة لقوله ولم تتمنَ ما تمناه لها، بل رفضت عرضه ودعاءه وأمنيته. وشكّكت في نواياه ﷺ فجعلتها نوايا دنيوية هدفها الرغبة في الزواج بنساء أخر وفي غرفتها!

وكان الأجدر بها أن توافق علىٰ رغبته ﷺ لتنال شفاعته في الآخرة ودعاءه بالمغفرة في الدنيا.

من غُير نسبه وصفته ؟

لقد غيَّر الرواة الأمويون والقصاصون كلّ ما استطاعوا تغييره ومن ذلك لون الصحابة وأصلهم وعبوديتهم. فقد كان عمر بن الخطاب عبداً حبشياً أسود اللون من عبيد الوليد بن المغيرة المخزومي فجعلوه حراً ومن ولد إسماعيل ﷺ وأبيض اللون!! وهذا الزيف المتعمد يفقد القارئ الثقة بأُولئك الكتاب والرواة.

وكانت صهاك جدّة عمر زنجية وكان نفيل جدّه زنجياً من الحبشة، وكانا من عبيد عبد المطلب بن هاشم، وكانت حنتمة أمُّ عمر ممن عثر عليها هشام بن المغيرة

(١) السيرة النبوية، ابن كثير الدمشقي ٤/٤٤٦، البداية والنهاية، ابن كثير ٥/٢٤٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام رقم ٥ ج٩/١٩٠.

المخزومي وربّاها[١] فأصبح عمر عبداً للوليد بن المغيرة المخزومي.

فقد جاء أنّ عمر بن الخطاب كان عسيفاً (عبداً) للوليد بن المغيرة المخزومي[٢].

وقال ابن حجر العسقلاني عن عمر بن الخطاب: كان أعسر يسراً طويلاً آدم شديد الأدمة[٣] (أي أسود اللون). وقال سفيان الثوري: كان عمر رجلاً آدم[٤].

وأقرَّ الواقدي بزنجيته قائلاً: إنَّ سمرته إنما جاءت من أكل الزيت عام الرمادة[٥].

فأراد الواقدي أن يبعد أصله الحبشي الزنجي عن أذهان الناس، لكنّه لم يعذر بلالاً الحبشي بأنّه أصبح أسود اللون من أكله الزيت في عام الرمادة!

لكن أتباع الخط القرشي الكارهين للون الأسود قالوا: كان عمر أبيض[٦].

وكان القرشيون يكرهون اللون الأسود لدلالته على العبودية والنسب الأفريقي فكانت هند بنت عتبة مغيلمة تحب السود من الرجال وكلما ولدت أسود قتلته![٧].

وكان أبو بكر وأبوه أبو قحافة من عبيد الحبشة واسم أبي بكر عَتيق.

وكان أسود اللون فقد ذكروه في جملة السودان فقال ابن الجوزي في كتاب عيون الأثر: «إن السودان: أسامة بن زيد وأبو بكر وسالم مولى أبي حذيفة وبلال بن رباح»[٨].

وسمّي عتيق لأنّه أعتق من العبودية، فجاء: «قال جبير بن مطعم بن عدي لعبده

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة، المعتزلي ٣/١٠٢، تهذيب اللغة ٨/١٢٢، تاج العروس، الزبيدي ١٣/١٨٨، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣/٣٢٨، مثالب العرب، الكلبي ص١٠٣.

(٢) أقرب الموارد، مادة عسف.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر ٧/٢٨٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الطرائف، ابن طاووس ٥٠١، تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي ٢٠٣، الغدير ١٠ / ١٧٠.

(٨) عيون الأثر، ابن سيد الناس ص٤٤٩، وقد حذف الناشرون ذلك في الطبعات الجديدة.

وحشي: «إن أنت قتلت حمزة عمّ محمد بعمّي طعيمة بن عدي فأنت عتيق»[١]، فعتيق هو كل من يُعتَق.

وكان أولاد أبي قحافة هم: عَتِيق وعُـتَيق ومُـعْتَق، وهـذه أسماء المُـعْتَقين مـن العبودية.

واعترف الشاعر عمير بن الأهلب الضبي المشارك في جيش عائشة في معركة الجمل بعبودية أبي بكر قائلاً:

أطعنا بني تيم بن مرة شقوة وهل تيم إلّا أعبد وإماء[٢]

لذلك قال أبو سفيان عن حكم أبي بكر: ما بال هذا الأمر في أقل قريش مكانة وأذلها ذلّة[٣]. أي أذلاء بالعبودية.

وقال قيس بن سعد بن عبادة لأبي بكر: ليس عندك حسب كريم[٤].

وقال عمر لابي بكر : والهفاه علىٰ ضئيل بني تيم[٥]. والضئيل هو العبد.

وكان أبو قحافة من عبيد عبد الله بن جدعان التيمي وعمله النداء علىٰ طعامه فجاء في حق ابن جدعان من الشعر:

له داعٍ بـمكة مشـمعل وآخر فوق دارته ينادي

فالمشمعل هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة والإثنان من عبيد عبد الله بن جدعان. قال هشام بن الكلبي: كانت أمُّ سفيان بن عبد الأسـد أمـة لابـن جدعان[٦]. فأُم سفيان وأُم عتيق من عبيد عبد الله بن جدعان.

---

(١) السيرة الحلبية، الحلبي ٢/٢١٧.

(٢) تاريخ الطبري ٣/٥٣١.

(٣) أخرجه الحاكم وصححه الذهبي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ص٦٦.

(٤) البحار ٢٩ / ١٦٧.

(٥) شرح النهج، المعتزلي ٢/٣١ـ٣٤.

(٦) مثالب العرب، هشام بن الكلبي ص١٣٩، طبعة دار الهدىٰ للتراث ـ بيروت، معجم البلدان، الحموي ٢/٤٢٤، ٥/١٨٥، السيرة النبوية، ابن كثير ١/١١٧.

وكان ابن جدعان أكبر تاجر للعبيد والإماء في مكة وصاحب أكبر دار لتوليد وبيع الأطفال، فقد كان يملك العشرات من الإماء اللواتي يعرضهن على الرجال فيحملن منهم ثم يبيع الأطفال من آبائهم أو من الغرباء[١].

وكان الزنا في الجاهلية عملاً عادياً وخاصة للإماء فيقع عشرات من الرجال على الأمة الواحدة مقابل دفعهم المال لمالكها، ثم يبيع المالك وليدها لمن شاء من الرجال أو يعطيه لأحد عبيده العاملين في خدمته فينسب إليه.

وبعد ذكرنا لتلك النصوص نفهم أنّ أبا بكر كان من العبيد السود، والعبيد السود في الأصل جاءوا إلىٰ مكة من الحبشة، ولأنه أُعتِق في بني تَيم فقد أصبح أبا بكر التَيمي.

وغيّر رجال البلاط وأتباع الهوىٰ لونه فأصبح أبو بكر أبيض وعربي وهو أسود وحبشي. متناسين نظرة الإسلام إلىٰ اللون والقومية في عدم الفرق عنده! بقوله تعالىٰ:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢] ولم يقل أبيضكم وقرشيكم.

وكان لقمان الحكيم من السودان[٣].

وكانت عائشة أيضاً سوداء اللون مثل أبيها، لكن الرواة المنصفون! جعلوها بيضاء اللون بل شقراء!

جاء في مصنفات الشيخ المفيد[٤]: وفي تأريخ يحيىٰ بن معين:

«سمعت يحيىٰ يقول: قال عباد: قلنا لسهيل بن ذكوان: هل رأيت عائشة أمّ المؤمنين؟

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) اعلام النبلاء، الذهبي ١/٣٥٥.

(٤) مصنفات الشيخ المفيد ١/٣٦٩ في الحاشية.

قال: نعم.

قلنا: صفها.

قال: كانت سوداء»[١].

وقال البخاري صاحب كتاب صحيح البخاري: «كانت عائشة أُدماء»[٢].

وجاء في كتابي ابن حبان والذهبي: حدثتنا عائشة وكانت سوداء[٣].

وقال ابن حجر العسقلاني: «إنَّها كانت أدماء (أي سوداء)[٤].

وقال ابن حجر العسقلاني ايضا: «بوجهها أثر جدري»[٥].

فتكون عائشة سوداء في وجهها أثر جدري.

وكان عثمان بن عفان أسود اللون وبوجهه أثر جدري وكذلك كان يزيد بن معاوية[٦].

وسميت بالحميراء في حديث الحوأب لأنها كانت سوداء مشربة بالحمرة، مثلما جاء في وصف الشريان:

هو شجر عضاه الجبال تُعمل منه القسي، وقوسه جيدة سوداء مشربة بالحمرة[٧].

وسمي الهنود الحمر في قارة امريكا الشمالية بالهنود الحمر.

وذكر أنّ النبي ﷺ قال: يا حميرا[٨].

ويتأسف المسلم للتغيرات الحاصلة في كتب السيرة والحديث بحيث تصبح

---

(١) مصنفات الشيخ المفيد ٣٦٩/١، تاريخ يحيى بن معين ٥٠٩/٣.

(٢) التاريخ الكبير، البخاري ١٠٤/٤.

(٣) المجروحون، محمد بن حبان التميمي ٣٥٢/١، ميزان الاعتدال، شمس الدين الذهبي ٢٤٢/٢، ٢٤٣.

(٤) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ١٢٤/٣، ١٢٥/٣، ١٢٥/٤ طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية في الهند.

(٥) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ١٣٦/٤، طبعة حيدر آباد ـ الهند.

(٦) تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٦٧.

(٧) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١٢٣٢/٤.

(٨) الدرجات الرفيعة ١٥.

السوداء شقراء ويصبح الكذاب موثّقاً وبالعكس.

ولأن بلال الحبشي الأسود من المعارضين للنظام فقد أبقوه على صفته أسود وحبشي، عقوبة له! بينما أصبح الرؤساء من البيض والعرب!

ولأن أبا بكر الحاكم الأول للمسلمين فقد حوّله الأمويون إلى أبيض وعربي، وأول من أسلم، وأقرب رجل للنبي ﷺ، وجعلوا عائشة أقرب امرأة للنبي ﷺ!، ولأن عمر أصبح الحاكم الثاني، فقد منحوه مرتبة المقرّب الثاني عند النبي ﷺ وهكذا!!

وهذا أمر طبيعي عند الحكومات في العالم فكل رجل يعارض الحكومة تتهمه بسيل من الصفات البذيئة المنبوذة وبمجرد سقوط الزعيم وأصحابه تنعت الحكومة الجديدة الرؤساء السابقين بالنعوت السيئة وهكذا!!

أما الصفات الراقية الحميدة فتحتكرها السلطات لأفرادها وزعيمها وتسبغهم بها ليلاً ونهاراً وهي منهم بريئة.

مَنْ قَتَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال الرسول ﷺ: «ما منّا إلّا مسموم أو مقتول»[1].

وقال رسول الله ﷺ أيضاً: ما من نبي أو وصي إلّا شهيد[2].

وقال الله تعالىٰ عن اليهود الذين قتلوا رسله:

﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق...﴾[3]

وقال رسول الله ﷺ لأصحابه: لتحذونّ حذو اليهود والنصارىٰ حذو القذة بالقذة فلو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه[4].

وفعلاً سار الحزب القرشي علىٰ خطىٰ اليهود الذين قتلوا يحيىٰ وهارون عليهما السلام وغيرهم وقتلوا رسول الله ﷺ وأولاده!.

ويسأل الكثير كيف قُتِل رسول الله ؟

جاء في روايتي البخاري ومسلم عن عائشة: «لددنا[5] رسول الله ﷺ في مرضه، فجعل يشير إلينا أنْ لا تلدوني. قلنا: كراهية المريض الدواء.

---

(١) كفاية الأثر للخرازي القمي ص١٦٢، وسائل الشيعة ١٤/٢، ١٨/١٤، البحارالمجلسي ٤٥/١، من لا يحضره الفقيه ٤،١٧، اعلام الورى ص٣٤٩، تاريخ الغيبة الصغرى ص٢٣٠.

(٢) بصائر الدرجات ص١٤٨، بحار الأنوار ١٧/٤٠٥، ٤٠/١٣٩.

(٣) النساء ١٥٥.

(٤) تفسير العياشي ٢ / ٤، تفسير ابن كثير ٢ / ١٤٨.

(٥) صحيح البخاري بشرح السندي ٣ / ٩٥ .صحيح البخاري ٧ / ١٧، ٨/ ٤٠ .صحيح مسلم ٧ / ١٩٨.٢٤.

فقال ﷺ: لا يبقَ في البيت أحد إلاّ لد، وأنا أنظر إلاّ عمي العباس فانه لم يشهدكم»[١].

ومن الأسئلة الخطيرة المطروحة هنا: من قَتَلَ رسولَ الله ﷺ؟

جاء عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام قال: «اتدرون مات النبي ﷺ أو قُتِل إن الله يقول: ﴿أفإن مات أو قُتِل انقلبتم علىٰ أعقابكم﴾[٢] فسمَّ قبل الموت إنّهما سمّتاه»[٣].

وتشير هذه الرواية إلىٰ أنّ عائشة وحفصة سقتاه السم وقتلتاه.

وجاء في رواية: عائشة وحفصة سقتاه (سماً)[٤].

وقال المجلسي: «يحتمل أن يكون كلا السمين دخيلين في شهادته»[٥].

ويقصد المجلسي بالسمَّين سم خيبر والسم الثاني الذي سقوه في أواخر أيامه في الدنيا.

وقد ذكرنا في بحث سم خيبر في هذا الكتاب أنّ السم الثاني هو الذي قتله، ولا أثر للسم الأوّل في ذلك لأن السم الأول كان في سنة ٧ هجرية في فتح خيبر بينما قُتِل الرسول ﷺ في سنة ١١ هجرية.

وثانياً أنّ النبي ﷺ عَرَفَ بمسمومية الطعام في خيبر بواسطة جبرئيل فلم يأكله.

وفي الحادثة الثانية جرّعوا النبي ﷺ السم في منامه، فدخل في جوفه وقتله!

وذكرت عائشة بعد سمّ النبي أنّه ﷺ قال لها: «ويحها لو تستطيع ما فعلت»[٦].

---

(١) صحيح البخاري ١٧/٧، ٤٠/٨، صحيح مسلم ٢٤/٧، ١٩٤.

(٢) النساء: ١٤٤.

(٣) تفسير العياشي ٢٠٠/١، البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، ٢١/٢٨.

(٤) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢.

(٥) البحار، المجلسي ٥١٦/٢٢، وقد ذكرنا أنّ سم خيبر كان قديماً قبل خمس سنوات، وكان النبي ﷺ لم يأكل طعام خيبر.

(٦) الطبقات، ابن سعد ٢٠٣/٢ طبعة دار صادر، بيروت.

وهذا اعتراف من النبي ﷺ ومن عائشة بأنها ارتكبت فعلاً شنيعاً بحق رسول الله ﷺ.

وجاء في رواية في البحار باجتماع الأربعة على سمّه[1]؛ وهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة .

جاء عن الامام أبي عبد الله الصادق عليه السلام[2]: «لا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلاّ أولاد الزنا»[3].

امتناع البعض عن المشاركة في مراسم جثمان النبي ﷺ

بعدما قبض رسول الله جاء آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله في الله عزاء من كل مصيبة و...والسلام عليكم .قال علي عليه السلام: هل تدرون من هذا؟ قالوا: لا .قال: انه الخضر عليه السلام .[4]

وأوصى رسول الله ﷺ عليا أن يغسله فقال علي عليه السلام: أخشى أن لا أطيق ذلك فقال ﷺ: انك ستعان من الملائكة ومات رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام في بيت فاطمة وغسله علي عليه السلام لوحده ![5].وأمر النبي ﷺ بدفنه في المكان الذي يموت فيه فدفن في بيت فاطمة عليها السلام.

وبعدما استشهد الرسول ﷺ منع عمر وعثمان وابن الجراح وأتباعهم من الأعراب دفن جثمان الرسول ﷺ في يومي الأثنين والثلاثاء بحجة عدم موته، وفي

---

(١) البحار، المجلسي ٢٢/٢٣٩، ٢٤٦ طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت .وتفسير علي بن إبراهيم القمي.

(٢) والصادق عليه السلام من ذرية رسول الله ﷺ ومن ناحية الام ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي حذيفة ولا ينتسب إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر.

(٣) العلل ص ٣١، البحار، المجلسي ٢٧/٢٤٠، كامل الزيارة ص٧٨، قصص الأنبياء (مخطوط).

(٤) مجمع الزوائد لابن حجر الهيثمي ٩ /٣٥.والكافي للكليني ٣/٢٢١.

(٥) طبقات ابن سعد ٢ / ٢٧٧ ط. دار صادر بيروت، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٣٨٢، ٣٩٣ دلائل النبوة، البيهقي ٧ / ٢٤٣ ط دار الكتب العلمية – بيروت.

يوم الثلاثاء عصرا جاء أبو بكر من السنح، فسمحوا لبني هاشم بغسل ودفن الرسول ﷺ ليشغلوهم ويذهبوا هم لاغتصاب الخلافة الإلهية، فلم يشتركوا في مراسم جهازه، وتأخر دفنه ﷺ إلى ليلة الأربعاء[١].

ولقد ابتعد الحزب القرشي عن المشاركة في مراسم تشييع خاتم الأنبياء ﷺ وذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة لانتخاب فرد من أفرادهم خليفة للمسلمين.

فلم يحضر أبو بكر وعمر غسل النبي ﷺ وتشييعه والصلاة عليه ودفنه! والدليل:

قال ابن أبي شيبة: «كان أبو بكر وعمر في الأنصار ولم يحضرا جنازة النبي ﷺ»[٢].

وحتى عائشة لم تحضر مراسم غسل ودفن النبي ﷺ بغيابها يومين! فقد قالت: «والله ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعت صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء»[٣].

لذا فقد قال ﷺ: إذا أُصيب أحدُكم بمصيبة فليذكر مصيبتَه بي فإنّها أعظم المصائب[٤].

وقد أثبتت أمهات الكتب الإسلامية ابتعاد هؤلاء عن حضور مراسم دفن رسول البشرية.

ويكاد الإنسان المسلم ينفطر فؤاده وتخمد نبضات قلبه لسماع هذا الخبر، فكيف يمتنع بعض الصحابة عن حضور مراسم دفن النبي ﷺ وهم يعلنون إسلامهم ويظهرون إيمانهم.

---

(١) الطبقات ٢/٢٧٣، طبعة دار صادر ـ بيروت.

(٢) المصنف، ابن أبي شيبة، باب المغازي، خلافة أبي بكر.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٦، سنن البيهقي ٣/٤٠٩، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٣٨٢، ٣٩٣.

(٤) الطبقات ٢/٢٧٥.

والمدهش في الأمر أنّ الجماعة التي قالت لرسول الله ﷺ يهجر في يوم شهادته هي نفسها التي ادعت عدم موته! وتسبَّبت في تأخير دفن جثمان النبي ﷺ واهانة مقامه الشريف.وقد افتعلت ذلك لتهيئة الأرضية لمشروع السقيفة واشغال بني هاشم بجهاز الرسول ﷺ.

وأعجب من ذلك امتناع حفار قبور المهاجرين عن حفر قبر رسول الله ﷺ:

إذ ذهب أبو عبيدة بن الجراح إلىٰ السقيفة لوضع حجر الأساس لخلافة قريش لرسول الله ﷺ علىٰ أن يكون هو ثالث الخلفاء[1]!.... يا للمصيبة .

ولما امتنع ابن الجراح عن ذلك اضطر بنو هاشم لدعوة حفار قبور الأنصار أبي طلحة زيد بن سهل ليحفر قبراً للنبي محمد ﷺ!![2]

وقد كان ابن الجراح من دهاة قريش المتربصين للوصول إلىٰ سدة رئاسة المسلمين وقد ذكره المغيرة بن شعبة قائلاً: داهيتا قريش أبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح[3].

وكان المسلمون يسمون كلا من المغيرة وعمرو بن العاص بالداهية.

ولما قتل المغيرة بن شعبة مسلماً في حصار الطائف مكرا قال صحابي عنه : إنّه داهية ولمّا كذّب أحد المنافقين معجزة المطر في حملة تبوك قال عمارة بن حزم عنه: إنّ في رحلي لداهية[4].

وبعد اطلاعنا علىٰ ترك الحزب القرشي لمراسم جهاز النبي ﷺ نقول:

إنّ العداء بين الحزب القرشي ورسول الله ﷺ لم يتوقف بل استمر واستفحل

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢ طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبقات ٢ / ٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/٤٥٢، أسد الغابة ٢/٢٨٩، تاريخ ابن الأثير ٢/٣٣٣ الطبقات ٢/٢٩٤، الروض الأنف ٧/٥٥٩.

(٣) تهذيب الكمال، المزي ٩/٣٦٤.

(٤) مغازي الذهبي: ٦٤١، تاريخ ابن الأثير ٢/٢٨٠، تاريخ الطبري ٢/٣٧١.

وأفضل مصداق لذلك حادثة العقبة، وحادثة الامتناع عن الالتحاق بحملة أسامة، وحادثة يوم الخميس، وحادثة منع دفن جثمان النبي ﷺ، وحادثة الامتناع عن المشاركة في مراسم دفنه. ونظرية رفض ثقل أهل البيت: بقولهم: حسبنا كتاب الله، وحادثة منع تدوين حديثه ﷺ.

والذين حضروا مراسم الصلاة على النبي ﷺ ودفنه مجموعة كبيرة من المسلمين علىٰ رأسهم بنو هاشم، فقد جاء عن زيد بن أرقم: «لولا أنّ علي بن أبي طالب ؑ وغيره من بني هاشم اشتغلوا بدفن النبي ﷺ وبحزنهم فجلسوا في منازلهم ما طمع فيها من طمع»[1].

اين دفن النبي ﷺ في غرفة عائشة أم في غرفة فاطمة ؑ ؟

أمر النبي ﷺ ان يدفن في المكان الذى يموت فيه .ويذكر أنّ حجرات أزواج رسول الله ﷺ كانت في قبلة المسجد[2] فنها رآىٰ رسول الله ﷺ أبا بكر قد وقف في مقام إمام الجماعة فخرج وأزاحه عن مكانه وصلّىٰ هو ﷺ إماماً بالمسلمين [3].

والغرفة التي دُفن فيها النبي ﷺ هي غرفة فاطمة ؑ التي مات فيها رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب ؑ .فأصبحت قبرا ومزارا له ﷺ اذ قال من حج فزار قبرى بعد وفاتى كان كمن زارنى في حياتى .

ولم تكن عائشة في غرفة فاطمة ؑ التى دفن فيها الرسول بل سمعت صوت المساحي من غرفتها كما قالت [4].

ثم دفنت الدولة فيها أبا بكر وعمر. ومنع الأمويون دفن الحسن ؑ فيها ثأراً

(١) الفتوح، ابن أعثم ١/١٢ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٢) البحار ٢٨ / ١٢٦.

(٣) تاريخ الطبرى ٢ ٤٣٩، سيرة ابن هشام ٤ / ٣٠١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٦/٢٦، سنن البيهقي ٣/٤٠٩، مختصر تاريخ دمشق ٢ / ٣٨٢، ٣٩٣.

لرفض الناس دفن عثمان الأموي فيها.

ولم تدفن عائشة فيها لأنها غرفة فاطمة عليها السلام وليس غرفتها ثم زيّفت الدولة الأموية ملكية غرفة فاطمة عليها السلام التي دفن فيها رسول الله ﷺ لصالح عائشة، لبيان موت النبي ﷺ في حجرها.

في حين صحّحت عائشة في أواخر أيام حياتها موت رسول الله ﷺ في حجر علي بن أبي طالب عليه السلام أي في غرفة فاطمة عليها السلام [1].

وبعد مقتل رسول الله جرت بين فاطمة وعائشة ابلاغات وحديث يوغر الصدور امتنع المعتزلي عن ذكره [2].

متى ارتحلت فاطمة عليها السلام ؟

لقد قتل رجال الحزب القرشي الكثير من الناس بوسائل مختلفة وعلىٰ رأس تلك الوسائل الاغتيال:فقد هجم عمر وأتباعه بأمر أبي بكر علىٰ بيت فاطمة عليها السلام، بعد يوم واحد علىٰ دفن رسول الله ﷺ، فضغط عمر باب بيت علي عليه السلام علىٰ فاطمة عليها السلام المتسترة خلف الباب، ودخلوا بيتها عنوة دون إذنها[3].

فاغتالوا فاطمة عليها السلام بعد اغتيالهم لأبيها ﷺ فقد ماتت بعد فترة وجيزة من ذلك الحادث قال اليعقوبي:إنّها عاشت بعد أبيها ثلاثين، أو خمسة وثلاثين يوماً، وهذا أقلّ ما قيل في مدة بقائها بعد أبيها[4].

وقالوا: عاشت أربعين يوماً.

---

(١) مجمع الزوائد ١ / ٢٩٣، ٨ / ٢٩٧، فتح الباري ٨ / ١٠٦، كتاب السنة، عمر بن أبي عاصم، الذرية الطاهرة، الدولابي ٩١، المعجم الكبير، الطبراني ١٢ / ١١٠، ٢٤ / ١٤٥، المناقب، الخوارزمي ٣٠٦، طبقات ابن سعد، ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ٨٩، مناقب الإمام علي عليه السلام ابن الدمشقي ١ / ١٠٩، كشف الخفاء، العجلوني ٢ / ٤١٨، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢ / ٢٢٩.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ١٤ / ٢٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/٥٨٦، اعلام النساء ٤/١١٤، مروج الذهب، المسعودي ٣/٧٧ طبع دار الهجرة.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/١١٥.

وقول ثالث خمسة وسبعين يوماً وهو الأشهر. والرابع خمسة وتسعين يوماً وهو الأقوىٰ[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: إنها قبضت في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه سنة إحدىٰ عشرة من الهجرة[٢].

وامتنعت سيدة نساء العالمين من التحدث إلىٰ أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة من يوم قُتِل أبوها إلىٰ أن ماتت[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١٥، وأيام البكاء علىٰ مقتل فاطمة عليها السلام والمسماة بالفاطميات تقام في:
الفاطمية الأولى: ٩ ربيع الثاني برواية شهادتها بعد مرور ٤٠ يوماً اثر شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.
الفاطمية الثانية: ١٥ جمادى الأول برواية شهادتهابعد مرور ٧٥ يوماً اثر شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله.
الفاطمية الثالثة: ٣ جمادى الثاني برواية الإمام الصادق عليه السلام بشهادتها بعد مرور ثلاثة اشهر على شهادة رسول الله.

(٢) دلائل النبوة، الطبري ص ٤٥.

(٣) صحيح البخاري، باب فرض الخمس ١٧٧/٥، تاريخ الطبري ٢٠٢/٣، الامامة والسياسة ١٤/١، اعلام النساء ٣١٤/٣، صحيح مسلم ص١٢٥٩.

الباب الرابع:

من مواضيع السيرة

الفصل الاول

من اخلاق وصفات





أخلاق رسول الله ﷺ

يتكلم بعض المغفلين على الانبياء ومنهم يوسف ﷺ متهمين اياه بالرغبة في ارتكاب الزنا في قوله تعالى «وهم بها»[١].

كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلّا على ذكر، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يردّه إلّا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً.

وصاروا عنده في الحق متقاربين يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون الكبير ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

وكان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخُلُق، ليّن الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والإكثار في الكلام وما لا يعنيه.

---

(١) ولقد تعرضت شخصيا لهذه الفتنة في اليابان اذ تزينت المرأة المحصنة التى كنت في بيتها بحضور ابنها الصغير ولم اعلم بخروج زوجها فاغلقت باب غرفتى وامتنعت منها بالعناية الالهية ثم طلبت مني كتبيا ذلك جهلا منها وحماقة فهربت من البيت.

وترك الناس من ثلاث، كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلّا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ونصتوا له حتى يفرغ، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، ولا يقبل الثناء إلّا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.

وكان سكوته ﷺ على أربع: الحلم والحذر والتقرير والتفكر.

ولقد دخل رسول الله ﷺ المسجد وعليه ثوب نجراني غليظ الصَّفَّة فأتاه أعرابي من خلفه فأخذ بجانب ردائه فاجتذبه حتى أثَّرت الصفة في صفحة عنق رسول الله ﷺ فقال:

يا محمد أعطنا من مال الله عزَّ وجلَّ الذي عندك، فتبسم رسول الله ﷺ وأمر له[١].

وقالت عائشة: مارأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له ولا امرأة قط، ولا ضرب بيده شيئاً إلّا أن يجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، ولا نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلّا أن يكون لله، فإن كان لله انتقم[٢]. فوصفه الله تعالى بأسمى وصف: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٣].

ولم يكن لرسول الله ﷺ اسم في مكة غير الصدوق الأمين[٤].

وكان رسول الله ﷺ لا يتكلف في أموره يأكل على الأرض، ويجلس ويمشي في الأسواق، ويلبس العباءة، ويجالس المساكين ويقعد القرفصاء ويتوسَّد يده ويقول: إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد[٥].

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢/ ٨٠، ٨١

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة القلم ٤.

(٤) عيون الأثر ١/ ٦٩، البدء والتاريخ، البلخي ٢/ ٤٦.

(٥) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤/ ٢٣٧.

وكان رسول الله ﷺ فرداً مثل سائر الناس لا يتميز عليهم برئاسة، ولا يتكبر عليهم بنبوة ولا يشمخ عليهم بنسب.

بينما تلاحظ أغلب الناس سابقاً ولاحقاً يترفعون على سائر الأمّة بعلومهم ومناصبهم وأنسابهم وأموالهم الوضيعة.

فقد دخل رجل على النبي ﷺ وأصحابه فلم يعرفه ﷺ لعدم تميزه عنهم بمجلس سامٍ ولباس فاخر وحرس زاجر مما اضطره للقول: أيّكم محمد؟

فقالوا له: هذا الرجل الأبيض المتكيء[1].

وقد وصف جعفر بن أبي طالب الرجل الجاهلي خير وصف لتتوضح رسالة الأخلاق التي قادها رسول الله ﷺ إذ قال لملك الحبشة:

«كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منّا الضعيف.

فكنا على ذلك حتى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة...»[2].

وقد وصفه محمد بن إسحاق قائلاً:

كان أعظمهم خَلقاً وأكرمهم مخالطة وأحسنهم جواراً، وأعظمهم خُلُقاًوأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى ما كان اسمه في قومه إلّا الأمين لما جمع الله عزَّ وجلَّ فيه من الأمور الصالحة[3].

---

(١) فتح الباري ١/١٣٩ ـ ١٤١، تاريخ الطبري ٢/٣٨٤، البداية والنهاية ٥/٦٠.

(٢) البداية والنهاية ٣/٧٣ ـ ٧٤، تاريخ الخميس ١/٢٦٠.

(٣) سيرة ابن اسحاق ٧٨، دلائل النبوة، البيهقي ١/٩٠.

وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلّا قال لبيك[١].

وكان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها[٢].

وقال النبي ﷺ: إفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام[٣].

وصفات رسول الله ﷺ الحميدة توجب علينا معرفتها واتّباعها، فهو لا يضحك إلّا نادراً بل يتبسم حتىٰ قالوا ما كان أحد أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يخزن لسانه إلّا فيما يعنيه ويؤلّفهم ولا ينفّرهم، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترز منهم، ويتفقد أصحابه ويحسّن الحسن ويقويه ويقبّح القبيح ويوهنه، وكان لا يقوم ولا يجلس إلّا علىٰ ذكر فكان دائم البشر سهل الخُلق ليّن الجانب ليس بعيّاب ولا مدّاح وكان ينام علىٰ الحصير فيؤثر في جنبه .

وكان النبي ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكرة لا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

ودعا خاتم الأنبياء إلىٰ الخير والصلاح والعدل قائلاً:النظافة من الايمان . ومن أخلاق الأنبياء التنظف [٤].

وأحسنوا مجاورة النعم وموجبات النعم قالها الله تعالىٰ:

﴿ولو أنّ أهل القرىٰ آمنوا واتّقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾[٥].

وقال زعيم الحضارة الانسانية ﷺ: لا تستعن بنعمه علىٰ معاصيه[٦].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ٣٠ / ٨١، الدر المنثور ٨ / ٢٤٣، اسباب النزول للواحدي ٢٩٣.

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٤٨٨، صحيح البخاري ٣ / ١٣٠٦.

(٣) المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤، سنن ابن ماجة ١ / ٤٢٣، مسند أحمد ٦ / ٦٣١.

(٤) البحار ٧٨ / ٣٣٥.

(٥) الأعراف ٩٦.

(٦) البحار ٧٧ / ١٩.

وإنّ الله تعالىٰ يحب أن يرى أثر نعمته علىٰ عبده[١]. كما قال تعالىٰ ﴿وأمّا بنعمة ربّك فحدّث﴾[٢].

ومن نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم[٣].

وأعون شيء علىٰ صلاح النفس القناعة، ومن لم يهذب نفسه لم ينتفع بـالعقل. وكيف ينصح غيره من يغشّ نفسه، وآفة النفس الوله بالدنيا.

وما أقبح بالإنسان أن يكون ذا وجهين، والمنافق من إذا وعد أخلف وإذا فعل أساء وإذا قال كذب وإذا ائتمن خان، وإذا رزق طاش[٤].

ومن علامات المنافق قساوة القلب والإصرار علىٰ الذنب والحرص علىٰ الدنيا وإذا خاصم فجر[٥].

والمنافقون لا يقربون المساجد إلّا هجراً ولا يأتون الصلاة إلّا دبراً مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون خشبٌ بالليل سخب بالنهار.

وأمر رسول الله ﷺ باتّباع الجنائز وعيادة المريض وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وإجابة الداعي وإبرار القسم[٦].

وقال رسول الله ﷺ: من سمع فاحشة فأفشاها فهو كمن أتاها ومن سمع خيراً فأفشاه فهو كمن عمله.

---

(١) سنن الترمذي ١٠ / ٢٥٩.

(٢) الضحىٰ ١١.

(٣) نهج البلاغة حكم ٧٣.

(٤) البحار ٧٢ / ٢٠٧.

(٥) البحار ٧٢ / ١٧٦.

(٦) البحار ٧٦ / ٢٤٠.

وإذا أويت إلىٰ فراشك فانظر ما كسبت في يـومك وإذكـر أنّك مـيّت وأن لك معاداً[١].

وتهادّوا تحابّوا فإنها تذهب الضغائن[٢].

وإن الله تعالىٰ يحبُّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه، وكفىٰ بالمرء عيباً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه. ومن ستر أخاه في فاحشة رآها عليه ستره الله في الدنيا والآخرة[٣] وقد قال تعالىٰ: **﴿ويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزة﴾**

وإياك وما يعتذر منه، وأحب لاخيك ما تحبُّ لنفسك[٤] وبالمواعظ تنجلي الغفلة، وكرم الدنيا الغنىٰ وكرم الآخرة التقوىٰ وقال الله تعالىٰ:

﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[٥]

﴿ومن يتّقِ الله يجعل له مخرجاً﴾[٦].

واحذر كلَّ عمل يُعمل في السر ويستحىٰ منه في العلانية[٧].

ومن غشّنا ليس منّا وليس في ديننا غش ولا يحلُّ لأحد أن يتصرّف في مالِ غيره بغير إذنه[٨].

وقال رسول الله ﷺ: إياك والغضب فأوّله جنون وآخره ندم[٩].

وإياك وحب الدنيا فإنها رأس كل خطيئة[١٠] وأهل الدنيا من كثر أكله وضحكه

(١) البحار ٧٦ / ١٧٩.

(٢) الكافي ٥ / ١٤٤.

(٣) كنز ٤٤١٥٤.

(٤) البحار ٧٣ / ١٦٨.

(٥) الحجرات ١٣.

(٦) الطلاق ٢.

(٧) نهج البلاغة كتاب ٦٩.

(٨) وسائل الشيعة ج ١٧ / ٣٠٩.

(٩) البحار ٧٣ / ٢٦٦.

(١٠) البحار ٧٣ / ٧٦.

ونومه وغضبه، يحمدون أنفسهم بما لا يفعلون ويدّعون بما ليس لهم ويتكلمون بما يتمنّون، ويذكرون مساوىء الناس ويخفون حسناتهم [١].

فالنبي محمد ﷺ زعيم الحضارة وأبوها في هذه الدنيا، والناس عالة عليه أخذوا ذلك منه من سيرته الصادقة ومن أفعاله الناطقة فكان نموذجاً في الأخلاق وقدوة في السيرة.

قال كاتب قصّة الحضارة ول ديورانت في وصف الحضارة إنّها الرقّة في المعاملة.

وكان محمد ﷺ رقيقاً في كلامه وحركاته وسكناته فهو أس الأساس في أخلاق الإنسانية.وقد حذره الله تعالىٰ من الخشونة في المعاملة قائلاً:

﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[٢]

زهده وكرمه ﷺ

قال ﷺ عَرَض عليَّ ربِّي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا شبعتُ حمدتك وشكرتك وإذا جُعتُ تضرّعت إليك ودعوتك[٣].

ولم يتخذ رسول الله ﷺ من شيء زوجين ولا قيصين ولا ردائين ولا إزارين ولا من النعال[٤].

فكان لا يدَّخر شيئاً، وما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتىٰ فارق الدنيا.

وكان يظل اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه وكان كثيراً ما يشد علىٰ بطنه حجراً[٥].

---

(١) البحار ٧٧ / ٢٤.

(٢) آل عمران ١٥٩.

(٣) الوفاء باحوال المصطفىٰ ٤٢٠ ـ ٤٧٩، عيون الأثر ٤١٣ ـ ٤١٦.

(٤) الوفاء باحوال المصطفىٰ ٤٨٠، عيون الأثر ٤١٣ ـ ٤١٦.

(٥) الوفا باحوال المصطفىٰ ٤٨٦، عيون الأثر ٣١٤ ـ ٤١٦.

ومات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونه عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير! [١].

وما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتىٰ قُبض ﷺ [٢].

وقال الرسول ﷺ: مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلّا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها[٣]. وكان فراش رسول الله ﷺ من أدم وحشوه من ليف[٤].

وقال ﷺ: إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه.

وأفضل الأعمال اطعام الطعام وأطياب الكلام [٥].والعلم بالله والفقه في الدين وإدخال السرور علىٰ المؤمنين[٦].

الاطباع الخشنة

وكان أبو سفيان وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان متطبعين بالخشونة والبخل في الأفعال والأقوال. فقد جاء رجل الى النبي ﷺ فسأله ان يعطيه فقال النبي ﷺ ما عندي شيء ولكن استقرض حتى يأتينا شيء فنعطيك. فقال عمر يا رسول الله هذا اعطيته ما عندك فما كلفك ما لا تقدر عليه فكره النبي ﷺ قول عمر حتى عُرف في وجهه فقال رجل من الانصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول الله حتى عُرف البشر في وجهه ثم قال بهذا امرت .

وقال عمر لرسول الحضارة والأخلاق إنّه يهجر. والمجموعة الخشنة خالفت رسول الله ﷺ في العقائد والفقه والأخلاق ولما أرادت السيطرة علىٰ الحكم بانقلاب عسكري لاحظت مخالفة الأنصار لمنهجها وتأثرهم بالاخلاق النبوية

---

(١) صحيح البخاري ٣ / ١٠٨٣، سنن الترمذي ٣ / ٥١٩، سنن النسائي ٤ / ٣٨.

(٢) صحيح مسلم ٥ / ٤٨٤، صحيح البخاري ٥ / ٢٠٥٥، مسند أحمد ٣ / ٥٨٢.

(٣) سنن الترمذي ٤ / ٥٠٨، سنن ابن ماجة ٢ / ١٣٧٦، مسند أحمد ١ / ٤٩٦.

(٤) سنن أبي داود ٤ / ٧١، صحيح البخاري ٥ / ٢٣٧٢ سنن الترمذي ٤ / ٢٠٨.وأدم يعني جلد .

(٥) البحار ٧١ / ٣١٣.

(٦) البحار ٧٤ / ٣١٣.

فاعتمدوا علىٰ الأعراب الساكنين خارج المدينة وعلىٰ رأسهم قبيلة أسلم فأدخلوهم المدينة ورغّبوهم بالأموال فامتلأت سكك المدينة بهم ولما رآهم عمر قال:

ما هو الآن رأيت أسلم حتىٰ أيقنت بالنصر[١].

وفي السقيفة رفض زعيم الأنصار ذلك المنهج الخشن في الاستيلاء علىٰ الخلافة فهجم عليه الأعراب ووطأوا جسمه بأرجلهم الفظة.ولما احتج الحباب بن المنذر علىٰ هذا المنهج الأعرابي المخالف لمنهج الحضارة هجم عليه الأعراب وكسروا أنفه وملأوا فمه بالتراب ووعده عمر بالقتل وفعلاً قتل عمر بن الخطاب سعد بن عبادة والحباب بن المنذر المعارضين للأخلاق الجاهلية في الحكم والسياسة.

ولما هجم بعصبته علىٰ بيت فاطمة بنت محمد ﷺ وجمع الحطب علىٰ بيتها لاحراقها واولادها وزوجها قالوا له: إنّ في البيت فاطمة قال عمر: وإن [٢]

ولم تحضر عائشة جنازة فاطمة ﷺ وأظهرت مرضاً ونقل إلىٰ علي ﷺ كلام يدل علىٰ سرورها[٣].

وأحرق عمر بن الخطاب كتب البشرية الموجودة عند الفرس والروم والقبط بعد استيلاء المسلمين علىٰ العراق والشام ومصر[٤]. واظهر خشونة لم يفعلها انسان قط .

وأصدر عثمان ابن عفان أمراً بضرب عبدالله بن مسعود في مسجد النبي ﷺ فهجموا عليه وكسروا ضلعه وقتلوه، وذنبه أنّه أشكل علىٰ توزيع الخليفة للأموال في صفوف أفراد عشيرته![٥]

ولما أشكل عمار بن ياسر علىٰ توزيع عثمان للأموال في أفراد قبيلته قام إليه عثمان

---

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٥٨.

(٢) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨، الامامة والسياسة ١٢، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨.

(٣) شرح النهج ٩ / ١٩٨ ط. دار احياء التراث بيروت.

(٤) كشف الظنون ١/٤٤٦، تاريخ ابن خلدون ١ /٣٢، فهرست ابن النديم ٣٣٤، تاريخ التمدن الأسلامي ٣/٤٢.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ /١٦٢.

بنفسه فضربه بيده ورفسه برجله حتىٰ فتق بطنه [١].

وقد رفس أبو سفيان قبر حمزة قائلاً:إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم[٢] ولاكت زوجته كبد حمزة.

وكان الصراع الحضاري بين أتباع الأخلاق وأتباع الجهل مستمراً فقد منع معاوية بن أبي سفيان الماء عن جيش الإمام علي بن أبي طالبﷺ لقتلهم عطشاً كما فعل أبو جهل بالمسلمين في معركة بدر.

ولمّا استولىٰ أمير المؤمنينﷺ علىٰ الماء سمح لجيش معاوية بالشرب منه لأنّ الدين والمدنية والإنسانية تفرض عليه التعامل مع الناس بأخلاق فاضلة![٣]

ولكن أصحاب المنهج الجاهلي أصرّوا علىٰ غيّهم مرة أخرىٰ بمنعهم الماء عن الحسين بن عليﷺ وأهل بيته وأنصاره في كربلاء وقتلهم عطشاً[٤].

ورغم الأخلاق العالية التي مارسها الحسن بن عليﷺ مع معاوية بتنازله عن الحكم لصالحه تنكّر معاوية لوثيقة الصلح واغتال الحسنﷺ!

وهجمت عائشة والأمويون علىٰ جنازته بالسهام[٥] ومنعوه من أن يدفن مع جده في غرفة أمّه فاطمةﷺ و لسان حال يزيد بن معاوية:

لا خبر جاء ولا وحي نزل[٦].

واستمرت حالة الصراع بين أتباع الحضارة وأتباع الجهل وكثيراً ما ينتصر أتباع الجهل بقسوتهم ومكرهم وبطشهم.

ومنذ القدم إلىٰ يومنا هذا يتلبّس أتباع الجهل بلباس المدنية ويتشدّقون

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ / ٤٤٠.

(٢) النزاع والتخاصم ٨٤.

(٣) صفين ١٦٠. تاريخ أبي مخنف ١ / ١٥٩.

(٤) الاخبار الطوال ٢٤٨.

(٥) شرح النهج ١٦ / ١٤. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي ١٩٣، مقاتل الطالبيين ٧٤ ز

(٦) الانوار القدسية ١٣٠.

بأحاديث الأنبياء ولأن والدة حكيم بن حزام قد شاركت في معركة بدر مع ابنها دفاعاً عن الجاهلية والوثنية فقد منحها القرشيون وسام الولادة في جوف الكعبة واستمرّت وابنها في محاربة الإسلام رغم تكرّم رسول الله ﷺ بإطلاق سراحها[1] بعد معركة بدر.

هل كان النبي الأمي يقرأ ويكتب؟

لقد كثر الإختلاف في أميّة الرسول ﷺ فنهم من ذهب إلىٰ أمّيته ﷺ بالاعتماد علىٰ الكتاب والسنة ومنهم من ذهب إلىٰ قدرته علىٰ القراءة والكتابة بالاعتماد علىٰ الكتاب والسنة أيضاً!! فكيف ذلك؟

ذكر القرآن الكريم أميّة النبي ﷺ قبل البعثة فلم يلتفت البعض إلىٰ ذلك الفرق. قال الله تعالى:

﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾[2].

وكلمة تتلو في الآية تخص الكتب المقدسة والكتب العادية أي أنّك لم تتلو التوراة والإنجيل من قبل ولم تكتبها بيمينك. أي أنّه ﷺ لا يحسن الكتابة قبل البعثة ثم تعلّمها من جبرئيل بعد النبوة. والمبطلون يرتابون بما كان قبل البعثة لا بعدها.

فحرّم الله تعالىٰ عليه الكتابة وقول الشعر تأكيداً لحجته وبياناً لمعجزته وحتىٰ الكفار لم يتهموه بأنّه يحسن القراءة والكتابة قبل البعثة بنص القرآن:

﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾[3] أي اكتتبها آخرون ويقرأون له، ولم يتّهموه بالقراءة والكتابة وكان أهل الجاهلية لا يحسنون القراءة والكتابة سوىٰ أفرادٍ قليلين بعد أن اجتمع ثلاثة نفر من طيء فوضعوا الخط

---

(١) راجع موضوعي ولادة علي في جوف الكعبة ومعركة بدر في هذا الكتاب.

(٢) العنكبوت ٤٨.

(٣) الفرقان ٥.

وقاسوا هجاء العربية علىٰ هجاء السريانية فتعلّمه قوم من أهل الأنبار ثم تعلمه أهل الحيرة ثم تعلّمه منهم أهل مكة[١].

وما بعد عصر الرسالة اختلفوا أيضاً في أنّهﷺ هل كان يقرأ ويكتب أم يقرأ فقط.

ورواية قراءة النبيﷺ لرسالة العباس له قبل معركة أحد في مصدر أنّهﷺ قرأها[٢] وفي مصدر قرأها أبي بن كعب[٣].

وقال الكثير إنّهﷺ كان يقرأ ويكتب بعد البعثة النبوية ومن هؤلاء العلماء المرتضى، والشعبي.

وفي عصر الرسالة ليس عندنا دليل علىٰ أنّ النبيﷺ كتب رسالة بيده والقرائن والدلائل تؤيد ذلك أمّا قراءته لرسالة ما فمختلف فيه.

ففي صلح الحديبية كان كاتب الوثيقة عليعليه السلام واختلف في محو عبارة رسول اللهﷺ من الوثيقة بعد طلب الكفار ذلك هل النبيﷺ قرأها ومحاها أم عليعليه السلام أشار إليها ومحاها النبي[٤].

وليس عندنا فرصة أكثر هنا لإشباع التوق والتطلع الموجود عند القارىء العزيز.وجاء أنّ النبيﷺ هو الذي كتب في تلك الصحيفة محمد بن عبد الله[٥].

ولقد ذكر البعض دون دراية أميّة النبي ﷺ بمعنى عدم معرفته بالقراءة والكتابة بعد البعثة النبوية في حين قال الإمام علي الرضاعليه السلام: «كذبوا عليهم لعنة الله أنّى يكون ذلك ويقول الله عزّ وجلّ في كتابه:

---

(١) فتوح البلدان، البلاذري ص ٥٨٠، ط، دار النهضة - مصر، مقدمة ابن خلدون.

(٢) البحار ١٦ / ١٣٢.

(٣) سيرة زيني دحلان ١ / ٢٢٩ ط. دار المعرفة - بيروت.

(٤) تاريخ اليعقوبي ١ / ٥٤.

(٥) تاريخ ابن خلدون ٢ / ٤٤٨.

﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾(١) فالأمي هو الذي لم يطلع علىٰ المتون السامية القديمة ولم يتبع الديانتين المسيحية أو اليهودية.

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، واللهِ لقد كان رسول الله ﷺ يقرأ ويكتب باثنتين وسبعين لساناً، وإنما سمّي الأمي لأنه من أهل مكة، ومكة من أمّهات القرى، وذلك قول الله في كتابه **﴿لتنذر أمّ القرى ومن حولها﴾**(٢).

وأطلق القرآن كلمة الأُميين علىٰ العرب قبل الإسلام لعدم اطلاعهم علىٰ الكتب المقدسة.

وكانت أول آية قرآنية نزلت على رسول الله ﷺ هي:

﴿اقرأ بإسم ربك الذي خلق﴾(٣) وهي دلالة علىٰ قدرة النبي محمد ﷺ علىٰ القراءة بنفسه فقرأ رسول الله ﷺ ما أنزله الله تعالى.

وقد الحّ الحزب القرشي في وصم رسول الله ﷺ بالأمية، ووصف أفراده أمثال ابن العاص ومعاوية بالقدرة علىٰ القراءة والكتابة! للنيل من النبي ﷺ! وكيف يكون علي بن أبي طالب عليه السلام (تلميذه) قادراً علىٰ القراءة والكتابة وأستاذه صاحب مدينة العلم غير متمكن منها! وهل القراءة والكتابة صعبة إلىٰ هذه الدرجة الخطيرة! وقد قال تعالىٰ: العلم نور يقذفه الله في قلب من يريد.

ولمّا كان كل كلام مخالف للقرآن باطلاً فنتثبت عندها حقيقة ما ورد في الآيات القرآنية أعلاه.

وجاء بأنّه لمّا أراد عيسىٰ عليه السلام بعث حواريه لدول العالم آنذاك دعا الله تعالىٰ فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وُجّه إليهم(٤).

---

(١) الجمعة ٢.

(٢) الأنعام ٩٢، معاني الأخبار، الصدوق ٥٣، البحار ١٢٨/٦.

(٣) العلق ١.

(٤) الروض الأنف ٧ / ٤٦٦.

واهتمام رسول الله ﷺ بالقراءة والكتابة كان إلىٰ درجة إعلانه عن إطلاق سراح كل أسير من أسرىٰ معركة بدر مقابل تعليمه عشرة مسلمين القراءة والكتابة[1]. فهل يعلّم النبي ﷺ الناس القراءة والكتابة ويترك نفسه أميّاً دونهم؟

ويدعي الفريق الأوّل أنّ الحكمة في أمّية رسول الله ﷺ واستمرارها إبراز معجزة القرآن الكريم ونفي الادعاء الجاهلي بكتابة القرآن من قبل النبي ﷺ. وقد استمر هذا الادّعاء إلىٰ نهاية حياة رسول الله ﷺ.

ويدعي الفريق الثاني انتهاء أميّة رسول الله ﷺ بالبعثة النبوية ﴿**إقرأ باسم ربك**﴾.

لتظهر معجزة إلٰهية أخرىٰ تتمثل في تعلمه القراءة دون معلم. وعلىٰ كلا المنحيين فإنّ المعجزة القرآنية بيّنة واضحة لا يرتقي الإنس والجن لكتابة نظير لها.

والمعجزة القرآنية لا تعتمد علىٰ أميّة النبي ﷺ بل ترتكز علىٰ البلاغة والإحاطة الغيبية بالأحداث والقدرة العلمية الإلٰهية. ويتوضّح عندها أحقيّة الرأي الثاني.

اخبار النبي ﷺ عن المغيبات

وأخبر ﷺ عن مقتل أمية بن خلف، وفعلاً قُتِل في معركة بدر[2].

وأخبر النبي ﷺ بقتله أبي بن خلف[3]. وفعلاً قتله رسول الله ﷺ في معركة أحد، ولما قال الكفار له: ما أجزعك إنّما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: أنا أقتل أبياً[4].

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح خيبر على يد علي ﵇ قائلاً:

---

(١) مسند احمد ١ / ٢٤٧. تاريخ الخميس ١ / ٣٩٥.

(٢) سنن البخاري ٦١ كتاب المناقب ٢٥، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٩٢٩ ح ٣٦٣٢ دلائل النبوة، البيهقي ٣/٢٦، مسند أحمد ١/٤٠٠.

(٣) المغازي، الواقدي ١/٢٥٠، المستدرك، الحاكم ٢/٣٢٧، دلائل النبوة ٢/٢٥٨.

(٤) السيرة النبوية، ابن هشام ٣/١٦٦، الطبقات، ابن سعد ٢/٤٦، عيون الأثر، ابن سيد الناس ٢/١٥.

لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فأعطاها رسول الله ﷺ إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ففتح الله تعالى عليه[1].

وأخبر بمقتله في السنة الحادية عشرة قائلاً لفاطمة عليها السلام: إنَّ جبرئيل كان يعارضني بالقرآن كل سنة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلَّا حضر أجلي، وإنكِ أول أهل بيتي لحوقاً بي[2] فقُتِل في ذلك العام.

وأخبر رسول الله ﷺ بغدر الأمة بعلي عليه السلام من بعده، فقال عليه السلام: عهد إليَّ النبي ﷺ أن الأمّة ستغدر بي من بعده[3].

وأخبر رسول الله ﷺ بقتال الزبير لعلي عليه السلام قائلاً للزبير: لتقاتلنه وأنت ظالم له ثم ليُنصرن عليكَ[4].

أخبر رسول الله ﷺ بالكثير من الأحداث المستقبلية التي أدهشت الناس مثل فتح الحيرة قائلاً: مثلت لي الحيرة كأنياب الكلاب وإنكم ستفتحونها[5].

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح المدائن عاصمة الفرس قائلاً: لتفتحن عصابة من المسلمين كنوز كسرى التي في القصر الأبيض[6].

وأخبر رسول الله ﷺ بفتح مصر قائلاً: إنكم ستفتحون مصر[7].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد ١٤٣، باب فضل من أسلم على يديه رجل ٦/١٤٤ ح٣٠٠٩، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام ٤/١٨٧٢ح٢٤٠٦، مسند أحمد ٥/٣٣٣، حلية الاولياء، أبو نعيم ١/٦٢، التمهيد، ابن عبدالبر ٢/٢١٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب ٦/٦٢٨ ح٣٦٢٤، صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٤/١٩٠٥ مسند أحمد ٦/٢٨٢، ٢٨٣.

(٣) الكنى والاسماء، الدولابي ١/١٠٤، مسند البزار ٢/٢٠٣، المستدرك ٣/١٤٠.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ١٥/٢٨٣ ح١٩٦٧٣، لسان الميزان ٣/٢٩٥، التاريخ الكبيرالبخاري ٦/٦٤.

(٥) صحيح ابن حبان ص٤١٩، مجمع الزوائد ٦/٢١٢، دلائل النبوة، البيهقي ٦/٣٢٦.

(٦) صحيح مسلم، كتاب الفتن ٤/٢٢٣٧ ح٢٩١٩، مسند أحمد ٥/١٠٠ ـ ١٠٣ صحيح ابن حبان ٨/٢٤٣.

(٧) صحيح مسلم، فضائل الصحابة ٤/١٩٧٠ ح٢٥٤٣، مشكل الآثار، الطحاوي ٢/١٠٢.

وأخبرﷺ بمقتل عمار بن ياسر بيد الفئة الباغية[1].

وأخبر بخروج الخوارج قائلاً: تخرج طائفة من أُمّتي يمرقون من الدين يقتلهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث مرّات[2].

ورأىٰ رسول اللهﷺ بني أميّة علىٰ منبره فساءه ذلك فقال تعالىٰ «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة للناس»[3].

من وضع التأريخ الهجري للمسلمين؟

كان للروم والفرس تأريخ يسيرون عليه في حياتهم السياسية والإقتصادية والاجتماعية وغيرها، وقد اختلط العرب بهم وعرفوا منهم ذلك وأهميّته في حياة الأمم.

وتأريخ الروم يبدأ من زمن الاسكندر وتأريخ الفرس يبدأ من تأريخ زعامة كل ملك لهم.

وكانت العرب لها تأريخ للأحداث يبدأ بآخر واقعة مهمة عندهم فأرخوا بوفاة كعب جد النبيﷺ وأرخوا بعام الفيل، فقالوا بولادة الرسولﷺ في عام الفيل ولهم شهر لبداية السنة ألا وهو شهر محرم.ثم اتبع العرب حادثة وفاة عبد المطّلب.

والله سبحانه وتعالىٰ العالم بالأحداث وتأريخها لا يمكن أن ينزل رسالته الخاتمة دون تأريخ لها .وكان النبي محمدﷺ بما عرف من تكامل عقلي وذهني وعملي أدرك أهمية ذلك الأمر في حياة الأمم وتقدمها. لكنه لم يعيّن بداية السنة الجديدة وهو في مكة حيث صراعه الدامي والعنيف مع طغاة قريش علىٰ تبليغ الدين الإسلامي فأخذ بشهر محرم منتظرا للامر الالهى .

---

(١) صحيح البخاري ١ / ١٧٢، مسند أحمد ٣ / ٥١٦.

(٢) ميزان الإعتدال ٣ / ٢١٠، لسان الميزان ٤ / ٣٦٢، صحيح مسلم ٢ / ٤٤٢.

(٣) الإسراء ٣٠.

وبعد ما هاجر إلىٰ المدينة كان في ذهنه ضرورة التأريخ الجديد لدولته الفتية في الشهر والسنة. وقد وصل رسول الله ﷺ من مكة إلىٰ المدينة في اليوم الأوّل من ربيع الأوّل، فأمره الله تعالىٰ بواسطة جبريل[1] أنْ يكون ذلك اليوم وذلك الشهر بداية للتقويم الجديد للتأريخ[2].

فسار رسول الله ﷺ على الأمر الإلهي ورتب التأريخ الهجري للمسلمين مبتدئاً بالهجرة المباركة إلىٰ المدينة المنورة.وجعل شهر ربيع الأوّل أوّل شهور السنة الهجرية.

قال الطبري: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأوّل أمر بالتأريخ[3].

وقال الحاكم: وقدم رسول الله ﷺ المدينة في شهر ربيع الأوّل[4].وكان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة وفيها ولد عبد الله بن الزبير[5].

وقال ابن سعد: قدم رسول الله ﷺ المدينة حين هاجر من مكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر شهر ربيع الأول وهو المجمع عليه، وروىٰ بعضهم إنّه قدم لليلتين خلتا من شهر ربيع الأوّل[6].

وقال اليعقوبي: قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل[7].

قال السيد علي خان: إنّ التأريخ كان من زمن النبي ﷺ وهو خلاف المشهور من أنّ التأريخ بالهجرة إنّما وضعه عمر بن الخطاب[8].

---

(١) البحار ٥٥ / ٣٥١.

(٢) البداية والنهاية ٤ / ٩٤، ١٠٧، ٢٠٧، ٨ البحار ج ٥٨ / ٣٤٩ ٨ تاريخ الطبري ٢ /٣٨٨، البحار ٢١٨/٤٠، تاريخ الخميس ١ / ٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ١١٠.

(٤) المستدرك ٢ / ٦٢٦.

(٥) المستدرك ٣ / ١٣، ١٤.

(٦) طبقات ابن سعد ٢ / ٦، سيرة ابن هشام ٢ / ٣٤١.

(٧) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١.

(٨) الدرجات الرفيعة ٢٠٧.

وهناك مئات الروايات الدالة علىٰ ثبوت التأريخ الهجري في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر أي لم يدونه عمر.

ويتأسف المسلم عند معرفته بوصول النبي ﷺ إلىٰ المدينة في شهر ربيع الأوّل، في حين تاريخنا الهجري يبدأ بشهر محرم.

فأراد عمر وطغاة قريش ارجاع التأريخ الى المنهج الجاهلي ومخالفة الامر الالهي في جعل شهر ربيع الاول بداية للسنة الاسلامية.

فلمّا سأل عمر الصحابة عن زمن بداية السنة الجديدة قال علي عليه السلام هجرة رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة[١].أي متابعة محمد ﷺ في تعيينه بداية السنة الهجرية كبداية للتأريخ الإسلامي. وكانت بداية السنة عند عرب الجاهلية تبدأ بمحرم فانتخب عمر ذلك[٢].

وقد أعاد عمر أيضاً مقام إبراهيم عليه السلام إلىٰ ما كان عليه في الجاهلية[٣].ارضاءا لطغاة مكة ومخالفة لمنهج ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام وسيد الرسل ﷺ.

قال الطبري: وفي أيام عمر أراد البعض أن يكون التأريخ من مبعثه وأراد البعض أن يكون من هجرته وأراد آخرون من وفاته[٤].

فنفهم من ذلك أنّ التأريخ الهجري وضعه رسول الله ﷺ وبدايته الأولىٰ من ربيع الأوّل وقدّمه عمر بن الخطاب شهرين ليبدأ بالمحرم وهو بداية السنة عند عرب الجاهلية.

وكان عمر بأعماله تلك يثير حفيظة المؤمنين ويرضي عرب الجاهلية.

(١) شرح النهج ١٢ / ٧٤، تاريخ ابن الاثير ١ / ١٠، البداية والنهاية ٧ / ٧٣، ٧٤، البحار ٥٨ / ٣٤٩، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٤.

(٢) السيرة النبوية، ابن كثير ٢ / ٢٨٨، البداية والنهاية ٣ / ٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

(٣) طبقات ابن سعد، ٣ / ٢٠٤ ترجمة عمر بن الخطاب.

(٤) تاريخ الطبري ٢ / ١١١.

وما ذكرناه عن دعوة علي بن أبي طالب عليه السلام للأخذ بمبدأ التأريخ الهجري ينم عن وجود احتجاج من قبله علىٰ الأخذ بالتأريخ الجاهلي.

وفي محاولة من رجال الحزب القرشي لطمر تلك القضية وإخفائها فقد ادعوا أنّ أوّل من وضع التأريخ الهجري هو عمر بن الخطاب.

وفي رأيهم أن ذلك فيه فوائد عديدة منها محو مناقب رسول الله ﷺ وتكثير فضائل عمر.وإسدال الستار علىٰ ما فعله عمر من الأخذ ببداية الشهر الجاهلي وترك الأخذ ببداية التاريخ الإسلامي.

لقد جعل عمر شهر المحرم بداية للسنة فأرضىٰ عرب الجاهلية وأبقىٰ سنة هجرة رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة بداية للتاريخ الهجري إرضاءً للمسلمين بضغط ونصيحة الإمام علي عليه السلام[1].

لذا لم يكن عمر واضعاً للتأريخ الهجري حتى يكون له منقبة وما فعله يتمثل في محوه شهر ربيع الأول من بداية السنة الهجرية وأخذه بشهر محرم بداية السنة عند أهل الجاهلية.

وبتقديم عمر للسنة الهجرية شهرين من الزمن فقد أثر ذلك علىٰ تعيين الناس لسني الاحداث في كتب الحديث والسيرة.

الدلائل والعبر

كانت أعراب الجاهلية التي أسلمت لها مطاليبها مثل إيعاد مقام إبراهيم عليه السلام عن الكعبة وجعل شهر محرم بداية للسنة. وتفضيل قريش علىٰ سائر الناس وفصل موسم الحج عن موسم العمرة مثلما كان الامر في الجاهلية .

أمّا رسول الله ﷺ فلم يستجب لها واستجاب لها أبو بكر بعض الشيء ثم فتح

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ١٢ / ٧٤. البحار ٥٨ / ٣٤٩.

عمر ذلك الباب أكثر ممّا فتحه أبو بكر وضاعف تلك الاستجابة عثمان بن عفان.

فكان عثمان أحب لقريش من عمر وكان عمر أحب لها من أبي بكر، وتبعاً لهذا فقد خسر عثمان المؤمنين وتعرض لثورة عارمة أودت بحياته.

وكان الخط الجاهلي يأخذ فضائل رسول الله ﷺ ويلصقها بغيره حقداً عليه ولكن الله تعالىٰ فضحهم في أعمالهم تلك.

ومن أعمالهم المخزية إرجاع فضيلة وضع التأريخ الهجري إلىٰ عمر الخطاب مدعين عدم وجود تأريخ للمسلمين في زمن رسول الله ﷺ وزمن أبي بكر.

وكيف تبقىٰ دولة رسول الله ﷺ عشر سنوات في المدينة دون تأريخ في حين كان عرب الجاهلية يسيرون علىٰ تأريخ عام الفيل، ثمّ تأريخ وفاة عبد المطّلب.

فرسول الله ﷺ ملزم بالسير علىٰ هذه الواقعة أو باتباع حادثة جديدة أما أنه ينكر التاريخ الجاهلي ولا يقترح تأريخاً جديداً فهذه من الطامات الكبرىٰ التي حاول أعداء الإسلام إلصاقها برسول الله ﷺ! للنيل منه ومن المسلمين.

والمنكر في هذا الموضوع اتباع معظم العلماء والكتاب هذا الأمر رادّين فضيلة وضع التأريخ الهجري لعمر!

ومطاليب قادة مكة الكثيرة هي التي دفعتهم لاغتيال سيد الرسل وأبي‌بكر.

والسؤال المطروح هنا هو هل كانت لقريش مطاليب اخرى من الحكام؟

الجواب في المواضيع القادمة.

الفصل الثاني

كتابة المغازي

القاريْ والمحقق في موضوع غزوات الرسول ﷺ، يجد بأنَّ يد التحريف قد لعبت بالأحداث فأضافت مواضيعَ وألفاظاً وحذفت أخرىٰ لأمور مذهبية وقبلية ودينية وغيرها. ولكنَّ النابه من الناس ينتبه إلىٰ صدق الأحاديث من كذبها.

كان المسلمون في زمن النبي ﷺ قد تعوَّدوا على الصدق والصراحة وطلب المغفرة والتوبة.

وكان معاوية معروفا بأوامره بتحريف السيرة والحديث وايجاد مناقبَ كاذبة لكبار الصحابة ومحو مناقب أهل البيت عليهم السلام فحاول أن يمحو كل حقيقة في السيرة النبوية الشريفة، وان يقضي علىٰ صراحة العرب البدوية. وحرّف النسّاخ السيرة تحريفاً منكراً!.

ثمَّ جاء الناشرون في العصر الحديث فسار الكثير منهم علىٰ خطىٰ معاوية بن أبي سفيان. فلقد لاحظنا فرقاً واضحاً بين الطبعات من زيادة ونقصان وتحريف وكأنَّ هؤلاء يريدون أن يكتبوا السيرة مثلما تهوىٰ نفوسهم.

فمثلما يكتب رواة الأساطير، من وضع اسم بطلهم في سطور المحاربين، وحذف اسمه من سطور المنهزمين أو حذف اسمه ووضع كلمة فلان فقد فعل الرواة ذلك.

وكان عروة بن الزبير وابن شهاب الزهري من اللذين ينالون جوائز بني أمية

فيفترون الحديث النبوي والروايات في صالح بني أمية وانصارهم وفي ضرر أهل البيت واتباعهم ومن جملة هؤلاء الكاذبين انس بن مالك والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص.

ومن ضمن الأكاذيب والأراجيف التي نشرها الحزب الأموي للدفاع عن نهج معاوية، وليس حبّاً بأبي بكر وعمر، ما قاله ابن حزم:

فولّى المنهزمون لا يلوي أحدٌ علىٰ أحدٍ فناداهم رسول الله ﷺ فلم يرجعوا، وثبت مع رسول الله ﷺ عشرة فقط من أصحابه وآل بيته وكان أحدَهم عمرُ بن الخطاب[١].

وكأنّ عمر يعرف بما ستخطّه اليد الأموية من تحريف الحقائق، يوم صرّح بفراره مراراً، صراحة بدوية دون خوف من أحد.[٢]

وكان عمر معروفاً بالصراحة فلقد صرّح بفراره وفرار أبي بكر من أرض المعركة في أحد قائلاً: إنّي رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدّثنا أنّ رسول الله قُتِل.

فقال: يا أبا بكر يا عمر مالي أراكما جالسين؟! إن كان رسول الله قُتِل فإنّ الله حيٌّ لا يموت[٣].

حامل لواء النبي ﷺ في مغازيه؟

لقد شارك علي ﷺ في كلّ المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ حاملاً لواء الإسلام. ولم ينهزم في حرب قط وخلّفه رسول الله ﷺ على المدينة في حرب تبوك[٤].

---

(١) جوامع السيرة لابن حزم ٢٣٨.

(٢) راجع مواضيع الغزوات في هذا الكتاب.

(٣) حياة محمد ﷺ، محمد حسنين هيكل، لباب الآداب ١٧٩.

(٤) في حملة تبوك طلب النبي ﷺ من علي ﷺ البقاء في المدينة لحمايتها من المنافقين وقال له: ألا ترضىٰ ان تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا انه لا نبي بعدي.

وجاء في كتاب مستدرك الحاكم: عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: لعلي بن أبي طالب ﷺ أربع ماهن لأحد: هو أول عربي واعجمي صلَّىٰ مع رسول الله ﷺ، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهو الذي ثبت معه يومَ المِهراس[١] وفر الناس، وهو الذي أدخله قبرَه[٢].

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير وإخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله ﷺ ؟

قال: كان حاملَها علي ﷺ .

وفي نص آخر: أنّه لما سأل مالك سعيد بن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلىٰ إخوانه من القراء فعرَّفوه: أنَّه خائف من الحجاج، فعاد وسأله فقال: كان حاملها علي، هكذا ﷺ سمعت من عبد اللهِ بن عباس[٣].

وقال ابن عباس: كان علي ﷺ أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي المشاهدِ كُلِّها[٤].

وعن علي ﷺ أنَّه قال: كُسِرت يدُه يومَ أحد، فسقط اللواء من يده، فقال رسول الله ﷺ: دعوه في يده اليسرىٰ، فإنَّه صاحب لوائي في الدنيا والآخرة[٥].

وعن ثعلبةَ بن أبي مالك قال: كان سعد بن عُبادة صاحبَ راية رسول الله في المواطن كلها، فإذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب ﷺ [٦].

وذكر ابن هشام وابن الأثير وابن كثير: وفي معركة أحد نادىٰ أبو سعد بن أبي

---

(١) يوم احد والمهراس ماء قرب احد.

(٢) مستدرك الحاكم ٣/١١١، مناقب الخوارزمي ٢١/٢٢، وتلخيصه للذهبي بهامشه، تيسير المطالب ٤٩، ارشاد المفيد ٤٨.

(٣) مستدرك الحاكم ٣/١٣٧، ذخائر العقبىٰ ٧٥.

(٤) ذخائر العقبىٰ ٧٥.

(٥) تاريخ الخميس ١/٤٣٤.

(٦) أُسد الغابة ٤/٢٠، أنساب الأشراف ٢/١٠٦.

طلحة صاحب لواء المشركين علياً ﷺ: أن هل لك يا أبا القضم في البراز من حاجة؟

قال: نعم. فبرزا بين الصفّين، فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌ فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجهِزْ عليه، فقال له اصحابه: أفلا اجهزت عليه؟

فقال: إنه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أنّ الله عزّ وجلّ قد قتله.

وجاء ان أبا سعد بن أبي طلحة خرج بين الصفين، فنادىٰ: أنا قاصمٌ من يبارز برازاً، فلم يخرج إليه أحدٌ، فقال: يا أصحاب محمد، زعمتم أنّ قتلاكم في الجنة، وأنّ قتلانا في النار، كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقّاً لخرج إليّ بعضكم.

فخرج إليه علي بن أبي طالب ﷺ فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌ فقتله.

وذكر السهيلي برواية الكَشّي في تفسيره عن سعد: لمّا كفّ عنه علي طعنته في حنجرته فدلع لسانه إليّ كما يصنع الكلب ثم مات[1].

إن أبا سعد بن أبي طلحة هو أوّل من كشف (من أبطال قريش) عورته أمام علي بن أبي طالب ﷺ طلباً للشفقة عليه بعد مصرعه، والظاهر انه تعلم ذلك من افعال رفاقه في معركة بدر، إذ قتل علي ﷺ نصف قتلى المشركين.

وبعدما عُرِف علي ﷺ بذلك شرع ابطال قريش في كشف عوراتهم أمام علي ﷺ طلباً للشفقة وعلىٰ رأس هؤلاء عمرو بن عبد ود العامري وعمرو بن العاص وبسر بن ارطأة[2].

وكان علي ﷺ حامل لواء رسول الله ﷺ وقاتل أصحاب الوية المشركين، فذكر ابن هشام في سيرته: وانكفأ علينا القوم بعد أن اصبنا أصحاب اللواء في احد، حتىٰ ما يدنو معه احدٌ من القوم[3].

---

(١) سيرة ابن هشام ٣/٧٨، الكامل في التاريخ ٢/١٥٢، تاريخ الطبري ٢/١٩٤، السيرة الحلبية ٢/٢٢٢، السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٣٩.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٤/١٢٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٣/٨٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ص ١٥٤.

وذكر الطبري ذلك في تاريخه قائلاً: لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية... قال جبريل:

لا سيفَ إلّا ذو الفقَار ولا فتى إلّا علي[١]

وذكر ابن الأثير في تاريخه ذلك الأمر عن أبي رافع[٢].

وذكر المؤرخون والرواة حمل علي عليه السلام للواء الإسلام في معارك النبي صلى الله عليه وآله[٣].

وقضىٰ علي بن أبي طالب علىٰ حامل راية الكفار في حنين[٤].

وقال ابن اسحاق: وقد قتل عليٌّ بن أبي طالب طلحة بن أبي طلحة، وهو يحمل لواء قريش، والحكم بن اخنس بن شريق بن حميد بن زهير، وأبا أميّة بن أبي حذيفة بن أبي المغيرة.

ومرَّ سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، فوقف عليه وقال: يا هذا: علىٰ ما تَشتِم عليَّ بنَ أبي طالب؟

الم يكن أوّلَ من أسلَم؟ ألم يكن أوّلَ من صلّىٰ مع رسول الله؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلمَ الناس؟ وذكر حتّىٰ قال: ألم يكن صاحِبَ راية رسولِ الله في غزَواته[٥].

وقد قتل أبطال العرب مع رسول الله صلى الله عليه وآله من أمثال عمرو بن عبد ود العامري وبطلي اليهود الحارث ومرحب وبطل الشام في معركة صفين حريث[٦] وفرَّ منه معاوية وابن العاص وعبيد الله بن عمر وبسر بن أرطأة[٧].

---

(١) تاريخ الطبري ١٩٧/٢.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ١٥٤/١.

(٣) السيرة النبوية، ابن كثير ٢٢٧/٣، ٣٥١، مستدرك الحاكم ٣ / ١٣٠ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤) تاريخ الخميس ١٠٢/٢.

(٥) مستدرك الحاكم ٥٠٠/٣، حياة الصحابة ٥١٤/٢.

(٦) الأخبار الطوال، أحمدبن داود الدينوري ص١٧٥.

(٧) المصدر السابق ص١٧٥، ١٧٦.

وقال علي ﷺ: أنا الصدِّيق الأكبر لايقولها بعدي إلاّ كاذب[١].

لماذا لم يقتل القرشيون عمرَ في احد والخندق؟

كانت قريش تعرف نوايا عمر المعارضة للرسول ﷺ فأرسلوه لقتله في مكة! واستمرت قريش في حبها لعمر أثناء حروبها مع المسلمين ويوم السقيفة وما بعد ذلك، لماذا؟ ولم يقتل سعيد بن العاص عمر في معركة بدر[٢]

وترك خالد بن الوليد قتل عمر في معركة أحد، بالرغم من أنَّ خالداًكان في كتيبة خشناء، وعمر بن الخطاب فاراً لوحده، إذ قال خالد:

«رأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا وأنهزموا يوم أُحُد وما معه أحدٌ، وإنّي لفي كتيبة خشناء، فما عرفه منهم أحدٌ غيري، فنكبت عنه، وخشيت إنْ أغريتُ به من معي، أن يصمدوا له[٣].

فخالد يقتل المهاجر والأنصاري ويترك عمر لماذا؟

وفي معركة الخندق تمكّن ضرار بن الخطاب (الفهري) من قتل عمر بن الخطاب (العدوي) إلاّ أنّه تركه، إذ قال الواقدي:

وحمل ضِرار بن الخطاب الفهري علىٰ عمر بن الخطاب بالرمح، حتىٰ إذا وجد عمرُ مسَّ الرمح رَفَعه عنه، وقال: هذه نعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب، إنّي قد كنتُ حلفتُ لا تمكّنني يداي من رجلٍ من قريش أبداً[٤].

لقد اضيف إلىٰ الرواية مقطعاً لم يكن موجوداً فيها وهو قوله: «قد كنت حلفت لا تمكنني يداي من رجل من قريش أبداً»! لايجاد عذر في سبب امتناع ضرار عن قتل

(١) مستدرك الحاكم ٣ / ١٢١.
(٢) الارشاد ١/٧٦.
(٣) مغازي الواقدي ١/٢٣٧.
(٤) مغازي الواقدي ١/٤٧١.

عمر، إذ جاء في الرواية: «حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة بن أبي وهب على علي (القرشي) كرّم الله وجهه فاقبل علي عليهما، فأمّا ضرار فولىٰ هارباً ولم يثبت، وأمّا هبيرة فثبت، ثم القىٰ درعه وهرب، وكان فارس قريش وشاعرها.

فهما أرادا قتل علي القرشي وأي قريشي مخلص في الإسلام والابقاء علىٰ جواسيس قريش في جيش رسول الله ﷺ.

وذكر ابن ضرار بن الخطاب: لما هرب ضرار تبعه عمر بن الخطاب، وصار يشتد في أثره، فكرّ ضرار راجعاً وحمل علىٰ عمر بالرمح ليطعنه ثم امسك وقال:

يا عمر هذه نعمة مشكورة اثبتها عليك، ويد لي عندك غير مجزىٰ بها فاحفظها، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب.

ووقع له مع عمر مثل ذلك في أحد فانه التقىٰ معه فضرب عمر بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال له: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب»[1].

ولا يتصوَّر أحد بأنَّ ضرار بن الخطاب أخ لعمر بن الخطاب، بل هو ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن سفيان بن محارب بن فهر القرشي الفهري.

وذكر ابن عساكر تمكّن فارس قريش ضرار الفهري من قتل عمر فلم يقتله إذ قال: وكان ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعِرَهم، وحضر معهم المشاهد كلَّها، فكان يقاتل أشدَّ القتال، ويحرِّض المشركين بشعره، وهو قتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد، وقال حين قتله: لا تعدِمَنَّ رجلاً زوَّجك من الحور العين.

وكان يقول: زوَّجت عشرة من أصحاب محمد ﷺ، وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة، ثم رفعها عنه، وقال: يا ابن الخطاب، إنَّها نعمة مشكورة، واللهِ ماكنت لاقتلك.

---

(١) السيرة الحلبية، الحلبي الشافعي ٢/ ٣٢١.

وهو الذي نظر يوم أحد إلىٰ خلاء الجبل من الرماة، فأعلم خالد بن الوليد، فكرّا جميعاً بمن معهما، حتىٰ قتلوا من بقي من الرماة على الجبل، ثمَّ دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم.

وقال ضرار: زوّجت يومئذ (في معركة أحد) أحد عشر منكم من الحور العين[1] أي ان قريش الجاهلية لا تريد قتل عمر لمعرفتهم بحاله وأهدافه.

فأحبّ عمرُ ضراراً، فعندما كان في طريق مكّة في زمن حكمه، قال عبد الرحمن لرباح غنّنا.

فقال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب[2].

ووجدت في كتب الإصابة، والإستيعاب وتاريخ دمشق ما يخالف ما ذكره الواقدي، بأنَّ ضراراً لم يقتل عمر، لأنّه حلّف أن لا يقتل قرشياً؟! ففي الحقيقة انه قتل مسلمين من قريش.

إذ ذكر ابن حجر قول ابن عساكر قائلاً: «وهو أي ضرار الذي ادّعىٰ قتل عشرة من أصحاب النبي ﷺ حيث قال: «زوّجت عشرة من أصحاب النبي بالحور العين»[3].

وقال ضرار بن الخطاب الفهري لأبي بكر لاحقاً: نحن كنّا لقريش خيراً منكم، أدخلناهم الجنّة، وأوردتموهم النار[4].

وهذا اعتراف منه بقتل مهاجرين مسلمين من قريش، وادعاؤه ارسالهم إلىٰ الجنّة بيده، وبفضل منه تجاههم؟! في حين قتل المهاجرون رجالاً من قريش

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١١/١٥٦، ١٥٧ طبعة دار الفكر، مغازي الواقدي وطبقات الشعراء لابن سلام ٦٣، وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ١٤/٢١٤ عن الواقدي والبلاذري وابن اسحاق. وكانت هذه يدأ عند عمر كافأه بها حين إستخلف، فراجع طبقات الشعراء ٦٣، والبداية والنهاية ٣/١٠٧ عن ابن هشام.

(٢) الأصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

(٣) الإصابة لابن حجر ٢/٢٠٩.

(٤) الإستيعاب بهامش الإصابة لابن عبد البر الأندلسي ٢/٢١٠، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٢/٢١٠.

فأرسلوهم إلىٰ النار.

ولاحظنا في الرواية هجوم ضرار بن الخطاب وهبيرة لقتل علي بن أبي طالب القرشي فلم يفلحا! ولقد كانت الحرب بين المسلمين والكفار حرب حياة وموت يقتل فيها المحارب أعداءه من أي فئة وقبيلة كانوا!

فقد قال أبو سفيان في رسالة للنبي ﷺ بعد معركة الخندق: «لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد ان لا أعود إليك ابداً حتىٰ استأصلكم»(١).

وبعد إسلام قريش في فتح مكّة قهراً، أسلم ضرار بن الخطاب، لكنه بقي محلاً لشرب الخمر إلىٰ ان مات، محتجاً بآية:

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا، إذا ما اتَّقَوْا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾(٢)

وبعد اسلامه في فتح مكة استمر في شرب الخمر مثل عمر إلىٰ ان مات عليها.

ومثل هذه الميتة مات وحشي قاتل حمزة إذ ما زال يحد في الخمر إلىٰ ان مات والأقبح انه مات في حمص في بركة خمر!(٣)

وكان ضرار بن الخطاب الفهري من القساة الجبارين فقد اعترف بقتله عشرة من المؤمنين(٤). وتشهد الحوادث بقتل خالد وضرار للكثير من المسلمين القرشيين دون رحمة (عدا عمر)!

ولم يحدِّثنا الواقدي في المغازي بقتل عمر بن الخطاب لرجل من مشركي قريش. بل ذكر قائلاً **بأنَّ سيف عمر لم يستخدم في الحروب:**

«قال ابن عمر كان سيف عمر فيه فضَّة أربع مائة درهم، وقد أخذ معاوية سيف

---

(١) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٢) السيرة الحلبية ٢/٣٣١.

(٣) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢٦/٢٥٨ ـ ٢٦٦، ط. دار الفكر ـ دمشق.

(٤) الإصابة، ابن حجر ٢/٢٠٩.

عمر، ولم يستعمله أيضاً»[١].

إذن لم يستخدم عمر سيفه في الحرب، وقد اشترك في حرب بدر فقط، وانهزم في المعارك الأخرى!

ولا أدري كيف حدث هذا فهم لم يقتلوا عمرَ، وعمرُ لم يقتل شخصاً منهم.

إذ لم يقدم سعيد بن العاص و خالد بن الوليد وضرار بن الخطاب علىٰ قتل عمر، حينما تمكّنا منه في أرض المعركة. مما يبين معرفتهم باسلامه الصوري المزيف!

وأقدم عمر بن الخطاب وأبو بكر علىٰ مدح قتلىٰ بدر المشركين بعد شربهما الخمر قائلين:

وكائن بالقليب قليب بدر[٢] ... من الفتيان والعرب الكرام
أيوعدُني إبنُ كبشةَ[٣] أن سَنَحيا ... وكيف حياة أصداءٍ وهامِ
أيعجز أن يردَّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بَليَتْ عظامي
ألا من مُبْلغ الرحمنِ عنّي ... بأنّي تاركٌ شهرَ الصِّيام[٤]

وأثناء الحديث بين عمر وابن معديكرب البطل المعروف، عَرَّض[٥] الأخير بهزائم عمر من طَرْفٍ خفي.

وظاهر الأمر ان فراره في الحروب كان معروفاً، ذكره خالد بن الوليد وابن معديكرب وآخرون، وصرَّح به عمر نفسُه.فقد سأل عمر من عمرو بن معديكرب عن السلاح، فأخبره بما عرف، حتّىٰ بلغ السيف، فقال: هنالك قارعتك أمُّك عن ثكلها.

---

(١) كنز العمال ٦/٦٩٤ ح١٧٤٤٨.

(٢) قليب بدر هو المكان الذي دفن فيه الرسولُ ﷺ قتلىٰ بدر المشركين.

(٣) إبن كبشة: كان كفار قريش يكنّون النبيَّ ﷺ إبن كبشة !؟

(٤) المستطرف ٢/٢٦٠، جامع البيان ٢/٢١١. تفسير الطبري في تفسير آية لا تقربوا الصلاة وانتم سكارىٰ ٢/٢٠٣ و٢١١.

(٥) عرَّضَ تعريضاً والتعريض ضد التصريح من القول.

فعلاه عمر بالدرّة، وقال: بل أُمُّك قارعتك عن ثكلها، والله إنّي لأهمّ أن أقطع لسانك.

فقال عمرو: الحُمّىٰ أضرعتني لك اليوم، وخرج من عنده وهو يقول:

اتــوعدني كأنك ذو رُعَــيْن بــانعم عــيشة أو ذو نُــواس
فكم قد كان قـبلك مـن مـليك عـظيم ظـاهر الجـبروت قـاس
فأصــبح أهــله بـادوا وأمسىٰ يُــنَقَّلُ مــن أنـاس فـي أنـاس
فـلا يـغررك مـلكك كـلُّ مـلك يــصير مــذلة بــعد الشــماس

فاعتذر عمر إليه[1].

والشيء الملفت للنظر في معركة أحد، ان أبا بكر كان من الفارين كما اعترف هو نفسه[2].

وقد فرَّ أبو بكر وعمر من حملة الشام بقيادة أسامة التي أمر بها النبي ﷺ، في حياته وبعد مماته.

ثم اتّهم عمرو بن سعيد بن العاص الأموي عمر بن الخطاب بالفرار مـن حمـلة الشام، وعيَّره بذلك أمام المسلمين[3].

رسائل سرية

وبعد هزيمة الكفار في معركة بدر، حاول عبد الرحمن بن عوف حماية أُميَّة بـن خَلَف، الطاغية المعروف، وانقاذه من يد المسلمين، وسبب ذلك وجود كتابات خطية بينهما، وظاهر تلك الخطابات كونها سرّية.! إذ جاء عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن

(١) مروج الذهب، المسعودي ٣٢٦/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ١٥٥/٣، السيرة النبوية لابن كثير ٥٨/٣، كنز العمال ٢٦٨/١٠، تاريخ الخميس ٤٣١/١، حياة الصحابة ٢٧٢/١، البداية والنهاية ٢٩/٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٢٧/٢، ١٣٣، طبعة ليدن، تاريخ الطبري ٣٣٥/٢.

عوف عن أبيه: كاتبت أميّة بن خلف كتابة في أن يحفظني في صاغيتي بمكّة، واحفظه في صاغيته[1] في المدينة.

فلما بلغ أسم عبد الرحمن، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان فكاتبته عبد عمرو، فلما كان يوم بدر خرجت لأحرزه في شعبٍ، حتىٰ يأمن الناس، فرأيت بلالاً مولىٰ أبي بكر، فأقبل حتىٰ وقف علىٰ مجلس الأنصار.

فقال: يا معشر الأنصار أميّة بن خلف لا نجوت ان نجا، فخرج مع نفر.

قال عبد الرحمن فلما خشيت أن يدركونا خلّفت لهم ابنه اشغلهم به فقتلوه، ثم أتوا حتىٰ لحقونا، وكان أميّة رجلاً ثقيلاً[2].

ولقد نادىٰ بلال: يا أنصار الله رأس الكفر أميّة بن خلف، لا نجوت أن نجا[3].

وعهود ابن عوف لابن خلف مخالفة لبنود بيعة المسلمين للنبي في عدم اجارة الكافرين واموالهم ولكن ابن عوف عاهد أميّة بن خلف سراً في ذلك!

وروى إبراهيم بن عبد الرحمن أيضاً ان رجلاً قال لأبيه: قد جئت لأمر، وقد رأيت اعجب منه، هل جاءكم إلّا ما جاءنا، أم هل علمتم إلّا ما علمنا؟قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما قد جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم؛ قلت: فما لنا نزهد في الدنيا وترغبون فيها، ونخفُّ في الجهاد وتتشاغلون عنه! وانتم سلفنا وخيارنا وأصحاب نبينا ﷺ ؟.

قال عبد الرحمن: لم يأتنا إلّا ما جاءكم، ولم نعلم إلّا ما علمتم، ولكنّا بُلينا بالضَّرَّاء فصبرنا، وبلينا بالسَّرَّاء فلم نصبر[4]. وهذا اتهام صارخ لابن عوف بفراره وصحبه من الزحف والغزو بعد فضح علاقته السرية مع أميّة بن خلف. وصحبه هم

---

(١) الصاغيه: هم الذين يميلون إليك في حوائجهم. القاموس.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٧٦/٤، طبعة دار الفكر، دمشق.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣٥٠/٣ ط. دار احياء التراث.

(٤) المصدر السابق ٧٧/٤.

عمر وعثمان ومعاوية وابن الجراح والمغيرة .

وقد جعل عمر بن الخطاب عبدالرحمن بن عوف خليفة بعد عثمان بن عفان لسجله، الحافل بالخدمات لقريش! وهو أحد أعضاء العقبة في حملة تبوك[1].

نظرة رسول الله ﷺ إلى الفتوحات

لو عدنا إلىٰ زمن النبي ﷺ الذي حكم عشر سنوات في مدينة يثرب لوجدنا أنّ الانتصارات في زمنه كانت أعظم وأهم وأخطر من الفتوحات اللاحقة . لأنّ النبي ﷺ في المدينة قد بدأ اولاً بتأسيس الدولة الإسلامية ونشر الإسلام بين أفرادها.

وكانت قبائل العرب واليهود المحيطة بالمدينة والساكنة فيها تحيك المؤامرات للقضاء على الإسلام.

فكانت هجمات قريش وغيرها على المدينة للقضاء علىٰ نور الإسلام مستمرّة، واشدّ هذه الهجمات خطورة هجمة الاحزاب. وبعد فشل هذه الهجمات استمرّ الجيش الإسلامي في الجهاد.

ونلاحظ في مسيرة الرسول ﷺ أنّه بالرغم من الإمكانات الضعيفة في المدينة ووجود اليهود والمنافقين فيها فقد تحرك نحو الغزو. فكانت نظرية النبي ﷺ الهجوم خير وسيلة للدفاع.

ففي السنة الثانية للهجرة تحرّك النبي ﷺ وأتباعه للسيطرة علىٰ قافلة قريش التجارية. ولم تكن قريش تتصوّر أنّ النبي ﷺ سيتحول إلى الهجوم عليها بهذه السرعة الخاطفة هذا أولاً.

وثانياً إنها لم تتصوّر إمكانية إنتصار جيش النبي ﷺ عليها.

---

(١) راجع موضوع العقبة في هذا الكتاب ليتفتح ذهنك وتنجلي العبرة عن بصيرتك بأنّ الاشتراك في حملة العقبة أحد شروط الخلافة عند قريش وهي متوفّرة في أبي بكر وعمر وعثمان وعبدالرحمن ومعاوية.

لذلك لمّا ذكرت عاتكة منامها من وقوع صخرة من جبل أبي قبيس وتناثرها في منازل مكّة، أدرك أبو جهل تفسير هذا المنام، بإنتصار جيش النبي ﷺ وانتشار القتلى في دور قريش. فلم يصدّق حصول ذلك بهذه السرعة المذهلة.

فأقدام النبي ﷺ لم تثبت في المدينة، والمنافقون أقوياء فيها، وعلى رأسهم ابن أُبي، وكان يهود بني قريظة، وبني قينقاع، وبني النضير في أوج قوّتهم. وكان جواسيس قريش قد هاجروا مع المهاجرين!

ولكن النبي ﷺ أوجد نظرية جديدة، تتمثل في الهجوم، ثم الهجوم دون مراعاة لصيف أو شتاء أو كثرة مشاكل وقوة عدو، بالتوكل على الله تعالى.

فما أن انتصر النبي ﷺ في السنة الثانية في بدر حتى غزا يهود بني قينقاع وانتصر عليهم. وهكذا حقّق الجيش الإسلامي الفتي الذي لا يتجاوز الثلاثمائة مقاتل انتصارين على جبهتين في سنة واحدة! جبهة الكفار وجبهة اليهود. ثم غزا النبي ﷺ غزوة السويق.

وفي السنة الثالثة غزا المسلمون غزوة قرارة الكدر وغزوة غطفان وغزوة بني سليم وسرّية القردة وغزوة احد. وبالرغم من خسارة المسلمين في معركة أحد لم يتوقف النبي ﷺ عن الجهاد، فكانت غزوة حمراء الاسد وسريّة أبي سلمة.

وفي السنة الرابعة كانت غزوة بئر معونة، وغزوة الرجيع، وغزوة بني النضير، وغزوة بدر الموعد، وسريّة ابن عتيك.

وفي السنة الخامسة الهجرية كانت غزوة ذات الرقاع، وغزوة دومة الجندل، وغزوة المريسيع، وحرب الخندق (الاحزاب). وفي هذه السنة كانت غزوة بني قريظة.

وفي السنة السادسة للهجرة كانت سريّة عبد الله بن انيس، وغزوة القرطاء، وغزوة بني لحيان، وغزوة الغابة، وسريّة عكاشة بن محصن، وسريّة أبي عبيدة إلى

ذي القصة، وسريّة زيد بن حارثة، وسريّة علي بن أبي طالب عليه السلام إلىٰ بني سعد في فدك.

ثم كانت سَرِيّة زيد بن حارثة إلىٰ امّ قِرفَة، وسريّة عبد الله بن رواحة، وسريّة كرز بن جابر، ثم غزوة الحديبية.

واستمرّت غزوات النبي صلى الله عليه وآله وسرايا ه، ففي السنة السابعة كانت غزوة خيبر، وسَرِيّة بني عبد بن ثعلبة، وغزوة القضية.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت سريّة غالب بن عبد الله بالكديد، وسريّة كعب بن عمير إلىٰ ذات أطلاح، وسريّة شجاع بن وهب إلىٰ أرض بني عامر، وسريّة إلىٰ خثعم بتَبالة.

وفي السنة الثامنة للهجرة كانت غزوة مؤتة، وهي أول غزوة إلى الشام، خارج ارض الجزيرة العربية.

ولم تقف مصيبة مؤتة في طريق الغزو والجهاد، فكانت غزوة ذات السلاسل، بالرغم من الوجوه التي استشهدت في معركة مؤتة، من مثل جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة، ثم سريّة خضرة وأميرها أبو قتادة.

وفي السنة الثامنة كانت غزوة فتح مكّة ذلك الفتح المبين. ثم تبعها غزوة بني جذيمة، ثم غزوة حنين، ثم سريّة بني كلاب وسريّة علقمة بن مُجَزِّز وسريّة علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الفلس. وكانت خطّة النبي صلى الله عليه وآله في الغزو انه لا يغزو غزوة الا ورّىٰ بغيرها؛ لئلّا تذهب الأخبار بانه يريد كذا وكذا.

وفي السنة التاسعة للهجرة كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وآله في حرٍّ شديد[1]. وهذه الغزوة مثل غزوة مؤتة إلى الشام. لكنّ النبي صلى الله عليه وآله انتصر فيها وخاف الروم محاربته.

---

(١) مغازي الواقدي ٢/ ٩٩٠. مغازي الذهبي باب سرايا النبي صلى الله عليه وآله.

ثم أعقب ذلك غزوة أُكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل.

وفي السنة العاشرة للهجرة كانت غزوة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ إلى اليمن، وفي السنة الحادية عشرة جهَّز النبي ﷺ حملة أسامة بن زيد إلىٰ الشام.

وبذلك يكون الرسول ﷺ جهَّز ثلاثة جيوش إلىٰ الشام في السنوات الثامنة والتاسعة والحادية عشرة. وقاد جيش السنة التاسعة (تبوك) بنفسه.

إذن حارب النبي ﷺ داخل الجزيرة العربية وخارجها، وهو الذي وضع حجر الأساس للجهاد الداخلي والخارجي. وبالرغم من كل المصاعب جهَّز النبي ﷺ ثلاث حملات إلىٰ بلاد الروم (الشام). فيكون النبي ﷺ في مدة قصيرة قد فتح جزيرة العرب، وأرسل جيوشه إلىٰ خارجها.

وبهذا يتوضَّح أنَّ نظرية الغزو والجهاد قد أسَّسها الرسول ﷺ وقادها بنفسه، فتعوَّد المسلمون علىٰ هذا الاندفاع والاستبسال لطلب الأجر والثواب.

وهذا الاندفاع البطولي لم تقف أمامه جيوش كسرىٰ وجحافل هرقل ولم تصدَّه جبال ايران ولا مضيق الاندلس.

فالجهاد والغزو الذي دعا إليه اللهُ في محكم كتابه وحديث رسوله هو الذي علَّم المسلمين الحرب في سبيل الله لفتح البلدان الاخرىٰ ونشر راية الإسلام.

فلم تقف أمام جيوش المسلمين فيلة رستم، ولا الأعداد الهائلة من جنده، فتلك الجيوش الموحَّدة التي تعوَّدت على الحرب، بقلَّة العدد والعدة، والاعتماد علىٰ نصر الله، والركون إلى الايمان، والتوسل بالشهادة، لم تلتفت وراءها، بل صوَّبت وجوهها إلى الأمام لفتح الحصون تمهيداً لفتح القلوب بنور الإسلام.

وبلغت تلك الجيوش حدَّاً من التوكل على الله سبحانه والاحتماء بالتقوىٰ، أنَّها كانت تنتصر على الأعداء في جبهات القتال ضد الكفر حتىٰ في زمن ملوك بني أميَّة البعيدين عن التقوىٰ!

ثم انحرفت نظرة السلطة إلىٰ الغزو. قال عبد الله بن عامر: رأيي لك يا امير المؤمنين (عثمان) أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمّرهم في المغازي، حتىٰ يذلُّوا لك، فلا تكون همة احدهم الا نفسه، وما هو فيه من دبر دابته وقمل فروته[1].

فهدف الغزو هنا إذلال الناس واشغالهم وليس الفتح الإسلامي ونشر الدين.

وبينما كانت جيوش الموحدين تستبسل في جبهات القتال في الهند والأندلس، كان الوليد بن يزيد يقضي ليله في الغناء والسكر مع بطانته الفاسدة حتّىٰ بلغ الأمر حدا من التدهور ان قتلت السلطة الأموية موسىٰ بن نصير فاتح الأندلس مع أبنائه، كي تسلب منه الشهرة والفخر، وتبقىٰ صاحبة ذلك!

وأصبح هدف الملك المال وليس الإسلام، إذ اخبر احد الولاة هشام بن عبد الملك بقلّة الموارد المالية في بلاده.

فقال له هشام: احلب الدر فإن انقطع احلب الدم!

وأعاد هشام الجزية علىٰ من أسلم من أهل السغد فكفرت السغد وبخارىٰ[2]. ولمّا ضعفت بعض الموارد المالية بسبب تحوّل الكفار نحو الإسلام قرّرت السلطة الاموية أخذ الجزية منهم ولو أسلموا!

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد والغزو:

﴿والَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا في سَبِيلِ اللهِ والَّذِينَ آوَوا ونَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ المُؤمِنُونَ حَقّاً لَهُم مَغفِرَةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾[3]

﴿والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنَا﴾[4]

كما قال النبي ﷺ أحاديث كثيرة تحثُّ على الغزو والجهاد، وشارك بنفسه

---

(١) تجارب الامم، مسكوية ٨/ ٢٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٣) الانفال: ٧٤.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

في حروب الجهاد والفتح، فكان هذا أكبر دليل على تشجيعه لذلك.

ولقد غزا النبي ﷺ بنفسه وبقيادته ثمان وعشرين غزوة!! ولمّا بلغ النبي ﷺ واحداً وستين سنة قاد غزوة تبوك.

الولاة في عهد النبي ﷺ

لقد ولّى النبي ﷺ ثلاثة من أبناء سعيد بن العاص بن أمية وهم أبان وخالد وعمرو (الذين استشهدوا في خلافة أبي بكر)[1] حكاما على الولايات الاسلامية.

وكان رسول الله ﷺ قد استعمل عمرو بن سعيد على خيبر ووادي القرى وتيماء وقُبض النبي ﷺ وهو يليها له[2].

وولى النبي ﷺ العلاء بن الحضرمي على البحرين[3] وولى الأرقم بن أبي الأرقم على ولاية[4].

وكان خالد بن سعيد على اليمن وأبان بن سعيد على البحرين[5].

في حين لم يوافق عمر على أمر أبي بكر بإرسال خالد بن سعيد أميراً على فرقة من جيوش المسلمين الذاهبة إلى الشام، فأطاعه أبو بكر.

فلم يعيّن أبو بكر واحداً من هؤلاء السابقين إلى الإسلام، لنصرتهم علي بن أبي طالب ﷺ ودعوتهم إلى بيعته. فلم يبايع خالد لأبي بكر إلّا بعد ستة أشهر من ذلك. وتمثلت بيعته في إقدام أبي بكر على مسح يد خالد بيده! وعيّن أبو بكر بدلاً عنهم الطلقاء من بني أميّة مثل عتاب بن أسيد ويزيد بن أبي سفيان وعتبة بن أبي سفيان![6]

---

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر ٢١١/١٩.

(٢) تيماء: بليد في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام، معجم البلدان ٦٧/٢.

(٣) أسد الغابة ٧/٤.

(٤) أعلام النبلاء ٢ / ٤٨٠.

(٥) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحر بين البصرة وعُمان، معجم البلدان ٣٤٦/١.

(٦) راجع كتاب نظريات الخليفتين موضوع أولاد أبي سفيان.

وعلي بن أبي طالب ﷺ لم يبايع ابابكر بالخلافة وبعد ستة اشهر زاره ابو بكر الى بيته مع جماعة ومسحوا يد أبي بكر بيده فاعتبرها ابو بكر بيعة له .

وبينما أرسلت الدولة الصحابة المخلصين إلى ساحات الجهاد فاستشهدوا واغتالت آخرين إحتفظت بالمؤيدين لها من أمثال ابن عوف وعثمان بن عفان والحكم بن أبي العاص وأبي سفيان وأولاده (معاوية وعتبة وعنبسة) وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وعمر بن الخطاب وعبد الله بن سلام في المدينة.

لذلك عيَّر عمرو بن سعيد بن العاص عمر بن الخطاب بالجبن لامتناعه عن الالتحاق بحملة أسامة في زمن أبي بكر[1].

الدلائل والعبر

تختلف مغازي رسول الله ﷺ الانسانية عن مغازي المخالفين لمنهجه من الطغاة والعتاة والمردة في أخلاقها واهدافها، فنيته فتح البلدان لله تعالى وتعاليمه السامية وشريعته السمحاء، وانقاذ الشعوب من الإستعباد، والديانات البالية والطقوس الفانية.

فغاية النبي ﷺ نشر الحضارة في ربوع البلدان لا امتصاص خيراتها واستغلالها كما فعلت وتفعل حكومات الدنيا!.

وهذا هو الفرق الجوهري بين المنطق النبوي والمنطق الجاهلي، ومع الأسف كانت وما زالت نظرة الناس الىٰ الفتوحات في سعتها، وغنائمها فتقاس عندئذٍ فتوح المسلمين للاندلس والهند بفتوح المغول للصين وروسيا وايطاليا.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/١٣٢ طبعة ليدن.

ويراجع لذلك طبقات ابن سعد ٤/١٠٠، الإصابة ٤/٣٠٠، طبقات خليفة ١١/٢٩٨، وتاريخ خليفة ١٠٤/٧٢، سيرة ابن اسحاق ٢٠٩، جمهرة ابن حزم ٨٠ وسيرة ابن هشام ٢/٣٦٠ تاريخ أبي زرعة ٢١٧/١.

في حين كان هدف المغول تحطيم الحضارات وجمع الأموال واشباع الشهوات وارضاء نفوسهم السادية بالقتل واراقة الدماء!

ان المغازي تختلف اختلافاً اصولياً في هدفها واخلاقها ومغازي النبي ﷺ هدفها اصلاح الأنسان، وتهذيب نفسه، ورفع تمدنه وثقافته ووعيه ليصبح نموذجاً للخلق الراقي.

فأصبحت حقوق سكان البلدان المفتوحة في اليمن وعمان والبحرين متساوية مع سكان المدينة وسمحت الدولة بالحريات لأهل الديانات السماوية، وأُسقطت كل الفروق اللونية والقومية وغيرها تحت مظلة **﴿إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾** فأصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي الاسود في المرتبة الاولى من الصحابة المقرّبين.

واعطت الدولة فرص التعليم وادارة الولايات بصورة متساوية ووفرت الأمن للجميع وحافظت علىٰ كرامة الناس واحترامهم ودحرت المنتفعين والظالمين تحت ظل العدالة الاسلامية.

فتفجرت طاقات أفراد الأمة وازدهرت مؤسسات الدولة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فعرف الناس الفرق بين الحكم الجاهلي والحكم الاسلامي.

فرفع رسول الله ﷺ عرب الجاهلية من أسفل طبقات الهاوية الى أعلى الدرجات الراقية في فترة وجيزة.

ولما مات رسول الله ﷺ وأعاد عثمان بن عفان الاحكام القرشية الجاهلية ثار عليه المسلمون وقتلوه، وهي اول ثورة اسلامية عارمة هدفها الاصلاح والعدالة.

ولما نجح معاوية في التسلط علىٰ مقاليد الحكم مع بقية افراد بني أُمية تطوّرت الفتوحات الاسلامية ولكن فقدت بريقها الاسلامي فقد قال هشام بن عبد الملك لواليه علىٰ الهند:

تكلتك أُمّك احلب الدر فإن انقطع احلب الدم، وأصدر أمراً بأخذ الجزية من

المشركين ولو اسلموا! فكفر معظم المسلمين الهنود.

وأفعال الملوك المسلمين الظالمة بحق شعوبهم وشعوب العالم نابع من سيرتهم علىٰ الخُطى الجاهلية وتنكرهم للتعاليم الاسلامية.

فتعرّض الاسلام نفسه لهجمة غادرة من قبلهم، تمثّلت في تشكيكهم بالدين ومهاجمتهم لخاتم النبيين.

ولم يفصل الكثير من الناس بين الاسلام وبين ملوك المسلمين فتعرّض الدين المحمدي لهجمة شرسة من قبل الأعداء المتخذين أفعال الطغاة ذريعة لهجومهم.

ولا يدرك الكثير الأثر العظيم لسيرة سيد المرسلين في تقوية المسلمين ويكفي لادراك ذلك انه ﷺ انتشل عرب شبة الجزيرة العرب من جحيم الجاهلية الىٰ جنّة الاسلام، فرفرت رايات العدالة والانسانية والمساواة والأمان في ارض المسلمين.

فأصبح الاعرابي الشرس القاتل لابنته والغازي لجيرانه وابناء عمه معطياً للخمس والزكاة ومحامياً عن المظلوم وأنيقاً في المعاملة والتصرف.

فصعد العرب سلّم الحضارة مرتبة بعد اخرى مع رسول الله ﷺ ثم بدأوا بنزولها بعد مقتله ﷺ درجة بعد اخرى الىٰ قاع السقوط! وهذه عبرة لنا في ضرورة التمسّك بالدين لصعود درجات العلى والابتعاد عن السقوط والهزيمة.

ان قدرة رسول الله ﷺ الاخلاقية والحضارية تتجسد في انقاذه أجهل أمة علىٰ سطح المعمورة نقلة نوعية ودفعها الى ساحة الحريّة والعدالة والإنسانية.

الفصل الثالث

القرآن الكريم

الاخبارات الغيبية في القرآن

جاء في القرآن الكريم اخبارات عن الحوادث الغيبية

﴿تلك من انباء الغيب نوحيها اليك، ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا﴾[1].

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾[2].

ومن اخباراته تعالى انتصار المسلمين في معركة بدر الكبرى[3] وكذلك انتصار النصارى على المجوس بقوله تعالى:

(الم غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين)[4]

ورغم هذا فقد ترك اغلب الناس القرآن وأهل البيت إذ جاء:

﴿ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[5].

وجاء بان للقرآن ظاهراً وباطناً فقد قال رسول الله ﷺ: **له ظهر وبطن فظاهره**

---

(١) سورة هود ٤٩.

(٢) آل عمران: ٤٤.

(٣) البيان الخوئي ٨١ ـ ٨٤.

(٤) سورة الروم ١.

(٥) الفرقان ٣٠.

حكم وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا يشبع منه علماؤه[1].

وقال عبدالله بن مسعود الصحابي الكبير الشأن: إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن وإن علي بن أبي طالب ﷺ عنده علم الظاهر والباطن[2].

المحكم والمتشابه

جاء في الكتاب العزيز **﴿مِنهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهَاتٌ، فَأمَّا الذينَ في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشَابَهَ مِنْهُ ابتِغاءَ الفِتْنَةِ وابتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾**[3]

ومنذ البعثة النبوية وإلى اليوم يحاول الحائدون عن الحق والملاحدة الجري خلف المتشابه من القرآن وتفسيره وفق اهوائهم.

وقد قال رسول الله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[4].

وقد فسّر محمد ﷺ عميد أهل البيت ﷺ المحكم والمتشابه فيه مما يفسر حاجة الثقل الواحد للآخر فهما ركنان لا ينفصلان.

التأويل

وجاء في القرآن الكريم حول التأويل:

﴿وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا﴾[5]

---

(١) كنز العمال ٢/١٨٦، حياة الصحابة ٣/٤٥٦.

(٢) مصابيح السنة ١/١٧٦، مجمع الزوائد ٧/١٥٢، تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ ٣/٢٥، اسمى المناقب ٨٢، حلية الاولياء ١/٦٥، الاتقان ٢/١٨٧.

(٣) آل عمران ٧.

(٤) صحيح مسلم ٥ / ٢٢ ح ٢٤٠٨ والدر المنثور ٧ / ٣٤٧.

(٥) آل عمران ٧

والراسخون في العلم هم محمد وأهل بيته الكرام ﷺ، ويبين ذلك حاجة القرآن إلى تفسير أهل البيت ﷺ.

فالآيات المحكمات هنّ أم الكتاب ومقابلها المتشابهات التي يتردد معناها بين معنى وآخر، يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين معناهافتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة[1].

فقوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2]

يشتبه المراد منه على السامع أول ما يسمعه، فإذا رجع إلى قوله تعالى:

﴿ليس كمثله شيء﴾[3]

استقر الذهن على أنّ المراد به التسلط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه.

ومن قصص التأويل سيرة موسى ﷺ مع الخضر ﷺ إذ قال الخضر:

﴿سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً﴾:

﴿أمّا السفينةُ فَكانَت لمساكين يعملُونَ في البحر فأردتُّ أن أعِيبَها وَكانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يأخُذُ كُلَّ سفينةٍ غَصباً، وأمّا الغلامُ فكانَ أبواهُ مؤمنينِ فخشِينآ أن يُرهقَهُما طُغياناً وكُفراً، فأردنا أن يُبدِلَهما رَبُّهما خَيراً منهُ زكاةً وأقربَ رُحماً، وأمّا الجدارُ فكانَ لغلامينِ يتيمينِ في المدينةِ، وكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما، وكانَ أبوهُما صالحاً﴾[4].

ولولا تأويل الخضر ﷺ لحكم موسى ﷺ عليه بارتكاب جريمتين شنيعتين.

---

(١) راجع تفسير الطباطبائي ٣/٢٣.

(٢) طه ٥.

(٣) الشورى ١١.

(٤) الكهف ٧٨ ـ ٨٢.

ترك البعض للثقلين

لقد ترك اغلب الناس الثقلين وتوجهوا نحو الدنيا. إذ قال أهل السقيفة لرسول الله ﷺ في مرضه: حسبنا كتاب الله رداً على قوله بالثقلين[1]. اي رفضوا ثقل أهل البيت عليهم السلام نظرياً

ونفّذوا ذلك عملياً إذ قتلوا رسول الله ﷺ وفاطمة عليها السلام وخلعوا علياً عليه السلام وأولاده من الخلافة الذين نصّ عليهم رسول الله ﷺ باسم الأئمة الإثنا عشر.

ثم تركوا القرآن الكريم الثقل الثاني إذ جاء قوله تعالى:

﴿إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[2] فرفضوا نسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومنعوا تفسيره ليصبح مهجوراً.

وقد أجبر حذيفة بن اليمان عثمان علىٰ نسخ القرآن فنسخه فتحطّمت نظرية الحزب القرشي في منع نسخ القرآن والسعي لتحريفه مثلما حرَّف اليهود التوراة.

ثم اظهر الحجاج والوليد بن يزيد الأموي علناً معارضتهما للقرآن الكريم[3] إذ قرأ الوليد قوله تعالى:

﴿واستَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّار عنيد من وَرَآئهِ جَهَنَّمُ ويُسقَىٰ مِن مَّآءٍ صدِيدٍ﴾[4]

فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد فهاأناذا جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل يارب خرقني الوليد[5]

(١) صحيح البخاري ١ / ٣٧.

(٢) الفرقان ٣٠.

(٣) مستدرك الحاكم ٣ / ٦٤٢ طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت

(٤) سورة إبراهيم ١٥، ١٦.

(٥) مروج الذهب ٢/١٩٩ ـ ٢٠٠، الكامل، ابن الاثير ٥/٢٩٠، الأغاني ٦/١٢٥، الجوهر في سير الملوك والخلفاء والسلاطين ٧٩.

واعلن كفره قائلاً:

تلعّب بالخلافة هاشمي ... بلا وحي أتاه ولا كتاب[1]

وقد قال علي عليه السلام في بني أمية: والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله حراماً إلّا استحلوه ولا عقداً إلّا حلوه وحتى لا يبقى بين مدر ولا وبر إلا دخله ظلمهم[2].

الثقل الثاني في القرآن والسنة

لقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه مناقب أهل البيت عليهم السلام في مواطن عديدة منها:

﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إن كُنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾[3]

وقد نصَّ العلماء علىٰ أنّها نزلت في أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، والذين أيّدوا نزولها في هؤلاء من علماء السنّة:

الطبري في تفسيره ج ١٤/١٠٩. والآلوسي في تفسيره روح المعاني ١٤/١٣٤. والقرطبي في تفسيره ١١/٢٧٢. والتستري في تفسيره إحقاق الحق ٣/٤٨٢. وابن كثير في تفسيره ٢/٥٧٠. والحاكم في تفسيره شواهد التنزيل ١/٣٣٤. والإمام الثعلبي في تفسيره لهذه الآية.

وجاء أيضاً: ﴿إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطهِيراً﴾[4].

فالآية في حق أهل البيت محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، نزلت في بيت أمّ سلمة، عندما كان هؤلاء الخمسة تحت الكساء، وسمّيت الآية بآية التطهير.

ولمّا أرادت أمُّ سلمة الدخول معهم تحت الكساء، رفض النبي صلى الله عليه وآله ذلك وقال:

---

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢/٢٠٠

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٧/٧٨.

(٣) سورة النحل، ٤٣، وسورة الأنبياء، ٧.

(٤) الاحزاب، ٣٣.

أنتِ علىٰ خير، ومصادر السنَّة التي سلّمت وأيَّدت نزولها في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام هي:

١ـخصائص الأمام النسائي /٤٩. ٢ـمسلم في صحيحه باب فضائل أهل البيت ٢/٣٦٨. ٣ـصحيح الترمذي ٥/٣٠. ٤ـمسند الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٣٠. ٥ـتلخيص الذهبي. ٦ـالصواعق المحرقة لابن حجر ٨٥. ٧ـالإستيعاب لابن عبد البر ٣ / ٣٧. ٨ـتفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢. ٩ـأحكام القرآن لابن عربي ٢ / ١٦٦. ١٠ـمستدرك الحاكم ٣ / ١٢٣. ١١ـاسباب النزول للواحدي ٢٠٣. ١٢ـمنتخب كنز العمال ٥ / ٩٦. ١٣ـالبخاري في التاريخ الكبير ١ / ٦٩. ١٤ـتفسير الفخر الرازي ٢ / ٧٠٠. ١٥ـالسيرة الحلبية ٣ / ٢١٢. ١٦ـأُسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٢. ١٧ـتفسير الطبري ٢٢ / ٦. ١٨ـتاريخ ابن عساكر ١ / ١٨٥. ١٩ـتفسير الكشاف للزمخشري ١ / ١٩٣. ٢٠ـمناقب الخوارزمي، ٢٣. ٢١ـالسيرة الدحلانية ٣ / ٣٢٩. ٢٢ـتفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٣. ٢٣ـالعقد الفريد لابن عبد ربه ٤ / ٣١١. ٢٤ـمصابيح السنَّة للبغوي ٢ / ٢٧٨. ٢٥ـالدر المنثور للسيوطي ٥ / ١٩٨.

وقد قال الفخر الرازي: إنَّ الآية تدلُّ علىٰ أنَّ هؤلاء الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين مطهَّرون من الذنوب الصغيرة والكبيرة.[١]

وهناك الكثير من المفسرين والحفَّاظ والمؤرخين والعلماء من أهل السنَّة، ممَّن لم نذكرهم هنا قد ذكروا نزول الآية في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خاصَّة.[٢]

ولم تدَّعِ عائشة ولا حفصة ولا أم سلمة بأنها من أهل البيت عليهم السلام، بل على العكس من ذلك ذكرت عائشة وأم سلمة بأنّ الآية نزلت في حق محمد وعلي

(١) تفسير الرازي ٢ / ٧٠٠.

(٢) راجع كتاب الغدير للعلامة الأميني في هذا الباب.

وفاطمة والحسن والحسين. ثمّ جاء بعض الرواة والحفظة فالصقوا نساءَ النبي ﷺ بأهل بيته: حقداً عليهم وحسداً لهم!

والآية الثالثة التي أجمعوا علىٰ نزولها في أهل البيت ﷺ هي:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]

وآية المباهلة معروفة بين المسلمين بيوم المباهلة بين المسلمين والنصارى وخوف النصارى من المباهلة بعد مجيء محمد ﷺ وعلي ﷺ وفاطمة والحسن والحسين.

وعن أبي مسعود الأنصاري أنّه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عُبادة، فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عز وجل أن نصلّي عليك، فكيف نصلّي عليك؟

فسكت رسولُ الله ﷺ حتىٰ تمنّينا أنّه لم يسأله. فقال قولوا اللهمّ صلّ علىٰ محمد وآل محمد، كما صلّيت علىٰ إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وآل محمد، كما باركت علىٰ إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد.

ولمّا كان يوم أحد شُجّ رسول الله ﷺ في وجهه، وكسرت رباعيته، فقام رسول الله ﷺ يومئذ رافعاً يديه يقول:

إنّ الله تعالىٰ اشتدّ غضبه على اليهود أن قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارىٰ أن قالوا: المسيح ابن الله، وإن الله اشتدّ غضبه علىٰ من أراق دمي، وآذاني في عترتي[2].

وقد ذكر النبي ﷺ أحاديث في فضل أهل البيت ﷺ منها قوله ﷺ: أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق[3].

---

(١) آل عمران ٦١.

(٢) كنز العمال ١٠/٤٣٥ حديث ٣٠٠٥٠.

(٣) كنز العمال ٦/٢١٦، مستدرك الصحيحين ٢/٣٤٣، المعجم الكبير للطبراني ١٢/٢٧ ح١٢٣٨٨ الصواعق المحرقة، ابن حجر ص١٨٦.

وقال الرسول ﷺ: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد[1].

هل كان القرآن مدوّناً في زمن النبي ﷺ ؟

لقد اهتمّ الرسول ﷺ بقضية جمع القرآن الكريم في حياته، وأهتم بها الإمام علي ؑ من بعده. فبعد موت الرسول ﷺ وقضيّة السقيفة قال الإمام علي ؑ: بأنّه قد حصر جهوده في قضيّة جمع القرآن الكريم. وقد أكمله وأتمّه فكان أول قرآن كامل وصحيح عند المسلمين[2].

وسعىٰ عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب في جمع القرآن الكريم أيضاً.فعرف في تلك الفترة الزمنية قرآن الإمام علي ؑ وقرآن ابن عباس وقرآن ابن مسعود. وبعد حرب اليمامة ونجاح الدولة في القضاء علىٰ المعارضة السياسية هدأت الأوضاع في جزيرة العرب ولم تقدم الدولة على نسخ القرآن .

هنالك شواهد كثيرة علىٰ تدوين القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ، إذ وصلت لنا ادلة بوجود مصحف علي ؑ ومصحف عبد الله بن عباس ومصحف عبد الله بن مسعود

في رواية عن عبد الله بن الزبير « بعثني (أي عثمان) إلىٰ عائشة فجئت بالمصاحف التي كتب فيها رسول الله ﷺ القرآن فعرضناها عليها حتىٰ قوّمناها[3].

وذكر عمر بن شبة في تاريخ المدينة:

«أن عثمان بن عفان كتب إلى الامصار أمّا بعد فإن نفراً من أهل الأمصار اجتمعوا عندي فتدارسوا القرآن، فاختلفوا اختلافاً شديداً، فقال بعضهم قرأت

---

(١) كنوز الحقائق ص ١٥٣، الرياض النضرة ٢/٢٠٨.

(٢) كنز العمال ١٣/١٢٧، مصنف ابن أبي شيبة ٧/١٩٧، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٥٠، أنساب الأشراف ١/٥٨٧، التسهيل، ابن جزي ١/٦، وذكره أبو نعيم في الحلية.

(٣) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩١.

علىٰ حرف أبي الدرداء، وقال بعضهم قرأت علىٰ حرف عبد الله بن مسعود.

وقال بعضهم قرأت علىٰ حرف عبد الله بن قيس، فلما سمعت اختلافهم في القرآن ورأيت أمراً منكراً، فاشفقت علىٰ هذه الأمة من اختلافهم في القرآن، وخشيت أن يختلفوا في دينهم بعد ذهاب من بقي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين قرأوا القرآن علىٰ عهده وسمعوه من فيه، كما اختلفت النصارىٰ في الأنجيل بعد ذهاب عيسىٰ بن مريم، وأحببت أن نتدارك من ذلك.

فأرسلت إلىٰ عائشة أم المؤمنين أن ترسل لي بالأدم الذي فيه القرآن الذي كتب عن فم رسول الله ﷺ حين أوحاه الله إلىٰ جبريل، وأوحاه جبرئيل إلىٰ محمد وأنزله عليه، وإذا القرآن غض، فامرت زيد بن ثابت أن يقوم علىٰ ذلك. ولم أفرغ لذلك من أجل أمور الناس والقضاء بين الناس، وكان زيد بن ثابت أحفظنا للقرآن، ثمّ دعوت نفراً من كتاب أهل المدينة وذوي عقولهم، منهم نافع بن طريف، وعبد الله بن الوليد الخزاعي، وعبد الرحمن بن أبي لبابة، فأمرتهم أن ينسخوا من ذلك الأدم أربعة مصاحف وأن يتحفظوا»[1].

وقال ابن جزي: كان القرآن علىٰ عهد رسول الله ﷺ متفرّقاً في الصحف وفي صدور الرجال، فلمّا توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب عليه السلام في بيته فجمعه علىٰ ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد»[2].

وذكر الشيرازي في نزول القرآن وأبو يوسف يعقوب في تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ قال ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: فجمع اللهُ القرآن في قلب علي عليه السلام وجمعه علي عليه السلام بعد موت رسول الله بستة أشهر[3].

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩٧.

(٢) التسهيل، ابن جزي ١/٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١ / ٣١٩.

وذكر الكثير من العلماء والحفاظ جمع علي بن أبي طالب ﷺ للقرآن الكريم منهم: أبو العلاء العطار والموفق خطيب خوارزم في كتابيهما، والخطيب في الأربعين بالاسناد عن السدي وأبو نعيم في الحلية.

وجاء في كتاب كنز العمال: عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم عليٌّ ﷺ أن لا يرتدي برداء إلّا إلى الجمعة حتىٰ يجمع القرآن في مصحف[١].

وروىٰ ابن أبي شيبة في مصنفه ١٩٧/٧ قول الإمام علي ﷺ:

«جعلت عليَّ أن لا أرتدي إلّا إلى الصلاة حتىٰ أجمعه للناس، فقال أبو بكر: نعم ما رأيت»[٢].

وجاء في أخبار أهل البيت: أنه (علي ﷺ) آلى أن لا يضع رداءه علىٰ عاتقه إلّا للصلاة حتىٰ يؤلّف القرآن ويجمعه، فانقطع عنهم مدّة إلىٰ أن جمعه، ثمّ خرج إليهم في إزار يحمله وهم مجتمعون في المسجد، فانكروا مصيره بعد انقطاع مع التيه، فقالوا: لأمر ما جاء أبو الحسن؟

فلمّا توسطهم وضع الكتاب بينهم، ثمّ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: إنّي مخلّف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وهذا الكتاب وانا العترة. فقام إليه عمر، فقال له: إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله، فلا حاجة لنا فيكما. فحمل ﷺ الكتاب وعاد به، بعد أن الزمهم الحجّة[٣].

وعن سليم بن قيس الهلالي: «سمعت علي بن أبي طالب ﷺ يقول: ما نزلت علىٰ رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليَّ فاكتبها بخطي»[٤].

---

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ١٢٧/١٣.

(٢) كنز العمال ٥٨٨/٢، الإستيعاب ٩٧٤/٣، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٤٥٠/٥، أنساب الأشراف ٥٨٧/١.

(٣) راجع الاحتجاج، الطبرسي ٢٥٥/١، البحار، المجلسي ٤٢/٩٦ـ٤٣، تفسير نور الثقلين ٢٢٦/٥.

(٤) تفسير العياشي ٢٥٣/١.

وحاول عمر في أيام سلطته أخذ قرآن علي منه لإتلافه فامتنع علي[١] ولو أتلفه لاصبح القرآن مثل الحديث في عصرنا الحاضر ومثل توراة اليهود!

منع الدولة لتدوين القرآن

وأول من أظهر اطروحة الحزب القرشي في القرآن والحديث كان أبو بكر فهو الذي امتنع من نسخ القرآن الكريم. ثمّ سار عمر علىٰ ذلك المنهج فلم ينسخا القرآن الكريم في مدة حكمهما.

وامتنع أبو بكر عن تدوين الحديث النبوي، واحرق ما دوّن منه، ومنع ذكر الحديث بين المسلمين. ثم طبّق عمر بن الخطاب ذلك المنهج بحذافيره.[٢]

أخرج المتقي الهندي، عن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن حاطب أنّه قال: أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام في الناس فقال: من تلقّىٰ من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتنا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف، والألواح، والعسب، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتّىٰ يشهد شهيدان. فقُتل وهو يجمع ذلك إليه[٣].

أي مضت ثلاث عشرة سنة من حكم أبي بكر وعمر ولم يجمعا القرآن الكريم!![٤].

والصحيح ان قرآن علي عليه السلام موجود ولم يرغب أبو بكر وعمر في نسخه وتكثيره بين المسلمين!

وقد قال الله سبحانه في محكم كتابه الشريف:

﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنا الذِكرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٥].

---

(١) السقيفة، سليم بن قيس ٢٣٧.

(٢) راجع موضوع الحديث النبوي في هذا الكتاب.

(٣) منتخب كنز العمال ٢/٤٥.

(٤) راجع موضوع تدوين القرآن في هذا الكتاب.

(٥) الحجر، ٩.

وإذا كان القرآن مكتوباً فلماذا ذكروا جمع أبي بكر وعمر وعثمان للقرآن وتشكيلهما اللجان في ذلك؟

الواقع ان الروايات التي ذكرت جمع هؤلاء للقرآن كُتبت في الزمن الأموي وهدف الدولة من ذلك عدّة أمور:

١ـ محاولة انكار وجود مصاحف مدوّنة ومكتوبة في زمن النبي ﷺ.

٢ـ اعطاء فضيلة للخلفاء في اقدامهم على جمع القرآن توازي فضيلة علي عليه السلام في جمعه للقرآن في زمن النبي ﷺ.

ودعوى الأمويين تلك فشلت بعد امتناع أبي بكر وعمر من استنساخ القرآن طيلة ثلاث عشرة سنة حكما فيها البلاد، بدأت من سنة ١١ هجرية وانتهت في سنة ٢٤ هجرية.

٣ـ ايجاد عذر واهي للمعارضين لذكر السنة النبوية بحجة خوفهم من اختلاط الحديث بالقرآن!

وقد بان زيف هذا الدليل بامتناع الخليفتين الأول والثاني من تدوين القرآن والسنة ولو كان هناك خوف واقعي في قلبيهما لنسخا القرآن الموجود فعلا آنذاك ودوّنا السنة النبوية.

وعدم نسخهما للقرآن الكريم وعدم تدوينهما السنة النبوية يثبت رغبتهما في ادامة ذلك.

والذي يؤكّد هذا المنحىٰ اقدام الخليفتين على إحراق الحديث المدوّن في زمن النبي ﷺ

فبعد مقتله ﷺ منعا الصحابة من ذكر الحديث وسجنا الصحابة في مدينة الرسول ﷺ.

ومن الطبيعي أن تكون عملية منع تدوين القرآن والسنة بداية للفتنة الدينية

العظمى التي وقع فيها اليهود والنصارىٰ.

وهذه القضية يدركها كل إنسان عاقل فهل خفيت تلك المسألة علىٰ أبي بكر وعمر؟ بينما قال عثمان لاحقاً: اشفقت علىٰ هذه الأمة من اختلافهم في القرآن[١].

لقد ذكرنا بان الحديث النبوي ﷺ الداعي لنشر وتدوين السنة النبوية قد ذكره عمر وباقي الصحابة وهو: ليبلغ الشاهد منكم الغائب [٢].

والأخطر من ذلك أنّ عمر بن الخطاب أقدمَ علىٰ تزييف القرآن الصحيح المدوّن في زمن النبي ﷺ والمعروف بمصحف علي ﷺ بذكر آيات كثيرة بدعوىٰ انها من القرآن الكريم، وانكاره حقيقة آيات أخرىٰ مدوّنة فعلاً[٣].

ولو استمر عمر بن الخطاب في حكومته لمنع نسخ القرآن، وثبتت دعواه في زيادته ونقصانه، واستمر منع تفسيره وتدوينه ومنع تدوين وذكر السنة النبوية. وبكلمة أخرىٰ ضياع تراث الثقلين!.

ولحدثت في المسلمين فاجعة تشابه فاجعة أهل الكتاب ولكن الله سبحانه وتعالىٰ قال في محكم كتابه الشريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٤]

وعندما لمس الناس خطورة فعل أبي بكر وعمر في عدم نسخهما للقرآن الكريم وعدم جمعهما له علىٰ قراءة واحدة اوجد عبد الله بن الزبير عذراً قائلاً:

كان عمر قد همَّ أن يجمع المصاحف فيجعلها علىٰ قراءة واحدة فطعن طعنته التي مات فيها[٥].

لقد ذكروا هذا العذر بعد مقتل عمر علىٰ يد أبي لؤلؤة وذكروا بان عمر نوىٰ أيضاً أن يكلم المغيرة في أمر أبي لؤلؤة لكنه طعن!

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩٧.

(٢) تفسير الصافي ١ / ٣٠٤ واعجاز القرآن للباقلاني ١٣٢

(٣) راجع ذلك في موضوعه الخاص في هذا الفصل.

(٤) الحجر: ٩.

(٥) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/٩٩٠.

ولم يطّلع أحد علىٰ نوايا عمر، وما تلك إلّا ظنون وحجج كتبت بعد مقتله ليس لها حقيقة.

ولم يهتم رجال الحزب القرشي بالقرآن وعدم اهتمام الوليد بن يزيد بن عبد الملك بالقرآن يبين نظرة الحزب إلى كلام الله تعالىٰ، إذ استفتح الوليد بالقرآن فقرأ ﴿واستَفْتَحوا وخاب كلُّ جبار عنيد، من ورائه جهنم ويسقىٰ من ماء صديد﴾ فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشاب وأقبل يرميه وهو يقول:

أتـوعِدُ كـلَّ جـبار عـنيدٍ فـها أنـا ذاك جـبار عـنيدُ

إذا ما جئت ربك يوم حشـر فقل يا ربِّ خرّقني الوليدُ[1]

من أجبر الدولة علىٰ تدوين القرآن؟

وتشير النصوص إلىٰ فعالية حذيفة بن اليمان في توحيد نسخ القرآن الكريم في زمن عثمان مما يبين أوامر الإمام علي ﷺ في هذا المجال لأن حذيفة بن اليمان كان تلميذاً مطيعاً لعلي ﷺ كما كان لرسول الله ﷺ[2]. إذ ضغط علىٰ عثمان وأجبره علىٰ نسخ القرآن فنسخه[3].وان قرآن عمر كان مجموعاً بواسطة زيد بن ثابت ووضع عند حفصة دون رغبة باستنساخه.ولما ضغط المسلمون علىٰ عثمان بقيادة حذيفة بن اليمان رضخ عثمان لهذا ووافق علىٰ استنساخ القرآن الكريم فتأسست لجنة فيها زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وحذيفة وآخرون.ولم تأخذ اللجنة بقرآن حفصة، لذلك لما ماتت حفصة في زمن دولة معاوية اسرع مروان بن الحكم (والي المدينة) إلى الحصول علىٰ قرآن حفصة لاتلافه، وفعلاً نفّذ ذلك[4].وذكر ابن شهاب عن خارجة

---

(١) مروج الذهب، المسعودي ٢١٦/٣.

(٢) راجع تاريخ المدينة المنوّرة، عمر بن شبة ٩٩٨/٣.

(٣) البحار ٨٩ / ٧٦ والسنن الكبرى للبيهقى ٢ / ٤١ وفتح البارى ٩ / ١٤ .

(٤) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد، الهيثمي ١٥٦/٧.

بن زيد بن ثابت قال: لما ماتت حفصة أرسل مروان إلىٰ عبد الله بن عمر بعزيمة، فأعطاه إياها فغسلها غسلاً، وجاء فشققها ومزقها[١]. وكان هذا القرآن الصحيح مطبوعاً بقراءة علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذها عنه عليه السلام عاصم فجاء: «عن حفص، عن عاصم، عن أبي عبد الرحمن قوله: لم أخالف علياً في شيء من قراءته، وكنت اجمع حروف علي عليه السلام، فألقىٰ بها زيداً في المواسم بالمدينة فما اختلفنا الا في التابوت، كان زيد يقرأ بالهاء وعلي عليه السلام بالتاء»[٢]. وقرآننا الحالي فيه كلمة التابوت بقراءة علي عليه السلام لا بقراءة زيد بن ثابت. ولأنّ زيد بن ثابت من اصل يهودي واعماله مشكوكة فقد ذكر ابن عساكر بان عبد الله بن مسعود كان يكره استنساخ القرآن بواسطة زيد بن ثابت[٣].

اعتقاد الحزب القرشي بنقص القرآن

أخرج البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنّه قال ـ وهو على المنبر ـ: إنَّ الله بعث محمّداً بالحق نبيّاً، وأنزل عليه الكتاب فكان ممّا أنزل آية الرجم، فقرأناها، وعقلناها، ووعيناها. رجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورجمنا بعده فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلّ بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق علىٰ من زنىٰ إذا أُحصن من الرجال والنساء.

ثمّ إنّا كنا نقرأ فيما يقرأ في كتاب الله، ألّا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم»[٤].

وقال عمر: كنّا نقرأ: ألّا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم. ثمّ قال لزيد بن ثابت:

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٣/١٠٠٣.

(٢) سير اعلام النبلاء، الذهبي ٢/٤٢٦.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٤ / ٥٧.

(٤) صحيح البخاري ١٠/٤٣، الاتقان لابي عبيد ٢/٤٢.

أكذلك؟ قال: نعم[1].

وهكذا اثبت صحيح البخاري بأنَّ عمر وزيد بن ثابت كانا يقولان بنقص القرآن الكريم، وهو من اسباب عدم رغبتهما بنسخ القرآن الكريم. وفعلاً لم ينسخ القرآن في زمن أبي بكر وعمر.

والادلة على اعتقاد عمر بن الخطاب بتحريف القرآن قوله لعمير: أوليس كنَّا نقرأ من كتاب الله؟ أن انتفاءكم من آبائكم كفر بكم.

فقال: بلى.

ثمَّ قال عمر : أوليس كنَّا نقرأ الولد للفراش وللعاهر الحجر، فيما فقدنا من كتاب الله.

فقال أُبي: بلى[2].

ومن هذا يتبيَّن أنَّ عمر اعتقد بنقص آية [**ألاَ ترغبوا عن آبائكم فإنَّه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم**] من القرآن الكريم.

«وأخرج مسلم عن أبي الأسود عن أبيه أنَّه قال: بعث أبو موسى الاشعري إلى قرّاءِ أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن فقال:

أنتم خيار أهل البصرة، وقرّاؤهم، ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان من قبلكم وإنَّا كنا نقرأ سورة كنا نشبّهها في الطول والشدة ببراءة فنسيتها غير أنّي قد حفظت منها: [**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب**].وكنَّا نقرأ سورة نشبّهها بإحدى المسبّحات فنسيتها، غير أنّي حفظت منها:[**يا أيُّها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة**]

(١) الدر المنثور ١/١٠٦، فزيد بن ثابت اليهودي السابق مدوِّن القرآن عند أبي بكر وعمر وعثمان يؤمن بنقص القرآن الكريم !.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/١٠٦، كنز العمال ٢/٥٦٧ ح١٥٣٧٢.

نجتزىء بما أوردناه وهو كاف هنا لبيان كيف تفعل الرواية حتىٰ في الكتاب الأوّل للمسلمين وهو القرآن الكريم! ولا ندري كيف تذهب هذه الروايات التي تفصح بأنّ القرآن فيه نقص، وتحمل مثل هذه المطاعن مع قول الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنا الذِكرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] وأيها تصدق؟![2].

قال الاشعري بنقص القرآن للقرآء فحرفهم عن الدين فأصبحوا خوارج لذا انتخبوه ممثلا لهم في معركة صفين.

وذكر السيوطي عن ابن عباس أنّه قال: أمر عمر بن الخطاب منادياً فنادىٰ: أنَّ الصلاة جامعة، ثمَّ صعد المنبر فحمد واثنىٰ عليه، ثمّ قال: يا أيّها الناس لا تجزعن من آية الرجم إنّها نزلت في كتاب الله وقرأناها، ولكنّها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد، وآية ذلك أنَّ النبي ﷺ قد رجم، وان أبا بكر قد رجم، ورجمت بعدهما، وأنّه سيجئ من هذه الأمّة من يكذّبون بالرجم[3].

وأخرج الإمام احمد، عن ابن عباس أنّه قال: خطبنا عمر فحمد الله تعالىٰ، وأثنىٰ عليه فذكر الرجم فقال: لا تخدعن عنه، فإنه حد من حدود الله تعالىٰ. إلّا أنَّ رسول الله ﷺ، قد رجم، ورجمنا بعده، ولولا أن يقول قائل: زاد عمر في كتاب الله عزّوجل ما ليس منه لكتبته في ناحية من المصحف[4].

وقال الشيخ محمد أنور: [فأخشىٰ إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية من كتاب الله... الخ] واراد عمر أن يكتبها في المصحف!

فإن قلت: إنها إن كانت من كتاب الله، وجبت أن تكتب، وإلّا وجب أن لا تكتب. فما معنىٰ قول عمر؟

---

(١) الحجر، ٩.

(٢) أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية ٢٥٦.

(٣) الدر المنثور ٥/١٧٩.

(٤) مسند الامام أحمد ١/٢٣ وأخرجه النسائي.

قلت: أخرج الحافظ عنه: لكتبتها في آخر القرآن[١].

وجاء في تفسير الدر المنثور للسيوطي عن حذيفة أنّه قال: قال لي عمر بن الخطاب: كم تعدّون سورة الاحزاب.

قلت: ثنتين أو ثلاث وسبعين.

قال عمر : إن كانت لتقارب سورة البقرة[٢] وكان فيها الرجم[٣].

وقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: ألم نجد فيما أنزل علينا: «أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة»؟ فإنّا لم نجدها.

قال: أُسقط فيما اسقط من القرآن[٤]. إذاً ابن عوف يؤمن ايضاً بنقص القرآن ! وهو شرط من شروط الخليفة فجعله عمر ولياً للعهد بعد عثمان لكن عثمان والأمويين قتلوه لصالح معاوية ابن أبي سفيان المؤمن بنقص القرآن والمعتقد بضرورة حذف أهل البيت عليهم السلام عقائدياً وسياسياً أيضا .

وأخرج الشيخ عبد الرحمن السيوطي عن ابن عمر أنّه قال: ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريك ما كلّه؟ قد ذهب منه قرآن كثير، ولكن ليقل: قد أخذت منه ما ظهر[٥]. فالتحق عبد الله بن عمر بركب القائلين بنقص القرآن ! ولايمانه بذلك فقد رشحه أبو موسىٰ الاشعري للخلافة في قضية التحكيم المعروفة.

إذن اعتقد عمر بأنّ القرآن تنقصه ما يلي:

آية الرجم.

آية: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنّه كفر بكم.

آية: أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرّة.

---

(١) فيض الباري علىٰ صحيح البخاري ٤/٤٥٣.

(٢) اي ٢٨٦ آية !!.

(٣) الدر المنثور ٥/١٨٠.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي ٢/٥٦٧.

(٥) الدر المنثور ٢/٢٩٨، تفسير روح المعاني للآلوسي ١/٢٥.

آية: إنّ انتفاؤكم من آبائكم كفر بكم.

آية: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

آية الشيخ والشيخة.

وفي سورة الأحزاب توجد ثلاث وسبعون آية. بينما اعتقد عمر بأنّها في حجم سورة البقرة أي مائتان وست وثمانون آية، اي ان عمر يؤمن بنقص سورة الأحزاب لمائتين وثلاث عشرة آية!! وبذلك يظهر لنا أنّ عمر من المعتقدين بنقص القرآن الكريم.

ومن المعتقدين بنقص القرآن عائشة :

قالت لأم المؤمنين زينب بنت جحش ابنة عمة النبي ﷺ بعد مقتل النبي ﷺ: يقال إنّ عندكم شيئاً من كتاب الله عز وجل لم تظهروه؟

فقالت زينب: لو كتم محمد ﷺ ممّا أنزل الله عزّ وجل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾[1].

فتكون النتيجة: ان نظرية عمر في الثقلين القرآن وأهل البيت عليهم السلام تتمثّل في الإيمان بنقص القرآن الكريم، وحذف أهل البيت عليهم السلام فأين وصية النبي ﷺ في الثقلين؟ بقوله ﷺ: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[2].

صحة القرآن الكريم

والمسلمون اليوم من سنة وشيعة متّفقون على صحة القرآن الكريم الموجود بين أيدينا بلا نقص ولا زيادة ولا تحريف. ولا يعني هذا أنّه لا يوجد سابقاً بعض العلماء منهم ممّن يقول بخلاف ذلك، بل أنّه يوجد علماء سابقون عندهم ممّن يقول بنقص القرآن وتحريفه إلّا ان العلماء الآخرون وهم الأغلبية قد تغلب قولهم وانتصر عند

---

(١) الأحزاب ٣٧، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ٢ / ٢٧٣.

(٢) صحيح مسلم ٥ / ٢٢ ح ٢٤٠٨ والدر المنثور ٧ / ٣٤٩.

الطائفتين والحمد لله[1].

وفي أيامنا هذه لم نسمع بعالم مسلم سنّي أو شيعي يتّبع من يقول بتحريف أو نقص أو زيادة في الكتاب الكريم.

إذن المسلمون اليوم متّفقون علىٰ صحة القرآن الكريم وانه بلا زيادة ولا نقصان. وسوف نجد في هذا الموضوع أنّ ممّن كان يقول بنقص القرآن عمر بن الخطاب إلّا ان جمهور المسلمين خالفوه في ذلك. وأيّده أبو موسى الاشعري وعبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وابن عوف.

وقد احتجّ عالم الأزهر محمود أبو ريّة على القول بنقص القرآن قائلاً:

«ولم يقف فعل الرواية عند ذلك بل تمادت إلىٰ ما هو أخطر من ذلك، حتّىٰ زعمت أنّ في القرآن نقصاً ولحناً، وغير ذلك مما أورد في كتب السنّة، ولو شئنا أن نأتي به كله هنا لطال الكلام ـ ولكنّا نكتفي بمثالين ممّا قالوه في نقص القرآن، ولم نأت بهما من كتب السنّة العامّة، بل مما حمله الصحيحان، ورواه الشيخان: البخاري، ومسلم[2].

وجهة نظر الدولة في تفسير القرآن

والمعروف عن عمر عدم رغبته في تفسير القرآن الكريم. واصراره في معاقبة كل من يسأل عن ذلك. فعن قرظة بن كعب قال: خرجنا نريد العراق، فمشىٰ معنا عمر بن الخطاب إلىٰ صرار، فتوضّأ ثمّ قال: أتدرون لِمَ مشيت معكم؟

قالوا: نعم نحن أصحاب رسول الله مشيت معنا.

قال: إنّكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدّوهم

(١) صحيح البخاري ١٠/٤٣، اضواء على السنة النبوية، أبو رية ص٢٥٦، الايضاح، الفضل بن شاذان ١١٣، ١١٤.

(٢) اضواء على السنة المحمدية. محمود ابو رية ٢٥٦.

بالأحاديث، جرّدوا القرآن وأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إمضوا وأنا شريككم. فلمّا قدم قرظة قالوا: حدّثنا. قال: نهانا عمر بن الخطاب.. ![1]

ليصبح القرآن كتاباً بلا تفسير اي بلا معنىٰ فنشأت طائفة قرّاء القرآن المعروفة بالخوارج وهؤلاء القراءاجبروا الامام عليا علىٰ التحكيم بتمثيل الاشعرى في صفين[2].

وأراد ابن حبان (أبو حاتم) أن يعذر عمر لأنّه وجد الفتق كبيراً فقال:«لم يكن عمر بن الخطاب وقد فعل يتّهم الصحابة بالتقوّل على النبي ﷺ ولا ردهم عن تبليغ ما سمعوا من رسول الله. وقد علم أنّه ﷺ قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأنّه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ. ولكنّه علم ما يكون بعده من التقوّل علىٰ رسول الله ﷺ لأنّه ﷺ قال: إنّ الله تبارك وتعالىٰ نزّل الحقّ علىٰ لسان عمر وقلبه. وقال ﷺ: إن يكن في هذه الأمّة محدّثون فعمر منهم. فعمر من الثقات المتّقين الذين شهدوا الوحي والتنزيل فأنكر عليهم كثرة الرواية عن النبي ﷺ»[3].

ويذكر أن حديث نزول الحقّ علىٰ لسان عمر وقلبه باطل لكون رواته من الكذبة (أبو هريرة وعبد الله بن عمر العمري ويحيىٰ بن سعيد وجهم بن أبي الجهم ومخالف لأقوال عمر وتصريحاته وهو القائل: كل الناس أفهم منك يا عمر حتىٰ النساء المخدرات[4]. ومسألة كون عمر ممّن شهد الوحي والتنزيل لا تنفي حاجة الناس إلىٰ تفسير وحديث.

والمسألة الثانية هي افتقاد إبن حبّان للرد المناسب والمنطقي في الموضوع، فذهب بعيداً للإستناد علىٰ قضيّة خيالية لأثبات القضيّة الأولىٰ.

---

(١) كتاب المجروحين ١ / ٣٦.

(٢) صفين ٥٠٣.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبّان ١ /٣٣.

(٤) ميزان الأعتدال للذهبي، تهذيب التهذيب ١٠ /٤٨٩.

فحديث ان عمر رجل محدَّث ليس له أساس من الصحَّة فهو وحديث: «لو كان نبي بعدي لكان عمر» قالته المؤسسة السياسية الأموية. إذ دعا معاوية إلىٰ ذكر مناقب نبوية في الخلفاء الثلاثة الأوائل فكثرت الأحاديث في هذا المجال.

قال إبن عرفة: إنَّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة إفتعلت في أيام بني أميَّة تقرُّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أُنوف بني هاشم[1].

وبينما أيّد إبن حبان حديث وجوب تبليغ الشاهد للغائب. وصحَّح حديث عدم حلية كتمان ما سمعوا من رسول الله ﷺ احتار كيف يخرج من هذا المأزق الحرج، فصوَّر له خياله ان يرفع عمر إلىٰ درجة الأنبياء والمحدَّثين الذين ينسخون ما ثبَّته نبي البشرية؟!

وإذا كان النبي ﷺ قد جاء بأحكام جديدة نسخت بعض أحكام الديانات السابقة، فهل أراد ابن حبان أن يقول: إنَّ عمر المحدَّث قد نسخ ما جاء به الرسول ﷺ في وجوب تبليغ الشاهد للغائب. فهل هو نبي بعد نبي؟!...

وإذا قال ابن حبان: أنَّ غايته ليست كذلك (وكانت كذلك) بل أراد انَّ عمر قد أدرك مخاطر مستقبلية لكتابة الحديث فمنع كتابته.

فهذا يعني أنَّ عمر يعرف علوم الغيب للمستقبل. والنبي ﷺ الموحى إليه من السماء لا يدرك ذلك؟!

إذن التفسيران مرفوضان في منع عمر لكتابة وذكر الحديث. ولا يبقى إلَّا تفسير واحد وهو الصحيح. وذلك التفسير يتمثَّل في إتِّباع عمر لنظريته، ونظريَّة قريش المتمثِّلة في حسبنا كتاب الله المجرَّد بلا تفسير.

وقد منع عمر ورفاقه الحديث النبوي وردّوه في زمن النبي ﷺ إذ قالوا في يوم الخميس: إنَّه ﷺ يهجر، حسبنا كتاب الله[2].

---

(١) فجر الإسلام، أحمد أمين ٢١٣.

(٢) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨.

إذن نظريّة منع نشر الحديث النبوي ومنع كتابته قد قالها عمر ورفاقه في أيام حياة النبي ﷺ، ولا علاقة لها بتخوّف عمر وأبي بكر وعثمان من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم! أليس كذلك ؟

فالنبي ﷺ قال: إئتوني بورقة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فقال عمر: حسبنا كتاب الله.

وقال عمر النبي ﷺ يهجر وقال أتباع عمر: القول ما قال عمر[١].

فالمؤكد هناك أمران، أمر نبوي بكتابة الحديث ونشره وأمر قرشي بمنع كتابته ومنع نشره.

وبذلك تكون عملية إيجاد التبريرات لأعمال عمر وأصحابه في هذا المجال ليس لها معنىٰ ولا موضع؛ لأنّها أقوال ضدّ معتقدات عمر ورفاقه.

فإنَّ عمر لمّا منع من كتابة الوصيّة، لم يخف من إختلاط الوصيّة بالقرآن بل رفضها وقال: حسبنا كتاب الله، فلم يبرر عمله أمام النبي ﷺ بما ذكروه.

ذكر السيوطي في تفسيره والبيهقي في شعب الإيمان والخطيب، والحاكم وصحّحه عن أنس، أن عمر قرأ على المنبر:

﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً [إلىٰ قوله] وأبا﴾[٢].

قال: كل هذا قد عرفناه. فما الأب؟ ثمّ رفض [رفع] عصا كانت في يده.

فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب. إتّبعوا ما بُيّن هداه من الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه، فكلوه إلىٰ ربه[٣].

وأخرج السيوطي، أن رجلاً سأل عمر عن قوله: وفاكهة وأبا، فلمّا رآهم يقولون أقبل عليهم بالدرّة.

---

(١) صحيح البخاري، باب قول المريض قوموا عنّي ٩/٧، صحيح مسلم، آخر الكتاب.

(٢) عبس، ٢٧ ـ ٣١.

(٣) الدر المنثور ٣١٧/٦.

ثمّ قال السيوطي: قرأ عمر: ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال: هذه الفاكهة فقد عرفناها، فما الأب؟ ثمّ قال مه نهينا عن التكلف .

واخرج ابن راهوية في مسنده عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: اني لأعرف أشدّ آية في كتاب الله، فأهوىٰ عمر فضربه بالدرة وقال: مالك نقّبت عنها،

فانصرف حتّىٰ كان الغد قال له عمر: الآية التي ذكرت بالامس. فقال:

﴿مَن يَعمَل سُوءاً يُجزَ بِهِ﴾[1] فما منّا أحد يعمل سوءاً إلّا جزىٰ به.

فقال عمر: لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتّىٰ أنزل الله بعد ذلك ورخص وقال:

﴿وَمَن يَعمَل سُوءاً أو يَظلِم نَفسَهُ ثُمَّ يَستَغفِرِ اللهَ يَجِد اللهَ غَفُوراً رَّحيماً﴾[2]

وقال ابن أبي الحديد: وكان عمر لا يهتم بتفسير القرآن، فيهمل مالا يعرفه، ويعاقب من يسأل عمّا لا يعرف. وفي لفظ الطبري كان عمر يقول: جرّدوا القرآن ولا تفسروه، واقلّوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم[3].

وكان عمر لا يعرف الكثير من معاني القرآن ويمنع من معرفتها، فقد جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الجوار الكنّس؟

فطعن عمر بخصرة معه في عمامة الرجل فألقاها بيده عن رأسه فقال: أحروري؟ والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لانحيت القمل عن رأسك[4].

وإنّ رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل اليه عمر وقد اعدّ له عراجين النخيل فقال: من انت؟

---

(١) النساء: ١٢٣.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٢٧، النساء: ١١٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣/١٢٠.

(٤) كنز العمال ١/٢٢٩ نقلاً عن الكنى للحاكم، الدر المنثور ٦/٣٢١.

قال: انا عبد الله صبيغ.

فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه فقال: انا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتّىٰ دمي رأسه، وترك ظهره ودبره، ثمّ تركه حتّىٰ برأ فدعا به ليعود له.

قال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد ان تداويني، فقد والله برئت، فأذن له إلىٰ ارضه، وكتب إلىٰ أبي موسى الاشعري: ان لا يجالسه احد من المسلمين!!

أي ان عمر لا يسمح بالسؤال عن تفسير الآيات وفهم معانيها ونظريته تتمثّل في تجريد القرآن الكريم. ليصبح القرآن مهجوراً، كما أخبر الله تعالىٰ في كتابه الشريف

ولكن في القرآن ناسخا ومنسوخا وفيه خاص وعام فالخاص كقوله تعالى:

﴿وامرأةً مؤمنةً إن وهبَتْ نفسها للنبي﴾[1]

والعام مثل قوله تعالىٰ: ﴿أقيموا الصلاة﴾[2] وفيه المحكم والمتشابه والمطلق والمقيد.

فكيف يفهم المسلم هذه الآيات ان سار علىٰ نظرية عمر في تجريد القرآن الكريم عن التفسير؟!!

وقالوا إنّ عمر حسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده، حتّىٰ سقطت عمامته. فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك، ألبسوه ثياباً وأحملوه علىٰ قتب، وأخرجوه حتّىٰ تقدموا به بلاده. ثمّ ليقم خطيب ثمّ يقول: إنّ صبيغاً إبتغى العلم فأخطأه.

فلم يزل وضيعاً في قومه حتّىٰ هلك (وكان سيد قومه)[3]. فذهب ضحية مخالفة

(١) الاحزاب: ٥.

(٢) النمل: ٢٣.

(٣) كنز العمال حديث ٤١٦٩، المصاحف لابن الانبار ونصر المقدسي في الحجة.

قريش للقرآن وشهيداً في حفظ كتاب الله.

فكل تلك العقوبة لصبيغ جاءت بسبب سؤاله عن تفسير القرآن؟!

ولا أدري كيف يعاقب عمر كل سائل عن تفسير آية قرآنية، وفي زمن النبي ﷺ رشّح نفسه كمقاتل علىٰ تأويل القرآن.

إذ جاء في مسند أحمد عن رسول الله ﷺ قوله: إنّ منكم من يقاتل علىٰ تأويله، كما قاتلت علىٰ تنزيله فقام أبو بكر وعمر.

فقال ﷺ: لا ولكن خاصف النعل، وعلي يخصف نعله[1].

وكانت علوم عمر بالقرآن قليلة وقد اعترف بذلك إذ خطب الناس فقال: من أراد ان يسأل عن القرآن فليأتِ أُبي بن كعب.

ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني؛ فإنَّ الله تعالىٰ جعلني خازناً[2].

وفي حديث آخر: ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت[3].

لقد عمل عمر مع صبيغ أكثر مما يفعله المسلمون مع الزاني غير المحصن، وهذا يبيّن شدَّة مخالفة عمر لتفسير القرآن!

وبعد عقوبة عمر لصبيغ في المدينة والبصرة هل يجرؤ رجل على السؤال عن تفسير آية من القرآن؟! وقد عرف الناس عقوبة ذلك.

وجاء رجل من اليهود إلىٰ عمر فقال: يا أمير المؤمنين: إنكُم تقرأون آية في كتابكم، لو علينا معاشر اليهود نزلت لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية هي؟

قال قوله تعالىٰ: ﴿اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم، وأتممت عليكم نعمتي﴾

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣/٣٣.

(٢) مستدرك الحاكم ٣/٢٧١.

(٣) المصدر السابق ٢٧٢.

فقال عمر: والله إنّي لأعلم اليوم الذي نزلت فيه علىٰ رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها علىٰ رسول الله ﷺ عشيّة عرفة في يوم جمعة[1]. اي بعد ما قال النبي ﷺ هناك: إنّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وان الأئمة من قريش من هاشم[2].

صحيح أنّ الآية نزلت في أواخر أيام النبي ﷺ ولكنّها لم تنزل في عرفة، بل نزلت في يوم الغدير ١٨ / ذي الحجة سنة ١١ هجرية، والذين أيّدوا نزول هذه الآية في غدير خم يوم تنصيب الإمام علي عليه السلام هم:

الفخر الرازي في تفسيره الكبير ٢/٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٨٦، والحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن ٨٦، والشهرستاني في الملل والنحل ٧٠، والحموئي في كتابه فرائد السمطين ١/١٥٨، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨/٢٩٠، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور ٢/٢٥٩، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٥/٢١٣، والآلوسي في تفسير روح المعاني ٦/٦١، وهناك علماء آخرون ذكروا ذلك، ولكن اكتفينا بذكر هؤلاء.

وعلىٰ الروايتين تكون الآية نازلة في حق أهل البيت عليهم السلام الذين جعلهم الله تعالىٰ ركناً بعد الركن القرآني.

والتفسير الصحيح يبين العقائد الإلهيّة والشرائع السماوية الحقة، وهذا ما ترفضه اليهود وكفار قريش.

اختلاف القراءة يؤدي إلىٰ اختلاف الأمة

جاء في النصوص ما يلي: مرَّ عمر بن الخطاب برجل وهو يقرأ:

---

(١) صحيح البخاري ٥/١٨٦، ١٩٤، المائدة: ٣، تفسير ابن كثير ٢/٢٣.

(٢) شرح النهج ٩ / ٨٤، ينابيع المودة، الحنفي القندوزي ٢ / ٥٣٣، الخصال ٢٠٧، مسند أحمد ٣ / ١٤ المعجم الكبير، الطبراني ٥ / ١٨٦، صحيح الترمذي ٥ / ٣٢٨.

﴿والسَّـابِقُونَ الأَوَّلُـونَ مِـنَ المُـهاجِرِينَ والأنـصَارِ وَالَّـذِينَ اتَّـبَعُوهُم بِإحسانٍ﴾[1]

فوقف عمر فقال: إنصرف، فانصرف الرجل. فقال: من أقرأك هذا؟

قال: أقرأنيها: أبي بن كعب. قال: فإنطلق إليه، فإنطلقا إليه.

فقال يا أبا المنذر: أخبرني هذا أنَّك أقرأته هذه الآية. قال: صدق. تلقيتها من في رسول الله ﷺ.

قال عمر: أنت تلقَّيتها من محمد ﷺ؟ قال: نعم.

فقال في الثالثة، وهو غضبان.

نعم: والله لقد أنزلها الله علىٰ جبريل، وأنزل جبرئيل علىٰ قلب محمد، ولم يستأمر فيها إبن الخطاب، ولا أباه.

فخرج عمر رافعاً يديه وهو يقول: الله أكبر، الله أكبر[2].

وأخرج أبو عبيد في فضائله... عن خرشة بن الحر أنَّه قال: رأىٰ عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه:

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَومِ الجُمُعَةِ فَاسعَوا إِلىٰ ذِكرِ اللهِ﴾[3]

فقال: مَنْ أملىٰ عليك هذا؟ قلت: أُبي. قال: لقد توفي رسول الله وما نقرأ هـذه الآية التي في سورة الجمعة إلاّ: [فامضوا إلىٰ ذكر الله][4].

وقرأ أُبي بن كعب: (ولا تَقرَبوا الزِنىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشةً وَسَاءَ سبيلاً) [5]

فذكر ذلك لعمر فأتاه فسأله عنها.

---

(١) التوبة، ١١.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ٢/٦٠٥.

(٣) الجمعة، ٩.

(٤) صحيح البخاري مشكول ٢٠١/٣، والآية التي ذكرها عمر لا صحَّة لها.

(٥) الإسراء، ٣٢.

فقال: أخذتها من في رسول الله ﷺ[1].

وأخرج إبن شبّة في تاريخ المدينة المنورة أنَّ أعرابياً قرأ:

﴿مِنَ الَّذِينَ استَحَقَّ عَلَيهِم الأَولَيَانِ﴾[2]

فقال عمر: كذبت.

فقال أُبي: بل أنت أكذب.

فقال له رجل: أتكذّب أمير المؤمنين.

فقال: أنا أشدّ تعظيماً لأمير المؤمنين منكم، ولكنّي أُكذبه في تصديق الله، ولا أُصدقه في تكذيب الله. فقال عمر: صدق[3].

وعن عمر بن الخطاب سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان ـ في الصلاة على غير ما أقرأها. وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها، فأخذت بثوبه فذهبت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله. إنّي سمعته يقرأسورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها، فقرأ القراءة التي سمعتها منه.

وقال (أُبي) لعمر: إنّه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق[4].

وجاء في تاريخ القرآن الكريم: «وانّما هم تلقوه عن رسول الله ﷺ مشافهة وسماعاً كلمة كلمة وآية آية وسورة سورة، بالقراءات التي تدخل في معنى حديث ان هذا القرآن أُنزل على سبعة احرف فاقرأوا ما تيسرّ منه.

ولقد وصل الينا القرآن المجيد من رسول الله ﷺ بالتواتر القطعي والاسناد الصحيح عن الثقات العدول والعلماء الفحول طبقة بعد طبقة، فالقراءات مأخوذة عن النبي ﷺ مشافهة وسماعاً، وليست مستخرجة من رسم المصحف، بل الرسم

(١) كنز العمال ٢/٥٦٨، رقم الحديث ٤٧٤٤.

(٢) المائدة: ١٠٧.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ٢/٧٠٩.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي.

تابع لها مبني عليها، وأي دليل أعظم علىٰ هذا ممَّا وقع لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، حينما سمعه يقرأ سورة الفرقان علىٰ حروف كثيرة لا يعرفها عمر»[1].

وأراد الراوي الأموي أن يعذر عمر، لكنَّه زاد في الطين بلَّه؛ إذ قال: قرأ رجل عند عمر فغيَّر عليه.

فقال: قرأت علىٰ رسول الله ﷺ فلم يغيِّر عليَّ قال: فاجتمعا عند النبي ﷺ.

قال: فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له: قد أحسنت.

قال: كأن عمر وجد من ذلك،

فقال النبي ﷺ: يا عمر إنَّ القرآن كلَّه صواب مالم يجعل عذاباً مغفرة أو مغفرة عذاباً[2]. وهذا الحديث كاذب يسمح للناس بالتقوّل على القرآن الكريم كيفما شاؤوا.

وروى البخاري عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال: اقرأني جبرئيل علىٰ حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتَّىٰ إنتهى إلىٰ سبعة أحرف.

وذكروا أنَّه ﷺ قال: أقرأني جبرئيل علىٰ حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني، حتَّىٰ إنتهى إلىٰ سبعة أحرف[3].

وقال عمر بن الخطاب: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان علىٰ غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرأنيها وكدت ان أعجل عليه ثمَّ أمهلته حتَّىٰ إنصرف، ثمَّ لببته بردائه فجئت به رسول الله ﷺ فقلت: إنِّي سمعت هذا يقرأ علىٰ غير ما أقرأتنيها فقال لي: أرسله ثمَّ قال له إقرأ: فقرأ، قال ﷺ: هكذا أنزلت.

ثمَّ قال لي: أقرأ فقرأت فقال ﷺ: هكذا أُنزلت ان القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف فاقرؤا منه ما تيسرَّ[4].

---

(١) تاريخ القرآن الكريم ١٢٣.

(٢) مسند أحمدبن حنبل ٤/ ٣٠، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥٠.

(٣) سنن البخاري ٦/ ١٠٠.

(٤) سنن البخاري ٣/ ٩٠، الدر المنثور ٥/ ٦٢، تاريخ القرآن الكريم ٧٧.

وذكر ابو الفرج ابن الجوزي: (ولا زلت استشكل هذا الحديث ـ أي حديث ان هذا القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف الخ ـ وافكر فيه وأمعن النظر من نحو نيف وثلاثين سنة حتّىٰ فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله تعالىٰ، وذلك اني تتبّعت القراءات صحيحها وضعيفها وشاذّها فإذا هي يرجع إختلافها إلىٰ سبعة أوجه)[1].

وقال الكليني في الكافي: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الناس يقولون: إنّ القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف فقال: كذبوا أعداء الله، ولكنّه نزل علىٰ حرف واحد من عند الواحد[2].

وجاء ايضاً: «وفي أخبارنا أنّ السبعة أحرف ليست هي القراءة بل هي أنواع التركيب من الأمر والنهي والقصص وغيرها[3].

وذكر أحمد بن حنبل وأبو يعلىٰ وابن بطة في مصنفاتهم أنه قرأ رجلان ثلاثين آية من الاحقاف فاختلفا في قراءتها، فقال ابن مسعود: هذا الخلاف ما أقرؤه، فذهبت بهما إلى النبي صلى الله عليه وآله فغضب وعلي عنده، فقال علي عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تقرأوا كما علّمتم.

فيظهر بان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرهم باتباع ما تعلموه وترك القراءات الأخرىٰ. وترجع قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو إلىٰ ابن عباس، وابن عباس قرأ علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم. وأخذ عاصم ذلك من أبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ السلمي القرآن كلّه علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال ابن مسعود ما رأيت احداً اقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام. ويرجع الكسائي وحمزة إلىٰ قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) تاريخ القرآن الكريم ٨٧

(٢) الكافي، الكليني ٢/ ٦٣٠.

(٣) مسالك الإفهام ١/ ٤٢٩.

وهناك روايات تؤيد روايات أهل البيت ﷺ منها: أخرج ابن جرير والحاكم عن النبي ﷺ قوله: كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، علىٰ حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب علىٰ سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال. فأحِلُّوا حلاله وحرّموا حرامه، وإفعلوا ما أُمرتم به، وانتهوا عمّا نهيتم عنه، وإعتبروا بأمثاله، وإعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا[١].

وجاء في كتاب بصائر الدرجات عن زرارة عن أبي جعفر ﷺ قوله: تفسير القرآن علىٰ سبعة أحرف منه ما كان ومنه مالم يكن[٢].

وعن الحسن لمّا قدم أبو موسى الاشعري البصرة كتب إليه عمر يقرأ الناس القرآن؟

فكتب إليه بعدة ناس قرأوا القرآن فحمد الله عمر. ثمّ كتب إليه في العام القابل بعدّة هي أكثر من العدّة الأولىٰ. ثمّ كتب إليه في العام الثالث.

فكتب إليه عمر يحمد الله على ذلك، وقال: إنَّ بني إسرائيل إنّما هلكت حين كثرت قرّاؤهم[٣]. أي فرح البعض لهلاك الأمة!

وقد أدرك عمر (وهو أحد دهاة العرب) وصرّح بأنَّ اختلاف القراءات يؤدي إلىٰ إختلاف الأمّة وهلاكها.!

هل نزل قرآن وفق رغبات بعض وليس وفق حكمة الله تعالىٰ؟

وقد بلغت الجرأة والوقاحة بالأمويين وأعوانهم الى الإعتداء على الساحة الأهلية، فصوّروا بعض القرآن نازلاً وفق آراء عمر ورغباته، ومن هذه الأحاديث الكاذبة:

---

(١) الدر المنثور ٢/٦.

(٢) بصائر الدرجات ١٩٦.

(٣) كنز العمال ١٠/٢٦٨ حديث ٢٩٤٠٣.

كان عمر يرى الرأي فينزل القرآن[١].

وأخرج إبن عساكر حديثاً كاذباً جاء فيه: إنَّ في القرآن لرأياً من رأي عمر![٢]

وأخرج عن أبن عمر مرفوعاً: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلّا جاء القرآنُ بنحو ما يقول عمر.

ومن الاكاذيب وافق عمرَ ربُّه في أحد وعشرين موضعاً[٣].

وذكروا وقوف الله سبحانه إلىٰ جنب عمر مخطئاً النبي ﷺ: لمّا أكثر رسول الله عليه الصلاة والسلام من الإستغفار لقوم، قال عمر سواء عليهم، فأنزل اللهُ

﴿سَوَاءٌ عَلَيهِم أَستَغفَرتَ لَهُم﴾[٤]

ولمّا إستشار عليه الصلاة والسلام الصحابة في الخروج إلىٰ بدر، أشار عمر بالخروج، فنزلت:

﴿كما أَخرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيتِكَ بِالحَقِّ﴾[٥]

وقوله تعالىٰ:﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِجِبرِيلَ﴾[٦]

أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة وأقربها للموافقة ما أخرجه إبن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ أنَّ يهودياً لقي عمر، فقال: إنَّ جبرئيل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا.

فقال له عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكائيل فإنَّ الله عدو للكافرين، فنزلت علىٰ لسان عمر!

---

(١) السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ١٢٢.

(٢) كنز العمال ١٢ / ٦ ح ٣٥٢٧٣.

(٣) فضائل الامامين، أبو عبد الله الشيباني وكنز العمال ١٢ / ٦٠٠ ح ٣٥٨٧٥.

(٤) البقرة ٦.

(٥) الأنفال، ٥.

(٦) البقرة، ٩٧.

أي عمر يقول والله ينطق علىٰ لسانه والعياذ بالله من سكرة ونشوة وكفر بني أميَّة وطلقاء مكَّة واليهود الذين رفعوا بعضاً إلىٰ أعلىٰ مما يتصوَّر حقداً علىٰ أعدائهم وحبَّاً لهم.

ومن جملة ما أوردوه من موضوعات رثَّة وبالية في رفع عمر علىٰ باقي البشريَّة ومنهم النبي ﷺ أنَّهم ذكروا موضوع الإستئذان في الدخول، وذلك أنَّه دخل عليه غلامه، وكان نائماً، فقال عمر: اللهم حرِّم الدخول.

فنزلت آية الإستئذان![1]

إذاً لولا رغبة عمر لبقي الأمر مباحاً، وعلىٰ هذه الحال يكون الأمر علىٰ رأى الامويين : عمر يقول ويرىٰ، والله تعالىٰ يردد، والنبي ﷺ يبلِّغ! والعياذ بالله تعالىٰ.

ومن أعاجيب الحديث الكاذب: إختصم رجلان الى النبي ﷺ فقضىٰ بينهما، فقال الذي قضىٰ عليه: رُدَّنا إلىٰ عمر بن الخطاب، فأتينا إليه.

فقال الرجل: قضىٰ لي رسول الله عليه الصلاة والسلام علىٰ هذا،فقال: رُدَّنا إلىٰ عمر، فقال: أكذلك؟

قال: نعم،

فقال عمر: مكانكما حتىٰ أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملاً علىٰ سيفه، فضرب الذي قال: ردَّنا إلىٰ عمر فقتله، وأدبر الآخر،

فقال: يا رسول الله، قتلَ عمرُ واللهِ صاحبي.

فقال: ما كنت أظن أن يجترئ عمر علىٰ قتل مؤمن، فأنزل الله.

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2]

فأهدر دم الرجل وبرئ عمر من قتله!

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٤.

(٢) النساء، ٦٥.

في هذه الرواية أراد الراوي رفع مكانة البعض وبيان رفض قسم من المسلمين أحكام النبي ﷺ في الدعاوىٰ.

ولم يعرف عمر بالقضاء والمعروف عنه الصفق في الأسواق مشغولاً في البيع والشراء.

فتصوَّر واضع الرواية أنَّ عمر حكم بكفر ذلك الرجل وحلِّية دمه، والنبي ﷺ أفتىٰ بكونه مؤمناً وعدم حلِّية دمه...

فخطّأ الله تعالى النبيَّ ﷺ، وصحَّح فعل عمر بعدم إيمان ذلك الرجل، وأنزل تعالىٰ:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾!

بينما جاء في تفسير الكشاف حول الآية ما يلي: قيل نزلت في شأن المنافق اليهودي، وقيل: في شأن الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلىٰ رسول الله ﷺ في شراج من الحرَّة كانا يسقيان بها النخل.

فقال ﷺ: اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلىٰ جارك، فغضب حاطب وقال: لانه كان ابن عمَّتك؟

فتغيَّر وجه رسول الله ﷺ، ثمَّ قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتىٰ يرجع الى الجدر واستوف حقَّك، ثمَّ أرسله إلىٰ جارك.

فكان ﷺ قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه، فلمَّا احفظ (أغضب) رسول الله ﷺ استوعب للزبير حقَّه في صريح الحكم.

ثمَّ خرجا فمرَّا على المقداد، فقال: لمن كان القضاء؟ فقال الأنصاري: قضى لابن عمَّته، ولوىٰ شدقه، ففطن يهودي كان مع المقداد فقال: قاتل الله هؤلاء، يشهدون أنَّه رسول الله ثمَّ يتَّهمونه في قضاء يقضىٰ بينهم، وأيم الله، لقد أذنبنا ذنباً مرَّة في حياة موسىٰ، فدعانا الى التوبة منه. اقتلوا أنفسكم، ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً في طاعة

ربّنا حتّىٰ رضي عنّا...[١].

و قال المسعودي: لما أصبح عمر قاضي أبي بكر مكث سنة لا يختلف اليه أحد[٢].

ومن الذين أيّدوا نزول القرآن وفق رغبات عمر النووي. إذ ذكر في التهذيب: نزل القرآن بموافقته (عمر) في أسرىٰ بدر وفي الحجاب وفي مقام إبراهيم، وفي تحريم الخمر، وحديثها في السنن ومستدرك الحاكم أنّه قال:

اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً. فأنزل الله تحريمها[٣].

في حين قال محمد الأبشيهي المحلي المتوفّىٰ سنة ٨٥٠ هجرية قد أنزل الله في الخمر ثلاث آيات: الأولىٰ في قوله:

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثم كبير ومنافع للناس﴾.

فكان من المسلمين من شارب ومن تارك، إلىٰ أن شرب رجل فدخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُم سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[٤]

فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها، حتّىٰ شربها عمر فأخذ بلحي بعير وشجّ به رأس عبد الرحمن بن عوف، ثمّ قعد ينوح علىٰ قتلىٰ بدر بشعر الأسود بن يعفر، وهو يقول:

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدني إبن كبشه ان سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يردّ الموت عنّي ... وينشرني إذا بليت عظامي

(١) تفسير الكشاف، جاد الله الزمخشري ١/ ٥٣٠.

(٢) التنبيه والاشراف، المسعودي ٢٥٤، تاريخ الطبري ٢ / ٦١٧، المنتظم، ابن الجوزي ٤ / ٧٠.

(٣) تاريخ الخلفاء للسوطي ص ١٢٢.

(٤) النساء، ٤٣.

ألا من مبلّغ الرحمن عنّي بأنّي تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج مغضباً يجرّ رداءه فرفع شيئاً كان في يده فضربه.

فقال أعوذ بالله من غضبه، وغضب رسوله، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾

فقال عمر: إنتهينا، إنتهينا[1].

وذكر محمد بن جرير الطبري: «فأنزل الله عزوجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[2]

فشربها من شربها منهم، وجعلوا يتّقونها عند الصلاة، حتّىٰ شربها فيما زعم رجل فجعل ينوح علىٰ قتلىٰ بدر وقالوا هما ابو بكر وعمر لذاكانت عائشة تدعو علىٰ الصحابة الراوين في هذا الموضوع . وقال ابو بكر :

تحيّ بالسلامة أمّ عمرو وهل لك بعد رهطك من سلام
ذريني أصطبح بكراً فإنّي رأيت الموت نقب عن هشام
وودّ بنو المغيرة لو فدوه بألف من رجال أو سوام
كأنّي بالطوي طوي بدر من الشيزي يكلل بالسنام
كأنّي بالطوي طوي بدر من الفتيان والحلل الكرام[3]

فغيّر النووي منزلة عمر من شارب للخمر إلىٰ سائل عنها! بينما استمر عمر في

(١) المستطرف ٢/ ٢٦٠، تاريخ المدينة المنورة لابن شبة ٣/ ٨٦٣.

(٢) النساء، ٤٣.

(٣) جامع البيان ٢/ ٢١١ والبحار ٣٠ / ٦٦٣ وفيض القدير للمناوى ١ / ١١٧ وتفسير الطبرى ٢ / ٤٩٢.

شرب الخمر بعد حادثة القليب[١]

وبرر عمر استمراره في شرب الخمرة بقوله انا نشربها لنقطع بها لحوم الابل [٢]

(١) راجع موضوع تحريم الخمر في هذا الكتاب.

(٢) السنن الكبرى ٨ / ٢٩٩ وكنز العمال ٣ / ١٠٩.

الفصل الرابع

الحديث النبوي



حث النبي ﷺ على حفظ الحديث وتدوينه

حثّ النبي ﷺ علىٰ طلب العلم وتعلم الكتابة وتبينت رغبته ﷺ بعد معركة بدر إذ جاء بأمر عجيب لم تعرفه البشرية الا وهو مطالبة الأسرىٰ الفقراء بتعليم كل واحد منهم عشرة من اطفال المسلمين القراءة والكتابة مقابل اطلاق سراحهم[1].

ودعا رسول الله ﷺ إلى نشر الحديث وحفظه وتدوينه:

جاء في كتاب البخاري (حول تدوين الحديث) عن النبي ﷺ قوله: اللهم اشهد فليبلّغ الشاهد الغائب فرب مبلّغ أوعىٰ من سامع[2].

وجاء أيضاً عنه ﷺ: فانّه ربّ مبلّغ يبلغه الى من هو أوعىٰ له[3].

وفي سنن مسلم قال ﷺ: ألا ليبلغ الشاهدُ الغائبَ (مرّتين) فربّ مبلّغ هو أوعىٰ من سامع[4].

وجاء في مسند أحمد قوله ﷺ: ألّا إنّ ربّي داعيّ، وإنّه سائلي هل بلّغت عبادي؟ وانا قائل له: ربّ قد بلغتهم. ألّا فليبلغ الشاهد منكم الغائب[5].

---

(١) وسائل الشيعة ٣ / ١٣٤.

(٢) صحيح البخاري ١/٣٤، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب.

(٣) صحيح البخاري ٨/٩١.

(٤) صحيح مسلم ٥/١٠٨، سنن ابن ماجه ١/٨٥ ـ ٨٦، الترمذي ٢/١٥٢، مستدرك الحاكم ٣/١٧٤، سنن البيهقي ٥/١٤٠، وسنن النسائي ٥/٢٠٦.

(٥) مسند أحمد ١/٨٣.

وأخرج الحاكم في تاريخه بالاسناد إلىٰ أبي بكر عن رسول الله ﷺ قوله: «من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي ذلك العلم أو الحديث»[1].

وكان عبد الله بن عمرو يكتب أحاديث النبي ﷺ في حياته، فنهته قريش وقالوا: أتكتب كلَّ ما يقول، وهو بشر يقول في الرضا والغضب، وأنَّه (عبد الله) أخبر النبي ﷺ بذلك. فقال ﷺ له:

أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ الحق، وأشار إلىٰ فمه الشريف، وهناك روايات بتقييد العلم وكتابته عن الصحابة الاجلاء، أوجب فيها النبي ﷺ على الشاهد ان يبلّغ الغائب وأحاديث من حفظ أربعين حديثاً[2].

والملاحظ لكتب السيرة والحديث يجد أنَّ النبي ﷺ كان يدعوهم إلىٰ كتابة الحديث[3] مثل قوله ﷺ: من كتب عني علماً أو حديثاً لم يزل يكتب له الأجر ما بقي العلم أو الحديث[4].

وبسبب منع تدوين الحديث لم ينقل عن الصحابة كتاب إلاّ عن سعد بن عبادة إذ نقل عنه الشافعي في مسنده[5].

بينما قال النبي ﷺ: من حفظ من أُمتي أربعين حديثاً من سنَّتي أدخلته يوم القيامة في شفاعتي[6].

وقال ﷺ: من حفظ من أمتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً[7].

---

(١) أخرجه عماد الدين بن كثير في مسند الصدّيق عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، ورواه القاضي أبو امية الأحوص ابن المفضل الغلابي، وهو الحديث ٤٨٤٥ صفحة / ٢٣٧ /الجزء الخامس في كنز العمال.

(٢) تفسير المنار لرشيد رضا ١٠/٧٦٦، ١٩/٥١١.

(٣) كنز العمال ٥/٢٠٠-٢١٢، ٢٤٠، ٢٤٣، والمستدرك ١/٨٧-١٠٠.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي ص٩٣.

(٥) كما في ترتيب المسند ٢/١٧٩.

(٦) كنز العمال ١٠/١٥٨، حديث ٢٨٨١٧.

(٧) كنز العمال ١٠/١٥٨، حديث ٢٨٨١٨، تاريخ الخلفاء، السيوطي، باب أحاديث أبي بكر.

وقال ﷺ: من تعلّم أربعين حديثاً ابتغاء رحمة الله تعالىٰ، ليعلّم بـه أُمتي في حلالهم وحرامهم حشره اللهُ يوم القيامة عالماً[١].

وقال علي ؏: إذا كتبتم الحديث فاكتبوه باسناده ثم دعا ؏ إلى رواية الحديث إضافة إلى تدوينه[٢]

وعن الزهري عن عروة أنَّ عمر بن الخطاب أراد ان يكتب السنن، فإستفتىٰ أصحاب رسول الله في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها وإستخار عمر الله فيها شهراً. ثمَّ أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إنّي كنت أُريد ان أكتب السنن وإنّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبّوا عليها وتركوا كتاب الله، وإنّي واللهِ لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً[٣].

نلاحظ في هذا النص أنَّ أصحاب النبي ﷺ قد طلبوا منه كتابة الحديث، وذكرنا في الموضوع السابق طلب النبي ﷺ تدوين الحديث وتبليغه وحفظه، ورغم هذا فقد عارض عمر تدوين الحديث وتبليغه!

وواضح أنّ عدم كتابة الحديث يؤدي إلى اختلاف الأمة. وهو ما يريده الحزب القرشي.

الحزبان اليهودي والقرشي يحاربان الحديث النبوي

ذكر عمر أنَّ اليهود قد تركوا كتاب الله واهتموا بالكتب التي كتبوها.

والحقيقة ان اليهود لم يهتموا بأحاديث الأنبياء، ولو اهتموا بهـا وسـاروا عـلىٰ نهجها الصحيح لما انحرفوا عن الدين.

---

(١) كنز العمال ١٠/١٦٤، حديث ٢٨٨٥٣.

(٢) كنز العمال ١٠/١٢٩ عن الحاكم، تقييد العلم ٩١، نور الإبصار ١٢٢، سنن الدارمي ١/١٣٠، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢٧، تاريخ بغداد ٦/٣٩٩.

(٣) كنز العمال ١٠/ح ٢٩٤٧٤.

بل انهم لم يكتبوا الأحاديث النبوية، وحرّفوا كتبهم السماوية وتركوا أوصياء الله. وسار على خطاهم رجال السقيفة.

والملاحظ لسيرة أهل الكتاب، يفهم أنّ انحرافهم قد جاء من منعهم كتابة الحديث النبوي، وتحريف الكتب السماوية. وأبو بكر وعمر وعثمان وباقي الصحابة يدركون ذلك! ولم نجد في كتب اليهود انهم ساروا على آراء الأوصياء، بل ترك أتباع النبيّ سليمان عليه السلام وصيهم آصف بن برخيا.

وترك أتباع النبي موسى عليه السلام وصيهم يوشع بن نون.

وبذلك يكون أصحاب سليمان وموسىٰ عليهما السلام قد تركوا الوصي والحديث النبوي، وهكذا فعل المسلمون بعد النبي صلى الله عليه وآله بتركهم الوصي (علياً) عليه السلام والحديث النبوي، ولقد قال النبي صلى الله عليه وآله: لتتبعُن سنن من قبلكم شبراً بشبر![1]

لقد أمر النبي صلى الله عليه وآله بقول الحديث قائلاً: حدّثوا عنّي ولا حرج[2].

فغيرت الدولة ذلك إلى حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[3].

ورووا زيفاً قوله صلى الله عليه وآله لكعب الأحبار: اقرأ التوراة آناء الليل والنهار[4] بدل اقرأ القرآن آناء الليل والنهار.

وبعد منع أبي‌بكر وعمر الناس من كتابة الحديث النبوي انتشرت أحاديث كعب وتميم الداري باسم الأحاديث النبوية لان عمر سمح لهما فقط بالوعظ في المسجد النبوي!.

لقد كانت نظرية الحزب القرشي تتمثّل في عدم كتابة الحديث النبوي ومخالفة النبي صلى الله عليه وآله والصحابة.

---

(١) الاقتصاد للطوسي ٢١٣ ومسند احمد ٣ / ٨٤.

(٢) كنزل العمال ١٠/١٢٨، صحيح مسلم ٨/٢٢٩، تقييد العلم ٣١ ـ ٣٥، ٧٨.

(٣) صحيح البخاري ٢/١٦٥، سنن أبي داود ٣/٣٢٢.

(٤) غريب الحديث ٤/٢٦٢، جامع بيان العلم ٢/٥٣.

ومات عمر ولم ينسخ كتاب الله أيضاً، فأبقى المسلمين دون كتاب ودون حديث، والكتاب دون تفسير وبعدّة قراءات، والحديث النبوي ممنوع تدوينه والنطق به، وأهل البيت ﷺ محذوفون بنظرية حسبنا كتاب الله!!

وكانت نظرية اليهود متّفقة مع الحزب القرشي في عدم كتابة الحديث النبوي. وسار أبو بكر وعمر علىٰ تلك النظرية القائلة بأن النبي ﷺ يغضب ويرضىٰ فكيف تكتبون عنه[1] وتلك النظرية معارضة لنظرية الله تعالىٰ في رسوله. إذ قال:

﴿إن هو إلّا وحي يوحى﴾

فالملاحظ أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد أشاروا علىٰ عمر بكتابة السنن دون مخالف منهم لهذا. ورأي الصحابة يبين أنَّ النبي ﷺ هو الذي دعا إلىٰ كتابة السنن النبوية.

فاذا كان النبي ﷺ وأصحابه يدعون إلىٰ كتابة السنن لأهميتها فلماذا خالف عمر والحزب القرشي ذلك؟

إن نظرية الحزب القرشي تتمثل في حسبنا كتاب الله، وهذه النظريّة تتضمّن هذا المعنىٰ أي منع تدوين الحديث النبوي.

لذلك دعا عمر إلىٰ عدم كتابة الحديث النبوي الشريف، وحبس الصحابة في المدينة كي لا ينتشروا في الدول المختلفة فينتشر معهم الحديث النبوي.

قال أبو هريرة: ما كان أحد منا يقول على عهد عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ الا سيل ظهره دماً[2].

وذهب عمر لأبعد من ذلك في معتقده يوم أحرق الحديث النبوي الشريف، المكتوب علىٰ جلود الحيوانات والاخشاب[3]. وهذه خسارة لا تعوَّض للتراث الأسلامي.

---

(١) تفسير المنار، (محمد رشيد رضا ١٠/٧٦٦، ١٩/٥١١).

(٢) مختصر تاريخ ابن عساكر ٣/١١.

(٣) كنز العمال ٥/٢٣٩.

المصادر

حرف الالف

١ ـ أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق المحمودي مؤسسة الأعلمي بيروت.

٢ ـ الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار، المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية طبع سنة ١٤١٦ هجرية وزارة الثقافة ـ بغداد.

٣ ـ الايضاح، الفضل بن شاذان النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦٠ هجرية. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٤ ـ الإمامة والسياسة، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينورى المتوفي سنة ٢٧٦ هجرية، شركة الحلبي ـ مصر.

٥ ـ الاخبار الطوال، أحمد بن داود الدينوري المتوفى سنة ٢٨٢ هجرية ـ وزارة الثقافة والأرشاد ـ مصر.

٦ ـ اثبات الوصية، علي بن الحسين بن علي المسعودي، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٧ ـ اضواء على السنة المحمدية، محمود ابو رية مؤسسة انصاريان ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م.

٨ ـ الطبقات الكبرى، ابن سعد، المتوفى سنة ٢٣٠ هجرية دار صادر ـ بيروت.

٩ ـ الإصابة، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠ ـ أسد الغابة، ابن الأثير علي بن محمد الجزري ، المتوفى سنة ٦٣٠ هجرية دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

١١ ـ الامالي، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفي سنة ٤٦٠ هجرية. مؤسسة النشر الأسلامي، قم.

١٢ ـ الامالي، المفيد، منشورات النشر الأسلامي، قم.

١٣ ـ الإمام الحسين عليه السلام، عبد الله العلايلي، الشريف الرضي، قم.

١٤ ـ الاموال ـ ابو عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية. دار الكتب العلمية

١٥ ـ الاخبار الموفقيات ـ الزبير بن بكار ـ منشورات الشريف الرضي ـ قم

١٦ ـ اطراف مسند الإمام أحمد، ابن حجر العسقلاني، دار ابن كثير، بيروت.

١٧ ـ الاختصاص، المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية ، منشورات جماعة المدرسين، قم.

١٨ ـ ارشاد القلوب ـ ابو محمد الحسن بن محمد الديلمي ـ منشورات الشريف الرضي ـ قم

١٩ ـ الاحتجاج، لابى منصور احمد بن على الطبرسي، دار الاسوة، قم.

٢٠ ـ الارشاد. محمد بن محمد النعمان العكبرى البغدادى المتوفى سنة ٤١٣ هجرية. مؤسسة آل البيت. قم

حرف الباء

٢١ ـ البداية والنهاية، ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية مؤسسة التاريخ العربيبيروت.

٢٢ ـ البدء والتاريخ، احمد بن سهل البلخي، المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣ ـ بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، المتوفى سنة ١١١١هجرية. مؤسسة الوفاء، بيروت.

٢٤ ـ البيان والتبيين، الجاحظ، دار صعب، بيروت.

٢٥ ـ بلاغات النساء لاحمد بن أبي‌طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هجرية. المطبعة الحيدرية ـ قم

حرف التاء

٢٦ ـ تاريخ الامم والملوك لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، المتوفي سنة ٣١٠ هجرية مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢٧ ـ تاريخ أبي الفداء اسماعيل بن علي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٢٨ ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير أبي‌الفداء اسماعيل الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجرية ، دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

٢٩ ـ تاريخ المدينة المنوّرة،عمر بن شبة النميرى المتوفى سنة ٢٦٢ هجرية طبعة السعودية.

٣٠ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي، عبد الرحمن بن عمرو النصري، المتوفى سنة ٢٨١ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣١ ـ تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي‌بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هجرية. الدار المتحدة ـ مصر.

٣٢ ـ تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، المتوفى سنة ٢٩٢ هجرية دار صادر ـ بيروت ١٣٧٥هـ.

٣٣ ـ تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٣٤ ـ التنبيه والاشراف، علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٤٥ هجرية دار صادر

ـ القاهرة.
٣٥ ـ تاريخ مختصر الدول، ابن العبري غريغوريوس الملطي المتوفى سنة ٦٨٥ هجرية طبع مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية ـ قم.
٣٦ ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي نؤاس المالكي، دار التعارف ـ بيروت.
٣٧ ـ تثبيت الامامة، يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ٢٩٨ هجرية، دار السجاد، بيروت.
٣٨ ـ تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة اسماعيليان، الطبعة الثانية قم.
٣٩ ـ تفسير التبيان، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، مكتب الاعلام الأسلامي ـ قم.
٤٠ ـ تفسير مجمع البيان، لابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨ هجرية المكتبة العلمية ـ طهران.
٤١ ـ تقريب المعارف، لابي الصلاح تقي بن نجم الحلبي، المتوفى سنة ٤٤٧ هجرية. طبع قم.
٤٢ ـ تاريخ بغداد، ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣ ـ تفسير الآلوسي، محمود البغدلدي المتوفى سنة ١٢٧٠ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.
٤٤ ـ تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك، جلال الدين السيوطي، دار الفكر ـ بيروت.
٤٥ ـ تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار الكتاب العربي.
٤٦ ـ تفسير الفخر الرازي ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت.
٤٧ ـ تاريخ ابن الوردي، زين الدين بن عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هجرية دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٨ ـ تفسير الكشاف، الزمخشري، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٤ هـ.
٤٩ ـ تاريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الدياربمرى ـ دار صادر بيروت.

حرف الجيم

٥٠ ـ الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة ٣٢٧ هجرية. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٥١ ـ الجمل، المفيد محمد بن العكبرى ، مكتبة الداوري، طهران.

٥٢ ـ جمهرة أنساب العرب، على بن احمد بن حزم، المتوفي سنة ٤٥٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٣ ـ جمل من أنساب الاشراف، احمد بن يحيى البلاذري، المتوفي سنة ٢٧٩ هجرية دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

حرف الحاء

٥٤ ـ حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٥ ـ حياة محمد، محمد حسين هيكل، طبع مصر.

٥٦ ـ حديث الافك ـ جعفر مرتضىٰ ـ دار التعارف ـ بيروت

٥٧ ـ حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى الدميري، المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية. منشورات الشريف الرضي ـ قم.

حرف الخاء

٥٨ ـ الخصال، محمد بن على ابن بابويه القمى الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية. منشورات النشر الأسلامي، قم.

حرف الدال

٥٩ ـ دلائل النبوة، احمد بن حسين البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨ هجرية دار الكتب العلمية بيروت.

٦٠ ـ دلائل الصدق، محمد حسن المظفر، دار المعلم، القاهرة.

٦١ ـ الدرجات الرفيعة. على خان الشيرازى. مؤسسة الوفاء ـ بيروت

حرف الراء

٦٢ ـ رجال الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٠ هـجرية. المكتبة الحيدرية، النجف.
٦٣ ـ الرد على المتعصب العنيد، ابن الجوزي، تحقيق المحمودي.
٦٤ ـ رجال الكشي، تحقيق مهدى الرجائي. مؤسسة آل البيت ـ قم.
٦٥ ـ رجال السيد بحر العلوم، محمد مهدى بحر العلوم. منشورات الصادق، طهران.
٦٦ ـ الروض الأنف، عبد الرحمن السهيلي المتوفى سنة ٥٨١ هجرية. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

حرف السين

٦٧ ـ السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى سنة ١٠٤٤ هجرية دار احياء التراث العربي ـ بيروت.
٦٨ ـ سيرة ابن اسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار، المتوفى سنة ١٥١ هجرية دار الفكر بيروت
٦٩ ـ السيرة النبوية، أحمدزيني دحلان، المتوفى سنة ١٣٠٤ هجرية دار احياء التراث العربي بيروت.
٧٠ ـ سيرة ابن هشام لابى مجمد عبد الملك بن هشام، شركة الحلبي ـ مصر ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م.
٧١ ـ سيرة المصطفى، معروف الحسني، دار القلم، بيروت.
٧٢ ـ السيرة النبوية، عيون الأثر، محمد ابن سيد الناس، المتوفى سنة ٧٣٤ هـجرية. مؤسسة عزالدين، بيروت.

٧٣ ـ السيرة النبوية، أبو حاتم محمد بن احمد التميمي، المتوفى سنة ٣٥٩ هـجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٤ ـ السقيفة وفدك، الجوهري، مكتبة ناصر خسرو، طهران.

٧٥ ـ سفينة البحار ـ عباس القمي ـ دار الاسوة ـ قم

٧٦ ـ كتاب سليم بن قيس الهلالي، تحقيق الأنصاري ـ نشر الهادي ـ قم.

حرف الشين

٧٧ ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار الحلبي وشركاه، مصر، وطبعة دار الفكر، بيروت.

حرف الصاد

٧٨ ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

٧٩ ـ صحيح النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨٠ ـ صحيح الترمذي، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨١ ـ صحيح أبي داود، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩ هـ.

٨٢ ـ صحيح ابن ماجة، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٨ هـ.

٨٣ ـ صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المتوفى سنة ٢٥٦ هجرية دار القلم ـ بيروت.

٨٤ ـ الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى، دار السيرة، بيروت.

حرف العين

٨٥ ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار احياء التراث العربي بيروت.

٨٦ ـ عمر بن الخطاب الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٨٧ ـ عبقرية عمر، عباس محمود العقاد، دار الهلال.

٨٨ ـ عيون الاخبار ـ عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية. دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٥م.

حرف الغين

٨٩ ـ الغارات، ابراهيم بن محمد بن سعيد ابن هلال الثقفي، دار الكتاب الأسلامي، ايران.

حرف الفاء

٩٠ ـ الفتوح، ابن اعثم، احمد بن اعثم الكوفي المتوفى سنة ٣١٤ هجرية دار الكتب العلمية.

٩١ ـ الفاروق عمر، محمد حسنين هيكل، دار المعارف ـ مصر، ط . الخامسة.

٩٢ ـ فتح الباري، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٣ ـ فتوح الشام، محمد بن عمر الواقدي، المتوفى سنة ٢٠٧ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

حرف القاف

٩٤ ـ قصص العرب، جاد الحق والبجاوي ومحمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية.

حرف الكاف

٩٥ ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير على بن أبي الكرم الشيباني ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م.

٩٦ ـ فتوح البلدان، احمد بن يحيى البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٩٧ ـ الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩ هجرية دار الكتب العلمية، طهران.

حرف اللام

٩٨ ـ لسان الميزان، احمد بن على بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة ٨٥٢ هجرية دار الفكر ـ بيروت.

٩٩ ـ لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم ، مطبعة ادب الحوزة ١٤٠٥ هـ.

حرف الميم

١٠٠ ـ المعارف، لابى محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، دار الثقافة ـ مصر.

١٠١ ـ مروج الذهب، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس بيروت.

١٠٢ ـ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية الطبعة الثانية المكتبة الحيدرية ـ النجف.

١٠٣ ـ مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر، لمحمد بن مكرم (ابن منظور) دار الفكر ـ دمشق.

١٠٤ ـ ميزان الاعتدال، محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨ هجرية دار المعرفة ـ بيروت.

١٠٥ ـ المغازي، محمد بن عمر الواقدي المتوفى سنة ٢١٢ هجرية طبع دار المعرفة الاسلامية ١٤٠٥ هجرية.

١٠٦ ـ مناقب أميرالمؤمنين عمر، محمد بن الجوزي، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٧ ـ المنتظم، أبو الفرج بن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١٠٨ ـ المثالب، هشام ابن الكلبي، دار الهدى للتراث ـ بيروت.

١٠٩ ـ من لا يحضره الفقيه، لابي جعفر محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق، نشر الإمام المهدي عليه السلام ـ قم.

١١٠ ـ مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، دار الكتب العلمية ـ طهران.

١١١ ـ معاني الاخبار، ابو جعفر محمد بن علي الصدوق، المتوفى سنة ٣٨١ هجرية مؤسسة النشر الأسلامي، قم.

١١٢ ـ المستدرك، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ هجرية ، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

١١٣ ـ مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. دار انوار الهدى، قم.

١١٤ ـ المناقب، الموفق بن احمد الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨ هجرية. مؤسسة النشر الأسلامي ـ قم.

١١٥ ـ معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار الكتب العلمية، بيروت.

١١٦ ـ المحلى، علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ـ طبع دار الفكر.

١١٧ ـ معجم الادباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦ هجرية. دار التراث العربي، بيروت.

١١٨ ـ المعجم الكبير، ابو القاسم سليمان بن احمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠ هجرية دار احياء التراث العربي، بيروت.

١١٩ ـ معجم رجال الحديث، ابو القاسم الموسوي الخوئي، مركز نشر آثار الشيعة، قم.

١٢٠ ـ الملل والنحل، الشهرستاني، المكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة.

١٢١ ـ مرآة الجنان لعبد الله بن اسعد بن على اليافعى المتوفى سنة ٧٦٨ هجرية دار الكتب العلمية.

١٢٢ ـ مشكل الاثار لاحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى. المتوفى سنة ٣٢١ هجرية. دائرة المعارف. الهند طبعة ١٣٣٣ هجرية.

حرف النون

١٢٣ ـ نوادر المخطوطات ـ عبد السلام هارون ـ دار الجيل ـ بيروت.

١٢٤ ـ النسب، لابى عبيد القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٢٤ هجرية دار الفكر، بيروت.

حرف الواو

١٢٥ ـ وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة ٢١٢ هجرية. مكتبة المرعشي النجفي، قم ١٤١٨هـ.

١٢٦ ـ وفيات الأعيان، احمد بن محمد بن ابراهيم ابن خلكان، المتوفى سنة ٦٨١ هجرية دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٧ ـ وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤ هجرية. دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٢٨ ـ وقعة الطف ـ لابي مخنف لوط بن يحيىٰ ـ مؤسسة النشر الأسلامي ـ قم.

١٢٩ ـ الوفا بأحوال المصطفى لابي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هجرية. دار الكتب العلمية.

حرف الياء

١٣٠ ـ ينابيع المودة، سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، الشريف الرضي، قم.

فهرس محتوى الجزء الثاني